

اللآلئ النفيسة
فى شرح طقوس ومعتقدات
الكنيسة

تأليف المتنيح

القمص يوحنا سلامه



تأليف المتنيح

القمص يوحنا سلامه

وكيل البطريركية القبطية بالخرطوم (سابقاً)

الجزء الاول

مكتبة مارجرجس
١٧ شارع المستشفي شبرا مصر
تليفون : ٢٠٢٣٢٤٣



الكتـاب : اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة

المـؤلـف : القمص يوحنا سلامة

الناشـــر : **مكتبة مارجرجس**

١٧ شارع شيكولانى ـ شبرا مصر ت: ٢٠٢٣٢٤٣

المطبـــعة : شركة الطباعة المصرية ت : ٦١٠٠٥٨٩

رقم الإيـداع بدار الكتب: ٥٣٨٠ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى : X - 49 - 5305 - 977



صاحب القداسةِ البابا المعظم

الأنبا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



المتنيح القمص

يوحنا سلامة

وكيل شريعة الأقباط الأرثوذكس بالخرطوم

مقدمة الناشر

كنت منذ حداثتي محبا لإقتناء الكتب الدينية وكلما شببت عن الطوق إزدادت فيَّ الرغبة في نشر هذه الكتب بين أبناء كنيستي القبطية الأرثوذكسية، ودفعتني غيرتي على افتتاح «مكتبة مارجرجس» بشيكولاني بشبرا لتنفيذ هذه الرغبة على أكثر عدد ممكن من هؤلاء الإخوة الأرثوذكسيين، وأحمد الله أن رغبتي تحققت في نشر الكثير من الكتب الدينية المفيدة، ولما عثرت على كتاب :

«اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة»

سعيت في العمل على نشره لما فيه من فائدة لشعب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأي بعد أن حاربتها الطوائف الدخيلة عليها مدة طويلة.

وقد كلفني هذا المشروع الكثير من الجهد والمال ولكني مرتاح الضمير أن أقدم لأبناء كنيستي هذا الكنز الثمين فإن وسائل الإعلام في كنيستنا تكاد أن تكون معدومة.

وكلي رجاء في أن يستفيد أبناء كنيستي من هذه اللآلئ حتى يعرفوا لماذا هم أرثوذكسيين.

والله ولي التوفيق.

الناشـر

باسليوس ميخائيل

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

مقدمة

صدرت من هذا الكتاب عدة طبعات وهذه الطبعة الخامسة. وقد كان الإقبال عليهما شديداً إذ كانت تنفذ نسخ كل طبعة بمجرد صدورها.

وقد انتقل المؤلف «**القمص يوحنا سلامة**» إلى أحضان القديسين في الثالث عشر من أبريل سنة ١٩٦٠ وذهب في طريق الأرض كلها لاقياً ربه راضياً مرضياً ولم أجد أنا أخوه في الجسد سبيلاً لتكريم ذكري أخي وأبي وحبيبي إلا طبع هذا الكنز الثمين.. هدية متواضعة أضعها بين يدي «أبناء الشهداء» توضيحاً وشرحاً لمعتقدات وتقاليد وطقوس «كنيسة الشهداء» الأرثوذكسية التي ظلت وستظل برعاية فاديها وتزكية الدم الطاهر المسفوك عبر الأجيال حفاظاً على الإيمان المستقيم - كانت وستظل أبد الدهور منارة عالية في خضم الزمان ماضيه وحاضره ومستقبله تشع نوراً وتهدي الملايين وسط أمواج تصطخب وتيارات تتلاطم من عقائد تتقلب ومبادئ تتذبذب ولكنها أبداً نقية المبدأ - قويمة المعتقد - سليمة التقليد.

إنني أؤمن في رضوخ بأن الحاجة اليوم ماسة لدى كثير من الأقباط إلى إقتناء هذا السفر الكريم الذي أقدمه إليهم فخوراً بنعمة الله على المؤلف شاكراً لله حسن صنيعه معنا ويقتضيني الوفاء بعد أن صار المؤلف سيرة وذكرى أن أصدر هذه الطبعة الخامسة بلمحة خاطفة ومضيئة في آن واحد- عن تلك السيرة وهذه الذكرى لا لأن صاحبها محتاج إليها فطالما

كتب ونشر عن «القمص يوحنا سلامة» ولا طلباً لمجد عائلي خاص فلم يكن «القمص يوحنا سلامة» إبناً لأسرته الصغيرة بل ابن بار من أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ليس في مصر وحدها بل شقيقتها (السودان) ولم يكن «القمص يوحنا سلامة» موضع تقدير أسرته أو أبناء وادي النيل فحسب بل قدره أبناء الطوائف الأخرى من وطنيين وأجانب على حد سواء. هذا ومن ناحية أخرى - تكتيكية - فإن هذا المؤلف قبس من روح صاحبه ومن الحق بل ومن الواجب أن يعلم القارئ شيئاً ولو يسيراً عن «شخصية» المؤلف ليتسنى له أن يسير غور المؤلف! حقيقتان متلازمتان بلا انقسام ولا انفصام.

ولعلي فيما قدرت أكون قد أحسنت التقدير ولعلي أيضاً أن أكون قد أوفيت متلمساً العذر والمغفرة عن أي تقصير... رحم الله فقيدنا الذاهب ونفع أمته بما ترك من بحوث وما دبج من مصنفات والمجد لله دائماً إلى الأبد آمين.

وما دمنا في معرض الحديث عن هذا الكنز الثمين الذي يعد عن حق «دستور الأرثوذكسية» فقد أردت أن أتوج هذا العمل الجليل بطرس بركة من صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس رحمه الله فزودني بصالح بركاته ودعواته وأهداني صورته الكريمة لأتوج بها هذا السفر الجليل وأرسل إلى الخطاب المدرج صورته الفوتوغرافية فيما بعد.

***

بخصوص

ⲠⲒⲀⲢⲬⲎⲈⲠⲒⲤⲔⲞⲠⲞⲤ ... ⲞⲢⲐⲞⲆⲞⲜⲞⲤ

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

القاهرة في { ٢٧ بؤونة سنة ١٦٨١ / ٤/٥ سنة ١٩٦٥

عند الرد الرجا ذكر هذا الرقم

القلم

عدد المرفقات

السيد الاستاذ يونان سلامه المحامى ٥/ شارع دار الشفا جاردن ستى

بعد منحكم البركات وصالح الدعوات ارجو ان تكونوا بنوتكم متمتعين بموفور الصحة وبعد •

بناء على الالتماس المرفوع من بنوتكم لحضرة صاحب القداسة البابا المعظم الانبا كيرلس السادس بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية نفيد ان قداسة البابا حفظه الله وافق على اعادة طبع كتاب اللالئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة القبطية الارثوذكسية لمؤلفه شقيقكم المتنيح القمص يوحنا سلامه للمرة الثالثة وقداسته يزودكم بدعوات وبركاته كما صرح حفظه الله بوضع رسمه الكريم على الكتاب •

فعليه ابلغ بنوتكم هذا النطق البابوى الكريم

والله يوفقكم فى جهودكم وفى كل عمل صالح

ونعمة الرب تشملكم وله الشكر الدائم ؛؛

وكيل عام البطريركية

القمص ميخائيل عبد المسيح

نبذة موجزة عن حياة المؤلف

في ليلة عيد القديس أبو سيفين أول أغسطس ١٨٧٨ بمدينة جرجا أنعم الله على كاهن المدينة وزوجته البارة التقية بمولود ذكر أسمياه تيمناً بصاحب العيد «سيف» وكان حقاً سيفاً مسلطاً على كل جهل. تلقى علومه الإبتدائية بمدرسة جرجا الإبتدائية، أما علومه الروحية فقد وضع لبنها بين جدران الكنيسة بوصفه ابن كاهن وله أربعة أعمام كهنة وجده كاهن وهو شماس وبعد إتمام علومه الإبتدائية، التحق بالكلية ١٨٩٣ بوصفه أحد ستة افتتحوها منهم الأستاذ حبيب جرجس والقمص يوحنا شنوده ووقع عليه الإختيار بعد تخرجه ١٨٩٨ مدرساً بمدرسة الرهبان بالدير المحرق.

وورد في الصفحة ٢٢ من كتاب «الكلية الأكليريكية» طبعة ١٩٣٨ لمؤلفه المرحوم الأستاذ حبيب جرجس. «أرى من أقدس الواجبات أن أذكر هنا زملائي بالمدرسة الذين كانوا يتقدون غيرة وإخلاصاً وكانوا يلقون العظات الدينية في قاعة المدرسة الكبرى ومنهم القمص يوحنا سلامة.»

واستطرد إلى القول في ص ٢٦٣ «أن سيف سلامه التحق بالمدرسة ١٨٩٣ ، مكث بها ٥ سنوات ثم تعين مدرساً بالدير المحرق ثم ترهب بالدير المذكور وجنابه الآن القمص يوحنا سلامه وكيل مطرانية الخرطوم والف عدة مؤلفات تبحث في العقائد الكنيسية...»

والبسه ثوب الرهبنة ثلاثة من كبار الأحبار الأنبا باخوميوس أسقف الدير المحرق والأنبا مرقص مطران كرسي اسنا والأنبا ثاؤفيلوس مطران منفلوط

وأبنوب وإذ كانت رسامته كميلاده في ليلة عيد «غطاس ١٩٠٥» فقد سمي «يوحنا» تيمنا باسم القديس يوحنا المعمدان...

ثم صار قساً فقمصاً... وبرز بذكائه بين رهبان الدير - زاهداً متقشفاً ميالا للعزلة... عاكفاً على الصلاة فعين ناظراً لمدرسة الرهبان وعلى يديه تخرج رهبان على درجة مرموقة من الأخلاق والعلوم اللاهوتية وطقوس الكنيسة.

ومن الصدف الغريبة أن دخل الدير في هذه الأثناء «حافظ نجيب» كراهب درس أحوال ساكنيه فشهد عن الفقيد «أنه كان يتحلى بالصفات الكريمة والأخلاق السامية التي جعلت منه راهباً فذاً في مقدرته ونشاطه وأنه راهب وقور يميل إلى العزلة التامة في صومعته مكبا على الاطلاع والدرس ولم يستطع الاختلاط، لا كثيراً ولا قليلا حتى يسير غوره ويعلم كهنة» «مجلة الدنيا المصورة دار الهلال».

ظل الراهب يوحنا سلامه بالدير المحرق ١٣ سنة معلماً وناظراً فكانت هذه الفترة من حياته فرصة ذهبية للدراسة والتحصيل والبحث والإطلاع على طقوس وتقاليد الكنيسة وما كتبه أباؤنا الأولون وعلماء الكنيسة من آراء وأفكار ومادونوه من كتب وأسفار.

وكانت الثمرة المرجوة من هذا الفردوس بضعة مؤلفات.

في ذلك الوقت انتشرت الإرساليات الأجنبية تذيع تعاليمها ومبادئها في كتب زهيدة الثمن لتيسير رواجها... ومن بين أهدافها زعزعة العقيدة الأرثوذكسية فأحس القمص يوحنا سلامة بالخطر ودق جرس الإنذار لدرء هذا الخطر الداهم الذي أوشك أن يعم البلاد كالوباء وشمر عن ساعد الجد وغاص في بطون الكتب القبطية المبعثرة في شتات الأديرة والمكتبات

واستخرج من كل ذلك «اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة» وبهذا بنى القس يوحنا سلامه سداً منيعاً ضد تيارات التعاليم الأجنبية المضادة للروح الأرثوذكسية المستقيمة الرأي كما سد فراغاً كبيراً لأن الكثيرين من الأقباط يزاولون طقوساً لا يعرفون أصلها أو الغرض منها.

وقد كتب عنه بعضهم «أن حبه للأرثوذكسية أهاب به وهو فتى أن يدافع عنها ضد تشويهات الإرساليات ومسخهم إياها وخلطهم بينها وبين الخرافات.

وقد عرض القمص يوحنا سلامة مؤلفه على البابا كيرلس الخامس فأذن غبطته بطبعه وتدريسه بالمدرسة الاكليريكية ودور التعليم القبطية بالتصريح التالي :

ختم البطريرك

«جناب الابن المبارك القمص يوحنا سلامة ناظر مدرسة الرهبان بدير السيدة العذراء بالمحرق - باركه الله تعالى.

بعد منحكم البركات وصالح الدعوات نعرفكم بما أنه قد اتضح من شهادة جناب الابن المبارك عزتلو يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الاكليريكية المسطرة أعلاه، أن الكتاب الذي وضعتموه موافق للعقيدة الأرثوذكسية وبراهينه سديدة ومقنعة وبياناته مفيدة لهذا نصرح لبنوتكم بطبعه وباستعماله بالمدرسة الاكليريكية وغيرها من المدارس الدينية ونعمة ربنا تشملكم وله الشكر دائماً» ٢٦ برموده ١٦٢٥.

ولما نفذت الطبعة الأولى عرض الأرثوذكسي الغيور الدكتود عبد المسيح جرجس حكيمباشي مستشفى الرمد بأسيوط آنئذ التصريح له باعادة طبعه وفعلا طبع في سنة ١٩٢٢ وقررت وزارة المعارف العمومية تدريسه بمدارسها.

وكان القمص يوحنا سلامة إذا حضر إلى القاهرة يستقبل بكل تكريم لمقدرته الخطابية وتأثيره وما يسوقه من حجج بليغة وروح تقويه ولقد وصفوه بأنه أديب ممتلئ بالروحيات يوفي موضوعه حقه. كما كان دائماً محباً للسلام ساعياً إلى فض الخصومات بين المتخاصمين.

ولما بذغ نجمه ووصلت آيات تقريره إلى غبطة الأنبا كيرلس الخامس أصدر أمره بتعيينه وكيلاً للبطريركية في السودان في أوائل شهر يناير ١٩١٨.

***

أعماله بالسودان

يقترن اسم القمص يوحنا سلامة بالسودان وواقع الأمر أنه قضى بالسودان أعز فترات شبابه وإزداد تألقاً ونضوجاً وإشراقاً نحو ثلاثين عاماً. والإنجازات الإصلاحية سواء من ناحية التعليم أو المجتمع التي قام بها فقيدنا في السودان تجعله في مقدمة المصلحين ففي السودان ومنذ ثلث قرن قام القمص يوحنا سلامة بأعباء ما تقوم به وزارة الشئون الإجتماعية وأقام للإصلاح صرحاً عالياً متحملاً صنوف البناء والجهاد رافعاً راية الإيمان متسلحاً بالإخلاص والمثابرة، وانتظمت الشعائر الدينية بعد اضطراب وانتعشت العبادة بعد ركود وارتوى الشعب القبطي بالسودان من فيض الروحيات بعظاته البليغة وخطاباته الوافية للسيدات والرجال سواء.

أسس جمعية للسيدات وأنشأ مدارس الأحد للبنين والبنات وأبطل عادة خروج النساء وراء الجنازات وأبطل الطلعة في المواسم والأعياد وحرم على النساء اللطم والندب والعويل على الأموات وجعل مدة العزاء ثلاثة أيام وحتم على الحزينات التقدم للأسرار الإلهية بعد أن كن يقاطعن بيوت الله.

١ - المطرانيـة

وقام ببناء دار المطرانية وزينها بالديكور وأثثها بأفخر أثاث لتكون دار عظيمة تليق بسمعة المصريين وتأخذ ترتيبها بين الدور التي أسسها الأجانب والوطنيين وقد شرفها بالزيارة حضرة صاحب الجلالة بطل الأرثوذكسية في القرن العشرين الإمبراطور هيلاسلاسي وكثير من الأمراء والعظماء والأميرات والرؤوس والإتشيجي - رئيس الكهنة بأثيوبيا.

واعترافاً من جلالة الإمبراطور بما أداه القمص يوحنا سلامة أمر جلالته بأن تؤخذ له معه شخصياً صورة وقعها جلالته بإمضائه الكريم. ومازالت المطرانية تزدان بتلك الصورة كما تزدان بها.



٢ - الكنائـــــس

وجعل من كنيسة الخرطوم كاتدرائية كبرى... واتجه إلى بورسودان حيث كانت الكنيسة حجرة خشبية فوضع القمص يوحنا سلامة في سنة ١٩٢١ أساساً لكنيسة ضخمة فخمة. ودمر الحريق كنيسة حلفا فأعاد بناءها ووسع كنيستي الخرطوم بحري وأم درمان ودمرت الخلافات «كنيسة الأبيض» فسعى في إحلال السلام والوئام بين الكاهن واللجنة وبين اللجنة والحكومة وظل الصفاء سماء الأبيض وعمرت الكنيسة وتوسعت وأصلحت.

وأنشأ كنيسة عطبره بعد أن كان لنفوذه الأثر الأول في أن تمنح الحكومة للطائفة أرضاً ومعونة.

وتهدمت كنيسة الدامر وحاولت الحكومة استرداد الأرض فأسرع القمص يوحنا سلامة إلى بذل جهده المأثور والمشكور فأعيد البناء وبقيت الكنيسة.

وشندي أيضاً أقام بها كنيسة وفي كوستى أيضاً كنيسة.

سطور قليلة ولكنها تعبر عن جهد جبار وتيار جارف للإصلاح والأعمار وموجة عظيمة للنهضة في كل مشارق الحياة ونواحيها من دينية وإصلاحية وعمرانية وتقوية!!!

وفي سنة ١٩٤١ وجه غبطة البطريرك الأنبا يؤانس إلى القمص يوحنا سلامة الخطاب الآتي :

[٣٠ توت سنة ١٦٥٨ - ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤١

جناب الابن المبارك القمص يوحنا سلامة وكيل البطريركية القبطية بالخرطوم.

بعد منحكم البركات وصالح الدعوات وصلنا كتاب بنوتكم المؤرخ ١٨ الجاري وبهذه المناسبة نكرر امتناننا على الخدمة التي أديتموها للكنيسة القبطية في جميع أنحاء السودان خصوصاً في عهد إنابتكم عنا في الإشراف على هذه الكنائس وعلى الجمعيات الخيرية وطبعاً أنتم المسئولون أمامنا عما يترتب على هذا الإشراف في دائرة القانون ونعمة الرب تشملكم ولعظمته الشكر دائماً

ختم بابا وبطريرك الكرازة المرقسية]

٣ - المــــدارس

كانت مدارس الإرساليات منتشرة بالسودان والثقافة أجنبية وما يترتب على ذلك من توطيد الصلة بين الكنيسة الأم وأبنائها فهل يسكت القمص يوحنا سلامة عن هذا الخطر الداهم؟! شمر عن سواعد الجد وفي عرق وسهر ودأب فأنشأ الكلية القبطية سنة ١٩٢٢ الدرة اللامعة في تاج التعليم بالسودان – موضوع فخر الأقباط في السودان.

وكانت غيرة رب الجنود تأكل صدر القمص يوحنا سلامة فسعى لدى رئيس أركان حرب الجيش المصري في السودان بعد سنة ١٩٣٧ لكي يرخص للضباط والعساكر المسيحيين لحضور صلاة الأحد بالكنائس.

وكان يتولى بنفسه تدريس الدين واللغة القبطية للطلبة والطالبات حتى سنة ١٩٤٢.

***

وشأن كل مصلح كان يعلم! بقوة المال على تنفيذ المشروعات

الإصلاحية والصرف عليها وضمان استمرار وجودها فلم يفته أن يسعى في إنشاء أوقاف للكنيسة فتم له ما أراد واشترى منازل بلغت ١٤ منزلاً - وكلها مسجل باسم الكنيسة القبطية.

***

تقدير الشخصيات البارزة لأعماله

كانت دور العلم التي شيدها «القمص يوحنا سلامة» بالسودان مشاعل مضيئة وقبلة أنظار كل قادم إلى السودان ولم يتوانى عن الإعتراف بفضل الرجل وفاعلية إيمانه وأصالة رأيه وإقدامه. في مقدمة هؤلاء المعجبين العظماء جلالة الإمبراطور هيلاسلاسي والمرحوم الأمير السابق عمر طوسون الذي أثنى عليه في كتابه - السـودان.

وفي ١٩٣٥/٣/١١ ذهبت إلى السودان بعثة مصرية إقتصادية برئاسة الزعيم الكبير طلعت حرب وعضوية فؤاد أباظة وعبدالله حسين المحامي الذي كتب في ص ٢٢٦ من مؤلفه السودان «بالخرطوم جمعية خيرية قبطية يرأسها الأب المحترم القمص يوحنا سلامة وكيل البطريركية وراعي الكنيسة الأرثوذكسية ومدارس خيرية - روضية وابتدائية بنين وإبتدائي بنات وثانوي وقسم للتجارة - ويتعلم نحو ٤٠ ٪ من التلاميذ مجاناً. وتضم مئات التلاميذ وهي المدارس النظامية الوحيدة في السودان وتسير طبقاً لنظام وزارة المعارف ونتائجها ١٠٠ ٪ ويدخلها أبناء المصريين وبناتهم في السودان لأن مدارس السودان للسودانيين والوظائف للسودانيين. فسدت هذه المدارس حاجة المصريين... وهي رمز للقومية المصرية.

وجاء على لسان فؤاد أباظة -(باشا)- أن المدارس فازت بثقة ولاة الأمور المصريين وعندما حضر القمص «يوحنا سلامة» إلى مصر سارع فؤاد

أباظة إلى تكريمه وسط علية القوم وجمع كبير من رجال مصر.

وفي سنة ١٩٤٠ زار الرئيس على ماهر السودان ومعه عبد القوي أحمد وصالح حرب وزاروا كلية الأقباط وأعجبوا بما رأوه وشكروا جناب القمص على خدماته وتبرع السيد على ماهر بسندين من القرض الوطني.

وفيما يلي خطاب على ماهر في هذا الشأن :

[رئاسة مجلس الوزراء تحريراً في ١٩٤٠/٢/٢٥ -

جناب رئيس مجلس إدارة الكلية القبطية.

أهديكم أطيب تحية وبعد فقد أعطيت التعليمات اللازمة للبنك الأهلي المصري بالخرطوم بشراء سندين من سندات الدين الموحد يقسط ريعهما السنوي لجائزتين تمنحان لأنجب طالب وطالبة وتشجيع المتفوقين وأني أتمنى لكم اضطراد النجاح والتوفيق. وتفضلوا...]

نضيف إلى ذلك شهادة رجل له مكانته في العلم والتعليم - وزير المعارف العمومية وقتئذ السيد الدكتور عبد الرازق السنهوري عند زيارته للكلية القبطية بالخرطوم وكان بصحبته السادة اسماعيل محمود القباني وفضيلة الشيخ حسن مأمون قاضي قضاة السودان وقتئذ وتفقدوا أقسام الكلية فأعجبوا بما شاهدوه من مجهودات جناب القمص يوحنا وتبرع السيد الوزير بمبلغ ٣٠٠ جنيه للكلية.

أما السيد الأستاذ العشماوي وكيل وزارة المعارف بمصر فقد اعترف بالفضل لذويه ووضع الأمور في نصابها الصحيح عندما زاره الفقيد الكريم بالوزارة ليشكره على ما كان يشهره من عطف ومساعدة للكلية - حتى قال له:

«بل أنت أيها الأب الذي يستحق الشكر لأنك قمت بعمل لم تعمله الوزارة بإنشاء المدارس المصرية بالسودان. ولهذا فإننا نعدك سفير مصر في السودان.»

ليت هذا فحسب بل أن رجال الجالية الأجنبية بالسودان أشادوا بفضله. فقد قال مستر خرستويدس زعيم الجالية اليونانية هناك «لو كان عندنا أبونا يوحنا لأقمنا له تمثالاً».

أما بعد فهذا موجز لسيرة الذي ذهب في طريق الأرض كلها... وأن يكن القمص يوحنا سلامة قد مات فهو يتكلم بعد... يتكلم بأعماله الخالدة وبمؤلفاته الخالدة وبسيرته العطرة وبجهوده المأثورة وإصلاحاته المشكورة... يتكلم وسيظل مسموع الكلمة طالما كان للأحياء آذان تسمع وقلوب تعي وذاكرة لا تنسى... يتكلم في حماس وفي صدق وأن يكن يتواضع شأن من أكمل السعي وفاز باكليل البر.. والعقبى للعاملين المتقين.. إنا نرسل له من دار الفناء إلى دار البقاء تضرعاتنا لكي ينيح الله نفسه وأن ينفعنا الله بتضرعاته أمام عرش النعمة ولربنا المجد في كنيسته إلى الأبد آمين.

يونان سلامة

المحامي

مجدًا وإكرامًا وإكرامًا ومجدًا للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

الحمد لله الذي أبدع الإنسان على صورته فأبدع خلقه. ومن عليه بشريعته الطاهرة فهذب بها نفسه وخلقه. وميزه عن سائر مخلوقاته بالعقل والتدبير والنظام. وبالضمير الصالح يرده عن الموبقات المضرات ويهديه إلى الصالحات الباقيات بالإلهام. وأحسن إليه بالتبيين والرسل الكرام. فأوقفوا نفوسهم ونفائسهم بتحرره من نير الخرافات والأوهام. وبذل ابنه الوحيد ذبيحة وفداء عن الآنام. واختار الأصفياء من عباده المتقين لهداية الضالين. ورد الشاردين. وتثبيت قلوب المؤمنين. بما وهبهم من الحكمة. وقوة الحجة. فكانوا نوراً بتعاليمهم وإرشاداتهم. وهدى بأعمالهم وقدوتهم. وضياءاً ساطعًا متلألئًا بمؤلفاتهم. وسراجًا وهاجًا بتقليداتهم وترتيباتهم. تلك التي وضعوها واستمدوها واستخرجوا دررها وجواهرها ونفائسها من بحر الكتاب الزاخر. بإرشاد روحه القدوس الطاهر. وكانوا مشكاة في الحياة. ومصابيح في الملمات. يضيئون طريق الخلود لمن أتى ولمن هو آت. في سائر الأمكنة والأوقات. حمداً يعصم ضميري من العثرة والزلل. ويقي قلبي وفؤادي من غوائل التواني والكسل؛ ويحفظ عقلي وفكري ولساني من الزلل. ويحرس قلمي من الخطأ والخطل. ويجعل كتابي هذا نافعاً للمسيحيين أجمعين على اختلاف النحل والملل. ولاسيما الأرثوذكسيين أبناء كنيستي الذين كرست نفسي وحياتي وأوقاتي لخدمتهم بلا فتور وملل. وأشكره شكراً أستزيد به مننه وآلاءه وأرفع به ضره وبلاءه.

أما بعد فلما كانت ترتيبات كنيستنا القبطية الأرثوذكسية وطقوسها ونظاماتها الروحية. وتقليداتها الرسولية. مجهولة للكثيرين من المؤمنين الأرثوذكسيين ومنكورة للغرباء الوافدين الساعين لتشتيت شملنا. وتفريق جمعنا. وهدم دعائم إيماننا القويم. وتسفية معتقدنا المستقيم. طلب إلى الكثيرون من حضرات أبناء الكنيسة. أن أضع كتاباً يشرح معاني تعاليمها النفيسة. ويفسر طقوسها. ويجمع ترتيباتها ونظاماتها وتقليداتها مشفوعة بالإيضاح الكافي الذي يزيل اللبس. والبيان الشافي الوافي الذي يقنع الضمير والنفس.

وبما أن ما طلب إلى. هو بعض الواجب على. ولا يشفع قصوري وعجزي. وقلة مادتي أمام ضميري وإلهي أولا. ولدى آبائي واخوتي الذين أحسنوا ظنهم بي وطلبوا منى العمل ثانياً إذا أحجمت. فاستخرت الله على خوض غمار هذا العمل الشاق والنزول إلى ميدان المحابر مقتحماً العثرات. ومذللاً الصعوبات التي تعترض طريق المجدين وتعثر أقدام السائرين. متكلاً على مؤازرة القدير الحكيم. وعناية البر الرؤوف الرحيم. في وضع هذا الكتاب. وجمع الثمر الشهي المستطاب. من جنات كتب الآباء القديسين. ومصنفات العلماء الأعلام واللاهوتيين المحققين. ومؤلفات أبناء كنيستي والكنائس الرسولية الأخرى المتقدمين والمتأخرين فتناولت منها الحقائق الثابتة التي لا نزاع فيها. واخترت الآراء الثمينة المجمع عليها. وهى متفرقة في عدة أسفار. منها المطبوع ومنها المخطوط الذي عفت عنه الرسوم والآثار. وأضفت إليه ثمرة جهادي واختباري في الدرس. الذي لم أنله إلا بشق النفس على قدر ما وصل إليه علمي وقوتي. وما جادت به قريحتي. وما أرشدني إليه الروح القدس إجابة لصلواتي وتضرعاتي وابتهالاتي وتوسلاتي. فجاء بنعمة الله كتاباً جامعاً لاشتات الفوائد شارحاً لما غمض ومبيناً لما

خفى من أسرار العقائد. به يهتدي المؤمن إلى مسائل يتعذر وجودها في سواه. ويقف على حقائق ثمينة لن يصل إليها في أمهات الكتب ولو أفنى في سبيلها وقته وقواه ويتفقه في تعاليم كنيسته الطاهرة: وما تشير إليه من المعاني الخفية والظاهرة لاسيما واجبات الراعي والرعية: وقت تقديم وممارسة الأسرار الإلهية. وقد جعلته جزئين «الجزء الأول» في أربعة أبواب. أبينها لذوي الألباب - الباب الأول في ماهية الكنيسة ومعانيها الحقيقية الروحية والحرفية. والثاني في الفرائض الكنائسية. والثالث في التسبيحات التي تتلى في الأيام والآحاد السنوية والأعياد السيدية. فيما يسبق رفع بخور باكر وعشية. والرابع في سر الذبيحة. ومعانيها وطقوسها الصحيحة. «والجزء الثاني» في اثنى عشر باباً ضمنتها شرح طقس الأسرار وكيفية ممارستها. وبعض المعتقدات والتقاليد وأصل وضعها وغايتها. والأصوام والأعياد ومنشأها وحقيقتها ووجوب ممارستها وقد سميته (اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة) ضارعاً إلى الله القدير، الذي يزلل كل أمر عسير. أن يتقبل مني خدمتي الحقيرة. التي أقدمها لكنيستي وأمتي قبولا حسناً وأن تحقق آمالي ورغائبي ومشتهى نفسي، في جعل هذا السفر نافعاً ومفيداً للموافقين والمخالفين لنا في مذهبنا ومعتقدنا ومنيراً بصيرة من أساء إلينا وأحسن. أنه مجيب دعوة الداعين إلى الإيمان المستقيم. والمعتقد القويم. آمين.



الباب الأول
«في الكنيسة عموماً»

يظن السواد الأعظم من المسيحيين أن الكنيسة هي بناء أرضي يحوي الهيكل والمذبح والمقاعد وغيرها. هذا في فهمهم واصطلاحهم ولكن هذا ليس كل الحقيقة كما سترى.

فالكنيسة كما يقول علماء اليونان [١] تعريب «اكليسيا» وهي في وضعها الأصلي كلمة يونانية مشتقة من فعل (اكالو) ادعو. ومعناها في الأصل اجتماع أناس كثيرين مدعوين لغرض واحد في مكان واحد. ثم أطلق هذا المعنى على الجماعة المجتمعة معاً خصوصاً على جماعة الساسة الذين يجتمعون للنظر في القضايا المدنية وعلى هذا المعنى كان قدماء اليونان يطلقونها على الندوات العمومية أو المحافل المدنية [٢]. فإذا كان المحفل مدنياً ترجمت محفلاً كما في أع ١٩ : ٤١ أو دينياً ترجمت كنيسة كما في أع ٢ :٤٧ هذا (مدلول اللفظة بالمعنى العام).

وتدل بالمعنى الخاص على أمرين: الأول – على جميع المؤمنين بالمسيح عموماً في كل أقطار الأرض وهي الكنيسة العمومية [٣] أو على جماعة المسيحيين الموجودين في مدينة أو أبروشية تحت رعاية الأسقف ككنيسة

---

(١) الهدية سنة رابعة عدد ٣٧ صفحة ٢.

(٢) تاريخ الإنشقاق.

(٣) مت ١٦ : ٨ وأع ٥ : ١١ و رو ١٦ : ١٦ و ١ كو ١١ : ١٩ و ٢ كو ٨ : ١٨ و أف ٥ : ٢٣ و كو ١ :١٨.

أورشليم أع ١٥ : ٤ وانطاكية أع ١٣ : ١١ وتسالونيكي ٢ تس ١ : ١ وكورنثوس ١ كو ١ : ٢ أو على جماعة واحدة من المؤمنين[١].

الثاني : على مكان الإجتماع نفسه. أي المكان الذي يجتمع فيه المؤمنون مع أسقفهم لتأدية العبادة الإلهية [٢].

ودلالتها على الأول بالمعنى الحقيقي. وعلى الثاني بالمعنى المجازي من باب تسمية المحل باسم الحال فيه. وعلى المعنى الأول قال أحد الآباء «أن الكنيسة هي جمهور القديسين الذي يضمه الإيمان القويم والسلوك الحسن». وقال آخر [٣] بأكثر تعميم «أن الكنيسة هي الشعب المؤمن بالمسيح» ولكن الحد الجامع هو أنها جمهور أناس يعترفون بالإيمان بالمسيح إيماناً قوياً حقيقياً واحداً متحدين بالإشتراك في أسرار واحدة يقضون حياتهم تحت إدارة رعاة قانونيين ورأسهم المسيح ذاته».

هذا وقد تستعمل [٤] لفظة كنيسة الآن للتمييز بين طائفة وأخرى من الطوائف المسيحية إلا أنها لم ترد أصلاً بهذا المعنى في الكتاب المقدس.

خلاصة هذا أن الكنيسة معنيين أحدهما روحي والآخر حرفي فالروحي هو جماعة المؤمنين بالمسيح عموماً. والحرفي هو البناء المشيد والمكرس للعبادة المسيحية.

أما الكنيسة بحسب معناها الروحي فيراد بها في الكتاب المقدس (١) الشعب فقط (٢) الشعب أو الرعية والرعاة معاً (٣) الرعاة فقط أي الأساقفة والقسوس ومعاونوهم.

---

(١) رو ١٦ : ٥ و ١ كو ١٦ : ١٩ وكو ٤ : ١٥
(٢) أع ١١ : ٢٦ و ١ كو ١١ : ١٨ و ١٤ : ٣٤
(٣) الهدية سنة رابعة عدد ٣٧.
(٤) قاموس الكتاب.

وأخيراً تقسم الكنيسة إلى مجاهدة ومنتصرة أو منظورة وغير منظورة. فالأولى هي جماعة المؤمنين على الأرض مت ١٨ : ١٨ و ١٩ ولو ١٧ : ٢١ والثانية هي المؤلفة من كل القديسين في السماء رؤ ٤ و ٥ و ٧ و ٨ و ١٩.

هذا معنى الكنيسة اجمالا أتينا عليه ليكون المؤمنون على علم به وسنتكلم بالتفصيل على مكامن معانيه الروحية والحرفية وعلى أدوارها الخارجية المختلفة وعلاماتها وأسمائها وما رمز به إليها كما سترى في الفصول الآتية.



الفصل الأول

في أسماء الكنيسة ورموزها

لكنيسة المسيح أسماء كثيرة ورموز عديدة نقتصر على ذكر أشهرها تداولا وأكثرها تعارفًا. فمن أسمائها:

أولاً – عروس المسيح [١] لأن المسيح عريسها [٢]

ثانياً – جسد المسيح [٣] وذلك باعتبار أن المؤمنين جميعاً جسد المسيح. وهو الرأس [٤]

ثالثًا – رعية ورعية الله [٥]

رابعًا – كنيسة الله [٦]

خامساً – بيت الله [٧] وقد أخذ هذا الاسم من العهد القديم واستعمل أولاً في بيت ايل تك ٢٨ : ١٧ – ١٩ ثم استعمل للهيكل في أورشليم ثم لكل شعب الله الذين صاروا بيته بالعهد للدلالة على سكناه معهم أف ٢ : ٢٢ وهي بيت الله لأنه هو أسسها وبناها وسكن فيها بروحه ويحفظها وهو

---

(١) نش ٤ : ١٢ ومز ٤٥ : ١١ وحز ١٦ : ٩ و ٢ كو ١١ : ٢

(٢) مت ٢٥ : ٥ و ٦ ويو ٤ : ٢٩ و رو ١٩ : ٧.

(٣) ١ كو ١٢ : ٢٧ وأف ١ : ٢٣ و كو ١ : ٢٤.

(٤) هو ٢ : ٢ و ١ كو ١٢ : ٢٧ وأف ١ : ٢٢.

(٥) أع ٢٠ : ٢٨ و ١ بط ٥ : ٢ و ٣.

(٦) ١ كو ١٠ : ٣٢ و ٢ كو ١ : ١ وغل ١ : ١٣ و ١ تس ٢ : ٤ و ١ تس ١ : ٤ و ١ تي ٣ : ٥

(٧) أف ٢ : ١٩ و ١ تي ٣ : ١٥ وعب ١٠ : ٢١ و ١ بط ٤ : ١٧.

يكملها بالواسطة التي يريدها والزمن الذي يختاره.

سادساً – هيكل الله [1] أي جمهور المؤمنين لا مكان اجتماعهم للعبادة. دلالة على أنه تعالى ساكناً فيهم وسائراً بينهم بروحه لا كما سكن قديماً بعلامات منظورة في الخيمة التي زالت والهيكل الذي خرب.

سابعاً – بيعة.

ومن رموزها: تابوت نوح [2] والمدينة المقدسة [3] وأورشليم العليا[4] والجنة المغلقة والعين المقفلة والينبوع المختوم [5] والحمامة الوحيدة [6] والكرمة [7] والسفينة [8] والشبكة الجامعة لكل نوع من السمك جيدة ورديئة [9] والحقل [10] وملكوت السموات [11].

---

(١) ١ كو ٣ : ١٦ و ١٧ و ٢ كو ٦ : ١٦.
(٢) تك ٦ : ١٤ و ١ بط ٣ :٢.
(٣) رؤ ٢١ : ٢.
(٤) غل ٤ : ٢٦.
(٥) نش ٤ : ١٢.
(٦) نش ٢ : ١٤ و ٥ : ٢.
(٧) مز ٨ : ٨ و اش ٥ : ١ و ار ٢ : ٢١.
(٨) لو ٥ : ٢.
(٩) مت ١٣ : ٢٧.
(١٠) مت ١٣ : ٢٤.
(١١) مت ١٣ : ٢٥.

الفصــل الثاني
«في قدمية الكنيسة وأدوارها الخارجية المختلفة»

مر بك أن الكنيسة هي جماعة المؤمنين في كل أقطار الأرض ولا يجب أن يفهم من هذا أن المراد بالمؤمنين هم الذين تبعوا المسيح ورسله وخلفاءهم فقط بل هم أيضاً أولئك الذين آمنوا بالله من الآباء الأطهار قبل زمن موسى والذين اتبعوا شريعة الله المدونة في كتابه من بعد هذا النبي العظيم إلى ظهور المسيح. وإلى نهاية العالم - فالكنيسة إذاً هي جمهور المؤمنين بالله في كل زمان منذ بدء الخليقة إلى الآن وإلى آخر الأزمان ولذا استعملت لفظة «كنيسة» اشارة إلى جماعة الإسرائيليين أع ٧ : ٣٨ وعب ٢ : ١٢.

فالكنيسة بهذا الإعتبار قديمة العهد جداً ويمكن القول أنها قد تأسست منذ تأسيس العالم كما أن الإيمان بالمسيح ابتدأ منذ خلق العالم نفسه وأول اشارة إلى ذلك نراها في تك ٣ : ١٥ و ٤٩ : ١ راجع أيضا عب ١١ : ٢ .. الخ و ١ بط ١ : ٥ - ١٣ و رؤ ١٣ : ٥.

وقد تعاقبت على الكنيسة ثلاثة أدوار مختلفة في أحوالها الخارجية يبتدئ الدور الأول من آدم إلى موسى، والثاني من موسى إلى ظهور المسيح. والثالث من المسيح إلى نهاية العالم.

أما في الدور الأول فكانت تساس بالناموس الطبيعي «الضمير» والتقليدات الشفوية الصادرة عن الإعلانات الإلهية إلى الآباء الأطهار وتناقلت هذه كلها خلفاً عن سلف بين كل واحد والآخر من الآباء إلى

زمن موسى. فبموجب هذه التقاليد قدم آدم وأبناؤه تقدمات للرب تك ٤ : ٣ وعب ١١ : ٤ وبحسب هذه الإعلانات الشفوية أيضاً بنوا المذابح وقدموا الذبائح عليها. فبنى نوح مذبحاً للرب وقدم عليه تقدمة تك ٨: ٢٠ وكذلك ابراهم تك ١٢ : ٧ و ٩ واسحق تك ٢٦ : ٢٥ ويعقوب تك ٣٣ : ٢٠ وبموجبها أيضاً قدمت العشور تك ١٤ : ٢٠ ونذرت النذور تك ٢٨ : ٢٢ وحفظ السبت خر ١٦ : ٢٣ و ٢٩ و ٣٠.

وكانت هذه التقدمات دالة على إيمان مقدميها بالمسيح المنتظر كما كانت رمزاً إلى يسوع الذي كان المؤمنون القدماء ينظرون إليه كموضوع رجائهم وقبلة أنظارهم لو ١٠ : ٢٤ ويو ٨: ٥٦.

أما في الدور الثاني تدبرت الكنيسة بالناموس المكتوب المعطى من الله لشعبه على يد موسى الذي يضم إليه كل الشرائع الأدبية والمدنية والطقسية. وقد أمرهم الله بحفظه والسير بموجبه في كل أمور عبادتهم ومعاملتهم وسلوكهم. وقد كان هذا الناموس صورة بارزة للناموس الطبيعي «الضمير» أو التقليدي الذي فسد بفساد الإنسان. وقد وضع لفائدة البشر بوجه عام ولليهود بنوع خاص غير أنه كان عاجزاً عن تقويم الإنسان رو ٨: ٣ وغل ٢ : ٢٢ لأن غايته لم تكن إصلاح النفوس إنما كان الناموس مؤدينا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان غل ٣: ٢٤ فالحجر الأساسي للناموس ولجميع الذين عاشوا تحت الناموس، كان يسوع المسيح رجاء العالم ومشتهى كل الأمم حج ٢ : ٧ ومل ٣ : ١.

أما الدور الثالث ويسمى عهد النعمة لو ١ : ١٧ عهد الرحمة والكمال عب ٧: ١١ فبدؤه ظهور المسيح بالجسد.

في هذا الدور تأسست الكنيسة المسيحية يوم الخمسين بعد قيامة المخلص إذ حل الروح القدس على التلاميذ الذين اختارهم الرب لبث بشرى الخلاص لجميع الناس في العالم أجمع مز ١٦ : ١٥ وامتدت تدريجياً إلى أقاصي الأرض وتسير على عبادتها وحياتها بموجب شريعة الانجيل الفضلى.

وهي ليست الآن تحت الناموس بل تحت النعمة رو ٦ : ١٤ جاء الكامل ١كو ١٣ : ١٠ ورفع البرقع ونحن جميعاً ننظر إلى مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة ٢كو ٣ : ١٤ و ١٨ وسيبقى هذا الدور إلى نهاية العالم حتى يسلم المسيح الملك لله الآب متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة ١كو ١٥ : ٢٤.



الفصل الثالث
في علامات الكنيسة

لكنيسة المسيح الحقيقية أربع علامات خاصة تعرف بها وتميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى التي انتحلت لنفسها هذا الاسم: وهي **أولاً**: واحدة. **ثانياً**: مقدسة، **ثالثاً** : جامعة ، **رابعاً**: رسولية.

هذه العلامات كانت ولا تزال لكنيسة المسيح منذ القديم وقد حددها المجمع النيقاوي المسكوني الأول ونص عنها في قانون الإيمان بقوله «نؤمن بالواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية الكنيسة المقدسة» وتعميما للفائدة سنتكلم على كل منها بالتفصيل.

١ – كنيسة المسيح واحدة

أن كنيسة المسيح الحقيقية واحدة لا أكثر وهذه الوحدة من مميزاتها والمراد بها وحدة الإيمان والتعليم والمعتقد ويتضح ذلك من البراهين الآتية:

أولاً : غاية الله من ارسال ابنه إلى العالم. فقد أرسل الله ابنه إلى العالم ليخلص الجميع ويجمع الكل إلى حظيرة واحدة فتكون رعية واحدة لراع واحد وقد تنبأ عن ذلك النبي حز ٣٧ : ٢٢ الخ وأيد هذه الحقيقة القديس بولس بقوله (لأنه هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الإثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً أف ٢ : ١٤ و ١٥.

ثانياً: كلام الرب نفسه فقد أعلن هذه الحقيقة في كتابه العزيز بقوله

(–ولي خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد) يو ١٠ : ١٦.

ثالثاً: تعليمه له المجد بهذه الوحدة وطلبها لتلاميذه ولكل المؤمنين به في صلواته الوداعية لأبيه قبيل آلامه. إذ قال (ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحد فينا ليؤمن العالم إنك أرسلتني وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد) يو ١٧ : ٢٠ –٢٣.

رابعاً: اعلان التلاميذ لهذه الوحدة في رسائلهم قال القديس بولس (نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر) رو ١٢ : ٥ «ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر ولا أنثى. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» غل ٣ : ٢٨ . فالكنيسة وان تكن أعضاء كثيرة ومتفرقة إلا أنها جسد واحد أعضاؤه المؤمنون جسد المسيح الذي هو الرأس أف ٥ : ٢٢ ، ٣٠ «لأنه كما إن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد. وجميعنا سقينا روحاً واحداً» ١كو ١٢ : ١٢ و ١٣.

وقد أوصى الرسول المؤمنين بالتمسك بها والمحافظة عليها بقوله «فاطلب إليكم.. ان تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم إليها مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد» أف ٤ : ١ و ٣ و ٤.

خامساً: ان الكنيسة واحدة لأن لها «رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة إله واحد وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي الكل» أف ٤ :٥.

سادساً: تقرير آباء الأجيال الأولى لهذه الوحدة بوضوح وجلاء فالقديس اكليمنطس الأسكندري يقول... «وبما أن الكنيسة مختصة بواحد فهي بالطبع واحدة وان ثارت عليها الهرطقات لتجزئتها وهي كما نقول كنيسة واحدة قديمة جامعة بحسب الأقنوم وبحسب الإعتقاد وبحسب الأصل وبحسب السمو»[1].

والذهبي الفم يقول «ان الكنائس في المدن والقرى كثيرة عديدها وانما الكنيسة واحدة لأن المسيح الحاضر فيها كلها واحد كامل غير منقسم» م ٤١٩ مجلد ٥. وفي المقالة الأولى في تفسيره ١ كو يقول «ان الكنيسة لله منضمة وواحدة وليست في كورنثوس فقط بل في جميع المسكونة فلا يفهم من اسم الكنيسة معنى الإنفصال بل إنما هو اسم للإتحاد والألفة» وفي م٢ من تفسيره ٢ كو يقول «يجب أن نأوى إلى الكنيسة بما أنها البيت الواحد لجميعنا وأن نتصرف بما يناسب لكوننا جسم واحد بما أن المعمودية واحدة المائدة واحدة والنبع واحد والجبلة واحدة والآب واحد».

والقديس ابيفانيوس يقول «إن الكنيسة وإن كانت متفرقة على وجه الأرض إلا أنها تحفظ البشارة بإجتهاد كأنها ساكنة في بيت واحد وتؤمن بأسرار واحدة كأن لها نفساً واحدة وقلباً واحداً فالكنائس التي في غلاطية ومصر وليبيا وسائر أطراف المسكونة لم تأت بشيء مخالف بل إن بشارة الخلاص تسير في كل مكان بذاتها الواحدة كما أن الشمس المخلوقة من الله تنير العالم أجمع وهي واحدة لا أكثر».

والقديس باسيليوس الكبير يقول «كل الذين رجاؤهم بالمسيح هم شعب واحد والمسيحيون الآن كنيسة واحدة ولئن كانوا ينسبون إلى بلدان مختلفة» رسالة ٣٩٣.

يتضح من هذه الأدلة الكتابية وأقوال الآباء في الأجيال الأولى إن كنيسة المسيح واحدة لا أكثر.

---

(١) ستروماتيس ٧، صفحة ٧٦٥.

ولكن بما تقوم هذه الوحدة؟ الجواب. كما يقول أحد العلماء: «أن وحدة الكنيسة تقوم في أن جميع المؤمنين المتفرقين على وجه الأرض، يتكون منهم جسد واحد مستقيم الرأي يقر بإيمان واحد ويتجه إلى غاية واحدة للخلاص ولذلك يطلب أمران من الكنيسة لتعتبر أنها واحدة. الأول: اتفاق الاعتقادات القويمة ووحدتها. الثاني: ألفة المؤمنين في كل مكان واتحادهم كجسد واحد في الإيمان داخلا وخارجاً ونقطة هذا الإتحاد هي المسيح رأس الكنيسة).

هذا وبما أن الكنيسة واحدة وهذه الوحدة تقوم أولاً بوجه عام بتمام اتفاق الإعتقادات القويمة لزم أن كل الذين لا يوافقون هذه الإعتقادات القويمة وانفصلوا أو ينفصلون عن هذا الجسد الواحد أو يعلمون تعليماً آخراً غير موافق للتعليم الصحيح الذي لربنا ورسله ٢ تي ٤ : ٣ يكونون خارجين عن هذه الكنيسة الواحدة المقدسة ومن ثم ليس لهم أن يدعوا بأنهم كنيسة المسيح الحقيقية. ذلك لأن الجسد الواحد لا يتجزأ ولا ينفصل عن بعضه ولا ينقسم على نفسه ١كو ١٢ الخ.. وإذا إنفصل بعض الأعضاء عن الجسد فإنفصاله لا يكوّن جسداً آخر قط. ومن المحال أن تسمى هذه الأعضاء المنفصلة جسداً واحداً بل أحرى أن تدعى أعضاء منفصلة لا رابطة بينها ولا وحدة لها.

ولقد انفصل عن هذه الكنيسة الواحدة أناس واتخذوا لأنفسهم معلمين مستحكمة مسامعهم ليصرفوا مسامعهم عن الحق ٢ تي ٤ : ٣ و ٤ وهم يعلمون تعليماً آخر غير موافق لكلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة ١ تى ٦ : ٣ هؤلاء لا يمكن اعتبارهم كنيسة حقيقية.

أولاً : لأنه ليس لهم وحدة التعليم والمعتقد ولا اتفاق الرأي إذ لكل فرد أو جماعة منهم رأي خاص ومعتقد خاص يختلف عن غيره ويناقضه تماماً وكل يدعي أن الحق في جانبه دون سواه.

ثانياً: لإنفصالهم عن الكنيسة الواحدة. ولذا يقول القديس أغسطينوس

في وحدة الكنيسة «من لم يكن المسيح رأساً له لا يحصل على خلاص نفسه ولا على الحيوة الأبدية ولا يستطيع أحد أن يجعل المسيح رأساً له إن لم يكن منضماً إلى جسد المسيح الذي هو الكنيسة» والقديس كبريانوس الذي عاش سنة ٢٥١م. كتب رسالة خصوصية في وحدة الكنيسة ومما جاء فيها قوله: «من لم تكن الكنيسة أمه لا يستطيع أن يجعل الله أباً له ولو استطاع من كان خارج فلك نوح أن ينجو لأستطاع من هو خارج أبواب الكنيسة أن يخلص».

ومن مراجعة ق١ للقديس باسيليوس الكبير يتضح أن الذين يتظاهرون بالإقرار بصحة الإيمان ولكنهم يهربون من الإقرار برأي الكنيسة الجامعة ويقاومون الأساقفة القانونيين يدعون هراطقة» وكذلك المجمع الثاني المسكوني. راجع القانون السابع.

(٢) مقدمة

العلامة الثانية لكنيسة المسيح الحقيقية هي القداسة وهي من مميزاتها الخاصة بها وقد تنبأت عنها الأنبياء اش ٣٥ : ٨ ونص عنها الرسول بقوله: «وأحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» اف ٥: ٢٥- ٢٧.

والكنيسة مقدسة: أولاً نظراً لمبادئها فإن ربها ينبوع القداسة وهو قدوس القدوسين دا ٩: ٢٥ والقدوس الحاوي في ذاته العلية كل صنوف الكمالات الإلهية وهي جسده السري فهي إذاً مقدسة لأنها من لحمه ومن عظامه أف ٥: ٣٠.

ثانياً: لأن جميع المؤمنين قد تقدسوا بدمه الطاهر قال الرسول (وهكذا

كان أناس منكم. لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا) ١كو ٦ : ١١.

ثالثاً: لأن جميع أعضائها الحقيقيين مدعوون إلى القداسة ١تس ٤ : ٧ وعب ١٣ : ١٤ ومطالبون أن ينكروا الفجور والشهوات العالمية ويعيشوا بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر تى ٢ : ١٢ وأن يقدموا أعضاءهم آلات بر لها رو ٦ : ١٣ و ١٩ بل أجسادهم ذبيحة حية لها رو ١٢ : ١ وأن يكونوا قديسين في كل سيرة ١بط ١ : ١٥ و ٢ بط ٣ : ١١ وأن يطلبوا الكمال بها مطهرين ذواتهم من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله ٢كو ٧ : ١ لكي يحضروا بها أمامه كو ١ : ٢٢.

رابعاً: لأن تعاليمها وأسرارها المقدسة التي تحفظ المؤمنون وتقدسهم يع ٥ : ١٤- ٢٠ ، وهنا لابد لنا من رد اعتراض طالما وجه إلى الكنيسة من الخارجين عنها وهو كيف تكون الكنيسة مقدسة مع وجود أعضاء منتسبين إليها يسيرون في الفجور والشهوات؟ فالجواب على هذا هو أن الكنيسة مقدسة من حيث هي مقدسة بدم الفادي وبكلمة الله فلا يعترض على قداستها بسلوك بعض أعضائها في غير طريق القداسة، فهي باعتبار أنها مجموع أفراد مختلفي التربية والأخلاق والعادات والبيئة يوجد فيها الجيد والردئ، الصالح والطالح، وكون بعض أعضاء عائلة ما أشراراً هذا لا يدل على فساد العائلة كلها ولا يصلح الحكم به على مجموعها فبين تلاميذ المسيح وجد الشرير يو ١٧ : ١٢ ثم ان غاية الكنيسة ككنيسة مقدسة أن يكون أولادها سالكين في الحق يو ٢ : ٣- ٤ عائشين في كل سيرة مقدسة وتقوى ٢ بط ٣ : ١٢ متجنبين الإثم ٢ تي ٢ : ١٩ وهي تعلم بهذا في كل زمان ومكان فلا يشين غايتها أو عملها هذا وجود البعض من بنيها سالكين في طريق الغواية والشر كما أنه لا يمس قداستها شئ من ذلك - وهي مع ذلك لا تكف عن محاربة الرذيلة وتحريض بنيها على اتباع القداسة عب ١٤ : ١٤ و١ بط ١ : ١٤- ١٦ لأنها هي الثمر لهم رو ٦ : ٢٢ تفعل ذلك وتدأب عليه بدون يأس أو كلل تارة بالنصح

والإرشاد والتعليم وطوراً بالتوبيخ والتأديب للتقويم ١كو ٥ : ٥ وهؤلاء متى تركوا طرقهم الرديئة وتابوا إلى الرب اش ٥٥ : واعترفوا بآثامهم ١يو: ٧ تقبلهم وتسر برجوعهم وتعانقهم لو ١٥ : ٢٠ وتشركهم في أسرارها الربية ومن ثم تتعهدهم وتساعدهم بالوعظ والصلوة على السير في طريق القداسة والكنيسة تسير في هذا طبقاً لتعليم الكتاب واقتداه برسل ربنا الذين كانوا يعملون على خلاص النفوس بغيرة واهتمام ويجولون لتثبيت المؤمنين ويأمرونهم بحفظ وصايا الله ١ع ١٥ : ٤١ ولم يقطعوا رجاء الخاطئ ولا قفلوا باب التوبة في وجه تائب، بل كانوا يعالجون المرضى بالخطايا والآثام بالتأديبات الكنائسية ١كو ٥ : ٥ وبعد أن يروهم وقد تابوا حقاً يقبلونهم ويسامحونهم ٢كو ٢ : ٦ و ٧.

ويجب أن نفهم أن كون الكنيسة مقدسة هذا لا ينفي وجود أعضاء نجسة فيها فإن وجود مثل هؤلاء أمر لا مندوحة عنه بطبيعة الحال، أولاً لأن العصمة والكمال لله وحده. ثانياً لأن البشرية ضعيفة والإنسان كبشر عرضة للخطأ والزلل فليس انسان لا يخطئ ١مل ٨ : ٤٦ ومن يقول انى زكيت قلبي تطهرت من خطيتي ام ٢٠ : ٩ فنحن بالآثام حبل بنا وبالخطايا ولدتنا أمهاتنا مز ٥١ : ٥ ولا انسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ جا ٧ : ٢٠ لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا يع ٣ : ٢ وان قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا ١ يو ١ : ٨- ١٠ أضف إلى هذا أن الكنيسة شبهت بالحقل الجيد الذي طلع فيه الزوان مت ١٣ : ٢٤ وبالشبكة الجامعة الجيد السمك ورديئة مت ١٣ : ٤٧ وبعشرة عذارى خمسة منهن حكيمات وخمسة جاهلات مت ٢٥ : ١و ٢ وبالبيدر حيث يوجد القمح مختلطاً بالتبن مت ٣ : ١٢ ففيها إذاً الحنطة والزوان. الجيد والردئ، حكيمات وجاهلات. خراف وجداء مت ٢٥ : ٣٢- ٣٣ وقمح وتبن، وعبد صالح وأمين وعبد شرير وكسلان «مت ٢٥ : ٢٣- ٢٦» ولكن لله وحده حق التمييز بينهم أخيراً وتنقيتهم وفرزهم من بعض كما قال الكتاب

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ثم يقول للأبرار تعالوا إليَّ. وللأشرار اذهبوا عني مت ٢٥ : ٣١ أنه ينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. مت ٣ : ١٢.

(٣) «جـامعـــة»

هذه العلامة الثالثة لكنيسة المسيح الحقيقية وهي من مميزاتها الخاصة بها أيضاً لأنها تضم إليها الذين يخلصون وتعلم قواعد الإيمان للخلاص للجميع بدون استثناء وقد نص عنها الكتاب إذ قال: ويكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم لو ٢٤ : ٤٧ والرب نفسه قال لتلاميذه وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض اع ١ : ٨ وقد أمرهم بأن يتلمذوا جميع الأمم مت ٢٨ : ١٩ ويذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالانجيل للخليقة كلها مر ١٦ : ١٥ وأيدت النبوات وأقوال العهد القديم هذه الجامعية لكنيسة المسيح راجع تك ٢٢ : ١٨ ومز ٢٢ : ٢٧ ومل ١ : ١١.

والكنيسة تعتبر جامعة: أولا باعتبار المكان - فهي مجمع المؤمنين الحقيقيين المنتشرين في كل أقطار الأرض رو ١٠ : ١٨ فهؤلاء في كل مكان هم أعضاء الكنيسة الجامعة وبهذا المعنى يقول [١] القديس كيرلس الأورشليمي عظة ١٨ «أن الكنيسة تدعى جامعة لوجودها في كل المسكونة» والقديس أثناسيوس الكبير يقول في كتابه «الكنيسة تدعى جامعة لأنها منتشرة في كل العالم» وثاوفيلا كطوس في كلامه على ١ كو ١٢ يقول الكنيسة الجامعة هي الموجوده في جميع المسكونة التي يؤلف

(١) الهدية عدد ٣٨ سنة رابعة.

جسمها كنائس الأقطار ورأسها المسيح».

ثانياً: باعتبار الزمن فهي لا يحدها زمان كما لا يحدها مكان بل تشمل كل الأزمان من يوم تأسيسها [1].

ثالثاً: . باعتبار تعليمها لقواعد الإيمان وجميع العقائد القويمة تعليماً كافياً كما يقول القديس كيرلس الأورشليمي عظة ١٨ «أن الكنيسة تدعى جامعة لأنها تعلم جميع العقائد التي يلزم أن يعرفها بنو البشر عن الأشياء المنظورة والغير منظورة عن السمائيات والأرضيات بوجه العموم وبدون ترك شئ».

رابعاً: باعتبار الغاية منها لأنها تجذب إليها وتضم إلى حظيرتها جميع الأمم فهي كالشبكة المطروحة في البحر جامعة من كل نوع مت ١٣ : ٤٧ تخضع الجنس البشري من كل جنس ورتبة لربها وإيمانه القويم ولعبادته الحسنة وتشفي بوجه عام كل نوع من الخطايا يو ٢٠ : ٢٢ و ٢٣ ويع ٥ : ١٤ - ١٧ وتحض على التحلي بالفضيلة قولا وعملا.

وأخيراً جامعة لمساواتها بين جميع الطبقات والأفراد الذين يؤمنون بالمسيح كما يقول القديس بولس: «ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» غل ٣ : ٢٨ وهذا مما يميز الكنيسة المسيحية عن الكنيسة اليهودية المحصورة في أمة واحدة وقد رفع الرب عن كنيسته هذا الحصر يو ٤ : ٢١ - ٢٣.

(٤) رســـولية

هذه العلامة الرابعة والأخيرة لكنيسة المسيح الحقيقية ومن مميزاتها الخاصة بها والتي بدونها لا تعتبر أي كنيسة كنيسة حقيقية للمسيح. ذلك

---

(١) الهدية عدد ٣٨ سنة رابعة.

لأن كنيسة المسيح الحقيقية هي المبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه هو حجر الزاوية اف ٢ : ٢٠ .

وتعتبر الكنيسة رسولية: أولاً: من جهة تعليم الإيمان الذي تسلمته من الرب نفسه ومن رسله القديسين الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة لو ١ : ٢ .

ثانياً: من حفظ هذا التعليم كما هو والتمسك به والإعتماد عليه بدون اخلال فيه أو احداث تغيير في وضعه أو رسمه. مكتوباً كان أو غير مكتوب رو ١٦ : ١٧ و ١كو ١١ : ٢ و ٢٣ وغل ١ : ٨ و ١١ و ٢ تس ٢ : ١٤ كما أوصت الرسل ١تى ١ : ٣ ، ٦ : ٣ ، ٢ تى ١ :١٣ لأن تعاليمهم تعاليم المسيح نفسه لو ١٠ : ١٦ ، ١كو ١٤ : ٣٧ .

وليس في حفظ تعليم الرسل فقط بل وفي حفظ تعليم الأنبياء لأن المسيحيين الحقيقيين مبنيون على أساس الرسل والأنبياء أيضاً اف ٢ : ٢٠ .

ثالثاً: في إقامة أو رسامة رعاة الكنيسة الذين هم خلفاء الرسل رسامة شرعية قانونية بوضع أيدي رؤساء شرعيين رسوليين متصلة سلسلة خلافتهم بالرسل أنفسهم. إذ لا أحد يأخذ لنفسه هذه الخدمة إلا المدعو من الله كهرون عب ٥ : ٤ وبواسطة الكنيسة أع ١ ، ٧ وكيف يكرزون أن لم يرسلوا رو ١٠ : ١٥ والإرسالية يجب حتماً أن تكون من مصدر شرعي ولأجل هذا يقول الرسول لتلميذه «تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك» تى ١ : ٥ وهذا طبقا للنظام الذي وضعه الرب إذ اختار لنفسه رسلاً وأرسلهم مت ١٠ ولو ١٠ ويو ٢٠ : ٢٢ وخص بهم خدمة كنيسته وإقامة أسرارها مت ٢٨ : ١٩ ويو ٢٠ : ٢٣ ويع ٥ : ١٤-١٧ وهؤلاء أقاموا خلفائهم نوابا عنهم ١ تى ١ : ٣ بوضع اليد أع ٦ : ٦ و ١٣ : ٣ ، ١ تى ٤ : ١٤ ، ٢ تي ١ : ٦ وفوضوا إليهم أمر إقامة الرعاة للكنائس ١ تي ٥ : ١٧ ، ٢٢ ، ٢ تى ٢ : ٢ وتي ١ : ٥.

هذا ومما لا خلاف فيه أن الكنيسة الأرثوذكسية هي رسولية لأنها أخذت التعليم من ربنا ومن رسله أنفسهم يداً ليد وحافظت على التعليم الصحيح الذي تسلمته من رؤسائها كما هو بدون التغيير أو تبديل وبغير أن تزيد عليه أو تنقص منه شيئا بشهادة الأجانب أنفسهم أما الطوائف الحديثة لا يمكن أن تعتبر رسولية ولا يحق لها أن تنتحل لنفسها هذا الاسم لأن الحقيقة التاريخية تبرهن جلياً أن في مدة ال ١٦ قرنا تقريبا كانت مجهولة عند الجنس البشري. فلا هي رسولية من جهة الإرسالية. لأن رؤساءها لم يأخذوا التعليم من الرب ولا من رسله ولا من أحد خلفائهم حتى ولا من نفس الكنيسة التي انشقوا عنها. انما هم أرسلوا أنفسهم بأنفسهم وعليهم ينطبق قول الله للأنبياء الكذبة ار ٢٣ : ٢١ اع ٢ : ٢٨. كما وأنها ليست رسولية من جهة الرتب الكنيسية. إذ لا رتب لديهم. ولا درجات كهنوتية عندهم. ولا رعاة قانونيين حسب تعليم الكتاب إذ ليس لهم خلافة شرعية هذا عدا كون كل شيعة منهم تسمى نفسها باسم منشئها بعكس الكنيسة «الأرثوذكسية» التي لم ولن يعرف لها اسم آخر غير (الأرثوذكسية) فهو علمها الوحيد الذي يخفق عليها منذ العصر الرسولي. إلى الآن وسيبقى كذلك إلى الأبد.

هذا ويجدر بنا أن نختم هذا الفصل بما كتبه القديس أثناسيوس الكبير في رسالته ضد من يعتبر الحق في أمر نظراً لكثرة القائمين به ليس إلا، وهو بنصه وفصه «الجمهور المدعي الحق بلا حجج. براهينه أقوى على أن تخيف من أن تقنع» مجلد ٢.

***

فالنتيجة مما تقدم أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هي ولا ريب كنيسة المسيح الحقيقية لأن هذه الصفات الأربع انطبقت عليها دون سواها بدليل ما يأتي:

(١) لأنها تأسست منذ العصر الرسولي وتسلمت تعاليمها من القديس مرقس الإنجيلي الذي أخذ التعليم من الرب رأساً وجال يبشر بالإيمان تارة

وحده وأخرى مع برنابا وبولس أع ١٢ : ٢٥ و ١٥ : ٣٧ وأخيراً زار مصر وبشر بإيمان فيها فامتدت معرفة الرب حسب النبوة اش ١٩ : ١٨ الخ وفي عهده تأسست أول كنيسة مسيحية رسولية وأقام خلفاً له «أنيانو» أول بطريرك للكرازة المرقسية.

(٢) لأن رعاتها شرعيون يسوسونها من ٢٠ قرناً تحت رئاسة الرب رئاسة ممثلة في أولئك الرعاة. وسلسلة الخلافة الرسولية الحاوية لأسماء أحبارها الذين تولوا رئاستها من عهد «أنيانو» إلى الخليفة الحالي غبطة البابا المعظم «أنبا شنوده الثالث» موجودة عندها.

(٣) لأنها تسير بحسب تعليم الرب ورسله القديسين وقوانينهم سيراً متصلاً باستمرار.

(٤) لأنها حافظت على هذا التعليم بدون أن تزيد عليه أو تنقص منه شيئاً بشهادة العلماء والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم. وقد تمسكت بصورة التعليم الصحيح الذي تعلمته وتسلمته من الرب ومن رسله الذين اختارهم ولم تتبع تعليماً آخر غير موافق لكلمات الرب يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى ١تى ٦ : ٣.

(٥) لأن إيمانها واحد. وتعليمها واحد. ولها قانون إيمان واحد وكل أعضائها يعترفون بالإيمان الواحد. ويشتركون في أسرار واحدة وتتجه إلى غاية واحدة في تعليمها هي خلاص النفوس، وهي خاضعة لرأسها الوحيد يسوع المسيح ولرعاتها الشرعيين الذين هم خلفاء الرسل الأطهار من يوم تأسيسها.

وهي كنيسة الله الحقيقية منذ القديم ويحق القول أنها وكنيسة العهد القديم واحدة فيما يتعلق بجوهر الإيمان لأن كنيسة العهد القديم قد تأسست على حقيقة افتداء الجنس البشري وهذه الحقيقة قد آمن بها الآباء البطاركة الأول قبل الطوفان وبعده راجع لو ١٠ : ٢٤ و يو ٨: ٥٦ وعب ١١ كله و ١ بط ١ : ١٠ و ١١.

الفصل الرابع
« في الكنيسة من حيث هي شعب أو رعية »

ان الكنيسة بهذا الإعتبار هي جماعة المؤمنين العائشين تحت إدارة الرعاة الروحية فهم لذلك «رعية» كما دعاهم القديس بولس في خطابه الوداعي لأساقفة كنيسة أفسس بقوله: (احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه) أع ٢٠ : ٢٨.

أوضحنا في الفصل الثاني أن الكنيسة مرت بثلاثة أدوار خارجية «أي زمنية» آخرها الدور الذي إبتدأ بظهور المسيح على الأرض والآن نقول أنه أطلق على المؤمنين في هذا الدور صراحة في الانجيل اسم «كنيسة» وقد ذكرت هذه التسمية لأول مرة في أعمال الرسل حيث قيل (وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون) أع ٢ : ٤٧.

وكما أن المؤمنين الذين سبقوا ظهور المسيح دعوا باسم شعب الله الخاص خر ١٩ : ٥ ورجال الله ١مل ١٧ : ١٨ والإسرائيليين تث ٧ : ٦ والابن البكر وغير ذلك: كذلك الذين آمنوا بعد ظهور المسيح في الجسد على الأرض يدعون مسيحيين، وأول قوم دعوا بهذا الاسم هم أهل أنطاكية أع ١١ : ٢٦ واستمرت هذه التسمية من ذلك الحين إلى الآن وسوف تبقى إلى مجيء المسيح الثاني.

أما نسبة الكنيسة العامة «رعية ورعاة» إلى المسيح فقد تنوعت طرق التعبير عنها ولكنها اتفقت على معنى واحد يدل على أشد أنواع الإرتباط والإتحاد، وهي نسبة العروس للعريس والجسد للرأس ٢ كو ١١ : ٢ واف ٥ :

٢٥ الخ وأف ١ : ٢٣ و ٤ : ١٢.

وهذا النوع من التعبير مأخوذ عن الألفة العائلية وإرتباطها بالزواج ومن التحام الجسم ببعضه الأعضاء والرأس. وربما كان هذا التعبير أجمل وأكثر وسيلة للتأثير وللثقة أيضا فإن العريس لن يهمل عروسه مادامت مخلصة له بل يبذل في سبيل صيانتها ومرضاتها وإعالتها كل ما يملك من قوة ومال وجاه. هكذا فعل المسيح أيضاً فإنه أحب عروسه وأسلم نفسه من أجلها أف ٥ : ٢٥ وهل يمكن أن يرتاح الرأس إذا تألم أي عضو من أعضاء الجسد الذي تحته ١ كو ١٢ : ٢٦ وقد شبه المسيح بالكرمة والأعضاء بالأغصان يو ١٥ : ٥ ولا حيوة للأغصان إلا في ثباتها في الكرمة وقد شبهت الكنيسة بالبناء أعضاءها حجارته وجدرانه، والمسيح أساسه وحجر زاويته مت ٢١ : ٤٢ وأع ٤ : ١١ و ١بط ٢ : ٦ و ١كو ٣ : ٩- ١١ وأف ٢ : ٢٠ وهل يثبت بنيان مهما كان متيناً بلا أساس؟ كذلك لا يمكن ثبات المسيحي إن لم يكن مؤسساً على صخر الدهور يسوع ١كو ١٠ : ٤ وفي هذا معنى دقيق لوجوب الثبات في المسيح والإعتماد عليه.



الفصل الخامس
«في الكنيسة من حيث هي رعاة ورعية»

هذه الكنيسة هي كل جمهور المؤمنين بالمسيح في كل أقطار الأرض من رؤساء ومرؤوسين تحت رئاسة الرب يسوع. وما قيل في الفصل السابق عن جزء منها يصح أن يقال هنا عنها كاملة لأن علاقة مجموعها بالمسيح أي بصفتها شعباً ورعاة لا تختلف في شيء عن علاقتها به مجزئة أي بصفتها رعية أو رعاة. لأنه ما يجب عليها بصفتها شعباً يجب عليها بصفتها شعباً ورعاة. والنعم التي تتمتع بها بصفتها رعية ورعاة أيضاً وبالعكس فلا فرق بين جزئيها من حيث علاقتهما ونسبتهما إلى المسيح غير أنه يراد بالأول الرعية أي الشعب بنوع خاص وبالثاني الرعية والرعاة معاً بوجه عام. وإلى هذه الكنيسة أشار الرسول بقوله: أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها أف ٥: ٢٥ وإليها كتب الرسالة إلى فيلبي ١: ١ و ٢.

وقد شرحنا في الفصل السابق المعنى المقصود من الكنيسة من حيث هي شعب ونأتي هنا أولاً على نسبة الرعاة للرعية وبالعكس، ثانياً على واجبات كل منهما نحو بعضهما.

(١) نسبة الرعاة للرعية وبالعكس

إن رؤساء الكنيسة يدعون أولاً رعاة أر ٣: ١٥ وحز ٣٤: ٢٣ وأعضاءها يدعون رعية (١) وكثيراً ما دعى أبناء العهد القديم شعب الله المختار بالرعية (٢).

ثانياً أباء بالولادة الروحية [٣] والشعب أبناء أو أولاد بالروح [٤] ثالثاً معلمين [٥] والرعية تلاميذ [٦].

وذلك لأنه يعبر عن إيمانهم بالولادة والتعليم بالبشرى [٧] وهم لا يؤمنون إلا بالكارز والمبشر [٨] وهذه الكرازة والسهر على المؤمنين هما الرباط المستديم الذي يربط المؤمنين بمعلميهم برباط البنوة الروحية غل ٤ : ١٩.

(٢) واجبات الرعاة نحو الرعية

(١) القيام بخدمة الأسرار الإلهية وتكميلها لتقديس المؤمنين بها مت ٢٨ : ١٩ و يو ٢٠ : ٢٣ وممارسة سائر الخدم الكنسية وتلاوة الصلوة العامة في العبادة الجمهورية أع ٢ : ٤٦ و ١كو ١٠ : ١٦، ١٤ الخ..

(٢) المناداة بالإنجيل مر ١٦ : ١٥ وتعليم الشعب شريعة الرب مل ٢:٧ ومت ٢٨ : ١٩ ورو ١٢ : ٨ وتفهيمهم الحقائق الدينية والأصول الإيمانية ٢ تي ٢ : ٢ حسب التعليم الذي تسلموه وتتبعوه ١ تي ٤ : ٦ وتثبيتهم في الإيمان لو ٢٢ : ٣٢ وأع ١١ : ٢٣ وحضهم على حفظ وصايا الله وتعليم الرسل أع ١٥ : ٤١ المكتوب منها والغير مكتوب ٢ تس ٢ : ١٥.

---

(١) أع ٢٠ : ٢٨ و أف ١٩:٢ و ١بط ٥ : ٢.
(٢) اش ٤٠ ١١ و ار ١٣ : ١٧ و ٣١ : ١٠ و ٥١ : ٢٣ و حز ٣٤ : ٢ و مي ٧ : ٤.
(٣) ١كو ٤ : ١٤ و ١٥ و فل ١ و ١تس ٢ : ١١.
(٤) ١كو ٤ : ١٧ و غل ٤ : ١٩، ١يو٢ : ١ (٥) ١كو ١٢ : ٢٨ واتى ٢:٧ وأع ٣ : ١
(٦) أع ١٤ : ٢٠ و ١٥ : ١٠ و ١٦ : ١ و ١٨ : ١١ و ١٩ : ١ و ٢٠ : ٢٩.
(٧) ١كو ٤ : ١٤ وفل ١٠.
(٨) رو ١٠ : ١٤و ١٩ و غل ١ : ٤ و ٥.

(٣) أن يحلوا ويربطوا بسلطان الله مت ١٦ : ١٩ ويو ٢٠ ٢٣ المخالفين والمناقضين والمتورطين في الخطايا كو ٥ : ٥ وتي ١ : ٢٢ و ٢ : ١٥ كما لهم أن يحرموا أهل الخيانة والضلال والمقاومين الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم رو ١٦ : ١٧ و ٢ تس ٣ : ٤ و ١تي ٦ : ٥ و ٢ تي ٢ : ١٧ و ١٨ بعد انذارهم مرة ومرتين تي ٣ : ١٠ ومثل هؤلاء إذا تابوا واعترفوا بالإيمان القويم تقبلهم الكنيسة (الرعاة) وتسامحهم وتضمهم إلى شركتها وتأمر المؤمنين أن يقبلوهم وهذا هو الحل ٢ كو ٢ :٦-١١ وإلا فصلوهم من عضويتها وأمروا المؤمنين بإجتنابهم والأعراض عنهم ١كو ٥ : ١٠- ١٢ و ٢تس ٣ : ٦ و ١٤ و ١تي ٦ : ٢ وتي ٣ : ١٠ والغرض من سلطان الحل والربط تأديب المخالف لأجل اصلاحه وخلاص نفسه ١كو ٥ : ٥ و ١ تي ١ : ٢٠.

(٤) أن يفتقدوا الرعية ويعرفوا خرافهم يو ١٠ : ١٤ وحال غنمهم ويجعلوا قلبهم إلى قطعانهم أم ٢٧ : ٢٣ ويجمعوا الحملان وفي أحضانهم يحملوها ويقودوا المرضعات وفي مراع حسن وفي مرعى دسم يربضوها ١أى ٣٤ : ١٤.

مهتمين بكل نوع منها فيطلبوا الضال، لو ١٥ : ٤ ويستردوا المطرود ويجبروا الكسير ويعصبوا الجريح ويحفظوا السمين والقوي حز ٣٤: ١٦ ويقوموا الأيادي المسترخية والركب المخلفة عب ١٢ : ٢٥ ويعزوا الحزين ٢كو ١ : ٤- ٦ ويزوروا المريض مت ٢٥ : ٢٦ ويع ٥ : ١٤ ويشجعوا صغار النفوس ويسندوا الضعفاء ١تس ٥ : ١٤.

(٥) أن يرفقوا بالرعية ويحسنوا التصرف في معاملتها فيرعوها بروح الوداعة واللطف ١كو ٤ : ٢١ لا بالكبرياء والعنف كما كان رعاة إسرائيل فاستحقوا غضب الله حز ٢٤ الخ.. محتملين أضعاف الضعفاء غير مرضين أنفسهم لأن المسيح أيضاً لم يرض نفسه رو ١٥ : ١-٣ فإن انسبق إنسان فأخذ في زلة ما فليصلحوا مثل هذا بروح الوداعة ناظرين إلى أنفسهم لئلا

يجربوا هم أيضاً غل ٦ : ١ لأنهم هم أيضاً محاطون بالضعف عب ٥ : ٣ وإذا رأوا تقصيراً من أحد فلا يستسلموا لغيرتهم بإستعمال القسوة والغلظة في توبيخه بل فليترفقوا به كما تربي المرضعة أولادها ١تس ٢ : ٧ فإن مثل هؤلاء يلزم أن ينهضوا إذا سقطوا وأن يسندوا إذا مالوا أو تراخوا محترمين وواعظين الشيخ كأب والأحداث كإخوة والعجائز كأمهات والحدثات كأخوات ١تي ٥ : ١.

«أما المتمردون الذين لا ينفعهم اللين ولا يجديهم النصح باللطف. والمقاومون الذين لا يطيعون التعليم. فليستعملوا معهم السلطان. ولكن للبنيان لا للهدم ٢كو ١٠ : ٨، ١٣ : ١٠ بتعقل وحكمة. لا برعونة وطياشة. ولقصد التهذيب والتقويم. لا للتخجيل والإذلال ٢تس ٣ : ٤.

وقصاري القول يجب أن يسوسوا الرعية بروح المسيح الذي قيل عنه. قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفئ مت ١٢ : ٢٠ متمثلين به في الرفق بالضعفاء والشفقة على الخطاة لو ٧ : ٣٦ و يو ٨ : ٧-١١ و عب ٤ : ١٥ وبتلميذه الذي قال: (من يضعف وأنا لا أضعف من يعثر وأنا لا التهب) ٢كو ١١ : ٢٩ (صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شئ لأخلص على كل حال قوماً) ١كو ٩ : ١٨- ٢٣.

قال القديس أغناطيوس المتوشح بالله المنتقل سنة ١٠٦ م. مخاطباً الراعي «اجتهد لأجل الإتحاد وكن متساهلاً مع الجميع غير مال من الصلواة احتمل ضعف الكل لأن الربح يكون حيث يوجد التعب. كن مستيقظاً كمجاهد لله وقف بثبات كالسندان الذي يضرب عليه. لأن من خصائص المصارع القوي أن يحتمل الإنكسار ثم يغلب واحتمل بنوع خصوصي الجميع من أجل الله لكي يحتملنا الله» وقال القديس اغريغوريوس: «ان الرعاة بصفة كونهم مدبري الرعية عليهم أن يعاملوا الرعية بكل لطف ومحبة وأن يظهروا أنفسهم غيورين على احقاق الحق».

(٦) الإنعكاف على الوعظ والتعليم في وقت مناسب وغير مناسب ولمداومة على ذلك لكي يخلصوا أنفسهم والذين يسمعونهم ٢تي ٤ : ٢ منذرين ومعلمين كل إنسان. بكل حكمة لكي نحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع كو ١ : ٢٨ و ٢٩ مغتنمين كل فرصة لذلك في البيت وفي الكنيسة مر ٢ : ١ و ٢ ولو ١٣ : ١٠ وأع ٥ : ٤٢. في البر والبحر مر ٤ : ١ و ٢ و لو ٩ : ١٠ عند أسرة المرضى وعند موائد الأصحاء لو ١٢ : ١٣ - ٢٢ و ١٩ : ١ - ١٢ وأع ٣ كله. في أزمنة السلم وفي أوقات الخطر أع ٢ : ١٤ و ٥ : ٢٥ و ١١ : ١٩ و ٢٠ حين يرحب الناس بتعليمهم وحين يرفضونه لو ١٠ : ١ - ١٢ وأع ١٤ : ١-٤ وفي كل مكان مر ١٠ : ١ و لو ١٣ : ٢٧ وأع ٨ : ٤ و ٥ وبكل مجاهرة أع ٤ : ٨ و ٢٨ : ٣١ مشابهين مياه النهر الذي تجرى مياهه صافية شربها الناس أو لم يشربوها. متمثلين بالرب وبرسله القديسين ولا سيما بولس الذي لم يكن يدخر وسعاً في سبيل الخدمة والتعليم ولا أخر شيئاً من الفوائد إلا وأخبر وعلم به المؤمنين أع ٢٠ : ٢٠ قال أحد الآباء على قول الرسول السابق «ان غرض الرسول من هذا أن يكون تصرف الراعي حميداً لا عيب فيه. وتعليمه قويماً نقياً لا خلل فيه ولا تقاعس. فإن واجبات كل راع تنحصر في هذين الأمرين وهما: تثقيف نفسه. وتعليم رعيته. لأن الله سوف يسأله لا عما فعله فقط بل عما فعله شعبه أيضاً. فإن كان الشعب عتيا غير قابل للتعليم والتهذيب فلا ذنب على راعيه. وأما إذا لم يعتن به وبتعليمه فاللوم على الراعي وهو المسؤول عن ذلك راجع حز ٣٤.

(٧) أن يخدموها بأمانة ويكونوا أمناء لها إلى الموت رؤ ٢ : ١٠ لأنها وديعة الله التي أؤتمنوا عليها ١ كو ٤ : ٢ وأقيموا لرعايتها وأمروا بحراستها وسوف يعطون حساباً عنها عب ١٣ : ١٧ ناظرين إلى الخدمة التي قبلوها لكي ينموها بفرح أع ٢٠ : ٢٤ و ١كو ٤ : ١٧ عالمين أن هذه الرعية مشتراة بثمن ١كو ٦ : ٢٠ ومفتداة بدم كريم ١بط ١ : ١٨ و ١٩ ملاحظين رسول اعترافنا ورئيس كهنته (المسيح) يسوع حال كونه أميناً

للذي أقامه كما كان موسى أيضاً في بيته عب ٣: ١ و ٢ لينالوا المدح من الله وحسن الجزاء مت ٢١: ٤٦ و ٤٧ ، ٢٥: ٢١ و يو ٤: ٣٦ وإلا حسبوا غير أمناء مضلين الناس أر ٦: ١٤ طالبين الربح مي ٣: ١١ و ٢بط ٢: ٣ وسيعاقبون بالطرد من خدمته وسلب نعمته يبتاغون بهذا الطلب «اعط حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلا بعد» لو ٦: ٢».

(٨) أن يرعوها بالإختيار لا عن إضطرار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الأنصبة ١بط ٥: ٢ و ٣ بل بمحبة واخلاص ٢كو ١: ١٢ و ٢: ١٧ و في ١ :١٥- ١٧ غير طالبين ما يوافقهم بل الكثيرين لكي يخلصوا ١كو ١٠: ٣٣ على مثال راع الخراف العظيم يسوع المسيح عب ١٣: ٢٠ الذي كان يجول يصنع خيراً أع ١٠: ٢٨ واقتداء برسله القديسين[1]. لا كما كان رعاة اسرائيل يأكلون الشحم ويكتسون بالصوف ويذبحون السمين ولا يرعون الغنم فتشتت الرعية وصارت مأكلا لجميع وحوش الحقل حز ٣٤: ٧- ٤١ فجلبوا على أنفسهم غضب الله حز ١٩:٣ ومل ٢: ٩ و ١٠ إذ لا يوجد ما هو أفظع من أن يتخذ الراعي وظيفته فوسيلة إلى الربح الدنيوي مع أن يسوع لم يكن له أين يسند رأسه مت ٨: ١٠ وقد افتقر لأجلنا تجار لكي يغنينا بفقره ٢كو ٨: ٩ فالذين يتخذون وظائفهم وسيلة للإتجار بها يشبهون سيمون الساحر أع ٨: ١٩ وبلعام وغيرهما من المضلين الذين أحبوا أجرة الإثم ٢بط ٢: ١٢ و ١٥ كما قال القديس أغسطينوس «ومثل هؤلاء المتاجرين بالديانة الأساقفة والقسوس والكهنة الذين يقدمون على الدرجات المقدسة والوظائف الكهنوتية طلباً للكرامة والمال سيأتي يوم فيه يعرفون أن يمين العلي فوقهم مرتفعة حز ١٣: ٩ و ار ٢٣: ١ و ٢.

ان أخذ النفقة لأجل الخدمة الروحية ليس بخطية لأن هكذا أمر الرب

---

(١) أع ٢٠: ٣٠- ٣٣ و ١كو ٩: ١٨ و ١تس ٢: ٩ و ١ تي ٣: ٣.

١كو ٩: ١٥- ١٨ و ١تي ٥: ١٨: إنما الخطية جعل الخدمة واسطة للربح.

(٩) أن يرعوها بغيرة أع ٢٠: ٢٤ و في ١: ٢٠ و ٢١ منكرين النفس لأجلها. ١كو ٩: ٢٧ باذلين وقتهم وراحتهم حتى نفوسهم ان اقتضى ذلك خيرها وسلامتها مت ١٨: ١٢ و ١٣ وأع ٢: ٢٣ و ٢٤ و ٢١: ١٣ على مثال راعي النفوس وأسقفها يسوع ١بط ٢: ٢٥ الذي أنكر نفسه في ٢: ٧ و ٨ وبذل ذاته فدية لأجل الجميع ٢ تي ٢: ٦ وتمثلاً برسله القديسين أع ٢٨: ٣١ عالمين أن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه ١كو ٣: ٨ وأيضا ان كان أحد يجاهد لا يكلل ان لم يجاهد قانونياً ٢ تي ٢: ٥.

(١٠) أن يعاملوا الجميع بالمساواة ويعدلوا في القضاء فلا يأخذوا بوجه إنسان ولا يعملوا شيئاً لغرض أو بمحاباة ١تي ٥: ٢٠ كأن يهتموا أو يكرموا الغني لغناه ويهملوا أو يحتقروا الفقير لفقره فليس في المسيحية غني وفقير بل الكل سواء في نظر الله والجميع واحد في المسيح غل ٣: ٢٨ وإنما المرء يكرم لكماله لا لماله. ولا قيمة للإنسان إلا إذا كان غنياً في الإيمان. وفيا لله. لأن الغني والفقير صانعهما كلاهما الرب. ومن الحقائق الاختبارية أن التمييز في المعاملة ينشئ خصومات ومحاسدات وسخطات وتحزبات ومذمات ونميمات وتكبرات وتشويشات ٢كو ١٢: ٢٠.

بعكس المساواة فإنها مجلبة الخير والسلام والثقة ومدعاة لراحة البال.

(١١) أن يسهروا على حراستها من الذئاب الخاطفة التي تأتي بثياب الحملان وتدخل بينها أع ٢٠: ٢٨ سواء كانت منهم أع ٢٠: ٣٥ أو خارجاً عنهم أع ١٥: ٢٤ فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح تي ١: ١٠- ١١ لقلب إيمان قوم ٢تي ٢: ١٨ وصرف مسامعهم عن الحق ٢تي ٤: ٢٢ وهؤلاء يجب سد أفواههم وإقناعهم ١تي ١: ٤ و ٦: ٢٠ و ٢ تي ٣:

١٤ و تي ١; ١١ وعدم السماح لهم أن يعلموا تعليماً آخر لا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى ١تي ١ : ٣ كما أنه يوجد من نفس الرعية أحياناً قوم لا يحتملون التعليم الصحيح حسب شهواتهم يجمعون لأنفسهم معلمين مستحكمة مسامعهم ويتبعونهم لأجل شهواتهم الخاصة ٢تي ٤ : ٢ وهؤلاء يجب أن يوبخوا بصرامة ليكونوا أصحاء في الإيمان ولا يصغوا إلى تعليم المرتدين عن الحق ١تي ١ : ١٣ و ١٤ وحتى لا يكونوا أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ربح تعليم بحيلة الناس أف ٤ : ١٤ ويثبتوا في الإيمان حتى لا يغريهم أحد بالفلسفة وبغرور باطل كو ٢ : ٨ بل يكونوا متأصلين ومبنيين وموطدين فيه كو٢ : ٧ ثابتين على ما تعلموه ١تي ٣ : ١٤ وفي الوقت نفسه يؤمروا بإجتناب مثل هؤلاء والاعراض عنهم كأمر الرسول رو ١٦ : ١٧ ، ٢تس ٣ : ١٩ ، ١تي ٦ : ٥ لأن مثل هؤلاء «كما يقول» لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم رو ١٦ : ١ وهم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح ٢كو ١١ : ١٣ وإذا جاءهم من يعلم بخلاف التعليم الذي تسلموه فلا يقبلوه في البيت ولا يقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة ٢ يو ١ : ١٠ كما يجب أن يحتفظوا (الرعاة) هم أيضاً منهم ٢ تي ٤ : ١٥ .

(١٢) يجب أن يصلوا لأجل الرعية أف ١ : ١٦ و ٣ : ١٤- ١٩ و في ١ : ٤ و كو ١ : ٩ ولأجل الكنيسة عامة اش ٦٢ : ٦ و ٧ ولأجل جميع الناس. لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب ١ تي ٢ : ١ و ٢ . أما الصلاة للرعية فلثباتها في الإيمان وإمتلائها إلى كل ملء الله راجع رو ١ : ١٠-١٢ واش ١ : ٢ . أما لأجل جميع الناس فلكي يعطيهم الله بصيرة لمعرفة الحق ١ يو ٥: ٢٠ أع ٢٦ : ٢٩ ويرجعوا من الأباطيل إلى الله الحي أع ١٤ : ١٥ أما لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب فذلك لسلام الكنيسة في كل زمان ومكان «لأن راحتها متوقفة على تصرف ولاة أمورها مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين». كما كانت راحة

مؤمني أفسس متوقفة على نيرون. كما كانت متوقفة على تصرف كاتب المدينة يوم سجن ديمتريوس أع ١٩ : ٢١ و ٢٤ وكما كانت راحة كنيسة فيلبي متوقفة على تصرف ولاتها أع ١٦ : ١٩ وراحة مؤمني كورنثوس متوقفة على تصرف غليون الوالي أع ١٨ : ١٧ وراحة بولس متوقفة على فيلكس وفستوس أع ٢٢ : ٥.

ليس لهذا فقط بل لكي يعطيهم الله نعمة ليمنحوا الحرية لشعبه ولكل فرد في عبادته ويحموه من الظلم والإضطهاد وهذا ما عناه القديس بولس بقوله لكي نقضي حيوة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار ١تي ٢ : ٤.

(١٣) أن يشتركوا في احتمال المشقات كجنود صالحين ليسوع المسيح ٢ تي ٢ : ٣ و ٢٤ ويصبروا على كل شئ لأجل المختارين لكي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع ٢ تي ٢ : ١٠ فإن دعوة المسيح «اتبعوني» تتضمن الدعوة لإحتمال المشقات أيضاً مت ٢٤ ويو ٢٦ : ٣٣ و رؤ ٢ : ١٠ وإذا كان يسوع كمّل خلاصنا بالآلام عب ٢ : ١٠ واحتمل الصليب مستهيناً بالخزي عب ١٢ : ١٠ فجدير بخدامه أن يتشبهوا به في احتمال المشقات من أجل الانجيل ٢ تي ١ : ١٨ إذ ليس التلميذ أفضل من معلمه» ولا العبد أفضل من سيده وبرسله الذين لما أهينوا واضطهدوا فرحوا لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه أع ٥ : ٤١ راجع ٢كو ٦ : ١١ و ١تي ٦ : ١٨ و ٢ تي ١ : ١٢ و ٣ : ١٠- ١٢.

إن الجندي يحتمل غالباً مشقات كبيرة من ترك بيته وأصحابه وتعرضه للبرد والحر والرياح والأمطار والاعياء من طول السفر وقلة الطعام أحيانا «فضلا عن خصر الموت بمحاربة العدو. ولكن طوعاً للملك ورغبة في الدفاع عن وطنه يحتمل بالرضى كل هذه المشقات والأخطار. فأحرى بجنود المسيح أن يحتملوا بصبر وشكر كلما يصادفهم في سبيل خدمته طوعاً لربهم ورغبة في المحاماة عن الإنجيل. لأن أجرهم عظيم في ملكوت السموات مت ٥ : ١١ و ١٢.

(١٤) أن يقووا إيمان شعبهم لو ٢٢ : ٢٣ وأع ١٤ : ٢٢ ويحثوهم على ممارسة الواجبات المسيحية والمواظبة على الإجتماعات الروحية عب ١٠ : ٢٥ وعلى النمو في النعمة والتقدم في الفضائل الإنجيلية في ١ : ٨ و ٩ و ٢ بط ١ : ٥ و ٣ : ١٨ ، وعلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح والعيشة في السلام ٢ كو ١٣ : ١١ وأف ٤ : ٢ وعلى مسالمة بعضهم بعضاً وجميع الناس إن أمكنهم رو ١٢ : ١٨ وعمل الخير مع الجميع ١ تس ٥ : ١٣ وعلى السهر الروحي مع الصلوة ١ تي ٥ : ٩ و ١ بط ٤ : ٧ و ٥ : ٨ والجهاد نحو أعداء خلاصنا أف ٩ : ١٠ الخ.. و عب ١٢ : ٤ وعلى العطاء والإهتمام بسد عوز الفقراء ٢ كو ٨ و ٩ و ١ تي ٦ : ١٧.

وعلى الخضوع والطاعة للحكام رو ١٣ : ١ و تي ٣ : ١ والسلوك بلياقة عند الذين هم من خارج ٢ تس ٤ : ١٢ وبالإجماع إلى كل ما هو جليل وعادل وطاهر ومسر وصيته حسن في ٤ : ٨.

***

ولا يخفى على أحد أن الواجبات تقدر على أهمية الخدمة لأن من يعطي كثير يطلب منه كثير ومن يعطي قليل يطلب منه قليل. وهكذا الراعي بقدر ما ترتفع أهميته على سائر الرتب تزيد المسئولية عليه أمام عرض الديان: وبقدر ما تكون عظيمة الجائزة المعدة للرعاة يكون العذاب الذي يلحقهم شديداً إذا تهاونوا في واجباتهم وصرفوا النظر عن رعيتهم، وعلى الراعي أن يقدم جواباً عنه وعن رعيته فرداً فرداً أمام محكمة الديان. فإذا حافظ على قطيعه بكل غيرة ونشاط وأمانة يعطي جائزة على عمله هذا. فإذا كنا نحن نسر من الرعاة الذين يحافظون على أغنامنا فكم بالحري تكون مسرة الله من الرعاة المحافظين على قطيعه الذي اشتراه بدمه الزكي وكم يكون عظم الجائزة التي يستحقونها مكافأة على ذلك. وهذه الجائزة

تكون كما قال الرب يسوع:

«نعماً أيها العبد الصالح الأمين كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك» مت ٢٥ : ٢١ وبعكس ذلك الرعاة المتهاملون فإنهم يقاصون على تهاونهم قصاصاً عظيماً كما قال أيضاً: «والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية» مت ٢٥ : ٣٠.

﴿ واجبات الرعية نحو رعاتها ﴾

أولا – أن تحبهم لأنهم معلومها ومرشدوها وآباؤها الروحيون وقد كرسوا حياتهم لخدمتها وجعلوها وقفاً على رعايتها. على أنه متى كانت المحبة متبادلة بينهما استفادت الرعية وسهل على راعيها رعايتها والتفاني في سبيل خدمتها إذ لا شئ يشجع الراعي على العمل بجد ونشاط وإخلاص ومحبة كمحبة الرعية له وإخلاصها نحوه [1].

ثانياً – أن تكرمهم وتعتبرهم جداً في المحبة من أجل عملهم ولا سيما الذين يتعبون لأجل الكلمة والتعليم [2] لأن من يكرم خادم الملك يكرم الملك نفسه. وبالعكس من أهانه كأنه أهان الملك ذاته ولأجل هذا أوصى الله بإكرامهم ووبخ ملوكاً من أجلهم [3] ثم صرح أن إكرامهم إكرام له وأهانتهم إهانة لذاته العلية [4] قال الذهبي الفم. أن من يحتقر كاهناً يجدف على الله لأن مخلصنا قال من يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني لو ١٠ : ١٦.

---

(١) ٢ كو ٨ : ٧ و ١ تس ٣ : ٦.
(٢) ١ تي ٥ : ١١.
(٣) ١ أي ١٦ : ٢١.
(٤) زك ٢ : ٨ و لو ١ : ١٦ و لو ١٥ : ١٨.

أما إذا رأيت من أحدهم نقصاً «والكمال والعظمة لله وحده» أو أعمالاً لا تليق بخدمته الشريفة فتقتضي الحكمة والدين والآداب وغيرها ألا تشهر به قدام الناس ولا تذيع نقيصته على رؤوس الملأ :

– ١ – لأن مشيع المذمة هو جاهل أم ١٠ : ١٨ .

– ٢ – لأن الآباء بشر محاطون بالضعف عب ٥ : ٢ معرضون للخطأ والزلل ولهذا وجب على أبنائهم الروحيين أن يستروا على هفواتهم كما ستر سام ويافث عورة أبيهما تك ٩ : ٢٣ أما إذا احتقروهم وأهانوهم فيستحقون غضب الله كما استحقه هارون ومريم بسبب إهانتهما لأخيهما موسى عد ١٢ .

– ٣ – لأن تحقيرهم تحقير لأنفسهم وهل للابن كرامة إذا كان أبوه مهانـــاً؟

قال أحد الآباء أن إكرامنا للرعاة ليس مشروطاً له صلاحهم كلهم جملة وأفراداً فقد يتفق أن يأثم أحدهم أو يخالف ما تقتضيه وظيفته إلا أنه لا يجوز احتقاره ولا احتقار أهل رتبته فإنه لم تتغير فيهم ماهية الطبع البشري القابل الإثم والخطأ – وأن إزدادت نعمة الله فيهم – ومن أثم منهم في فعله فلا يأثم في وعظه وأقواله المفيدة للخلاص. فعلينا أن نصغي إليه ونتعظ بكلامه» مت ٢٣ : ٣ ونرثي لضعف طبعه البشري الذي جره إلى الإثم خلافاً لبعض أبناء عصرنا الذين إذا سمعوا ورأوا إن راهباً وكاهناً قصر في فروض وظيفته أو خالفها انطلقت ألسنتهم في قذف الرهبانية أو الكهنة كلهم وأبوا اكرامهم بل سماع أقوالهم وإتمام الفروض الدينية لديهم. وما هي إلا حيلة يحجبون ورآها توانيهم في العبادة مع أنهم يعربون بها عما تحويه صدورهم من الظلم والرداءة. على أن المرء لا يعاب بذنب ابنه أو أخيه الطبيعي فكيف يعيبون جماعة بذنب فرد من أفرادها.

نحن لا نذكر ذلك ولا نقوله تحبيذاً للشر أو تشجيعاً لذويه حاشا بل

لننبه الأذهان إلى أمرين الأول: وجوب اجتناب التشهير بكرامة خدام الدين لمجرد ما يذاع عنهم من المساوئ أن صدقاً وأن كذباً. الثاني: وجوب شكوى المخالف منهم إلى رئيسه للنظر فيما عرى إليه ومعاقبته قانوناً إذا ثبتت إدانته كأمر الكتاب والقوانين الكنسية راجع ١ تي ٥: ١٩ و ٢٠.

ثالثا – أن تطيعهم وتخضع لهم ولكل من يعمل معهم ويتعب كما أمر الرسول بقوله لهم. (أطيعوا مرشديكم وأخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً لكي يفعلوا ذلك بفرح لا آنين لأن هذا غير نافع لكم) عب ١٣: ١٧ قال أحد الآباء بهذا القول. أعلن الرسول وجوب الطاعة للرعاة أو الرؤساء لثلاثة أسباب (١) كون الرؤساء يسهرون على الرعية ويرعونها ويتبصرون في مصالحها ومنافعها الروحية ومن حيث أنهم أؤتمنوا عليها سوف يطالبون بها. ولا يخفى أن دأب الرؤساء وتعبهم يستوجب المكافأة من المرؤسيين بالطاعة والإنقياد والإحترام لأن الطبيب الذي يصرف جهده في معالجة المريض يستحق المكافأة كذلك الرعاة والرؤساء فإنهم يستحقون الإكرام والطاعة في كل ما يأمرون به ومادام لا ينافي الآداب أو الدين (٢) كون الطاعة لهم وامتثال أوامرهم مما يخفف ثقل أحمالهم الثقيلة ويرغبهم في رعايتهم. وأما إذا كان الشعب عاصياً عتياً كان ذلك مزيداً في ثقل أحمالهم وداعياً إلى التضجر والتشكي (٣) كون تشكي الرؤساء من عقوق الشعب وعصيانه مجلبة للوبال والدمار عليه لأن صوت أنينهم يصرخ إلى الله فينزل عليه غضب الله ونقمته. وهذا ما عناه الرسول بقوله (لأن هذا غير نافع لكم).

رابعاً – أن تتبع قدوتهم المقدسة ١ كو ١١: ١ وتتشبه بهم في ٣: ١٧ وتنظر إلى نهاية سيرتهم وتتمثل بإيمانهم عب ١٣: ٧ لا في اقتناء الفضائل فقط بل في الصبر والثبات على الإيمان دون فشل أو جزع. وإحتمال التجارب والآلام حباً في المسيح. قال الذهبي لا شئ أنفع لنا من التأمل بسيرة القديسين وإعادة التبصر والتروي في أعمالهم.

خامساً – أن نعطيهم معاشاً كافياً لمعيشتهم لكي ينقطعوا لخدمتها ويتمموا الواجبات المطلوبة منهم بإخلاص ونشاط ومحبة لأن انقطاعهم لخدمتها يحول بينهم وبين العمل لكسب معاشهم ومعاش من يعولونهم وقد أمر الله بذلك قديماً راجع (١).

أما في العهد الجديد فالأدلة على ذلك كثيرة (٢) وأخيراً قال القديس بولس. أما القسوس المدبرون حسناً فليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم لأن الكتاب يقول لا تكم ثوراً دارساً. والفاعل مستحق أجرته ١ تي ٥: ١٧ و ١٨ – وقال من يجند قط بنفقة نفسه: ومن يغرس كرماً ومن ثمره لا يأكل – أو من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل العلي اتكلم بهذا كإنسان

أم ليس الناموس أيضاً يقول هذا. فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تكم ثوراً دارساً ألعل الله تهمه الثيران. أم يقول مطلقاً من أجلنا – أنه من أجلنا مكتوب. لأنه ينبغي للحراث أن يحرث على رجاء وللدارس على أن الرجاء يكون شريكاً في رجائه. إن كنا نحن قد زرعنا لكم الروحيات أفعظيم أن حصدنا منكم الجسديات.. ألستم تعلمون إن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون. الذين يلازمون المذابح يشاركون المذبح هكذا أيضاً أمر الرب إن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون ١كو ٩:٧– ١٤.

سادساً – يجب أن تصلي (١) من أجلهم لأجل خلاص أنفسهم ٣ كو ١ :١١ وفي ١ : ١٩ لأنهم بشر عرضة للتجارب مثل غيرهم (٢) من أجل عملهم الروحي لأن عليهم أعمالاً ثقيلة ومسؤولية عظمى فلذلك هم محتاجون لصلوات الرعية.

---

(١) لا ١٩ : ٢٣ وتث ١٢ : ١٩ و ١٤ : ٢٧ و ١٦ : ١١ و ٢٤ : ١٤.
(٢) راجع مت ١٠ : ١٠ ولو ١٠ : ٧ ورو ١٥ : ٢٧ وغل ٦ : ٦.

ولا ريب أن صلاة الكنيسة لأجل خدامها كانت ولا تزال من أسباب نجاحهم في خدمتهم الرعوية كما كانت علة نجاحهم من المقاومين وإنقاذهم من ضيقاتهم أع ٦ : ٤١ و ١٢ : ٥ وقد عرف بولس أن لصلوات الكنيسة من أجل خدامها فاعلية كبرى في نجاح العمل ولهذا طلب من المؤمنين أن يصلوا لأجله ٢ كو ١ : ١١ .



الفصل السادس

«الكنيسة من حيث هي رعـاة»

لما كان السيد له المجد موجوداً على الأرض اختار فئة مخصوصة من المؤمنين لو ١٥ : ١٣ وخولهم حق إقامة الأسرار وتكميلها لتقديس المؤمنين مت ٢٨ : ١٩ ومر ٦ : ٧ ويع ٥ : ١٤ كما أعطاهم سلطاناً أن يغفروا الخطايا بإسمه يو ٢٠ : ٢٣ وأن يبشروا بالإنجيل للخدمة كلها مر ١٦ : ١٥ واعداً أن يكون معهم كل الأيام حتى انقضاء الدهر مت ٢٨ : ٢٠ وسمى هؤلاء المختارين «كنيسة» مت ١٨ : ١٧ و رؤ ١ : ٤.

هذه الكنيسة هي المعروفة لدى العامة بالطغمة الإكليريكية أو الرعاة والمعلمين ومعاونيهم على اختلاف درجاتهم الذين يدعوهم أو سابيوس (١) «طغمة الرؤساء» وهم: أولا – الأساقفة أع ٢٠ : ٢٨ و ١تي ٣ : ٢ وتي ٣ : ٧، ثانياً – الكهنة والقسوس تي ١ : ٥، ثالثاً – الشمامسة في ١ : ١ و ١تي ٢ :٨– ١٢.

أما لفظة: قمص. ومطران. وبابا أو بطريرك. فهي كما قال العلماء أسماء للدرجات الكهنوتية ليعرف كل واحد منهم بدرجته التي يخدم بها بحسب الموهبة المعطاة له. كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة رو ١٢ : ٦ و ١ بط ٤ : ١٠.

وهذه الأسماء تختلف عن بعضها بإختلاف الدرجات وهي مقتبسة من الإنجيل باللغة التي كتب بها وهي اللغة اليونانية. فلفظة قمص: معناها مدبر رو ١٢ : ٨ ومطران. معناها: أسقف المدينة الكبيرة. وبابا أو بطريرك. معناها: أب الآباء رو ٨: ١٥.

وأصحاب هذه الدرجات يقومون بوظائف متنوعة منها:

أولاً : سفراء المسيح ٢كو ٥: ٢٠ لأن نسبتهم إليه كنسبة سفراء الدول لملوكها فإنه هو دعاهم بروحه وأقامهم لخدمته ١كو ٣: ٥ وهم رسله مل ٢: ٧ و أف ٤: ١١ لكي يبلغوا الناس كلامه ويعلنوا الحقائق الواردة في كتابه.

ثانياً : خدام المسيح ووكلاء سرائر الله ١كو ٤: ١ لأنهم أقيموا من الله لخدمة انجيله أف ٣: ٧ ومنح الأسرار للمؤمنين لتقديسهم.

ثالثاً : كهنة [١] لأنهم مدعوون من الله لتقديم الذبيحة الغير الدموية ذبيحة جسد الرب ودمه الأقدسين التي يقدمونها على مذابح العهد الجديد[٢] ولأنهم يتقدسون بنعمة الروح القدس الخصوصية التي يمنحونها أيضاً للغير بواسطة الأسرار.



(١) اش ٦: ٢١ وعب ٢: ١٧ و رو ١٥: ١٦
(٢) مز ٥٠: ٥ وأش ١٩: ١٩ وعب ١٣: ١١

الفصل السابع

«الصفات الخاصة برعاة الكنيسة»

حسب تعليم الكتاب

يطلب من الراعي قبل كل شئ أن يكون سليم القلب قوي الحجة ثاقب الرأي لأنه الواسطة الوحيدة بين الله والناس تنعكس عليه السلامة الربانية التي أظهرها المخلص بتجسده واتخاذه مثال انسان واحتماله لكل الإهانات. والراعي مجبور أن يكون مثالا للرعية بسلامة القلب أوضح الكتاب المقدس الصفات التي يجب أن يتحلى بها خادم الله أسقفاً كان أو قساً أو شماساً وهي تنحصر فيما يأتي بالترتيب كما جاء في رسالتي القديس بولس لتلميذيه تيموثاوس ١تي ٣ : ١- ٧ وتيطس ١ : ٦-١٠ وحسب تعليم الآباء في الأجيال المسيحية الأولى.

(١) «أن يكون بلا لوم كوكيل الله» أي كاملا خالياً من العيوب التي تشين وظيفته وتضر صيت كنيسته وأن تكون نفسه أشد ضياء من أشعة الشمس لكي يمكنه أن يقول مع بولس الرسول «لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» غل ٢ : ٢٠ وكما قال ثلوفيلاكتوس ينبغي أن يكون مجملا بكل فضل وفضيلة وقول وفعل حتى لا يوجد فيه عيب لا عند الناس ولا عند نفسه من حيث أنه نائب المسيح الذي هو رئيس الأحياء وأولهم. فيجب أنه يماثله كما ماثله في الرئاسة وهذا توجبه عليه وظيفته بحسب كونه معلماً ومدبراً» إذ لا يليق بمن يلوم الناس على عيوبهم أن يكون هو ملوماً وفي مثل هذا قال الذهبي الفم (لا يحق أن يسوس بل حقه أن يساس) والذي لا يريعه من الأسقفية أو (القسوسية) ثقل الوظيفة أي رعاية النفوس وإعطاء حسابها لله فليرعه ما ينبغي أن يكون في الأسقف

من القداسة الخالية من كل نقص يشين. فإن الأسقف أو (القس) حقه أن يظهر في الفضائل ظهور الشمس بين الكواكب فإنها بنورها تذهب كل نور وضياء من الكواكب لأن الله قد اختارنا لنكون للناس كالنيرات وكالخمير وكالملائكة بين البشر وكالرجال بين الأطفال وكالروحانيين بين الحيوانيين حتى يربحوا برعايتنا كل مكرمة ومنفعة ١تي ٢ : ١.

(٢) «بعل امرأة واحدة» إن هذه العبارة كما يقول الذهبي فمه «لا تفيد عدم زواج الكهنة أو إنكار ذلك عليهم ولكنها تمنع الإكليروس طبقاً للقوانين الكنسية فضلا عن تعليم الكتاب» ١تي ٥ : ٩ عن أن يتزوجوا مرة ثانية لكي لا يكون الكاهن سبباً لا للإزدراء بسر الكهنوت وبالكهنة» ويلاحظ أن الوجوبية هنا على الأحدية لا على الزيجة فهي لا تستلزم وجوب أن يكون الأسقف متزوجاً بل أن من ندب إلى الأسقفية ممن سبق زواجهم لا يجب أن يكون إلا ممن تزوج زيجة واحدة لاغير. وأيدت ذلك الدسقولية والقوانين الكنسية وأقوال الآباء والمجامع المسكونية والتاريخ الكنسي وعليه أجمعت سائر الكنائس الرسولية شرقاً وغرباً:

(٣) «صاحياً» فطناً يقظاً متنبهاً لواجباته غير غافل عنها، وهذا أوجب ما يتحل به الخادم قبل كل شيء. لأن صناعة الصنائع وعلم العلوم هي سياسة الناس قال الذهبي فمه أن لهذه الكلمة معنيين: الأول: أدبي وهو الإنتباه النفسي والإهتمام المتواصل بالرعية. الثاني: طبيعي وهو الإمساك عن الطعام والشراب بإفراط.

(٥) (عاقلاً) أي متروياً في كلامه وتصرفه حتى لا يستهين به أحداً.

(٤) «محتشماً» في لباسه وحديثه، في مشيه وجلوسه، وكل أعماله وأقواله وتصرفاته يجب أن تكون كما يليق بمقامه في الكنيسة معتزلا كل ما يستحيا منه حاملاً للناس على إكرامه. قال إيرونيموس «فر أيها الكاهن من الملابس الفاخرة ومن الدنيئة أيضاً لأن في الأولى تظهر الفخفخة وفي الثانية تستر حب المجد.

والقوانين الكنسية قد تكلمت عن قماش ولون الثياب الإكليريكية فأمرت أن لا تكون مزركشة ولا براقة ولا مفتخرة لأنه يحصل من ذلك عثرة لكثيرين م.م ٧ : ١٦ وقد مدح يوحنا المعمدان لزهده في الطعام والشراب واللباس مت ٣ : ٤ .

(٦) «مضيفاً للغرباء» قال ايرونيموس. إن الضيافة أول ما يتلى على ما تقدم إلى الأسقفية وإن كان الجميع يودون أن يسمعوا قول الإنجيل «غريباً فأويتموني» فكم بالحرى الأسقف فإنه يلزمه أن يجعل بيته مضيفاً للجميع «مأوى للكل» فليقتسم ذوو البؤساء والغرباء مائدتك الطفيفة لأن المسيح معهم.

(٧) «صالحاً للتعليم» أي كفؤاً للخدمة قادراً أن يعلم الآخرين حقائق الدين ٢تي ٢ : ٢ عارفاً للشريعة لأن من فمه يطلبونها - ولكي يستطيع أن يقوم بأعباء هذا الفرض عليه أن يعرف الكتاب المقدس معرفة تامة ويحل رموزه بفكرته النقادة وأن يبذل قصاري الجهد في هذه الطريقة حتى تتملك فيه كلمة الله كما قال الرسول «كو ٣ : ١٦» وأن لا ينبذ درس العلوم العامة التي يثقف بها عقله بل عليه أن ينصب عليها لكي يستطيع مجاوبة كل من يسأله بوداعة وخوف عن سبب الرجاء ١بط ٣ : ١٥ ولكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين تي ١ : ٩ .

(٨) «غير مدمن الخمر» قد حرم الله على كهنة العهد القديم تعاطي المسكرات وتهدد من يأتي ذلك بالموت ولا سيما وقت الخدمة.. لا ١٠ : ٩ فأحرى بكهنة العهد الجديد عهد الكمال. أن يتجنبوا هذه الرذيلة بكرامة المتلفة للصحة أم ١٣ : ٢٠ المهلكة للنفس أم ٣١ : ٦ والمزرية بكرامة الإنسان أم ٢٠ : ١ لا سيما والسكر يشوش العقل ويخلب القلب أم ٣ : ٣١ وهو ٤ : ١١ وحب ٢ : ١٥ ويضرم نار الشهوات أف ٥ : ١٨ ويفني المال أم ٢٣ : ٢١ ويفشي الأسرار أم ٣١ : ٤ ، ٥ ويهيج للغضب والخصام أم ٢٣ : ٢٩ وأخيراً يمنع من السماء ١كو ٩ : ١٠ وغل ٥ : ٢١ وقال

ايرونيموس. احترس من أن تشتم منك رائحة الخمر الذي يستعمل عند الضرورة فقط لتقوية الجسم ١تي ٥ : ٢٣ وأنه إذا كانت حرارة الشباب متقدة فيّ بدون أن أشرب خمراً فعليّ بالإبتعاد عنه لأنه لا يخلو من جزء يسير من السم».

هذا وقد حرمت القوانين الكنسية على الكاهن تناول المسكرات وتوعدت بالقطع من يأتها ق ٢٤ لازقية.

(٩) «غير ضراب» كسيده إذا شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل ١بط ٢ : ٢٣ ولما ضرب قال للضارب بكل هدوء إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وإن حسناً فلماذا تضربني يو ١٨ : ٢٣ وهكذا رسله كانوا يشتمون فيباركون يضطهدون فيحتملون ١كو ٤ : ١٢.

وقد نهت القوانين الكنسية ذوي المراتب الكهنوتية عن ذلك وهددت بالقطع من يأته بحق أو بغير حق باب ٥م: ٩٧.

(١٠) «غير محب للمال ولا طامع بالربح القبيح» فإنهما عبادة وثن أف ٥ : ٥ ويؤديان إلى عدم الإنصاف والظلم أم ٢٨ : ٢٠ وإلى الكذب ٢ مل ٥ : ٢٢ - ٢٥ وإلى السرقة وقد حذر المسيح تلاميذه منهما لو ١٢ : ١٥ ووبخ الفريسيين أمامهم تحذيراً لهم من التمثل بهم لو ١٦ : ١٤.

(١١) «حليماً». وحلمه يكون معروفاً عند جميع الناس في ٤ : ٥ كسيدة ومعلمه الإلهي مت ١١ : ٢٩.

(١٢) «غير مخاصم» لأن الخصام فضلاً عن كونه من أعمال الجسد غل ٥ : ٢٠ فهو معيب بالمؤمنين ٢كو ١٢ : ٢٠ فكم بالرعاة. قال الرسول عبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات. مؤدباً بالوداعة المقاومين ٢تي ٢ : ٢٤ فعلى الخدام اجتنابه وأن يحترزوا منه وينهوا رعيتهم عنه ١كو ١ : ١١ و ١٢.

(١٣) «غير حديث الإيمان» لأن مثل هذا لا يبعد أن ينتفخ ويتعظم ظاناً نفسه أنه أفضل ممن تعتقوا في الديانة وقضى عليهم زمن في المسيحية وأن الكنيسة لو لا شدة افتقارها لما دعته إلى سياستها وسلطته على بنيها فيتصاف ويسقط في دينونة إبليس للسبب الذي سقط بـه الشيطان ٢بط ٢ : ٤.

(١٤) «أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج» أي أن يكون مشهوداً له بالفضل وحسن السيرة من غير المؤمنين ١كو ٥:١٢ قبل تعيينه كتيموثاؤس أع ١٦ : ٢ وذلك لوجهين كما قال الآباء.

الأول: حتى لا تزدري به رعيته وتعيره بسيرته السابقة وتكون آمنة من جهة وأقواله مقبولة عندها.

الثاني: لئلا يسقط من تعييرهم فتصغر نفسه عند توبيخ غيره أو بنقم منهم أو ينسلخ عن الإيمان ويترك وظيفته ويعود إلى سيرته الماضية، ولذا تطلب القوانين الكنسية من الكاهن أن يجتنب كل ما يحط به من وظيفته الرعوية [١] وتمنع الكهنة الأرامل والمتبتلين من وضع نساء في بيوتهم خشية من مظنة السوء بهم واحتقار الوظيفة الكهنوتية وتسمح أن يقيم مع الكاهن المرأة لمن كان متزوجاً والأخت والعمة والأشخاص البعيدين عن الشبهة [٢].

(١٥) «غير معجب بنفسه» لأن إعجاب المرء بنفسه يقوده إلى الإهتمام بإرضاء نفسه وإهمال ما عليه لغيره وهو غير لائق بالمؤمنين في ٢ : ٣ فكم بخدام الدين.

---

(١) قانون رسولي ٦ و ٨ و ٨٣.

(٢) م. م ١ : ق ٣ وباسليوس ق ٨٨.

(١٦) «غير غضوب» لأن الرجل الغضوب يهيج الخصام والرجل السخوط كثير المعاصي أم ٢٩ : ٢٢ وغضب الإنسان لا يصنع بر الله يع ١ : ١٩ و ٢٠ وهو من أعمال الجسد غل ٥ : ٢ ومن سجايا الجهال أم ١٢ : ١٦ ويجب الإحتراس منه لأنه يقود إلى الخطية ويمكن صرفه بواسطةالحكمة أم ٢٩ : ٩.

(١٧) «محباً للخير» للجميع ولا سيما لأهل الإيمان متمثلاً بالرب الذي كان يجول ويصنع خيراً يو ١٠ : ٣٢.

(١٨) «باراً ورعاً» قال الذهبي الفم يجب أن يكون مزداناً بالفضائل ورعاً محباً للخير ككل أبرار العهد القديم الذين دعوا بهذا الاسم كنوح ولوط وأيوب وزكريا واليصابات.

(١٩) «ضابطاً نفسه» قاهراً جسده متسلطاً على كل شهواته فيغمض عينيه عن النظر إلى الباطل. ويسد أذنيه عن سمع الكلمات الرديئة والأغاني المجونية. ويلجم لسانه عن التكلم بالشر ويحفظ يديه عن أن تمتد إلى الإثم. وفمه عن الشراب الممزوج قال ايرونيموس السعيد الذكر. يجب أن يكون الأسقف أو الكاهن ضابطاً لنفسه لا عن الشهوات والمنكرات فقط بل عن كل حركات النفس فلا يضطرب عند الغضب ولا تصغر نفسه في الغم والحزن ولا يرعه خطب هائل ولا يهزه الفرح «البطئ الغضب خير من الجبار ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة» أم ١٦ : ٣٢.

(٢٠) «ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المنافقين» قال الذهبي الفم على الكاهن أن يكون متعلماً ومتضلعاً في الكتاب المقدس وثابتاً في عقائد الإيمان القويم ليتمكن أن يجادل ويعظ. قال أيضاً بسبب عدم خبرة كاهن واحد يقاد كثيرون إلى الهلاك.

فيجب أن يهتم الكهنة بإنماء موهبة الكرازة وخصوصاً المتعلمين منهم

لأن غير المتعلم إذا لم يعظ لا يندد عليه الشعب وأما المتعلم فيقرع من الجميع. فعليه إذاً بالتمرين لئلا يفقد موهبة الوعظ والإنذار ك ٣: ٩٩-١٠١ وقال ايرونيموس «وعندما تعلم في الكنيسة لا تجتهد أن يمدحك سامعوك بل اجتهد أن يتنهدوا من أعماق القلب ولتكون دموع سامعيك دون سواها مديحاً لك. وضع عظاتك بدور الكتاب ولا أريد أن تظهر الحدة في الإنذار وتنادي بأعلى صوتك دون أن تدرك ما تفعل.

(٢١) «يدبر بيته حسناً له أولاد في الخضوع بكل وقار وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله» معرفة الكاهن تدبير بيته تقوم بالمساواة بين أعضاء العائلة. ويبث روح الألفة والمحبة والسلام وتوثيق روابط الإتحاد بين أفرادها. وبممارسة الصلوة العائلية وتربية أولاده على المبادئ المسيحية، والروح الأرثوذكسية، في مخالفة الرب وإنذاره أف ٦: ٤ وتعليمهم شريعة الرب ووجوب حفظ يومه المقدس ومحبة الكنيسة واحترام أماكن العبادة. ويجب أن يكون سلوكه في البيت لائقاً بسمو خدمته وقداستها. وهذا السلوك ينحصر في ابتعاده عن المرح القبيح وعن التقلب في المبادئ والآراء والخلف في الوعد والكذب في القول. والحلف لسبب أو لغير سبب والشتائم والمسبات. لأن ذلك يضر بآداب الأولاد ودينهم ويقلل من اعتباره في أعينهم ويضعف من مهابته في نفوسهم كما يضعف سلطانه عند التوبيخ والتعليم في الأمور الدينية.. ويجلب عليه .أخيراً غضب الله كما حصل لعالي الكاهن الذي جلب على نفسه وعلى بيته غضب الرب لإهماله تربية أولاده وتدبير بيته ١ صم ٢: ١٣.



الفصل الثامن

حيوية الراعي الخصوصية وأهليته وواجباته كخادم للرب ومعلم الرعية

إن وظيفة الراعي تسمو على كل وظيفة في العالم أولاً: لأنه يمثل المسيح على الأرض وهو نائبه. ثانياً: لأنه أؤتمن على رعاية النفوس وهي أثمن وديعة ولذلك كانت مسئوليته عظيمة، فكل من أعطى كثيراً يطلب منه كثير ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر لو ١٢ : ٤٧.

فالرعاة طغمة كنائسية أسسها الله لإهداء الناس إلى الخلاص بالتعليم والخدمة الإلهية وقد قال فم الذهب: إنهم مرسلون من قبل الله ومعادلون بسلطتهم وواجباتهم للأنبياء والرسل وخدمتهم وإن تكن جارية على الأرض تسير على خطة النظام السماوي. وقد أسس هذه الطغمة المعزي نفسه دون مساعدة انسان ولا ملاك ولا رئيس ملائكة. وأعطاهم سلطاناً لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة لأنه لم يقل لهؤلاء ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء مت ١٨ : ١٨ ولعمري أن ملوك الأرض مقتدرون أن يضبطوا الأجسام على الأرض فقط أما سلطان الكهنة فإنه يمس النفس ويرتفع إلى السماء وما يفعله الكهنة على الأرض يتممه الله فوق ويؤيد السيد رأي العبيد وما ذلك إلا لأنه أعطاهم هذا السلطان «من غفرتم له خطاياه غفرت ومن أمسكتموها عليه أمسكت» (١)

(١) على الكهنوت ك ١ م٢ صحيفة ٦٠.

لذلك كان من أهم ما يجب على الكاهن أن يأتيه ليخلص نفسه والآخرين ويكون عمله مقبولاً لدى الله ونافعاً لمجده وخير شعبه هو.

أولاً – أن يضرم موهبة الله التي فيه المعطاة له بوضع الأيدي ولا يهملها ١تي ٤ : ١٤ ويجتهد أن يقيم نفسه لله مزكي عاملاً لا يخزي مفصلاً كلمة الحق بالإستقامة ٢تي ٢ : ١٥.

ثانياً – أن يكون قدوة للرعية في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة ١تي ٤ : ١٢ في القداسة لا ٢١ : ٦ في الوداعة أع ٢ : ٥ و ٦ وأنه لا يجعل عثرة في شئ لئلا تلام الخدمة بل في كل شئ يظهر نفسه كخادم الله ٢كو ٦ : ٣ و ٤ وبالإجمال مظهراً نفسه في كل شئ مثالاً للأعمال الصالحة ومقدماً في التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصا وكلاماً صحيحاً غير ملوم تي ٢ : ٧ و ٨.

وتحلي الراعي بهذه الفضائل لازم لنجاح عمله فلا يمكن أن يكون سلوكه مستقيماً ما لم يكن تعليمه صحيحاً. ولا نفع من تعليمه ما لم تكن سيرته على وفق هذا التعليم. قال الرسول لتيموثاؤس «لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك» ١تي ٤ : ١٦ وقال القديس اغسطينوس أن الأسقف أو الراعي يكون الإستماع له بقدر ما تكون سيرته مؤيدة لكلامه. ومن كانت سيرته محتقرة لاقت أقواله الإحتقار. وقال ايرونيموس. احتفظ لئلا تناقض أقوالك بأفعالك فتحمل سامعيك أن يقولوا لك لماذا أنت لا تفعل مثلما تعلم؟ وقال امبروسيوس يجب على خادم الرب بنوع خصوصي أن لا يعير التفاتاً للأرضيات بل أن يجنح إل الصفات الأدبية المذكورة في رسائل بولس الرعوية. لكي لا يسبب الإحتقار لوظيفته. ولما يري الناس خادم مذبح رب الجنود متحلياً بالفضائل التي تقتضيها وظيفته يحترموه ويمجدوا الآب الذي أوجد في كرمه فعلة صالحين ك ١ : ٥.

ثالثاً – أن لا يرتبك بأعمال الحياة يو ٩ : ٦ أي لا يشتغل في غير

وظيفته التي انتدب إليها خصيصا وهي خدمة الله ورعاية النفوس أع ٣٠ : ٢٨ لأن الرسول يقول ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحيوة لكي يرضي من جنده.

قال أحد العلماء منع الجنود الرومانيين وكل جنود الممالك غالباً بمقتضى الشريعة الرومانية من الزواج والتجارة والفلاحة وسائر أنواع الصنايع ورفع الدعاوي إلى الحكام في المحاكم العامة. ومن أن يكونوا معلمين وأوصاه. القصد من ذلك المنع أن يبذل الجندي كل أفكاره وأعماله في سبيل الخدمة العسكرية كذلك على الراعي أن يمتنع من كل ما يعيقه أو يلهيه أو يشغله من لذات هذا العالم والربح الدنيوي عن إتمام واجبات وظيفته متمثلاً بنحميا في مجاوبه من دعاة إلى ترك بناء سور أورشليم لكي يشاوره بقوله (إني أنا عامل عملاً عظيماً فلا أقدر أن أنزل لماذا يبطل العمل بينما أنا أتركه وأنزل إليك) نح ٦ : ٣ وفي ذلك يقول المسيح لا يقدر أحد أن يخدم سيدين مت ٦ : ٣٥.

قال كبريانوس المنتقل سنة ٢٥٨ أنه يجب على من نال نعمة الكهنوت أن يخدم المذبح والذبيحة دون سواهما وأن يتعاطى فقط الصلوة والإبتهال وأن لا يهتم بالعالميات معرضاً عن الروحيات. وقال إيرونيموس يجب قبل كل شئ على من كرس نفسه لخدمة كنيسة المسيح أن يفهم معنى اسمه ومتى فهمه عليه أن يجرى بموجبه لأن كلمة «اكليروس. هي يونانية ومعناها ميراث أو نصيب – وقد سمى الاكليروس هكذا اما لأنهم ميراث الرب أو لأن الرب ميراثهم ونصيبهم فعليهم إذاً أن يسيروا بحسب تطلبات اسمهم. أي كأناس استحقوا الرب هاتفين مع النبي «الله هو نصيبي» وعليهم أن لا يميلوا إلا إلى الله لا إلى الربح العالمي الخسيس ليكون الله معهم وإلا فيقال عنهم «أن ميراثهم ليس لهم» ار ١٢ : ١٣.

هنا قد يعترض بأن بولس الرسول كان يصنع الخيام – فدفعاً لهذا الإعتراض نقول – أن الرسول لم يكن يصنع الخيام للإتجار بها أو للكسب

منها إنما كان يفعل ذلك ليعول نفسه والذين معه وهم يخدمون الكنيسة أع ٢٠ : ٣٤ فيجب أن يتمثل به إذا كان ولابد من العمل الخارج عن الخدمة الدينية ٢تس ٣ : ٧- ١٢ .

رابعاً - أن تكون زيارته الرعوية حبية مقدسة ومحادثته لزائريه أو من يزورهم أدبية دينية لو ١ : ٤٠- ٤٥ قال الرسول (وأما الأقوال الباطلة الدنسة فاجتنبها) ٢تي ٢ : ١٥ و ١٦ وقال أيضاً. لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين أف ٤ : ٢٩ .

خامساً - أن يطالع الكتاب المقدس. (أعكف على القراءة والوعظ والتعليم) ١ تي ٤ : ١٣ وهذا أهم ما يجب على الراعي الإهتمام به وصرف العناية إليه. فإن مطالعة الكتاب تزيده معرفة وإرشاداً إلى واجباته الروحية الخصوصية أو الرعوية يش ١ : ١٨ وتضيف إلى معلوماته أرآء جديدة. فيكون أغزر مادة وأكثر خبرة وأقدر على التعليم بها وإرشاد الناس إليها مز ١١٩ وتحكمه للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع ٢تي ٣ : ١٥ وهي نافعة للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر ٢تي ٣ : ١٦ و ١٧ ويجب أن تقرأ بتأمل وبطلب إرشاد الروح القدس على فهمها يو ١٦ : ١٣ .

قال امبروسيوس أن الكتاب المقدس هو كتاب الكاهن. والذهبي فمه يقول «العمر كله قصير ولو كان طويلا لوجب صرفه في علم الأسفار المقدسة» حتى أن بولس الرسول عندما كان قريباً من الموت طلب إلى تلميذه أن يأتيه بالكتب والرقوق ٢تي ٤ : ١٣ وطالع الكتاب المقدس بقدر طاقتك والأجدر أن لا تدعه من يدك وما يلزم أن تعلمه للغير تعلمه أنت أولاً تى ١ : ٩ .

سادساً - أن يهتم بحياة رعيته الخارجية من حيث راحتها ونجاحها المادي لأن ذلك من خواص رتبته كاملة - روحية وجسدية - فعليه أن

يعتني بالوسائس الراجعة لمنفعتها كمساعدة الأرامل والمحافظة على اليتامى والعمل على تربيتهم وتعليمهم. ومآواة الغرباء ومداواة المرضى. وأن يجيب مطالبهم بكل تواضع ليقال عنه أنه كلاً للكل.

﴿ أهلـية الـراعـــي ﴾

تبين مما تقدم أن وظيفة الراعي وظيفة سامية بل هي أسمى الوظائف البشرية - تفوق درجتها كل رتبة على الأرض لخير بني الإنسان.

فعلى كل راغب بهذه الخدمة أن يتأمل جيداً في سمو هذه الرتبة. وليعلم أنها صعبة جداً تثقل على القائم بها بأنواع الواجبات المتضاربة (التي سبق شرحها) وتطلب منه أموراً كثيرة تفوق درجة النساك لأن صاحبها موجود بين العالم المفعم بالشرور والفساد. فإليه ينظر الجميع ويتخذونه لهم مثالاً في الثراء والضراء. فإذا قال قولاً وزنوه وإن حكم حكماً انتقدوه وإذا سلك مسلك العامة نبذوه. وأن يفحص قلبه من جميع جهاته وأن يفتكر قبل الإقدام عليها ليرى إذا كان أهلاً لها فيقدم. ومن رأي من نفسه العجز عن القيام بواجباتها فعليه أن يبتعد عنها وأما من يتخذها لنفسه فعليه أن لا ينتظر الحكم من الغير إذا فعل أمراً يستحق عليه الإسقاط بل يجب عليه أن يحكم على ذاته بذاته ويبتعد عن هذه الرتبة التي لا يستحقها.

قال الآباء وأهمية هذا الأمر تمنع من العجلة في رسامة من هم غير أهل لهذه الخدمة وإلا كانت رسامتهم خطية ١تي ٥: ٢٢ وقالوا أيضاً أن رسامة من ليس أهلاً للتعليم توجب الإشتراك في خطاياه سواء التي قبل الرسامة أو التي بعد. أما التي قبل. فلإعتبارك إياه أنه أهل مع أنه غير أهل. فكأنك راضٍ عما فعل. أما التي بعد فلأنك أنت السبب. فأحفظ نفسك نقياً بريئاً من هذه الخطايا. وقال الذهبي فمه فأذكر كيف يجب أن تكون حال العتيد أن يقاوم هذه العوائق. أن يكون صارماً... وأن يقدم الكفء

والمتضلع وأن لا يقبل من ليس فيه الكفاءة ولو اتفقوا على انتدابه بل يجب أن يقصيه ويبعده بصرامة سلطته ولا يكون نظره إلى شئ آخر إلا بنيان الكنيسة ولا يعمل شيئاً على سبيل الصداقة والعداوة. وقال أيضاً لا يشنع في الذين شرطنوهم قولهم أننا ما عرفنا المشرطن بل إن هذا الأمر نفسه يكون أعظم ذنب في تقديمهم من جهلوه ولم يعرفوه. وهذا الإعتذار يزيد في مسلبتهم وشجبهم... فمن الذي ينقذنا في ذلك الوقت إذا كان من يجب أن يتشفع محتاجاً إلى شفاعة غيره فإذاً يجب على من عول على شرطنة انسان أن يسأل عن جميع أحواله... ومتى ظهر له وعلم بالمندوب أنه غير مستحق وقدموه محتجين ببعض الحجج فعقاب المندوب ومنتدبيه سواء. بل ربما يكون عقاب الذي يقدم من لا يصلح لهذه الرئاسة أعظم لأن الذي يمنح السلطة لم يرمه منار البيعة والجماعة بكونه هو نفسه السبب إلخ» [١].



(١) على الكهنوت م٣ صحيفة ٩١ و م٤ صحيفة ١١٥ و ١١٦.

الفصل التاسع

«سلطة الكنيسة في سن الشرائع»

أوضحنا في الفصل السادس أن الله اختار فئة مخصوصة من المؤمنين. وسمى هؤلاء المختارين - كنيسة - والآن نقول أن هذه الكنيسة قد فوض لها الرب نفسه حق سن الشرائع وفرض الوصايا على المؤمنين والأمر بحفظها بقوله تعالى «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا» يو ٢٠ : ٢١ «من سمع منكم فقد سمع مني» لو ١٠ : ١٦ وأمر المؤمنين بإطاعتها وسماع كلمتها وتوعد من يخالفها بالفرز من شركة المؤمنين اعتباره كالوثني والعشار المحكوم عليهما بالهلاك بقوله: «وأن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار» مت ١٨ : ١٧.

هذه الكنيسة بعد أن لبست قوة من العلا حسب وعد الرب لو ٢٤ : ٤٩ طفقت تذيع بشرى الخلاص في كل الأقطار وتنادي بالإيمان باسم الفادي وتتلمذ الكثيرين وتضمهم إلى الكنيسة كما نرى ذلك واضحا في سفر الأعمال.

ولما ان اتسع نطاق الكرازة وسادت المسيحية في الأمصار والأقطار وتأسست الكنائس في بلاد كثيرة وضعت لها الشرائع والأنظمة لتكون أساس شعائرها الدينية.

صحيح أن السيد له المجد هو صاحب الشريعة ولكنه اكتفى بوضع مبادئها تاركاً لرسله أن يبنوا على أساسه المتين ١كو ٣ : ١٠ و ١١ فسار الرسل على الخطة المعينة لهم بإرشاد الروح القدس واقتفت الكنيسة «الرعاة» أثرهم كما أرشدها الروح القدس أع ١٥ : ٢٨ لخير بنيها وتقدمهم في

النعمة ونموهم في الحيوة الروحى. ومساعداً على خلاصهم وكافلاً خلاص الآخرين. فعلت ذلك بناء على السلطان المعطى لها من الله كما نرى أول عمل لها من هذا القبيل في سفر الأعمال حيث اجتمعت ووضعت شريعة النهي عن أكل الدم والمخنوق وغيرهما وأعلنت هذه الشريعة للكنائس بمنشور رعائي رسولي على يد بعض الرسل أع ١٥ : ٢٥- ٣٠ وكان القديس بولس يطوف في سورية وكليكية يشدد الكنائس إذ يأمرهم أن يحفظوا وصايا الرسل والمشيخة أو «الكهنة» أع ١٥ : ٤١ هذا هو نص الآية الصحيحة على ما أثبته البروتستانت أنفسهم في طبعة لندن سنة ١٨٦٠ - أما في طبعة بيروت الحالية فقد أثبتوها محرفة مبتورة هكذا «فاجتاز بولس في سوريا وكليكية يشدد الكنائس...»

وقد حذف البروتستانت باقي هذه الآية كما فعلوا بغيرها ليتخلصوا من الخضوع لشرائع الكنيسة قائلين بالخضوع لسلطة كتابهم بعد أن لعبت فيه أصبع الأغراض. وتمشت بين سطوره أنملة الأهواء».

على أن الكنيسة فعلت غير ذلك إذ انتخبت شمامسة أع ٦ : ٦ وسامت أساقفة وقسوساً أع ١٤ : ٢٣ و ١تي ٤ : ١٤ ثم وضعت ترتيبات أخرى مثل انتخاب الرعاة في الكنيسة ١تي ٣ :١ و ٢ و ١٠ وتي ١ : ٥ وكيفية ممارسة الخدمة الإلهية ١كو ١١ : ٢٢ وسياسة الكنيسة ١بط ٥ : ١- ٥ كما وضعت شريعة الزواج أف ٥ : ٢٢- ٢٨ ونظام الأحكام والقضاء بين المؤمنين ١كو ٦ : ١ وأمرت بالخضوع للسلطة الزمنية رو ١٣ : ١ ووضعت سر المسحة التي تمسح بها المرضى وفائديها يع ٥ : ٢٤.

ولا يخفى أن بين تعاليم الكنيسة وبين الشريعة اتحاداً شديداً ومشابهة كلية لأن مصدرهما واحد هو الله نفسه وغايتهما خلاص المؤمنين وبنيانهم في المسيح. ونسبة الشريعة الإلهية لتعاليم الكنيسة كنيسة الأساس للبنيان. فالشريعة أساس الواجبات والفرائض، وتعاليم الكنيسة تشرح ما أشكل فهمه. وتضع القوانين الوضعية بحسب ظروف الزمان وحالة الحيوة الإجتماعية

مثال ذلك. أن الشريعة تحتم علينا الإيمان بالله. وتعاليم الكنيسة تشرح بالتفصيل كيفية هذا الإيمان وتضع نظاماً لإقامة شعائر العبادة. الأولى تأمر أن يكون الزواج مقدساً عب ١٣ : ٤ والثانية تبين شروطه وترتيبه. الأولى تأمر بالصوم. والثانية تبين كيفيته وما يجوز وما يمنع فيه من الأطعمة وتحدد وقته إلى غير ذلك مما هو معلوم لأبناء الكنيسة.

ومن المعلوم أن الوصايا والتعاليم التي وضعتها الكنيسة كانت بإرشاد الروح القدس الذي حل عليها يوم عيد البنديكوستي وهم في العلية أع ٢ : ١ - ٤ وذكرها بكل ما قاله لها الرب وأرشدها إلى ما هو نافع لبنيان جسد المسيح كما صرح الرسل أنفسهم بقولهم لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أع ١٥ : ٢٨ وقد حذا الرسل حذو معلمهم إذ أقاموا لهم خلفاء ومنحوهم الحق المعطى لهم من الرب ليحسنوا التصرف في كنيسة الله ١تي ٣ : ١٤ و ١٥ وإقامة الرعاة في الكنائس وترتيب أمورها ١كو ١١ : ٣٤ وهؤلاء رتبوا الأمور الناقصة ووضعوا أموراً كثيرة لازمة لبنيان الكنيسة بالسلطان المعطى لهم من الله ٢كو ١٠ : ٨ و ١٣ : ١٠.

هذا ومع أن البروتستانت يجحدون سلطة الكنيسة في سن الشرائع إلا أنهم يعترفون بوجودها في الكنيسة وأن للقسوس سلطاناً في ترتيب أمورها وأنها وضعت لأجل البنيان وواجب الخضوع لها لأن غايتها اللياقة والترتيب ١كو ١٤ : ٤٠ راجع مغنى الطلاب صحيفة ٨٦.

أما التعاليم الموجودة في الكنيسة تنقسم إلى قسمين أولهما خاص بقواعد الإيمان وترتيب الأسرار ويسمى عقائدي. والثاني يختص بنظام الكنيسة وإدارتها وكيفية ممارسة الخدم الإلهية ويسمى طقسي. أما الأول فسنتكلم عنه بالتفصيل في محله والآن نتكلم عن الترتيبات الكنسية والغرض منها بوجه عام.

الفصل العاشـــر
«الترتيبات الكنسية عـامـــة»

لا يخفى أن لكل دين من الأديان نظام موضوع يسير عليه المؤمنين به وهو لازم ليست للأديان فقط بل لكل هيئة عمومية أيضاً. لأن الدين بلا نظام كالبنيان بدون أساس. هو روح الوجود كما قال العلماء..

وإذا بحثنا عن أسباب ارتقاء الأمم ونجاحها وتقدمها لوجدناها محصورة في النظام وكذلك الشعوب المنحطة نجد أسباب انحطاطها مخالفتها للنظام وبعدها عن الترتيب فلا تلبث أن تسود عليها الفوضى ويتسلط الإرتباك على أمورها فتبالي بالذل والخمول. وما يقال عن الشعوب والحكومات المدنية يقال عن الأديان. والدين المسيحي الذي امتاز عن غيره بكماله وسمو مبادئه ونقاوة تعاليمه لم يكن دين فوضى لا قاعدة له ولا نظام. بل هو دين مبني على قواعد محكمة وأنظمة سديدة وترتيبات صالحة سواء ما كان متعلقاً بالآداب والشريعة. أو مختصاً بالخدم الإلهية. وعليه قال الرسول (وليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب» ١كو ١٤ : ٤٠ بل أنه أمر بإجتناب كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذي أخذه منه طالباً أن يتمثل به لأنه لم يسلك بلا ترتيب بين المؤمنين ٢تس ٣ : ٦ و ٧ والغرض من وضع النظام أو الترتيب توحيد الكنيسة في كل أعمالها وأمور عبادتها لتكون متحدة في كل نظاماتها الروحية وخدمها الدينية في كل مكان كإتحادها في الإيمان الواحد والمعمودية الواحدة وعبادتها للإله الواحد أف ٤ : ٤ وذلك إتماماً للوحدة التي أشار إليها المخلص في صلوته الوداعية لله الآب بقوله: (ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.. كما أننا نحن واحد) يو ١٧ : ٢١ و

٢٢ وهكذا القديس أغناتيوس وجميع الآباء يعلمون برأي واحد اتحاد الكنيسة يقوم بوحدة الروح الذي فيها وبوحدة رأسها يسوع المسيح.

على أنه إذا رأينا بعض هذه الترتيبات لم يؤيد بأمر صريح في الكتاب كعماد الأطفال. وحفظ يوم الرب. وترتيب السواعي للصلاة وتعيين أوقات للصوم. فليس معناه أنها غير قانونية بل يدل قانونيتها أنها من نفس المصدر الذي جاء به الكتاب وأتت بنفس الطريقة التي أتى بها الكتاب نفسه إنما على أيدي كثير في أوقات مختلفة.

فما أحلى وأبهج أمنية المؤمنين الذين يتمنون أن تكون كل الكنائس سائرة في طريق واحد في التعليم والنظام والترتيب والعقيدة ومرتبطة بنظام واحد في التهذيب وتمارس طقوساً واحدة في العبادة ولها سياسة واحدة. هذا أمر مفرح ومعزي وآيل إلي سلامة الكنيسة عن كل تشويش ونجاتها من شرور التفريق والإنقسام.

ان اتحاد المؤمنين في أي مبدأ من مبادئ السلام والرقي الصحيح ووحدة القلوب ورابطة النفوس يؤدي بهم إلى النجاح التام فكم أحرى إذا كان هذا الإتحاد في روح العبادة فإنه يسربلهم بنعمة القبول ويشملهم ببركة الرضوان إذ حيثما حل الروح القدس على التلاميذ كان الجميع معاً بنفس واحدة في عبادتهم أع ١ : ١٤ و ٢ : ١ و ٢٦ وعندما رفعوا صوتاً واحداً في العبادة تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه أع ٤ : ٣١.

وعرف الرسل ومعلموا الكنيسة هذه المبادئ السامية والأساس الراسخ فوضعوا عليه بنيان عبادتهم إذ كانت الكنيسة إلى الجيل الرابع كلها تعبد الله بمبدأ واحد واتفاق واحد ورأي واحد ونفس واحدة. ولما انقسمت صار لكل منها عبادة متفقة وصلوات معلومة. ومن ذلك الكنيسة الأرثوذكسية فهي على مبادئها الرسولية متحدة في طريق عبادتها. فالفصول الانجيلية وصلوات القداس والمواعظ والألحان الكنائسية التي تتلى هنا تقال في كل كنيسة أرثوذكسية لأن ترتيب الرب واحد حيث الكنيسة واحدة. فيلزم

وينبغي أن تكون عبادتها واحدة للرب الواحد غير أن الاخوة البروتستانت خالفوا هذه المبادئ القويمة وبذلك تكون عبادتهم مغايرة لخطة الرسل والأجيال المسيحية الأولى والكنائس القديمة شرقاً وغرباً وإن كان بعضهم أدرك لزوم الوحدة في العبادة فرتبوا دروس مدارس الأحد. وترتيب أسبوع الصلاة السنوي. وبعض أمور أخرى اقتطفوها بعد الإختبار واقتبسوا فوائدها من الكنيسة الأرثوذكسية [١].

ومما يدل على وجوب وفائدة النظام الترتيب في توحيد التعاليم الكنائسية أن الطوائف الانجيلية التي رفعت عن كاهلها هذا النير الشريف. نير النظام والترتيب شعرت بالعواقب الوخيمة التي نتجت من الفوضى التي عليها وحدت الكنائس التي يسمونها تقليدية لنظامها حتى أن مؤرخهم موسيهم قال في هذا الصدد ما يأتي :

«ان الكنيسة التي ترغب في أن تسمى المصلحة. أو الكنيسة الإنجيلية المصلحة وكان يسميها مقاوموها سابقاً الكنيسة الزونكلية والكلفينية تكاد تختلف عن جميع من سواها لأن جميع الكنائس الأخرى ترتبط بنظام واحد من التعليم والتهذيب وليست كذلك الكنائس المصلحة فإنها لا تعتقد اعتقاداً واحداً لأن عندها قوانين إيمان مختلفة عن بعضها كثيراً ولا تمارس طرقاً وطقوساً واحدة للعبادة ولم تكن في كل مكان على ترتيب واحد وسياسة واحدة. ومن المعلوم لا تطلب هذه الكنيسة من قسوسها أن يعتقدوا أو يعلموا شيئاً واحداً بل تسمح بأن يختلف في شرح تفسير قضايا تعليمية كثيرة ليست بقليلة الأهمية أ. هـ [٢].

هذا اعتراف البروتستانت نقلا عن كتبهم بصحة الترتيبات الكنسية وبمخالفتهم هم لها وهو ما يحمل أبناء كنيستنا على الثقة بصحة تعاليم

---

(١) بستان الأذهان صحيفة ٦٥ و ٦٦.

(٢) قرن ١٦ . ف ٦ : صحيفة ٥٧٧.

الكنيسة ونظاماتها الروحية المؤسسة على دعائم الكتب الإلهية لا سيما وقد ثبت من شهادات الأجانب عنها أنها الكنيسة الوحيدة التي حافظت على تعاليمها ومعتقدها وسارت على نظام واحد وتعليم واحد – هو الذي تسلمته من الرب نفسه ومن رسله القديسين منذ العصر الرسولي إلى الآن. ومن الواجب الإحتفاظ بها والسير عليها ١كو ١١ : ١ و ٢ تس ٢ : ١٥.

ومما يجدر ذكره أن موسى ويشوع وداود وضعوا ترتيبات لقومهم ١أى ١٦ : ٤ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٦ ونح ١٢ : ٢٤ وهؤلاء ساروا عليها ولم يحيدوا عنها يميناً أو شمالا كأنها من الله نفسه ثم أن استير فرضت صوماً على شعبها وفرضت عليهم أيضاً ومردخاي أو يعيدوا يومي الفوريم واليهود قبلوا على أنفسهم ما فرض عليها وعلى جميع الذين يلتصقون بهم. ويوماً الفور هذان لا يزولان من وسط اليهود وذكرهما لا يفنى من نسلهم كما أوجبوا على أنفسهم أمور الأصوام اش ٤ و ٩ – فهل غضب الله عليهم ورفض أصوامهم وأعيادهم وترتيباتهم التي رتبوها؟ كلا. بل سر بهم وقدسها وباركها.

ثم أن يهوذا المكابي فرض عيد التجديد على قومه وهؤلاء حافظوا عليه. والمسيح رضي به وحفظه بدليل حضوره فيه يو ١٠ : ٢٢ و ٢٣ فإذا كان الشعب قديماً قد خضع لهذه الترتيبات ويسوع نفسه أعطانا مثالاً لذلك. أفلا يجب علينا نحن أن نخضع لتعاليم الرسل وخلفائهم مادامت موافقة لروح الكتاب ومفيدة لبنيان الكنيسة. فقد أمر القديس بولس بوجوب ذلك قائلا (اخضعوا لمرشديكم وأطيعوهم) عب ١٣ : ١٧ وبطرس الرسول يقول (فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب) ١بط ٢ : ١٣ ولا ريب أن الله الذي سر بأولاد ركاب الذين أطاعوا وصية أبيهم ولم يخالفوها ار ٣٥ : ٦ يسر بطاعتنا للكنيسة ويباركنا أيضاً لا سيما وهو الذي طلب ذلك لو ١٠ : ١٦.



الفصل الحادي عشر

«الكنيسة من حيث هي بناء»

إن المراد بهذه الكنيسة هو البناء المشيد المكرس لله والمقدس بصلوة خصوصية تدعى صلوة التكريس أو التدشين على ما جاء في ١مل: ٨و ٩و ٢ أى ٦ و ٧ والمخصص لإجتماع المؤمنين لتقديم شعائر العبادة فيه مجتمعين معاً حيث يحضرون خدمة القداس الإلهي ويسمعون الوعظ والتعليم ويتناولون الأسرار الإلهية مشتركين في تمجيد خالقهم وتسبيح فاديهم[1].

وقد اصطلحت الكنيسة على تسمية المكان الذي يعبد فيه المسيحيون ربهم باسم «كنيسة» من باب تسمية المحل باسم الحال فيه. فما دام أن جماعة المؤمنين يسمون كنيسة وهذه الكنيسة اجتمعت لعبادة فاديها في مكان معين سموه باسمها وهذه التسمية من صنع الرسل أنفسهم ١كو ١١ : ١٧ و ١٨ ، ١٤ : ٣٤.

ولا يزال هذا الإصطلاح «كنيسة» معروفاً للجميع بل يستعملونه فإنهم يقولون الكنيسة القبطية الكنيسة اليونانية أو الكاثوليكية وإنما يعنون بذلك بوجه الإجمال الشعوب لا أبنية معينة. ولكن هذا يقال في التعميم لا في التخصيص فإذا عينوا جهة يقصدون البنيان أو المكان المشيد الذي يؤمه المؤمنون لا المؤمنين أنفسهم.

---

(١) اش ٢ : ٣ ومر ١٢ : ٣٥ ولو ٣٤ : ٥٣ وأع ٢ :٤٦ ، ٣ : ١ و ٥: ٢٠ و ٢١ ، ١٣: ٥ و ١كو ١١ : ١٨ ، ١٤ : ٣٤ وعب ١٠ : ٢٥.

ومما تجب ملاحظته أن في عصر الآباء الأولين إلى عهد موسى لم تكن كنائس كالتي يراها المؤمنون الآن مخصصة لعبادة الله. بل كان الآباء يعبدون الله في الجبال والأودية وحيثما وجدوا وحلوا. ذلك لأن الظروف التي أحاطت بهم جعلتهم مطلقين لعدم وجود شعوب تدين لله في أيامهم وتضرهم إلى تخصيص مكان للإجتماع وللعبادة معاً. ولكن لما جاء موسى بالإسرائيليين من مصر إلى أرض كنعان صنع المسكن بأمر الرب نفسه وكان هذا المسكن غير مبنى بالحجارة والأجر بل خيمة خر ٢٥ : ٢٧ وكنيسة رحالة طوافة أي متنقلة: لأن ظروف الإسرائيلين كان منها التيه ومتابعة السفر إلى أرض الموعد.

وقد بقي الأمر معهم على هذا الحل. إلى زمن سليمان ولم يكن لهم بناء مشيد لأنهم بعد وصولهم لأرض كنعان كانوا في حروب مستمرة مع الأمم والشعوب والقبائل وهذه للظروف طبعاً تحول دون تشييد الأبنية للسكنى فضلاً عن تشييدها للعبادة.

أما وقد استتب الأمن والراحة والسلام وتوطن الإسرائيليون في الأرض التي كانوا يحنون إليها. بنى سليمان بيتاً للرب ١مل ٦ : ٢ أي ٣ : ٤ فكان أول كنيسة شيدت بالحجارة وخصصت وكرست لعبادة الله في العهد القديم وتدشن وتقدس بحلول مجد الله فيه ١مل ٨:٩، ٢ ٢ أى ٦ : ٧ وقد كان رمزاً إلى المسيح يو ٢ :٢١ وعب ٨ :٢ وقد أطلق على هذا البيت اسم الهيكل كما رأيت «من باب تسمية الكل باسم الجزء» الذي لا يزال ذكره يتردد في الكتاب المقدس.

وكان بناء هذا البيت أو الهيكل أو «الكنيسة» بالهام من الله لداود الذي أكلت نار الرغبة أحشاءه فتمنى أن يبني بيتاً للرب يعبد فيه ٢ صم ٧ :١ أي ١٧ ، ومز ١٣٢ : ٤، ٥ يتضح ذلك من قول داود نفسه. قد أفهمني الرب كل ذلك بالكتابة بيده على أي كل أشغال المثال وأعطى داود سليمان ابنه مثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب أي ٢٨ : ٢٩.

وفي العهد الجديد لم تشيد الكنائس حالا بل كان المؤمنون يجتمعون حيثما تيسر لهم مكان للإجتماع وأول مكان اجتمع فيه الرسل هو العلية أع ١ : ١٣ و ١٤ حيث حل عليهم الروح القدس فيها أع ٢ : ٢ و ٣ وأحياناً في الهيكل أع ٢ : ٤٦ حيث حل عليهم الروح القدس فيها أع ٢ :٢ و ٣ وأحياناً في الهيكل أع ٢ : ٤٦ ذلك لأن ظروف المسيحيين لم تكن أرحب من ظروف الإسرائيليين لأن الضيقات المتنوعة المرة القاسية والعذابات الشديدة التي لاقوها حالت دون تشييد أماكن خصوصية للعبادة حتى يعين لها اسم تعرف به. فكانوا يجتمعون في بيوت بعضهم بعضاً إذا آمنوا سطوة القساة الظالمين ومطاردة المستبدين الجائرين وعندما ينفون أو يهربون إلى جهات مختلفة كانوا يجتمعون لإقامة الصلوة وتأدية فروض العبادة في محل واحد يسمونه «كنيسة».

ولما استتب الأمن للمسيحيين أخذوا في تشييد أماكن للعبادة وبيوت الصلاة وقد كان في أول الأمر في كل مدينة كنيسة واحدة يجتمع فيها الشعب وفي مقدمته أسقفه إذ كان لكل كنيسة أسقف [١] ثم لم امتد الإيمان في المدن والقرى كان المؤمنون يحضرون إلى كنيسة المدينة التابعين لها ويصلون غير أن الظروف اقتضت بعد ذلك أن تزاد عدد الكنائس نظراً لزيادة المؤمنين إذ لم تعد الكنيسة الواحدة كافية لإجتماعهم وخصوصاً لما كان يتكبده مؤمنوا القرى والمدن من التعب في حضورهم إلى الكنيسة فشيدت كنائس أخرى في جهات كثيرة كان يتولاها الأسقف بنفسه [٢] وهكذا أخذت الكنائس في إزدياد وعلى الخصوص في زمن الأنبا ثاؤفيلس البطريرك إذ ضاقت أماكن العبادة بالمصلين فطلب منه المؤمنون أن يتخذ البراري المهجورة ويستعملها كنائس فأجابهم إلى طلبهم وكتب للحكومة وهذه رفضت بدعوى أن هذه الأماكن أثرية. ولكنه سعى جهده حتى

---

(١) تاريخ الإنشقاق جز ١.

(٢) تاريخ الكنيسة وجه ٨٣.

تحصل عليها بأمر الملك تأودوسيوس ومن ثم أخذ في تشييدها وجعلها بيوتاً للصلاة حتى ضرب به المثل «كثاؤفيلس باني الكنائس» [١] وكما كثرت الكنائس في مصر هكذا ازدادت في أورشليم وغيرها بأمر الملكة هيلانة أم قسطنطين الملك التي بنت كنيسة القيامة.

ومما يستحق الإعتابر أنه رغماً عن كل التقلبات التي طرأت على المؤمنين. والمحن التي أصابتهم بعد هذا استمروا محافظين على كيانهم ثابتين على إيمانهم، متمسكين بما شيدوه من الكنائس. وكلما ازدادوا طمأنينة واتسع لهم مجال الحرية وكثر عديدهم زادوا في أبنية الكنائس وتفننوا في تسميتها وتسابقوا في تشييدها إلى أن صارت أعظم بروج، وأكبر حصون» وأفخر قصور. موجودة وتوجد على أديم الغبراء. هذه هي الكنيسة الأرضية أو الحرفية وهذا هو المراد منها وكيفية إنشائها وسبب وتاريخ ظروف وجودها. جئنا به لتفهيم بعض المؤمنين ما لم يفهموه عنها.



(١) تاريخ الكنيسة وجه ٧٣.

الفصل الثاني عشر

«كيفية بناء الكنائس [بيوت الصلوة] »

في سفر الخروج نرى أن الله تبارك اسمه لما أمر موسى بصنع المسكن أصعده إلى الجبل وهناك أراه الرسم. ثم أمره بصنع المسكن على المثال الذي أراه إياه خر ٥ : ٤ لم يذكر الكتاب شيئاً عن ماهية ذلك الرسم ولكن الرسول أظهره في كلامه عن الكنيسة بقوله. الذين يخدمون شبه السمويات وظلها كما أوحى إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن لأنه قال أنظر أن تصنع كل شئ حسب المثال الذي أظهر لك في الجبل عب ٨ : ٥.

كان هذا المسكن منقسماً إلى ثلاثة أقسام غير دار الأمم (١) الدار الخاص بالشعب. (٢) المسكن الذي يقال له القدس الخاص بالكهنة. (٣) وراء الحجاب الثاني للمسكن الذي يقال له قدس الأقداس... الذي لا يدخله إلا رئيس الكهنة فقط مرة في السنة عب ٩ :٢ - ٧ وكذلك صنع سليمان الهيكل حسب المثال الذي أعطاه الله لداود أبيه بالروح ١ أي ٢٨ : ١١ و ١٢ و ١٩.

أما في العهد الجديد فقد رأت الرسل أن تبنى الكنائس على النظام الذي وضعه الله مع تغيير طفيف تستلزمه هيئة العبادة المسيحية إذ جعلته على هيئة التابوت مربعاً أو مستطيلاً «من الشرق إلى الغرب» على شكل بيضوي كالسفينة أو الفلك» تك ٦ : ١٥ وذلك كما يقول معلموا الكنيسة أن اختيار البناء على هذا الرسم دليل على أن المسيحيين ليس لهم على الأرض وطن باق. فيقتضي أن يكونوا دائماً على سفر متواصل

موجهين أفكارهم نحو الميناء السموي بيتهم الأبدهم. ولهذا البناء رسم آخر شكل صليب. لأنه بالصليب كان الخلاص وهو عندنا نحن المخلصين قوة الله ونحن نكرز به مصلوبا ١كو ١٠ : ١٨ و ٢٣ وهو موضوع فخرنا غل ٦ ، ١٤ وهو مجد الكنيسة وثبات المؤمنين: والطريق الأمين الذي به يستطيع المؤمن أن يبلغ إلى معرفة الله ومجد الأبد لو ٢٤ : ٢٦ ورو ٨ : ١٧ و ٢ كو ٤ : ١٧.

وبناء الكنيسة على كلا الرسمين ينقسم إلى قسمين: الأول محل وقوف الشعب. الثاني – الهيكل.

وقد فصل بينهما بحاجز خشبي غالباً أو من الحجر ويطلق على هذا الحاجز اسم الحجاب وسنتكلم على كل منهما بالتفصيل.

[١] محل وقوف الشعب

هو المكان الخاص بالشعب حيث يجتمعون معاً للصلوة والإشتراك مع الكاهن في تقدمة القداس والتأمين على دعائه ١كو ١٤ : ١٦ وسماع الكتب الإلهية والوعظ والتعليم مع الشمامسة والمرتلين الذين يقفون عادة بالقرب من باب الهيكل إلى اليمين وإلى اليسار. وقد قضى النظام الكنائسي أن توجد في هذا القسم صفوف تفصل بينها حواجز خشبية تسمى خوارس [١].

---

(١) خوارس جمع خورس وهي كلمة يونانية معناها «حاجز» ليفصل بين صف وآخر بحسب درجات التائبين وعددها أربعة (١) صف الباكين الذين كانوا يقفون في مدخل الكنيسة ويطلبون إلى الداخلين أن يصلوا من أجلهم (٢) صف السامعين الذين كان مسموحاً لهم أن يدخلوا إلى الكنيسة ويقفوا في موضع خاص بهم لسماع ===

ويوضع في هذا القسم المنجلية والمنبر والمنارة وكرسي الأسقف وتعلق المصابيح والثريات للإضاءة وبيض النعام للزينة وفيه تتمم الكنيسة صلوات مسح المرضى وسر الزيجة المقدس وغيرهما من الطقوس الكنسية والخدم الدينية المتنوعة.

[٢] الهيكل

هو المكان الحاوي للمذبح الذي تقدس عليه القرابين بكلمة الله والصلوة ١تى ٤ : ٥ ولا يخفى أن الله لما فرض على الإسرائيليين الذبائح أمرهم بإقامة مذابح لها وأمر أن تكون في مكان خاص بها خر ٤٠ : ٣- ٦ وفي أيام سليمان لم توضع المذابح إلا داخل الهياكل ٢أي ٤ : ٨.

وبما أن الذبيحة لم تبطل في العهد الجديد بل تغيرت في شكلها وجوهرها اللذين كانت عليهما ذبيحة العهد القديم. وجب أن يكون لهذه الذبيحة مذبح. وأن يكون لهذا المذبح مكان خاص أطلقت عليه الكنيسة اسم هيكل. وقد قال القديس أغسطينوس في كلامه على رؤ ٢٠ : ٦ في شأن الهيكل ما نصه: «أن البشير يدلنا بقوله أنهم يكونون كهنة الله والمسيح على أن المسيح إله أيضاً لأن أولئك الذين سموا كهنة لله هم أيضاً سموا كهنة للمسيح فكما أن الهياكل والمذابح تسام لله وحده هكذا الكهنة فإنهم يسامون لله أيضاً. لأن الكاهن من وظيفته أن يقدم وحدة الذبيحة والذبيحة لا تقدم إلا لله فالكاهن إذاً لله. فمن ثم كانت هذه الأربعة وهي

=== قراءة الكتب الإلهية ويشتركوا في الصلوة (٣) صف الراكعين الذين كانوا يركعون أمام باب الهيكل إلى نهاية الصلوات (٤) صف المشتركين الذين صرح لهم أن يقفوا ضمن الهيكل وأن يشتركوا في الصلوات مع المؤمنين دون أن يتناولوا الأسرار المقدسة م.م.أ.ق ١٢ و ١١٣ و ١٤ راج تاريخ الكنيسة ق١.

الكاهن. والذبيحة. والهيكل. والمذبح. يضاف بعضها إلى بعض لأن الكاهن كاهن الذبيحة والذبيحة ذبيحة الكاهن. ثم أن الكاهن والذبيحة هما للمذبح والهيكل وهذين للكاهن والذبيحة فمن وجبت له واحدة من هذه وجبت له الأربعة كلها وهذه لا تجب إلا لله وحده».

هذا ولإقناع المخالفين نرى أن نختم هذا الفصل بما قاله الدكتور يوحنا هوج في كتاب مرآة الإكتشاف صحيفة ٢٦ و ٣١ الذي رد به على شيعة بليموس. أن الكنيسة المسيحية الرسولية قد تسلمت من المجمع اليهودي أصول نظامها، وطريقة سياستها، ومعظم صور عبادتها وذلك بتعيين المسيح نفسه الذي كان حجر زاوية هذا وذاك.. أن الرسل في وضع نظام كنيسة العهد الجديد لم يرسموا رسماً جديداً بل اتخذوا هيئة النظام الموجودة بين أيديهم في المجامع اليهودية» وعلق على هذه الشهادة أحد العلماء فقال. «وهذه شهادة أمام البروتستانت في مصر وكفى بها دليلاً وبرهاناً على أن الحجاب والهيكل والمذبح والمجمرة والبخور وطقوس ورسوم وصور العبادة الرسولية مأخوذة عن اليهود. وأعلم أن هذه الأمور تتعلق بأمر العشاء السري الذي أن ثبت أنه جسد المسيح ودم المخلص وبالتالي ذبيحته الفدائية كانت لازمة معه لزوم الكساء للجسم وإلا فلا».

وقد حصرت القوانين [١] دخول الهيكل في الشمامسة والكهنة وقت الخدمة الإلهية [٢] وربما كان السبب تخلصاً من الزحام ومنعاً لما عساه أن

---

(١) القوانين جمع قانون وسمي هكذا في رسائل القديس بولس غل ٦ :١٦ وفي ٣ : ١٦ وقد أطلقت الكنيسة هذا اللقب على قوانين المجامع والآباء القديسين وجعلته خاصاً لكل قانون كنائسي يبحث عن الإدارة والترتيب تمييزاً له عن قوانين الإيمان التي تسمى عقائد وأما الآن فتطلق هذه التسمية على القوانين القديمة التي وضعت وقبلت في المجامع المسكونة.

(٢) مجمع اللاذقية ق ١٩ وهذا المجمع التأم نحو سن– ٣٦٧ م.

يقع من المحظورات. يدل ذلك على التصريح لراغبي الإشتراك في الإفخارستيا أن يدخلوا إليه ولو كانوا من غير الكهنة والشمامسة كما جاء في أوامر الرسل [(١)] ومجمع نقية [(٢)] وإنما لم تصرح للمفروزين [(٣)] بأحكام كنائسية والموعوظين [(٤)] الذين تحت الدخول في الإيمان كما لم تسمح للنساء أن يدخلن إليه ولا يصلين فيه [(٥)]



---

(١) ق ٥٢ من ٧١.

(٢) وليتقرب الأسقف أولاً وبعده القس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور يتناول النساء وليرتل إلى أن يتناول القربان كافة المؤمنين ق ١٧ من ٢٠ وهو أول مجمع مسكوني التأم سنة ٣٢٥ في زمن قسطنطين الملك للنظر في تعليم أريوس القس الأسكندري الذي أنكر لاهوت المسيح وعدد أعضائه ٣١٨. وهو الذي سن قانون الإيمان إلى قوله «ليس لملكه انقضاء» وقوانين هذا المجمع مرعية ليس عند الكنائس الرسولية بل عند الطوائف الأخرى أيضاً. والبروتستانت يعترفون به ويقبلون تعاليمه فقد جاء في كتاب نظام التعليم في اللاهوت القويم ما نصه «أوجه الانفاق بين الكنيسة الإنجيلية والشرقية الإيمان بالكتاب المقدس وقبول تعاليم وقوانين الإيمان للمجامع الثلاثة الأولى المسكونة س ١٧ وجه ١١٣ انظر ايضا س ١٥ وجه ١٠٩ والحاشية لكتاب الصلوة العامة للكنيسة الأسقفية وجه ٥٢٦.

(٣) دسقولية باب ١٥ : ق ٢٠.

(٤) دسقولية باب ٢٠.

(٤) مجمع لاذقية ق ٤٤.

(٥) ق. ر.. ١ من ٣٠ والمجموع الصفوي باب ٤.

الفصل الثالث عشر

«بناء الكنائس إلى جهة المشرق»

ان القوانين الكنسية أمرت أن تقام المعابد إلى جهة الشرق وقد علل الآباء ذلك بقولهم أن الشمس الطبيعية تطلع من ناحية الشرق وتضيء بنورها كل المسكونة مبددة الظلام منعشة بحرارتها الأجسام هكذا شمس البر يسوع معبودنا الذي أشرق علينا من مشرق مجده الأعلى إلى مغرب طبيعتنا الأدنى وسطع بنور تجسده المنيف مبدداً ظلمات الخطية ودعانا من الظلمة إلى نوره العجيب ١بط ٢ : ٩ وأتى بنا إلى معرفة الله الحقيقية. والنجم الذي أهدى المجوس إلى يسوع ظهر في المشرق. والمسيح الذي دعى شمس البر والشفاء في أجنحتها مل ٤ :٢ ولد في اليهودية وهي في المشرق وفيها علم وتألم وقبر وقام وصعد إلى السماء كما أتى من المشرق. قال النبي رتلوا لله الذي صعد إلى السماء نحو المشارق مز ١٧ : ٨ «طبعة رومية» وهو مزمع أن يأتي من المشارق مت ٢٤ : ٢٧ وقد تأسست في الشرق أول كنيسة مسيحية على الأرض وصارت هذه الكنيسة كأنها فردوس جديد كما كانت الجنة التي غرسها الرب الإله في عدن شرقاً تك ٢ : ٨ والمسيح نفسه الذي له كل جهات الأرض. وكل الأرض وملؤها مز ٢٤ : ١ فضل هذه الجهة وميزها عن غيرها مت ٨ : ١١ ولو ١٣ : ٢٩ .

وغرض الكنيسة من إقامة المعابد إلى جهة الشرق توجيه أنظار وقلوب بنيها وقت العبادة إلى المشارق حيث أتى الخلاص وينتظرن المواعيد وينالون البركات ويذكرون وطنهم القديم الذي خرجوا منه ونفوا بعيداً عنه حانين إلى الرجوع إليه مشتاقين إلى السكن فيه راجع مز ٢٦ :٨، ٢٧ : ٤ ، ٦٥ :

٤ ، ٨٤ : ١ .

هذا وقد جاء في الدسقولية (١) وأن ينظروا إلى الشرق «وقت القداس» ويسألوا الله الذي صعد إلى السماء في الشرق ويذكروا مسكنهم القديم الذي هو الفردوس الذي خرج منه آدم الإنسان الأول لما رضى بمشورة الحية ورفض وصية الرب تك ٣ : ١١ «وسترى إيضاحاً أكثر في الباب الثاني عن الإتجاه نحو الشرق».



(١) دسقولية لفظة يونانية صحتها «لذيذاً سكسولياً» وهي من أقوال الرسل بدليل أن أكثر تعاليمها وقوانينها كررتها المجامع المسكونية والمكانية التي اجتمعت في القرون الأولى وأثبتتها في قوانينها وتهددت بالقصاصات كل من يجسر على نقضها م.م.ق ١٢ و ١٥ هذا فضلا عن أن آباء الكنيسة كانوا يستندون عليها في تأليفهم ويتخذونها كحجة لأقوالهم وكتاباتهم م.م ٣ : ٨«أما الكتب التي تحتوي على تعاليم الرسل وقوانينهم فتقسم إلى قسمين الأول ما سنه الرسل في العلية وعدته ٣٠ قانوناً أجمعت على صحتها كل الكنائس الشرقية والثاني يحتوي على وصايا وتعاليم أرسلت إلى المؤمنين على يد اكليمس وعدته ١٣ قانوناً وهي مرعية عند كل الكنائس شرقاً وغرباً وهذه الكتب اجتمعت عندنا في كتابين الأول يحوي ٧١ والآخر ٥٦ ولا اختلاف فيها عما في الطوائف الأخرى إلا في اللفظ فقط دون المعنى وقيل أن جامعها هو اكليمس أسقف رومية وبعضهم يقول أن كاتبها هو اكليمس الأسكندري من آباء القرن الثاني» راجع جريدة الحق سنة أولى عدد ١٢ .

الفصل الرابع عشر
«تسمية الكنائس بأسماء العذراء والرسل والشهداء»

لا يخفى أن بيوت الصلوة أو الكنائس كلها بيوت للرب مز ٢٧ : ٤ وقد دعى باسمه عليها تث ١٢ : ١١ واختارها لسكناه مع شعبه خر ٢٥ : ٨ و ١مل ٦ : ١٢ و ٢ كو ٦ : ١٦ وهي خصصت لعبادته تعالى وتعليم شريعته اش ٢ : ٢ ولأجل ذلك يقول الرب مقدسي تهابون لا ١٩ : ٣٠ وهي محل بيته وموضع مسكن مجده مز ٢٦ : ٨.

غير أن الكنيسة قد اعتادت منذ العصر الرسولي أن تشيد معابدها لله وتدعوها بأسماء العذراء والرسل والشهداء.

ولا يخفى أن اسناد الشيء لواضعه أو قائلة لا يوجبه دائماً له كما قال العلماء [1] فإذا دعونا الكنائس بأسماء قديسي العلى فذلك ليس معناه أنها لهم أو أقيمت لأجلهم. حاشا: فهي لله إنما الكنيسة تفعل ذلك.

أولاً: لتكريمهم. وتكريمهم إكراماً لله الذي أكرمهم وجعلهم كنفسه لو ١٠ : ١٦ وخصهم بما خص به ذاته من السلطان مت ١٩ : ٢٧ بما وهبهم من المواهب يو ٢٠ : ٢١ - ٢٣ وصنع على أيديهم من المعجزات أع ٥ : ١٢ وهم مجدوا اسمه واشتركوا معه في بنيان كنيسته أف ٢ : ٢٠.

---

(١) مرآة الحقائق صحيفة ٢٧٣.

وضعوا نفوسهم لأجل اسمه والمحامة عن الانجيل وجعل كل مسرته بهم مز ١٦ : ٣.

ثانياً: لتمييز هذه الكنائس عن بعضها لمعرفتها كما وضعت الأسماء للناس لمعرفتهم بها وتميزهم عن بعضهم بعضاً، وللكنيسة أدلة على جواز ذلك من الكتاب المقدس نفسه.

[١] من تسمية الله نفسه باسم قديسيه إبراهيم واسحق ويعقوب راجع خر ٣ : ٦، ٤ : ٥ ومت ٢٢ : ٣٢ وأع ٧ : ٣٢ والأنبياء في صلواتهم دعوة كذلك ١ مل ١٨ : ٣٦.

[٢] من نسبة هيكل أورشليم إلى سليمان فهو هيكل الله ولكن قيل أنه هيكل سليمان لأنه وضعه.

[٣] وقد سمى الله شريعته باسم موسى بقوله: اذكروا شريعة موسى عبدي مل ٤ : ٤ وتسميته سفر النشيد باسم «نشيد الأنشاد» الذي لسليمان نش ١ : ١ ورؤيا أشعياء النبي باسمه اش ١ : ١ وهكذا سفر أرميا دعي أنه كلام أرميا ١ : ١.

ومن ذلك تسمية المزامير بأسماء واضعيها كداود وأساف مز ٨٣ وموسى مز ٩٠ وإيثان الأزراحي مز ٨٩ وبني قورح مز ٨٧ وغيرهم ومعلوم أن هذه المزامير والأسفار كلام الله لا كلام الأنبياء بالذات لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس ٢بط ١ : ٢١ وكل الكتاب موحى به من الله و ٢تي ٣ : ١٦ فتسمية هذه الأسفار بأسمائهم لا يفيد ولا يدل على أنها لهم. وكونها ليست لهم لا يمنع من تسميتها باسمهم تكريماً لهم وتميزاً لها عن غيرها من التسابيح والأسفار التي وضعها غيرهم.

[٤] من تدوين أسماء رسل المسيح على أسس الكنيسة السموية إذ قيل وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الإثنى

عشر رؤ ٢١ : ١٤ وعلى هذا جمعت سائر الكنائس شرقاً وغرباً: وللكنيسة الأسقفية في لندن كنائس مدعوة بأسماء منها «سانت بول وسانت جورج وسانت ميشيل»

والبروتستانت أنفسهم سموا النشيد الذي رنمه موسى وقومه حال خروجهم من البحر الأحمر باسمه وكذلك النشيد الذي و ضعه قبل موته راجع خلاصة خر ١٥ : ١ ، ٢ صم ٢٢ : ١ .

هذه الأدلة الكتابية التي استندت عليها الكنيسة في تسمية معابدها بأسماء رجال الله القديسين وفيها الإقناع لمن أراد الإقتناع وأما أهل التحزب فلا يطاوعون الحق رو ٢ : ٨ وغل ٣ : ١ .



الفصل الخامس عشر

« أوانـــي الخـدمـــة »

الأواني الكنسية «وسيأتي بيانها» هى ما تستعمل في خدمة الإلهيات لأجل تكميل الخدمة بها وهي من لوازمها. وهي نوعان: (١) الأقمشة أو الحلل. (٢) الأواني.

فالحلل أو الأقمشة هي كل ما يلزم للخدمة من ملابس كهنوتية وأستار ولفائف وغير ذلك من مستلزمات أو مستحفظات الخدمة أما الأواني فهي كل ما يلزم لإتمام الخدمة كالكأس والصنية. والقبة والمستير. والشورة أو المجمرة.

وبما أن هذه الأواني تستعمل في خدمة الأسرار وجب تقديسها. فقدستها الكنيسة بالصلوة وكلمة الله ١ تى ٤ : ٥ وبمسحها بدهن المسحة ولكن ليس كما يمسح المعمدون بعد عمادهم بل برشمها فقط بمثال الصليب بدون أن يسكب منه شئ عليها.

والغرض من ذلك تكريسها وجعلها مخصصة للخدمة الإلهية فقط حتى لا تستعمل في غير ما وضعت أو خصصت له. والممسوح بدهن المسحة يصير مقدساً خر ٤٠ : ١٩ أي مكرساً لله وقد رأت الكنيسة وجوب مسحها وتقديسها على مثال ما أمر به الله موسى بأن يمسح بدهن المسحة خيمة الإجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وآنيتها ومذبح المحرقة وكل آنيته وهكذا الثياب المخصصة للخدمة لتكون مقدسة كلما مسها يكون مقدساً خر ٣٠ : ٢٩ ولا ٨: ٣٠.

وقد جاء في رسالة بطرس لاكليمس عن التكريس ما نصه «كل هيكل تبنيه اختمه بخاتم الرب الذي هو الميرون المقدس دهن السرور»

وليلاحظ أن تكريس الهياكل والأواني الكنسية خاص بالأسقف ولا يجوز ذلك للكهنة إلا بإذن منه [١].

وقد رتب الآباء صلوات خاصة لتكريس الهياكل والأواني والثياب وغيرها مما يتعلق بالخدمة المقدسة وقد منعت القوانين الكنسية استعمال هذه الأواني لغير ما وضعت له وهددت بالفرز كل من تجاسر على سرقتها أو استعمالها في غير الخدمة الخاصة بها واعتبرته سارقاً وسالباً للإلهيات.

وإذ عرفنا ذلك فلنذكر بعض هذه الأواني الخاصة بالمذبح.

(١) الكرسي

هو إناء من خشب يكون على المائدة لتوضع الكأس فيه وقد اصطلحت الكنيسة على تسميته بهذا الإسم إشارة إلى الكرسي الجالس عليه الرب اش ٦ :١ و رؤ ٤ : ٢ لأن الكأس التي فيه تحوي دم المسيح الجالس على كرسي مجده المسجود له من جميع القوات السموية.

وكما كان التابوت في العهد القديم موضوعاً فيه المن داخل قسط خر ١٦ : ٣٣ كذلك هذا الكرسي فيه المن الروحاني داخل الكأس ومنه يتغذى المسيحيون وبه يحيون يو ٦ : ٥٤.

(١) ق ٥٨ لاذقية.

(٢ و ٣) الصينية والكأس

هما من لوازم الخدمة الإلهية فيوضع في الأولى القربان وفي الثانية الخمر اللذان يتحولان بعد التقديس بقوة الروح القدس إلى جسد الرب ودمه. ونرى في الكتاب أن الرب يسوع هكذا تمم العشاء السري في صنية وكأس مت ٢٦ : ٢٦ و ٢٧. والرسل ساروا على مثاله بوضع الخمر في الكأس وسماها الرسول كأس البركة وكأس عشية الرب ١كو ١٠ : ١٦ و ٢١ وكذلك الكنيسة في القرون الأولى كانت تستعمل في الخدمة كأساً وتنقش عليها صور حمل [١]. اشارة إلى الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم والذي صالحنا بدم صليبه أف ٢ : ٣.

(٤ و ٥) القبة والمستير أو الملعقة

القبة توضع فوق الصينية ليمكن تغطيتها بلفافة بحيث لا تلامس الجسد المقدس. الموضوع فيها ومنعاً للغبار أو الهوام أما المستير باليونانية. والملعقة بالعربية فهي من لوازم الخدمة لمناولة المشتركين في جسد الرب ودمه الأقدسين بها. وقيل أن بعض الكنائس النصرانية قديماً كان يستعمل بدل المعلقة.. مقبضاً أو ملقطاً على مثال الملقط الذي أخذ به الملاك الجمرة من على المذبح ومس بها فم النبي اشعياء وقال أن هذه قد مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيئتك اش ٦ : ٦ و ٧ للدلالة على فاعلية السر مت ٢٦ : ٢٨ و يو ٦ : ٥٢ - ٦٠.

---

(١) ترتليانوس في كتابه في العفة رأس ٢.

(٦ و ٧) حق المناولة والمجمرة

حق المناولة هو وعاء من الفضة كالأواني السابقة يوضع فيه جزء من الجسد والدم الكريمين يحمله الكاهن إلى المرضى الراغبين الإشتراك في البيوت والمستشفيات: والمجمرة هي كذلك وعاء من الفضة معلق بسلاسل في آخرها خطاف وتستعمل للتبخير بها أثناء الخدمة الإلهية التي يجب أن تكون مصحوبة بالبخور مل ١ : ١١ كما سترى فيما يلي:



الفصل السادس عشر
(المـــذبـــح)

المذبح قاعدة مبنية أو مصنوعة من الخشب أو الحجر أو الآجر مربعة الشكل أو مستطيلة «للحنوب والشمال» وسمي كذلك لأن القرابين التي تقدم عليه تسمى ذبيحة من باب تسمية المحل الحال فيه.

وكان نوح أول من بنى مذبحاً للرب بعد الطوفان وقدم عليه ذبيحة فتقبل الله تقدمته وتنسم منها رائحة الرضا تك ٨: ٢٠ و ٢١ وذكر عن إبراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم في عهد الشريعة الطبيعية أنهم أقاموا مذابح للرب تك ١٢ : ٨، ١٣ : ١٨ ، ٢٦ : ٢٥ ، ٢٨ : ١٨ ، ٣٥ : ٧. ولما أعطى الله الشريعة لموسى أمره بإقامة مذبح للرب في المسكن خر ٢٧ : ١ وصنع سليمان مثله في الهيكل الذي بناه على المثال الذي أعطاه الله لداود أبيه ١مل ٦.

وفي العهد الجديد أقيمت المذابح والهياكل بأمر الرسل لا لتقدم عليها ذبائح دموية ولا تشبهاً باليهود ومذابحهم. كلا بل لتقدم عليها الذبيحة الغير الدموية ذبيحة جسد الرب الذي قدم نفسه مرة واحدة على مذبح الجلجثة فوجد فداء أبدياً عب ٩ : ١٢ وأعلنت الرسل ذلك في أوامرهم ورسائلهم كما سترى.

وعلى ذلك كان الآباء يقيمون في كل كنيسة للعبادة مذبحاً للرب تقدم عليه ذبيحة العهد الجديد التي تنبأ عنها الأنبياء وقد كانوا في بدء النصرانية يصنعونه من خشب ليسهل نقله إذا ما فاجأهم المضطهدون من أعداء الديانة ونهبوهم وطردوهم من الكنيسة ولما استتب الأمن للمسيحيين

أخذوا يبنونها من الحجر أو الآجر للدلالة على استمرار وثبات ذبيحة العهد الجديد التي تدعى دائمة دا ١١ : ٣٣، ١٢ : ١١ وأنها لن تزال أبداً حتى يأتي الرب ١ كو ١١ : ٢٦.

وقد علمت الكنيسة بوضعه في وسط الهيكل منفصلا عن الحائط الشرقي. لتكون أنظار المصلين متجهة إليه وما يقدم عليه فيذكرون الجلجثة والحمل المذبوح عليه لأجلهم. معلمة إياهم أن يجعلوا الرب دائماً أمام أعينهم حتى لا يتزعزعوا مز ١٦ : ٨ ولم يوضع ملاصقا للحائط الشرقي لسهولة الطواف حوله مز ٢٦ : ٦ بأيقونة الصلبوت أو القيامة وبالإنجيل أيضاً مع الشماس وقت الخدمة.

هذا ولكن البروتستانت ينكرون علينا وجود مذابح في كنيسة العهد الجديد ويعيرون كنيستنا به ويشبهون مذابحنا بالمذابح اليهودية ولكن للكنيسة. دلائل قاطعة مدعومة بالآيات الكتابية على إثبات وجوده (١) من نبوات العهد القديم (٢) من نصوص العهد الجديد (٣) من أقوال الآباء في الأجيال الأولى (٤) من أقوال البروتستانت أنفسهم.

أولاً من نبوات الأنبياء (١) قول الوحي الإلهي بلسان أشعياء النبي. في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر. فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة اش ١٩ : ١٩ – ٢٢ فهذه الآية تنبئ بدخول الدين المسيحي في مصر ومعرفة المصريين الرب وبوجود مذبح للرب في مصر يقدمون عليه الذبيحة. ومن المعلوم أن الإسرائيليين لم يكن لهم مكان تقدم فيه الذبائح إلا هيكل أورشليم يو ٤ : ٢٠ و ٢١ فقول النبي بوجود مذبح في مصر لا في أورشليم، مع أن المصريين كانوا وثنيين لا يعرفون الرب. يدل على أنه يشير إلى زمن المسيح بدليل قوله «في ذلك اليوم» أي في زمن ملك المسيح وبدليل إتمام هذه النبوة ودخول الإيمان المسيحي إلى مصر على يد القديس مرقص الإنجيلي وعليه الإجماع.

فالمذبح الذي تكلم عليه النبي هو المذبح الحقيقي المسيحي الذي شيده القديس مرقس في مصر ولا يزال الكهنة يقدمون عليه ذبيحة القداس.

(٢) قول ملاخي النبي «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها أسمي عظيم بين الأمم. وفي كل مكان يقرب لإسمي بخور وتقدمة طاهرة مل ١: ١٠ و ١١ وهذه النبوة إشارة إلى ذبيحة العهد الجديد وهي ذبيحة القداس بالإجماع. وإذا وجدت ذبيحة تحتم وجود المذبح الذي تقدم عليه إذ لا ذبيحة بدون مذبح كما لا وجود للدخان من غير نار.

ثانياً: من العهد الجديد أولاً: من قول السيد نفسه له المجد «إذا قدمت قربانك على المذبح» مت ٥: ٢٣ و ٢٤) وهو دليل على وجود المذبح في كنيسة العهد الجديد ولا يمكن القول بأن السيد يقصد في كلامه مذبح اليهود أو أن كلامه كان موجهاً لهم (١) لأنه أورد ذلك في كلامه على الوصايا الإنجيلية المستودعة وهذه كانت للمسيحيين لا لليهود. (٢) لأن هيكل أورشليم الذي كانت تقدم فيه الذبائح قد بطل وزال بعد قليل حسب نبوة السيد نفسه لو ١٩: ٤١- ٤٥ وبزواله قد زالت مذابحهم وبطلت ذبائحهم. والسيد قد تكلم عن ذلك كوصية عمومية دائمة لا وقتية تزول بزوال الهيكل (٣) إذا قلنا أن المقصود من كلام الرب مذابح العهد القديم وذبائحهم لالتزمنا نحن أن نقدم ذبائح دموية على مثال بني إسرائيل (٤) أضف إلى ذلك كلمة أن المسيح لم يأت على رتبة هرون بل على رتبة ملكي صادق أي على رتبة كهنوت أفضل عب ٧: ١١ بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل ٨: ٦ ثانياً من قول القديس بولس «لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه» عب ١٣: ١٠ وهو قول جلي صريح بوجود المذبح في الكنيسة المسيحية. وإلا فماذا يعني الرسول به وبالذبيحة التي لم يكن يحق لليهود أن يأكلوا منها، لا ريب أن هذا المذبح ليس إلا مذبح العهد الجديد وهذه الذبيحة ليست إلا ذبيحة جسد الرب بالاجماع. وغير ذلك فإن الرسول نفسه قال في موضوع آخر «لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب ومائدة الشياطين»

١كو ١٠: ٢١ فالمقصود من مائدة الرب هنا مذبحه وما يؤكل عليها ذبيحته كما أن المقصود من مائدة الشياطين مذابح الأمم وطعامها ذبائحهم. وإلا فلا معنى لمقابلة الرسول بين المائدتين مائدة الرب ومائدة الشياطين والمذبح الذي كان بنو اسرائيل يقدمون ذبائحهم عليه.

ناهيك عن أن الرسول عبر عن المائدة بالمذبح في قوله السابق.

ثالثًا: قد أجمعت الكنائس الرسولية شرقًا وغربًا على المذبح وأيدتها أقوال الرسل والآباء في الأجيال الأولى المسيحية فقد جاء في أوامر الرسل ما نصه[1] (كل أسقف أو قس أو شماس قدم على المذبح أشياء أخرى مغايرة لفريضة الرب عن الذبيحة.. ولا يجوز أن يقدم على المذبح شئ .. الخ) وقال باسليوس [2] (لا يتكلم أحد مطلقًا في المذبح خارجًا عما تدعو إليه الضرورة ولا حول المذبح ولا يبصق أيضًا أحد هو على المذبح من دون ضرورة) ثبت من هذا ومما ذكرناه من أقوال الآباء سابقًا عن صفات الراعي. وما أثبتناه في الفصل السابق أن المذبح موجود في الكنيسة المسيحية.

رابعًا: أقوال البروتستانت تبرهن على ذلك أيضًا فقد قال أحد رؤساء الإرسالية الإنجليزية بمصر ما نصه: «المسيح قد صلب على صليب من خشب فلماذا لا يكون المذبح أيضًا من خشب إذا كان المسيح رسم السرين على مائدة الفصح المخصوصة فلماذا لا يكون المذبح مخصوصًا، بل ولماذا لا يسمى المذبح مائدة. نعم نسميه مائدة والمائدة هي المذبح مجازًا ولا نقول حقيقة مثل الرومانيين لأن المذبح الحقيقي بالمعنى الحرفي يحتاج إلى سفك دم ثان ونحن نحتاج إلى التغذى بجسد الرب ودمه اللذين بذلا لأجلنا [3] والبروتستانت أنفسهم يصعون العشاء الرباني على مائدة مخصوصة.

---

(١) ق. ر ٣. (٢) ق ٩٦.

(٣) راجع الحق سنة ١٥ عدد ٥ سنة ١٩٠٩.

هذا وقد يوضع على المذبح تحت الكرسي قطعة من الخشب مستطيلة مكرسة مرسوم عليها شكل صليب وهي عبارة عن المائدة التي عادة تكون من خشب وقد جاء ذكرها في كلام الرسول السابق وقد تسد مسد المذبح إذا دعت الضرورة لعمل القداس في غير الكنيسة بإذن الأسقف إذ توضع على ترابيزة والصينية التي هي خاصة بجسد الرب والكأس بدمه تكنونان موضوعتين على المائدة المقدسة والتي يسميها الرسول مائدة الرب ١ كو ١٠ : ٢١ لعدم جواز رفع القرابين على مائدة غير مكرسة للرب.



الفصل السابع عشر
(الحجـــاب)

لما نصب موسى المسكن في البرية أمره الله أن يصنع حجابين من اسمنجوني وارجوان وقرمز وبوص مبروم الخ خر ٢٦ . ليكون أحدهما فاصلا بين الدار والقدس. والثاني فاصلاً بين القدس وقدس الأقداس عب ٩. وهذان غير الحاجز الفاصل بين دار اسرائيل ودار الأمم وعساكر الرومانيين الذين كان منوطاً بهم حفظ النظام.

وعملاً بهذا رتبت الكنيسة (١) وضع الحجاب ليفصل الهيكل عن محل وقوف الشعب. حفظاً للنظام ومنعاً للزحام. وكما أن الخوارس وجدت في الكنيسة لتفصل بين صف وآخر كذلك الحجاب وضع ليفصل بين محل وقوف الشعب. وبين الهيكل الذي تقدس فيه القرابين: وفيه تعليم للشعب والكهنة أيضاً أن يفصلوا بين الروحيات والجسديات. كما فصل الله بين النور والظلمة تك ١ : ٤ لتكون خدمة الكهنوت محفوفة بالكرامة وخدمة الله مكتنفة بالمهابة والوقار. وليفصل بين خدمة المذبح والشعب روحياً إذ لكل منهم وظيفة أو موهبة خاصة به من الله يعمل بها في خدمة بيته الذي هو نحن عب ٣.

فوظيفة الكهنة سامية بقدر ما أن الذبيحة التي أعطوا حق تقديسها تسمو على كل ذبائح العهد القديم. وكما يفوق كهنوت المسيح كهنوت هرون كذلك جعل الحجاب مرتفعاً عن محل وقوف الشعب دلالة على ارتفاع الكهنة عن الشعب لسمو الموهبة التي رفعهم الله إليها ومجدهم بها.

وللكنيسة غرض آخر من وضع الحجاب هو تعليق الصور عليه لتكون

تاه أعين جميع المصلين ليتذكروا أصحابها فيترسموا خطواتهم ويتمثلوا بإيمانهم ولذلك تسميه الكنيسة اليونانية «أيقونسطاس» أي محل تعليق الأيقونات [١].

وفضلاً عن الصور المرسومة فيه أو المعلقة عليه فالكنيسة جعلت فوقه صليباً عليه صورة يسوع واللصين معه مصلوبين واحد عن يمينه والآخر عن يساره مت ٢٧ : ٣٨.

وغرض الكنيسة من ذلك أولاً: تذكير الشعب وإلفات نظره إلى كيفية الصلب. ثانياً: تعليمه أن يسوع البار صلب مع الأشرار وأن أحد اللصين لما آمن بالمصلوب واعترف بربوبيته لو ٢٣ : ١٢ استحق الجلوس عن يمينه كقوله تعال: اليوم تكون معي في الفردوس لو ٢٣ : ٤٣ وأما الذي أنكره فقد وضع على شماله دلالة خذلانه. وكذلك يكون حال الناس عند مجئ الرب الثاني. فالمؤمنون بالرب والذين عاشوا في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا غل ٢ : ٢٠ سوف يقيمهم يسوع عن يمينه في اليوم الأخير وأما الأشرار فسوف يقيمهم عن يساره مت ٢٥ : ٣٣ و ٣٤.

أما وجود صورتي العذراء ويوحنا الإنجيلي بجانب صورة المسيح مصلوباً من هنا ومن هناك فهو إشارة إلى وقوفهما عند صلب المسيح قبل موته لو ١٩ : ٢٦.

أما وضع صورة المسيح مصلوباً فالمقصود منه الفات نظر المصلين وتذكيرهم بهيئة صلبه ليكون تأثير ذلك شديداً حتى يمنح كل قوة من تحويل نظرهم إلى غير المسيح وقت الصلوة. بل يعتبرون أنفسهم كأنهم وقوف أمام صليب المسيح ويشاهدونه يتألم ويموت عن خطاياهم وذلك طبقاً لما قاله. «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع يو ١٢ : ٣٢ وكأن الكنيسة تخاطبهم بلسان الرسول. يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً

---

(١) نفحة الطيب الزكية.

إلى أن يتصور المسيح فيكم غل ٤ : ١٩ ها أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا غل ٣ : ١ فلنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا: ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السر الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس عن يمين عرش الله. فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم عب ١٢ : ١ - ٣ فإن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات غل ٥ : ٢٤.

هذا هو الحجاب والغرض من وضعه. ولكن البروتستانت ينكرون على الكنيسة عملها هذا ووجه اعتراضهم انشقاق حجاب الهيكل وقت صلب المسيح. وهو اعتراض فضلاً عن كونه سخيف فإنه باطل لأنه [١] قد حدثت عجائب كثيرة وقت صلب المسيح غير انشقاق الهيكل. منها أن الشمس اظلمت والأرض تزلزلت. والصخور تشققت. والقبور تفتحت. وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين مت ٢٧ : ٥١ و ٥٢ فإن كان انشقاق حجاب الهيكل حين الصلب يستدعي زواله أو بطلانه فتكون بقية العجائب تستدعي عدم وجودها وهذا لا يقوله عاقل. [٢] أن الحجاب لم يكن رمزاً لشئ بل كان فاصلاً كما يدل عليه معناه: وما انشقاقه إلا دلالة على نقض حائط السياج المتوسط - أي العداوة - التي كانت بين الله والناس بدم صليبه أف ٢ : ١٤ إذ أن الحجاب الحقيقي الذي كان فاصلاً بين الله والناس هو الخطية التي سمرها يسوع في جسده على الصليب كما قال إشعياء النبي آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع اش ٥٩ : ٢.

(٢) أن كل الكنائس الرسولية أجمعت على وضعه للترتيب والنظام ونفس البروتستانت أيضاً فانهم يقيمون فاصلا بين الرجال والنساء وما يسمونه فاصلاً أو حاجزاً نسميه نحن بحسب الإصلاح الكنائسي حجاباً فإن قالوا بعدم لزومه في كنائسنا فليرفعوه من كنائسهم أولاً وبعد ذلك يطالبوننا بعدم وضعه.

الفصل الثامن عشـــر
« استعمال الأنــوار في الكنيســة »

يقال أن استعمال الأنوار في الكنيسة لا معنى له ولا برهان عليه في الكتاب. ولكن الحقيقة أن الكنيسة اتخذت الكتاب المقدس نبراساً لتعاليمها ودستوراً لكل ترتيباتها فالمتأمل فيه يرى أن الله عز وجل قد أمر بإستعمال الأنوار في الكنيسة الأولى (١) وسليمان قد وضع في بيت الله الذي بناه المنارة وسرجها متبعاً أثر الرسوم في المسكن الأول لأن الله أمـــر بـــه ٢أي ٤ : ٢٠.

وإذا قيل أن الغرض من أمر الله بإستعمال الأنوار هو الإستيضاء به ليلاً وقت الذبيحة المسائية فنقول. كلا. لأن الذبائح والتقدمات كانت تقدم إلى الله في الصباح والمساء خر ٢٩ : ٣٩ و ٢مل ١٦. ١٥ وحز ٤٦ : ١٣ والأنوار كانت ملازمة لها بدليل [١] إن الله أمر بإصعاد السرج دائماً خر ٢٧ : ٢٠ (٢) أنه أمر بوضع المنارة في خيمة الإجتماع مقابل المائدة خر ٢٦ : ٣٥ وهذه كان يقدم عليها خبز الوجوه دائماً خر ٢٥ : ٣٠ ومع ذلك فليس من موجب لأن يأمر الله بإستعمال الأنوار ليلاً لأن النور يضاء فيه للخدمة وغيرها بحكم الضرورة الطبيعية.

ومما تجب ملاحظته أن الأنوار لم تكن رمزاً حتى يحكم ببطلانها بمجيء المرموز إليه كما هو الحال في أمر الذبائح والمحرقات.

فإستعمال الأنوار في الكنيسة تسليم رسولي بدليل ما جاء في أعمال الرسل أن التلاميذ لما كانوا مجتمعين في أول الأسبوع لكسر الخبز جعل

---

(١) خر ٢٥ : ٣١، ٣٧ : ٢٠ - ٢١، ٣٧ : ١٧ ولا ٢٤ : ٤ وعد ٨ : ١.

بولس يخاطبهم وأطال الكلام إلى نصف الليل «وكانت مصابيح كثيرة في العلية التي كانوا مجتمعين فيها» أع ٢٠ : ٧ و ٨.

ولا يخفى أن التلاميذ كانوا يجتمعون لكسر الخبز في أول الأسبوع نهاراً ولا يمكن القول بأن الظروف اقتضت استعمال الأنوار لأن الوقت كان ليلاً. إذ لا معنى لذكرها إذ ذاك لأنها تضاء بطبيعة الحال كما قلنا سابقا ولا داع للإخبار بها إذ يكون من قبيل تحصيل الحاصل أو لزوم ما لا يلزم.. ومع ذلك فإن القرينة تدل على أن هذه المصابيح كانت مضاءة من النهار واستمرت إلى أن انتهى بولس من خطابه إذ جاء ذكرها منفصلاً عما قبلها هكذا «وكانت مصابيح كثيرة في العلية».

ومما يؤيد هذا ما جاء في أوامر الرسل أنفسهم وهو بنصه «يجب أن تكون الكنيسة منارة بأنوار كثيرة مثل السماء ولا سيما عند قراءة فصول الكتب الإلهية» [١] ولا يقدم على المذبح شئ آخر «خلافا للفريضة سوى زيت المصابيح [٢].

والقديس بطرس في رسالته لاكليمس يقول «تقاد الأنوار في الكنيسة» بالشمع والقناديل «أي بالزيت» وتكون لامعة جداً» [٣].

وقد أثبت ذلك الآباء فالقديس غريغوريوس النزينزي يقول أن «استعمال الشموع والقناديل كان من جملة الطقوس المستعملة في الكنيسة عند مباشرة الأسرار».

هذا فضلاً عن أن استعمال الأنوار في الكنيسة نهاراً قد أجمعت عليه وعلى أنه تسليم رسولي كل الكنائس الشرقية والغربية.

---

(١) دسقولية باب ١٠ و ٣٥. (٢) المجموع الصفوي صحيفة ١٠.
(٣) ق ٣. من ٨٥ و ٢ من ٦٥.

وقد شهد البروتستانت بهذا في كتبهم فقد جاء في ريحانة النفوس «أن استعمال الشموع في المعابد كان في الجيل الثالث. إلى أن قال. أن ايرونيموس الذي عاش في الجيل الرابع قال أنها كانت تستعمل في النهار (صحيفة ١٣٠).

أما غاية الكنيسة من استعمال الأنوار فهي أولاً. كما قال العلماء لكي تحضر أمام أذهان بنيها المصلين تجلي المسيح فيها مت ٨: ٢٨ الذي لما تجلى لحبيبه يوحنا رأى الأنوار مكتنفة به من كل جانب رؤ ١: ١٢ و ١٣، ٢: ١ ولذلك تقاد الشموع إكراماً له ليلا ونهاراً. وثانياً: لكي تكون منارة مثل السماء وإشارة إلى مجد الكنيسة رو ٢١: ٢٢ و ٢٣ التي للكنيسة الأرضية ترمز إليها ومثال لها. قال أحد الآباء بما أن الكنيسة هي سماء أرضية فيجب أن تتزين بهذه الأنوار وتسطع بها القناديل والمصابيح التي هي أشبه بالنجوم في كبد السماء. وفيه تذكير للشعب بأن يكونوا مضيئين كأنوار في العالم في ٢: ١٥ كما تنير الكنيسة الشموع. ليحصلوا على رتبة القديسين الذين يضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم مت ١٣: ٤٣، وقال آخر «بما أن الكنيسة الأرضية ترمز إلى الكنيسة السموية وجب أن تكون مزينة ومكللة بالمجد والبهاء ومن ذلك الأنوار. لكي نتذكر بها مجد الكنيسة السموية ونورها الساطع على ما رواه يوحنا إذ قال رأيت سبع منابر من ذهب رؤ ١: ١٢ وأمام العرش سبعة مصابيح نار رؤ ٤: ٥ وقال غيره. تضاء الأنوار في الكنيسة دلالة على نور الدين المسيحي وبهجته».

أما اضاءة الأنوار قدام الذبيحة فذلك:

[١] بناء لأمر الله خر ٤٠: ٢٤ و ٢٥.

[٢] للدلالة على نور الإيمان المسيحي الذي أشرق في قلوبنا بواسطة هذه الذبيحة الغير الدموية والتي هي عين ذبيحة الصليب الفدائية ذات المجد الساطع ٢ كو ٤: ٤ و ٥ التي بها افتقدنا المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت لو ١: ٧٨ و ٧٩ ودعانا من الظلمة إلى

النور العجيب ١بط ٢ : ٩.

[٣] للدلالة على أن الرب يسوع الذي يخدم أسراره ولو في نصف النهار ونصنع تذكار موته متسربل بالمجد والبهاء والجلال ولابس النور كثوب مز ٩٣ : ١ ، ١٠٤ : ١ وكائن في نور لا يدنى منه ١تي ٦ : ١٦ وهو النور الحقيقي الذي يضئ لكل إنسان آتياً إلى العالم يو ١ : ٩.

[٤] للمشابهة التامة بينها وبين المائدة النورانية وفيه تذكير لراغبي الإشتراك فيها. أن يخلع أعمال الظلمة ويلبس أسلحة النور ويسلك بلياقة كما في نهار رو ١٢ : ١٢ و ١٣ وأن من يقترب إليها باستحقاق يستنير قلبه بالنعمة كما استنار موسى حين اقترابه إلى الله إذ صار وجهه يلمع خر ٣٤ : ٢٩ لأنها إتحاد بالرب الذي قال (أنا نور العالم من يتبعني لا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحيوة) يو ٨ : ١٢ ولذا توقد الشموع بالصلوة «هذه بنورك يارب نرى نوراً» مز ٣٦ : ٩ فإرفع علينا نور وجهك يارب مز ٥ : ٦ وأبهجنا بإشراق ضيائك الإلهي وحبك المبهج» قال صاحب ريحانة النفوس للبروتستانت «بما أن عشية الرب قد ترتبت أولاً في الليل وكانت أعياد المسيحيين المعروفة بولائم المحبة تصنع مساء بقى استعمال الضوء بعد ذلك لأجل المشابهة التامة بينهما - وجه ١٣١».

[٥] تضاء الأنوار أمام الذبيحة. للدلالة على سمو شرف ومجد وجلال خدمة العهد الجديد التي تسمو على خدمة العهد القديم كما يفوق كهنوت المسيح وذبيحته كهنوت هرون وذبائحه عب ٧ : ٨ و ٩ وان كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة قد حصلت في مجد... فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد... وإن كان الزائل في مجد فبالأولى كثيراً يكون الدائم في مجد ٢كو ٣ :٧- ١١.

أما إضاءة الشموع وقت قراءة الكتب الإلهية فللدلالة على نور الإنجيل الذي سطع سناؤه في كل أقطار الأرض ٢ كو ٤ : ٤ وأن كلمة الله هي نور أم ٦ : ٢٣ وسراج لأرجلنا مز ١١٩ : ١٠٥

قال ايرينموس [1] أن الكنيسة تضيء الأنوار وقت قراءة الإنجيل إظهاراً لفرحها بالبشارة التي سمعناها من الإنجيل عن يسوع نور العالم» أما الشمعة التي تتقدم الإنجيل فهي تشير إلى يوحنا السابق الذي كان هو السراج الموقد المنير يو ٥ : ٣٥[2] وبشر العالم كنجمة الصبح بشروق شمس البر والشفاء في أجنحتها مل ٤ : ٢ وكان يشهد للنور الحقيقي يسوع يو ١ : ٧ و ٩.

أما وضع الشموع على الصليب وقت مباركة الشعب به أثناء الخدمة فإشارة إلى أن يسوع الذي سمر على الصليب هو نور العالم يو ٨ : ١٢ وأنه بالصليب نقلنا من الظلمة إلى نوره العجيب ١ بط ٢ : ٩.

أما قنديل الشرق الذي يعلق في حائط الهيكل الشرقي حذاء المذبح فهو يشير إلى النجم الذي ظهر في المشرق وأرشد المجوس إلى الموضع الذي كان فيه الطفل يسوع مت ٢ : ٩ ويسمبه الأروام (الإستريكوس) أي النجم.

أما إضاءة الشموع والمصابيح أمام أيقونات الرسل والعذراء والقديسين والشهداء: فللدلالة على أنهم كانوا نوراً للعالم مت ٥ : ١٥ وكواكب منيرة في سماء الكنيسة بفضائلهم وتعاليمهم التي مجدوا الله بها وأن نفوسهم تلمع بنور المجد في السماء المفاض عليهم من أبي الأنوار مت ١٣ : ٤٣.

وبما أن المسيحيين يقدمون الشمع والزيت إلى الكنيسة فهي تطلب من كل من يقدم شيئاً من ذلك أن يماثل في تصرفه وسيرته أصحاب تلك الصور عب ١٣ : ٧ وأن يكون مصباح إيمانهم منيراً بزيت الصلاح مثلهم

---

(١) ضد فنجيلوس راس ١٣.
(٢) المطران رفايل هواويني في الفروض الكنسية.

مت ٢٥ : ٥ وأن يسلكوا في النور كما هو في النور يو ١ : ٧ كقول الكتاب: (فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات) مت ٥ : ١٦ ولتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت لو ١٢ : ٣٥ و ٣٦ لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي ٢بط ١ : ١١.

أما سبب استعمال زيت الزيتون وشمع النحل دون غيرهما في الإضاءة هو لأن الزيت أمر الله به كقوله لموسى: وأنت تأمر بني اسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض نقياً للضوء لإصعاد السراج دائماً خر ٢٧ : ٢٠ وطبقاً لهذا أمرت الرسل بأن لا يقدم على المذبح شئ أخر سوى زيت على المنارة ق ٣ الرسل.

ثم أن الزيت يدل على الأعمال الصالحة كالقداسة والرحمة والمحبة وغيرها التي بدونها لا ينير مصباح الإيمان بل ينطفئ وبها يشتعل وينير ويتلألأ كما نرى ذلك واضحاً في مثل العذارى الذي ضربه السيد مت ٢٥ : ٣ و ٤ ويدل من جهة أخرى على البهجة والفرح مز ٤٥ : ٧ وهو ١٤ : ٦ وقيل في الكتاب به يكرم الله والناس قض ٩ : ٩. أضف إلى ذلك أنه مادة تستعمل لتليين الأشياء القاسية ولم الجروح اش ١ : ٩ وهو من هذه الوجهة اشارة إلى نعمة الله التي متى سكبت على القلب القاسي لينته وعلى النفس المجروحة بالخطية ضمدت جراحاتها:

أما الإناء الموضوع فيه فهو كما قال الآباء إشارة إلى ضمير النفس الأمينة المستعدة للإشتعال بنور النعمة الإلهية.

أما الشمع النحلي فقد اختارته الكنيسة وفضلته عن سواه نظراً لنقاوته وبهاء نوره وخلوه من الدهون والشحوم الدسمة ذات الرائحة الرديئة الموجودة في الشموع الأخرى والممنوع تقديمها في خدمة الهيكل الجديد. ثم لأن

النحل يجنيه خالصاً من أنواع النباتات والزهور ذات الرائحة العطرية وهو من هذه الوجهة إشارة إلى الفضائل التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون ٢بط ١ : ٥ و ٦ وفيه تعليم للمؤمنين بأن يكونوا أنقياء القلب مكملين القداسة في خوف الله. وللكهنة بأن يخدموا الله ببر وطهارة وجميع أيام حياتهم لو ١ :٧٥.



الباب الثاني

الفروض الكنائسية

نعني بالفروض الكنائسية الصلوات التي عنت الكنيسة بوضعها وتحديد أوقاتها للعبادة وما يتعلق بها وكيفية أوضاعها وقبل أن نأتي عليها بالتفصيل نقول بالإيجاز.

للمؤمنين في عهد النعمة بركات ربانية روحية ومواعيد ثمينة إلهية خصو بها من الله دون غيرهم وهم يرعون في بحابحها ويمرحون على بساطها وليس في طاقة أحد أن يفصلهم عنها أو يحرمهم منها ماداموا متأصلين ونامين في الكرمة الحقيقية الرب يسوع وأجلها وأتمنها نعمة «الصلاة» لأنها الصلة الحقيقية بين الله والإنسان والوسيلة الوحيدة لنيل النعم والبركات الإلهية الأخرى فإذا شبهت النعم بالنظام الشمسي كانت الصلوة شمسها. وبقية النعم نجومها تستمد نورها وحياتها منها يدل على ذلك أن الرب يسوع أمرنا أن نلتجئ إليه بالصلوة وقد وعدنا وعداً صريحاً أن يعطينا أمانينا ومشتهيات نفوسنا إذا التمسناها منه بواسطتها كقوله تعالى: (مهما سألتم بإسمي فذلك أفعله. اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم) مت ٧: ٧ - ١١.

الفصل الأول

الصــــلوة

الصلوة معناها لغة الدعاء وفي الإصطلاح الديني ارتفاع العقل إلى الله وسكب النفس أمامه ١صم ١ : ١٥ و بالصراخ إليه والإقتراب له والتضرع أمامه مز ٣ : ٤ ، ٢٧ ٧ وأر ٣٦ ٧ وعب ١٠ : ٢٢ أو مناجاة الروح خالقها فيما يجب رحمة ويستمطر بركة ويدفع كربه ويرفع نقمه. وهي لازمة لكل أمرئ لزوم الغذاء للجسد والهواء للتنفس والماء للإرتواء.

ولأجل الفائدة نلاحظ أولاً: أقسامها. ثانياً وجوبها: ثالثاً: أوجه الطلب فيها. رابعاً: شروطها. خامساً فوائدها.

الصلوة ثلاثة أنواع. أولا انفرادية مت ٦ : ٦ ثانياً: عائلية: عائلية مت ١٨ : ١٩ و ٢٠ ثالثاً: جمهورية عب ١٠ : ١٥.

أقســـام الصلـــوة

فالأولى واجبة: تقدم لله. مساءاً وصباحاً وظهراً مز ٥٥ : ١٧ أو سبع مرات في اليوم مز ١١٩. وليلاً ونهاراً مز ٨٨ : ١ وبلا انقطاع ١تس ٥ : ١٧ وقد وعد الرب باستجابتها والمجازاة عليها علانية مت ٦ : ٦.

والثانية واجبة أيضاً وقد وعد الرب بحضوره فيها واستجابتها. مت ١٨ : ١٩ و ٢٠ كما توعد بالقصاص لمن تغاضى عنها أر ١٠ : ٢٥.

والثالثة واجبة كذلك لو ١ : ١٢ وعب ١٠ : ٢٥ ويقدسها الرب

بحضوره مت ١٨ : ٢٠ ووعد بمباركتها خر ٢٠ : ٢٤ وبقبولها واستجابتها ٢ أي ٧: ١٤ و ١٦ واش ٥٦: ٧.

وجوب الصلوة

الصلاة واجبة وأهميتها ليست قاصرة على لزومها للإنسان فقط بل أنها مفروضة عليه من الله لتكون دليلاً على عبودية العبد وربوبية الرب فإن الله خلق الإنسان ليعبده كما قال. هذا الشعب جبلته لنفسي. يحدث بتسبيحي اش ٤٣ : ٧ والرب صنع الكل لذاته ام. وكل واحد من المسيحيين الذين ذاقوا ما أطيب الرب مز ٣٤ : ١٨ وتمتعوا بلذة الإتحاد الروحي معه يعتقد أن الصلوة من الضروريات ومن أهم الواجبات المفروضة عليه بل هي خبزه اليومي. إذا فقدها فقد أعظم واسطة يتوقف عليها نموه في النعمة وتقدمه في الحيوة الروحية. لذلك ترى نفسه تتوق للصلوة ويلذ لها الإنفراد مع الله وعندما يقترب من عرش نعمته يعتف بملء الورع والخشوع قائلاً. أما أنا فعندي صلوة لإلهي والإقتراب إلى الله حسن لي مز ٧٣ : ٢٨ لذلك وجد عبدك في قلبه أن يصلي لك هذه الصلوة ٢صم ٧ : ٢٧.

فالصلوة ضرورية ومصدرها أولاً. الشعور بلزومها ووجوبها. فإذا لم يكن شعور فلا تكن صلوة. وصلوة بلا شعور كدخان بلا بخور أو كبخور بلا رائحة.

ثانياً: الإحتياج مطلقاً. لا فرق بين الإحتياج إلى حاجات الروح وحاجيات الجسد ولا تنال حاجيات الإثنين إلا بالصلوة قد يقال أن حاجيات الأول تنال بالتعب والكد والعمل في ميدان الحيوة وهو قول لا مرية فيه - ولكن وسائل العيش تحتاج إلى قوة بدنية. أولاً. وقوة عقلية مدبرة. ثانياً: ومصدر القوتين هو الله ولا يهبهما إلا المصلين تث ٨: ١٧ و

١٨ وإذا كان الجسد لا يحيا إلا بالطعام الذي مصدره الأرض الموافق لطبيعته الزمنية لأنه أرضي فكذلك الروح لا تحيا إلا بطعامها الروحي السموي وهو كلمة الله وخبز الحياة الأبدية ولا ينال هذا الطعام النفيس إلا بالصلوة مت ٤ : ٤ .

قال بعضهم أن الصلوة بالنسبة للنفس كالحرارة الطبيعية بالنسبة للمعدة فكما أن الحرار تساعد المعدة على إتمام وظيفتها وبها تستحيل الأطعمة إلى دم ويتوزع في كل أجزاء الجسد من القلب بواسطة الأوردة والشرائين فهكذا الصلوة تبعث في النفس حرارة النعمة والإيمان ويعطيها الروح القدس قوة ليعين ضعفاتها ويساعدها على إتمام وظيفتها ويبعث فيها قوة ونشاطاً وبدونها يفقد نظام حياتنا الروحية كما أنه لا ينتظم ولا يستقيم إلا بها.

ثالثاً: الإشتياق العظيم إلى الله والرغبة الأكيدة في تسبيح جلاله وشكره على ما وهب وأسبغ من الألاء التي لا تحصى مز ٤٢ : ١ و ٢ و ٦٣ : ١ يدفع المؤمن أن يشترك مع أولئك الملائكة الأطهار في التهليل والتمجيد والتقديس رؤ ٥ : ٨ الخ.

وإذا كانت السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه مز ١٩ : ١ والأرض وكل مصنوعاته تباركه مز ١٤٨ . فالأجدر بالإنسان الذي خلقه الله على صورته ومثاله وجعله تاج خليقته والمتسلط عليها أن يقود المسيحيين والممجدين في تقديم العبادة لله وأن يكون أكثرها شوقاً ولهفة في تسبيح الرب.

وليست الصلوة واجبة لأداء الشكر على النعمة فقط بل هي واجبة أيضاً لإلتماس المساعدة الدائمة من الله لأننا محاطون بضيقات كثيرة وتجارب متعددة من العالم: والجسد. والشيطان وكل واحد من هؤلاء الأعداء الجبارة يناصبنا العداء ويشهر علينا حرباً ترتعد لها القلوب وتهلع لهولها النفوس ونحن تجاه هذه الحروب كريشة في مهب الريح لا تستقر

على حال من القلق نطلب الخلاص ولا مناص. فما الذي نفعله لنتقي هجمات هؤلاء الأعداء وندرأ عنا شر تلك الشدائد؟ لا وسيلة إلا الصلوة. قال الرسول (البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد ابليس... وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله. مصلين بكل صلوة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه) أف ٦ : ١١-١٨ وقال الرسول أعلى أحد بينكم مشقات فليصل يع ٥ : ١٣ وهكذا قال الرب وادعني يوم الضيق أنقذك فتمجدني مز ٥٠ : ١٥.

على أن الأدلة الكتابية على ذلك أكثر من أن تذكر فقد حث الله عليها كثيراً مت ٦ : ٧، ٢٦ : ٤١ وضرب مثل قاضي الظلم والأرملة الطالبة الإنصاف من خصمها ليعلمنا أن نصلي كل حين ولا نمل لو ١٨ : ١ ومثل المضيف والحاجة على صديقه للمثابرة على الصلوة لو ١١ : ٥ كما علمنا في خطبته على الجبل كيفية الصلوة مت ٦ : ٥- ١٥ والقديس بولس أمر المؤمنين بها وحثهم كثيراً عليها بقوله (واظبوا على الصلوة ساهرين فيها بالشكر) كو ٤ : ٢ صلوا بلا انقطاع ١تس ٥ : ١٧ عابدين الرب مواظبين على الصلاة.

أن رجال الله الأتقياء قد كانت الصلوة دأبهم ودينهم فموسى وداود ودانيال وحنة النبية مز ٥٥ : ١٧ و دا ٩ : ١٠ و ١٣ ولو ٢ : ٣٧ وغيرهم كثيرون كانوا يواظبون على الصلوة ليلاً ونهاراً أ ع ٢٦ : ٧ ومالنا وذكر هؤلاء والرب يسوع نفسه كانت الصلوة من أهم أعماله حتى أنه كان يحيي الليالي ساهراً في الصلوة مت ١٤ : ٢٣ وقد سار رسله القديسون على مثاله أ ع ١ : ١٤.

ثبت مما تقدم أنه لو لم تكن الصلوة واجبة وضروربة للحيوة الروحية ومن أكبر وسائط النمو الروحي والإرتقاء في الفضيلة والتقرب من الله لما أمر بها ولا لازمها رجاله الأتقياء في كل زمان ومكان.

﴿ أوجه الطلب في الصلوة ﴾

أعطانا الرب الحرية التامة في الصلاة إذ قال كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم مر ١١ : ٢٤ فما أكرم جوده. دخلت أستير الملكة لتطلب من احشويروش الملك طلباً فنالت نعمة في عينيه فمد لها قضيب الملك فدنت ولمسته فسألها مالك يا استير وما طلبتك إلى نصف المملكة تعطى لك. فكان هذا القول من موجبات الفرح ومن آيات التشجيع. أنها حصلت على وعدا حيا فيها ميت الأمل وانعش روحها وأزال كل خوف وشك من قلبها فطلبت ما طلبت وفعلاً نالت ما تمنت. وأنت أيها المسيحي لك أعظم من هذا الوعد بما لا يقاس. وعدت بأن تعطى لا إلى نصف المملكة بل ملكوت الله وبره. فهل بعد ذلك يوجس قلبك خيفة أن لا تقبل أمامه أو يمنع عنك سؤال قلبك. كلا. فها قضيب النعمة ممدود إليك والرب يسألك بعطف وحنان ماذا تريد؟ أطلب تأخذ. ما تطلبه يعطى لك. فقط قم وصل وادع الرب ومهما سألت باسمه يفعله. وأعلم أن الذي وعدك ليس هو احشويروش الملك الإنسان الضعيف السريع التقلب انما هو يسوع الشاهد والصادق الأمين. الذي ليس عنده تغيير أو ظل دوران. فاقبل إليه بالصلاة فيكون لك ما تريدة. انما لا يجب أن تستعمل الحرية في غير محلها «لا تستعملوا الحرية فرصة للجسد» حتى لا ترد صلواتنا قال الرسول يعقوب «تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون ردياً لكي تنفقوا في لذاتكم» فمن يطلب شيئا من ذلك يرد خائباً: لهذا يجب أن لا نجعل آمالنا في صلاح الله وجوده مبنية على نبل الخيرات الزمنية بل لتكن وجهة صلواتنا قبل كل شئ ملكوت الله وبره. كما طلب اسحق ليعقوب من الله ندى السماء أولاً ودسم الأرض وكثرة حنطة وخمر ثانياً تك ٢٧ : ٢٨ .

الواجب إذاً أن نطلب من الله أن يعلمنا طرقه لكي نعرفه ونجد نعمة في عينيه كما طلب موسى. وأن يعطينا روح الإنارة لكي نعرف كيف نسير في طريقنا إلى الوطن السماوي وروح القوة لنستطيع الثبات ضد مكائد

ابليس وروح الصبر لنتحمل كل ما يصيبنا من بلايا الحياة. وبالجملة أن يمنحنا روحاً قدوساً لكي يعين ضعفاتنا ويقوينا على اتمام واجباتنا على أن المؤمن الحقيقي يجب عليه أن يصلي لا لأجل نفسه فقط بل لأجل القريب أيضاً ١ تس ٥: ٢٥ وليس لأجل الأحباء فقط بل لأجل الأعداء لكي يهديهم الرب ويرشدهم إلى طريق الصلاح كما علمنا الرب بقوله وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم مت ٥: ٢٤ ولأجل المرضى [(١)] ولأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب. ولأجل البركات الزمنية تك ٢٨: ٢٠، والروحية مت ٦: ٣٣، ولأجل نجاح الإيمان أف ٦: ١٨ ولأجل بعضنا بعض ار ٤٢: ٢ و ٢٠ لكي نقضي حيوة هادئة مطمئنة بكل تقوى ووقار، فإن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون [(٢)] هذا ما يجب أن نطلبه في الصلاة ومتى كانت صلواتنا على هذا المنوال صعدت إلى الله كبخور زكي وأتت بالخيرات المطلوبة والنعم المرغوبة.

﴿ شــــروط الصـــلوة ﴾

ان نعمة الإجابة لا يستحقها كل من ادعى الإيمان. ولا كل من استعملها فيما يشتهي ويريد مما يكون ضاراً وغير موافق لإرادة الله ومجد ملكوته وخلاص النفس. بل لها شروط إذا توفرت في أمرئ نال ثمرتها وهي:

(١) **الإيمان**، ان الإيمان شرط جوهري للصلاة وهو المفتاح الذي يفتح لنا كنوز السماء وبدونه تكون الصلاة عقيمة. قال السيد: كلما

---

(١) ٢ يو ٥: ١٦.
(٢) ١تي ٢: ١.

تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تناولوه فيكون لكم والمراد بالإيمان هنا الثقة بقدرة الله وسخائه وجوده ووفائه بمواعيده. وصلاة الإيمان مقبولة وقد نال أتقياء الله كل طلباتهم بها. قال الرسول عن ابراهيم. (ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله. وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً. وبحسب إيمانه أعطاه الله) رو ٤ : ٢٠ والمرأة الكنعانية نالت من الرب يسوع شفاء ابنتها بالإيمان حتى مدح السيد إيمانها قائلا: يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدين مت ١٥ : ١٨ وكثيرون غير هؤلاء نالوا ما طلبوا وأخذوا ما سألوا بالإيمان. لهذا يجب أن يكون الإيمان أساس صلواتنا ولتكن صلواتنا مبنية على هذا الأساس غير مرتابين في مواعيد الله. لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه. فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب يع ١ : ٥ و ٧.

(٢) أن تكون باسم الرب يسوع. فالصلاة التي تتقدم باسم يسوع تخرق السحب وتشق كبد السماء وتدخل مقادس الله وتأتينا بالمطلوب كقوله ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالإبن ان سألتم شيئا باسمي فانى أفعله يو ١٤ : ١٣ و ١٤ ، ١٥ : ١٦ ، ١٦ : ٢٣ - ٢٤.

(٣) أن تكون بانسحاق لا بكبرياء وتشامخ وقد علمنا السيد بمثل الفريسي والعشار لو ١٨ : ٩ - ١٤ أن الصلاة التي تتقدم لله بقلب منسحق وروح خاشعة تجاب وأما صلاة المتكبر فترفض. لهذا يجب أن نصلي لله بتواضع لأن ذبائح الله أرواح متواضعة وقلوب منسحقة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره مز ٥١ : ١٧.

(٤) أن تكون بلجاجة وإلحاح. إننا كثيراً ما نصلي ولا نعطى في حينه فنستسلم لليأس والقنوط فنفشل. على أن الذي يريد شيئاً يجب عليه أن يواصل السعي بجد وثبات إلى أن ينال ما يريد. وقد ضرب لنا السيد مثل المضيف وصديقه ليعلمنا اللجاجة في الصلاة لأنه إذا كان الصديق قد لح على صديقه حتى أعطاه حاجته. فيجب علينا أن نلح على أخينا البكر

وحبيبنا السماوي في أوقات الشدة حتى يعطينا ما نسأل. وقد قال الذهبي فمه على ذلك تأملوا كيف أن اللجاجة ظفرت بما عجزت عن نيله المحبة.

(٥) أن تكون بمواظبة أي أن نصلي بدون انقطاع امتثالاً لأمر الرب. اسهروا إذاً وتضرعوا كل حين [(١)] ولنا عبرة بالأرملة التي طلبت انصافها من قاضي الظلم مراراً وأزعجته [(٢)] فنالت بغيتها منه وأن الله أهل للثقة. ينصف مختاريه الصارخين إليه ليلاً ونهاراً إذا داوموا على الصلاة بثقة وإيمان.

(٦) أن تكون بحسب مشيئة الرب. قال يوحنا: وهذه هي الثقة التي لنا عنده أنه ان طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا ١يو ٥: ١٤.

(٧) أن تكون بحرارة وثبات إذ لا فائدة أن نطلب اليوم شيئاً ونتركه غداً إذا تمهل الله علينا في إجابة ملتمسنا. وقد أمر الرسول المؤمنين بقوله (واظبوا على الصلوة ساهرين فيها بالشكر). لهذا يجب أن نثبت على الصلاة ومع الثبات يجب أن نخضع لمشيئة الرب قائلين فلتكن مشيئتك مت ٩: ١١ وقد طلب موسى من الله أن يسمح له بالدخول في أرض كنعان ولكن الله أجابه قائلاً لا تعد تكلمني في هذا الأمر. وصلى داود من أجل ابنه فلم يجبه الرب وهكذا صلى بولس من أجل شوكته الجسدية فجاوبه الرب. تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل ٢كو ١٢: ٩. ان الله يعرف المفيد لنا والنافع لخيرنا فيعمله وإذ ذاك يجب أن نسلم له كل طرقنا وهو يجرى.

(٨) أن تكون بإصغاء وانتباه. فالصلوة لا تقوم بكثرة الكلام ولا برقة الألفاظ ولا ببلاغة الإنشاء فقد تكون تنهدة واحدة صاعدة من صميم

---

(١) لو ٢١: ٢٦.
(٢) لو ١٨: ٧.

القلب أبلغ من ألف صلوة تصدر من الشفتين ولذلك قال الرب عن الفريسيين. (يقترب إلي هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً) مت ١٥ : ٨ كثيرون يصلون ولكن في الوقت الذي فيه يخاطبون الله يخاطبون الغير ويشتغلون بأمور أخرى ومثل هؤلاء صلواتهم باطلة. وعليهم أن يأتوا إلى الرب مع التلاميذ قائلين لله يارب علمنا أن نصلي لو ١١ : ١.

إن الله مستعد أن يسمع من مسكن قدسه كل صلوة ويؤمن عليها متى كانت صادرة من القلب كقوله وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلوبكم ار ٢٩ : ١٢ ولهذا يجب أن نصلي بالروح والحق لأن الله روح والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. نعم قد تمر علينا أفكار كثيرة وقت الصلاة وهذا عمل إبليس الذي يسعى دائماً في تشويش أفكارنا وسبي عقولنا حتى يجعل صلواتنا بلا فائدة ولكن يجب أن نقاوم كل فكر يطرأ علينا وندعه يمر بدون أن نتأمل فيه.

(٩) أن تكون قلوبنا متصافحة مع الجميع خالية من أدران الحقد كما أمرنا السيد قائلاً: ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شئ لكي غفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم مر ١١ : ٢٥.

هذه أهم شروط الصلوة ذكرناها ليتبعها المصلون فيفوزوا بإجابة صلواتهم ولا بأس من أن نشفعها بذكر بعض الأسباب المانعة لقبول الصلوة. أولاً الخطية. فهي الحجاب الذي يفصل بين الإنسان وخالقه كما قال أشعياء. ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع بل أثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع [١] فالخطية إذاً هي السبب الأكبر لعدم قبول

---

(١) اش ٥٩ : ١ و ١٠

الصلوة ورفضها ولذا قال داود ان راعيت إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب[1] وعن ذلك قال الحكيم ذبيحة الأشرار مكرهة الرب وصلوة المستقيمين مرضاته ام ١٥ : ٨.

ثانياً : مخالفة الشريعة. من يحول أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضاً مكرهة [2] يصرخون ولا مخلص. إلى الرب فلا يستجيب لهم [3] حينئذ يدعونني فلا أستجيب. يبكرون إلي فلا يجدونني. ولماذا؟ قال الرب. لأنهم... ولم يختاروا مخافة الرب. لم يرضوا مشورتي ورذلوا كل توبيخي. فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم.. أما المستمع لي فيسكن آمناً ويستريح من خوف الشر أم ١ : ٢٨ – ٣٣.

ثالثاً: عدم الرحمة على المساكين. من يسد أذنه عن صراخ المسكين فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب [4] طوبى للرحماء لأنهم يرحمون. اعطوا تعطوا كيلاً جيداً ملبدا مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم [5].

« فائدة الصلـــوة وقوتهـــا »

قال الرسول صلوة البار تقتدر كثيراً في فعلها يع ٥ : ١٦ للصلوة قوة عظمى وفاعلية كبرى لا يعرفها إلا من اختبرها ويختبرها بنفسه.

---

(١) مز ٦٦ : ١٨.
(٢) أم ٢٨ : ٩
(٣) مز ١٨ : ٤١
(٤) أم ٢١ : ١٣.
(٥) لو ٦ : ٣٩.

ان الكتاب يعلن لنا هذه الحقيقة ويرينا إياها بأجمل مظاهرها. صلى نوح بعد خروجه من الفلك. فتنسم الله رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لا أعود العن الأرض أيضاً من أجل الإنسان.. ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت [1] صلى لوط حتى لا تخرب صوغر فأجاب الرب سؤاله [2] صلى إبراهيم من أجل أبيمالك فشفاه الله [3] صلى اسحق لأجل زوجته لأنها كانت عاقراً فولدت [4] صلى يعقوب طالباً بركة الله فسمع له الرب ومنحه البركة التي طلبها [5] وصلى أيضاً لينقذه الرب من أخيه فإستجاب له الرب ولما تقابلا مع بعضهما تعانقا وقبلا بعضهما قبلة الحب والسلام[6] استعبد المصريون بني إسرائيل استعباداً قاسياً فتنهد هؤلاء وصرخوا إلى الله فسمع أنينهم وأرسل موسى فخلصهم [7] صعد موسى ليستلم الشريعة من الله فعمل بنو إسرائيل عجلاً وعبدوه فحمى غضب الرب وقال لموسى. فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم فتضرع موسى أمامه فصفح الرب عنهم خر ٣٢ وفي هذا يقول أغسطينوس، يارب ما معنى قولك «دعني» لأن من يستطيع أن يمنعك ويضبط غضبك عن شعبك ومن يمكنه مقاومة إرادتك الإلهية فيرد الجواب قائلاً نعم أن الصلوة هي التي تضبط غضب الله بقوتها ويؤكد الكتاب الإلهي اقتدار صلوة موسى وصفح الرب عن شعبه.

تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل فصرخ صموئيل إلى الرب من أجلهم

---

(١) تك ٨ : ٢١.
(٢) تك ١٩ : ١٧.
(٣) تك ٢٠ : ١٧.
(٤) تك ٢٥ : ٢١.
(٥) تك ٣٢ : ١١.
(٦) تك ٣٣ : ٤.
(٧) خر ٣.

فارعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام اسرائيل (١) اصطف سنحاريب لمحاربة حزقيا ملك يهوذا بجيش جرار: وصلى حزقيا فأرسل الله ملاكه فقتل من جيش سنحاريب ١٨٥ ألفًا في ليلة واحدة (٢) تجمهر بني عمون على يهوشافاط ملك يهوذا فصلى إلى الرب فأتاه نصرًا مبينًا (٣) صلى إيليا النبي في أيام أخاب ملك إسرائيل بأن لا تمطر السماء إلا عند قوله وبعد ثلاثة سنين وستة أشهر صلى ثانيًا فنزل المطر (٤) وصلى من أجل ابن أرملة صرفة صيدا فقام الولد حيا (٥) وصلى اليشع النبي من أجل ابن الشونمية فقام الولد حيا بعد موته (٦) وصلى سليمان متضرعًا وقت تدشين بيت الله الذي بناه فحل مجد الرب وملأ البيت وقال الله له سمعت صوتك واخترت هذا المكان لي بيت ذبيحة ٢أي ٧ : ٦ صلى نحميا لما عزم أن يبني سور أورشليم ليهئ له الرب طريقًا لنجاح عمله فكان له كما أراد (٧) لما صلى دانيال النبي طالبًا المغفرة والرحمة من الله لشعبه جاءه الملاك وقال له في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر وأنا جئت لأخبرك (٨) أهل نينوى لما أنذرهم يونان بغضب الله صلوا جميعًا فرجع الرب عن الشر الذي كان عزم أن يفعله فلم يفعله (٩) صلى الرسل وبقوة الصلاة تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلاء الجميع من الروح القدس (١٠) لما طرح بطرس في السجن صلت الكنيسة من أجله فأرسل الله ملاكه وفك قيوده وفتح باب الحديد من نفسه فخرج والملاك يصحبه (١١) لما كان بولس مسافرًا إلى رومية في البحر حدث نوة عظيم حتى انكسرت السفينة فصلى فنجى من الغرق ووهبه

---

(١) ١ثم ٧ : ٩.
(٢) ٢ مل ١٩ : ٢٥.
(٣) ٢أي ٢٠ : ٦.
(٤) ١ مل ١٧ : ١ ، ١٨ : ٤٥.
(٥) ١مل ٧ : ١٢.
(٦) ١مل ٤ : ٢٢.
(٧) نح ١ : ٥.
(٨) دا ٩ : ٢ و ١٣.
(٩) يون ٣ : ١٠.
(١٠) أع ٤ : ٣٤.
(١١) أع ١٢ : ٥.

الله جميع المسافرين [1].

فما أقوى الصلوة وما أشد فعلها لا قوة تضارع قوتها وليس أقدر منها على جلب النعم من الله ولا أنفع منها للإنسان في هذه الحياة. فالنفوس البائسة والقلوب اليائسه تجد في الصلوة انتعاشاً ورجاء.. وكل خاطي يتقدم إلى الله بندامة وانسحاق قلب ينال بالصلوة رحمة الله وغفران خطاياه. وكل حزين يصلي يعطيه الله معزياً يمكث معه إلى الأبد ومختصر القول كلما نطلبه حينما نصلي نجده إذ لنا هذا الوعد من الرب. كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تناوله فيكون لكم مر ١١ : ٢٤.

لهذا أطلب إليك أيها المسيحي أن تصلي. قم وأدخل مخدعك وأغلق بابك وصلي لأبيك سراً وأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.

تأمل أن الذي تصلي إليه هو يسوع الذي أحبك للغاية ولا يزال يحبك ويود أن يسمع صوتك وها هو يدعوك قائلاً قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي يا حمامتي في محاجي الصخر في ستر المعاقل أريني وجهك أسمعيني صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل نش ٢ : ١٣ و ١٤ اذهبي إليه أيتها النفس واسمعيه صوتك وأطلعيه على أفكارك وسليه طلبتك وقولي له تعال أيها الرب يسوع رؤ ٢٢ : ١.



---

(١) أع ٢٧ : ٢٣.

الفصــل الثاني
« سبب استعمال المزامير في العبادة »

المزامير هي تلك الترانيم الإلهية والتسابيح المقدسة التي صنفها رجال الله الأتقياء داود وأساف وبنو قورح وغيرهم بإلهام الروح القدس رتبت للتسبيح ووضعت لمناجات الخالق وليس الغرض منها مجرد التسبيح بل الإنتفاع بما فيها من التعاليم الروحية المعزية للنفس المنعشة للقلب المملوء بالإبتهالات الحارة والتأملات المقدسة التي تعرب عن الأشواق القلبية للحضرة الإلهية. كما تعبر عن محبة الله وعنايته وصلاحه وجوده وحكمته وقدرته.

أجل أن الذي يلهج بهذه التسابيح اللذيدة ويترنم بهذه الأناشيد الحلوة يشعر بعذوبة فائقة وتعزية كبرى وتغيير في الفكر وتجديد في القلب، فما أحلاها وما أشد تأثيرها «يصلى بها في الليل. وفي النهار. وفي الصباح. الظهر. في المساء. في نصف الليل. وفي الفجر وهي باقية على لذتها وطلاوتها ولهذا دبرت نعمة الروح القدس أن ترتل أقواله كل يوم من كل نسمة مسيحية لتبتهج بذلك أسماعنا وتنتفع من ترنيمة أرواحنا كما يقول الذهبي فمه.

لما رأت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس أن هذا السفر أعني سفر المزامير مجموع تعزيات إلهية وإرشادات روحية رتبت استعماله لبنيها ليكون واسطة لتقوية إيمانهم ووسيلة للإتحاد مع الله في العبادة فتتعزى نفوسهم وقت الأحزان وتتقوى قلوبهم وقت التجارب وتتشجع ابان الضيقات. فلا يلجأون إلى تعزية دنيوية، ولا يجعلون ثقتهم ولا يلقون رجاءهم على ذراع بشرية

ذلك لأنها رأت أن هذه المزامير أولاً : تشتمل على كل أقسام الصلوة الثلاث التي هي [١] تمجيد الله وتسبيحه على جميع أعماله مز ١٠٤ [٢] شكره على مراحمه وإحسانه مز ١٠٣ [٣] طلب ما نحتاجه منه تعالى مز ٢٥ و ٥١ و ٧٩ و ٨٦.

ثانياً: أنها موافقة لكل انسان في كل زمان ومناسبة له في ظروفه وأدوار حياته وما يصادفه من أفراح وأتراح وغنى وفقر وسعة وضيق بل هي كما قال بعضهم «تستطيع أن تعلمنا كل أمر روحي ومعرفة ضرورية لنا. فلا يوجد حزن أو مرض أو بلوى لنفس الإنسان إلا وله في هذا الكنز الثمين علاج نافع في كل الأجيال وهكذا نظر إليه جميع آباء الكنيسة كنبع صاف للحيوة وكدواء وضعه الروح القدس لتشفى به الأنفس من جميع الشهوات.

أما وضع المزامير في الكنيسة يرجع إلى الرسل أنفسهم بدليل:

أولا: انهم كانوا يستعملونها في صلواتهم أع ١٦ : ٢٥.

ثانياً: أنهم أمروا المؤمنين باستعمالها في العبادة فقد قال الرسول «متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور له تعليم له لسان له اعلان له ترجمة. فليكن كل شئ للبنيان» ١كو ١٤ : ٢٦. وقال أيضا مكملين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب أف ٥ : ١٩.

ثالثاً : أن أقوال الآباء تؤكد أن استعمال المزامير قديم في الكنيسة وأنه نظام رسولي فقد قال الذهبي فمه. لا أدري كيف دبرت نعمة الروح القدس أن ينذر به ليلاً ونهاراً حتى أن الجميع يتخذونه بأفواههم كالطيب الكثير الثمن. فإن كان في الكنائس والإجتماعات العمومية «الروحية» فداود في الأول وفي الوسط وفي الإنتهاء. وان كان في جناز الموتى ومنازل العذارى وصنائع الأيدي فداود هو في الأول وفي الوسط وفي الإنتهاء.

فيالها من أمور تفوق الإدراك حتى الذين لا يعرفون القراءة متى أرادوا أن يتعلموا يبتدئون أولاً في أقوال داود ويحفظونها في قلوبهم وليس ذكر داود في المدن والكنائس فقط بل هو منشور في كل صقع واين وآن. وتشرق أنوار أقواله في الأسواق والشوارع فكم من صفوف إلهية ينهضها اجتهاد وافر في الأديرة. فلا يقوم في الأديرة طغمات ملائكية يجهدون في الصلاة لله إلا وداود في الأول وفي الوسط وفي الإنتهاء. فإن كان في أماكن العذارى المتشبهات بمريم. وفي مناسك الرجال في القفار، المجتهدون في صلواتهم يخاطبون الله وداود هو في الأول وفي الوسط وفي الإنتهاء. فكل من كان مستغرقاً بنوم ثقيل من اغتصاب الجسد الطبيعي ويعرض له أن ينهض ليلاً في غير وقت يتلقاه داود للحين. كم من تسبيحات ملائكية يقيمها لله من عبيده. فالأرض يجعلها سماء والبشر يصيرهم ملائكة. يزين حياتنا بأسرها ويهيئ لنا كل شئ.. ينمي الأولاد بالتأديب.. يدعو الشبان إلى العقل الرصين.. يهب العفة للعذارى، يمنح الشيوخ تحفظاً ويدعو الخطاة إلى التوبة».

رابعًا: قد أجمعت الكنائس الرسولية شرقًا وغربًا على استعمال المزامير في العبادة. والبروتستانت أنفسهم يستعملونها نظماً لا نثراً راجع الصلوة العامة للكنيسة الأسقفية التي تستعمل المزامير مثلنا في العبادة وجه ٣ و ٣٠٥.

وأخيراً قد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتي في تاريخه بأن المسيحيين الأولين كانوا يستعملونها في عبادتهم في الأوقات الخاصة بها وجه ١١٢.



الفصل الثالث

« أوقـــات الصـــلاة »

قد استلمت الكنيسة تعيين أوقات الصلوة من الرسل أنفسهم حيث جاء في أوامرهم بأن يصلي المؤمنون سبع مرات في اليوم في ساعات معينة هي صلاة الساعة الأولى. والثالثة. والسادسة. والتاسعة. والحادية عشر. والثانية عشر. ونصف الليل [١] أما كونها سبعة لا أكثر ولا أقل فللأسباب الآتية:

أولاً: لأن مواهب الروح القدس سبع اش ١١ : ١ و ٢ [٢].

ثانياً: اقتداء بداود النبي الذي قال سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدلك مز ١١٩ : ١٦٤.

ثالثاً: لأن السبعة عدد كامل وضع لسبعة أرواح الله رؤ ٤ : ٥ المتمشى في وسط السبع المناير الذهبية ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب رؤ ١ : ١٣، ١٦.

أما تخصيص هذه الساعات دون غيرها للصلوة فلثلاثة أمور:

أولاً: لأن الأنبياء قديماً كانوا يصلون فيها. فداود كان يصلي باكراً جداً مز ٥ : ٣، ٦٣ : ١ و ٦ وصباحاً وظهراً ومساءاً مز ٥٥ : ١٧ وفي نصف الليل مز ١١٩ : ٦٢ وكذلك أشعياء النبي اش ٢٦ : ٩ ودانيال

---

(١) المجموع الصفوي باب ١٤ صحيفة ١٥٩.

(٢) المجموع ذاته ٢٨ صحيفة ١٦٠.

٦ : ١٠.

ثانياً: لأن الرسل كانوا يصلون في هذه الأوقات نفسها – أي في الساعة الثالثة أع ٢ : ١٥ والسادسة أع ١٠ : ٩ والتاسعة أع ٣ : ١ و ١٠ : ٣ وفي نصف الليل أع ١٦ : ٢٥ وبديهي أنهم كانوا يصلون صباحاً ومساءاً كما ذكر عنهم أنهم كانوا يصلون ليلاً ونهاراً كالآباء قديماً راجع ٢تي ١ : ٣ مع لو ٢ : ٣٧ وأع ٢٦ : ٧ و١تس ٣ : ١٠.

ثالثاً: لتنبيه أذهاننا إلى ما حدث في هذه الأوقات كما سترى.

ثبت من هذه الأدلة أن الأوقات التي عينتها الكنيسة للصلوة مصدرها الكتاب المقدس ولذلك واجب اعتبارها والتعويل عليها وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتي عن استعمال الكنيسة في الأجيال الأولى للمسيحية تلك الأوقات للصلوة إذ قال وكان المسيحيون غالباً يصلون ثلاث مرات في النهار. الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة كعادة اليهود وصلوا كثيراً وغالباً غير هذه الصلوة المفروضة لأنهم اعتقدوا أن المعاشرة مع الله هي من أعظم واجبات التقي «أنظر سبريانوس في الخطاب وجه ٢١٤، ولا أرتاب بأنه كان يستعمل طقس مخصوص من الصلوة في كل مكان جهراً وسراً (وجه ١١٢).

ومما يجدر ذكره أن تعيين أوقات للصلوة قد اصطلحت عليه كل الكنائس المسيحية حتى البروتستانت أنفسهم عينوا أوقاتاً خصوصية للصلوة العامة والإنفرادية إذ جاء في كتاب كشف الظلام وجه ٤٠ ما نصه (نعين أوقاتاً مرتبة خصوصية كما نعين أوقات طعامنا ويجب أن لا نسمح لعمل أو لغفلة أو لإنسان أن يمنعنا عن هذه الممارسة بظروفها التامة. ان الإنسان لا يمكن أن تكون نفسه ناجحة ما لم يعين أوقاتاً خصوصية لأجل الصلوة السرية وليكن ذلك أقل ما يكون مرة أو مرتين في النهار وإذا صلى ثلاث مرات يكون أنفع).

وعلى هذا النظام الرسولي صارت الكنيسة من يوم تأسيسها في تأدية الصلوة في أوقاتها الخاصة. فالأفراد والعائلات كانوا يثابرون على الصلوات اليومية بإجتهاد كبير وكان إذ باشر أحدهم عملاً يتلو مزامير وترانيم روحية(١).

(١) «صلوة الساعة الأولى»

وتسمى صلوة باكر أو صلوة الفجر أو السحر تصليها الكنيسة في هذا الوقت للأسباب الآتية :

أولاً: تمثلا برجال الله مزمور ٥: ٣، ٣٠: ٩، ١١٩: ١٤٧.

ثانياً: لتقدم باكورة اليوم للرب الذي هو الألف والياء الأول الآخر رؤ ١: ٨ وكوكب الصبح المنير رؤ ٢٢: ١٦.

ثالثاً: لأن الصبح أو الفجر هو بداءة ظهور النور الطبيعي وقد رتبت الكنيسة خدمة صلوة باكر فيه لتذكرنا بظهور النور الحقيقي الذي ينير كل انسان يو ١: ٩ يسوع شمس البر التي أشرقت والشفاء في أجنحتها مل ٤: ٢.

وإذا تأملنا في صلوة باكر رأيناها تتضمن [١] جميع ظروف ظهور المخلص على الأرض. فالمزمور الثاني يشير إلى ولادة المسيح وفصل الإنجيل الخاص بها من يو ١: ١- ١٧ يتضمن ظهور الكلمة الأزلي بالجسد الذي فيه كانت الحيوة والحيوة كانت نور الناس والنور يضئ في الظلمة يو ١:

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة ق ١ وتاريخ الكنيسة بالإختصار طبع مالطه ق ٤ ك ٢ ومختصر التعليم المسيحي للبروتستانت ف ١: ٢٩ وموسهيم ق ١ف ٥: ١٢.

٤ و ٥. ثم تتلى تسبحة الملائكة التي رنموا بها يوم أن طلعت شمس البر في سماء العالم بالميلاد لو ٢ : ١٤.

[٢] تذكرنا هذه الساعة أيضاً بالقبض على يسوع بواسطة الجند بعد أن قضى الليل كله ساهراً في الصلاة في بستان جسماني راجع مت ٢٦ : ٤٧ و ٥٧، ٢٧ : ١ مع يوحنا ١٨ : ٣ و ٢٨ إذ أن مزاميرها تتضمن تأمر الرؤساء على الرب وعلى مسيحه واستغاثة يسوع بالصلوة في نفس هذا الوقت.

[٣] تذكرنا بقيامة الرب يسوع من بين الأموات في صباح الأحد باكراً جداً مت ٢٨ : ١ ومز ١٦ : ١ وتتلو الكنيسة مز ١٦ الذي يشير إلى قيامة المخلص.

انا نصلي هذه الصلاة عندما نستيقظ من النوم «الذي يسمى الموت الصغير» في الصباح باكراً متذكرين قيامة الرب التي هي عربون قيامتنا شاكرين مراحم الله الباعث النور الحقيقي لعنايته بنا ومحافظته علينا في الليل وعلى القوة التي مد بها عقولنا وصحتنا حتى قمنا بواجبات اليوم الماضي. متضرعين إليه أن يشرق في قلوبنا بنور معرفته الإلهية كما أشرق نور شمسه على العالم. وأن يهبنا نعمة نقوم بها بواجبات النهار. وأن يمدنا بقوة نتغلب بها على تجاربه الكثيرة ويجعلنا أبناء نور وأبناء نهاراً لكي نجتاز اليوم الحاضر ببر وطهارة.

هذه الصلوة يجب تأديتها قبل مباشرة أي عمل لتكريس اليوم باعطاء باكورته للرب كما قلنا لأنه ينبغي أن الأول في المنزلة والإعتبار يهدي بأول أوقاتنا ويخدم بباكورة أيامنا كما كانت الأمة اليهودية تكرس باكورات غلاتها وباكورات مواشيها إلى الله مانح الجميع نعمة.

(٢) « صلـــوة الساعـة الثالثـة »

رتبت الكنيسة هذه الساعة لتأدية الصلوة فيها تشبهاً برجال الله القديسين وتذكرنا:

أولاً: بقضاء بيلاطس على يسوع وتقديمه لليهود للصلب ظلماً ومزاميرها تشير إلى ذلك راجع مز ٢٦ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٦.

ثانياً: تذكرنا بحلول الروح القدس على التلاميذ في العلية أع ٢: ٣١ – بينما كانوا يصلون. وفيها الطلبات التي تتلوها الكنيسة «الكهنة» وأننا نصليها لذكرى تلك الأعجوبة التي باركت العالم وقدست المسكونة. والإنجيل الخاص بها من يو ٢٤: ٢٦ الخ.. يتضمن وعد المسيح لرسله بارسال الروح القدس من عند الآب باسمه ليعلمهم كل شئ يو ١٤: ٢٦ وفيها نطلب من الله الذي وهب تلاميذه الأطهار «الروح القدس» في الساعة الثالثة أن يعطينا إياه ويجدده في أحشائنا روحاً مستقيماً وقلباً نقياً يخلقه فينا وأن لا يطرحنا من قدام وجهه وروح القدوس لا ينزعه منا مز ٥١. وفي التحليل الخاص بها نشكره على اعطائه إيانا نعمة الصلوة في هذه الساعة التي فيها سكب روحه القدوس بغنى على رسله القديسين كألسنة من نار ونسأله أن يطهرنا من كل دنس الجسد والروح وأن يجددنا حتى لا نشاكل هذا العالم بل لنسلك بالروح ولا نكمل شهوات الجسد غل ٥: ١٦ [١].

---

(١) راجع طلبات وتحليل هذه الساعة في الأجبية وجه ٧٣ – ٧٦ و ٩٢ – ٩٦ والمجموع الصفوي وجه ١٦٠.

(٣) « صلـوة الساعـة السادسـة »

تصلي الكنيسة في هذه الساعة من النهار التي يعبر عنه بالظهر مز ٥٥.

أولاً : تشبهاً بالرسل والأنبياء كما تسلمت منهم.

ثانياً: لأنه في مثل هذه الساعة صلب المخلص مر ١٥ : ٣٣.

تذكرنا هذه الصلاة بما احتمله الرب وهو معلق على الصليب من الآلام المبرحة التي يشير إليها مز ٥٤: ٥٥: أما مزمور ٩١ فهو يشير إلى ملكوت المسيح أي كنيسته التي لم تتزعزع بل بقيت ثابتة وتبقى كذلك إلى أبد الدهر وأبواب الجحيم لن تقوى عليها مت ١٦ : ١٨ لأن نسل المرأة «الرب يسوع قد سحق رأس الحية أي إبليس» عب ٢ : ١٤ ولذا قيل فيه: على الأسد والصل تطأ. الشبل والثعبان تدوس مز ٩١: ١٣ وانجيلها من مت ٥: ١- ١٦ يتضمن التطويبات التي يشجع بها الرب تلاميذه على احتمال الآلام والإضطهاد من أجله كما تحمله الأنبياء الذين كانوا قبلهم واعداً إياها بحسن الجزاء وجميل الأجر في السماء مت ٥: ١٢ وعندما نصلي نذكر كل ذلك ونطلب من الذي سمر على الصليب في اليوم السادس وفي الساعة السادسة من أجلنا بإرادته وأمات الخطية بالصليب أف ٢ : ١٦ ودانها في الجسد رو ٨: ٣ وأحيا الإنسان بموته وصالحنا في جسم بشريته كو ١ : ٢١ و ٢٢ أن يصلب انسان الخطية الساكن فينا ويسمر مخافته في قلوبنا ويرفع عقولنا من هذا العالم إلى تذكار أحكامه السمائية اكراماً لآلامه المحيية الخ. ويمزق صك خطايانا كما محاه في هذه الساعة المقدسة ويمدنا بمعونته حتى نستطيع أن نصلب الجسد مع الأهواء والشهوات غل ٥: ٢٤ وننقاد بروح الله رو ٨: ١٤.

(٤) « صلـــوة الساعة التاسعـــة »

في هذه الساعة ذاق يسوع الموت بالجسد على الصليب وأسلم الروح في يدي الآب مت ٢٧ : ٤٦ و ٥٠ وتنبأ عن ذلك داود في مز ١١١ و ١١٦ وأرسل فداء لشعبه، واعترف اللص وآمن بالمصلوب وهو على الصليب وسأل الرب أن يذكره إذا جاء في ملكوته لو ٢٣ : ٤٢.

وتذكرنا صلاة هذه الساعة بالخلاص الذي نلناه بموت يسوع. وأنا نصليها ونطلب من الرب الذي مات لأجلنا أن يميت فينا الأميال الشريرة وأن يقبلنا نحن الخطاة كما قبل إليه اللص اليمين لو ٢٣ : ٤٢ وانجيلها من لو ٩ : ١٠ – ١٨.

(٥) « صلـــوة الساعة الحادية عشـــر »

وتسمى صلوة الغروب. في هذه الساعة أنزل جسد المسيح عن الصليب مت ٢٧ : ٥٧ وحنط بالحنوط ولف بلفائف من كتان مع الأطياب ووضع في القبر مت ٢٧ : ٦٠ و يو ١٩ : ٤٠ ونحن نصليها شكراً لله الذي مات من أجلنا والذي بموته أكمل الفداء واستراح من عمله يو ١٩ : ٣٠ وأراحنا من لعنة الخطية. إذ صار خطيئة لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه. وعلى حفظه إيانا في اليوم الحاضر وإتيانه بنا إلى المساء بسلام. لكي يحافظ علينا كل أيامنا حتى الساعة الأخيرة التي فيها تغرب شمس العمر وينتهي نهار الحيوة. قبل أن يأتي الليل حيث لا يستطيع الإنسان أن يعمل عملاً. ولكي يجعلنا من أصحاب الساعة الحادية عشر. قال أحد الآباء بما أن المساء وهو وقت غروب الشمس وحلول ظلام الليل وبما أن أزمنة العهد القديم بالنسبة إلى زمن العهد الجديد كانت أزمنة ظلام وكما يسميها بولس زمان الليل رتبت الكنيسة صلوة المساء لتذكرنابأهم حوادث العهد القديم.

(٦) « صلـــوة الساعة الثانية عشر »

وتسمى صلوة النوم: في هذه الساعة وضع يسوع في القبر يو ١٩ : ٣٩ . وهي أيضاً تشير إلى آخر ساعة من عمر الإنسان وبما أن النوم يذكر الإنسان بالموت يجب علينا أن نظهر التوبة والندامة في هذه الصلاة ونطلب الرحمة والغفران قال أحد الآباء (بما أن الوقت الذي نصلي فيه صلوة النوم تعتبر الكنيسة وقت نزول المسيح الجحيم وتخليص أنفس الصديقين المنتظرين مجيء المخلص الذي تألم لكي يقربنا إلى الله مماتاً في الجسد لكي نحيي في الروح الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن ١بط ٣ : ١٨ و ١٩ وبشر الموتى لكي يدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح ١ بط ٤ : ٦ لأجل هذا تؤلف هذه الصلوة من مزامير تتضمن أقوالاً عن نزول المسيح إلى السجن وتخليص أنفس الصديقين كما في مز ١٤٢ و ١٤٦ ثم تمجيدات وتشكرات وتسابيح تظهر بها الكنيسة فرحها وشكرها لله الذي غلب الجحيم والموت كما في مز ١٤٧ و ١٤٨ ونحن نصليها ذاكرين دفن السيد: طالبين من الله أن يمكث معنا كل الليل لو ٢٤ : ٢٩ وأن يعسكر حولنا بملائكته حتى نجتازه بسلام بدون قلق ولا إضطراب ولا خوف. ونقوم في الصباح لتسبيح الرب ونطلب منه أيضاً أن يعطينا نعمته لكي نستعد للساعة الأخيرة إذ نكمل عملنا ونرقد الرقاد الأخير مع الرب إذ نموت عن الخطايا فنحيا للبر ١بط ٢ : ٢٤ لكي إذا متنا معه نقوم معه ١تس ٤ : ١٤ في صباح القيامة حيث تكون معه كل حين ونرنم ترنيمة الحمل مع جمهور القديسين ونسبح تسبيحة الغلبة والخلاص للجالس على العرش ونقول هللويا الخلاص لإلهنا.

(٧) « صلـــوة نصف الليل »

تقسم إلى ثلاث خدم كل هزيع أو هجعة من هجعات الليل.

فصلوة الهزيع الأول: تذكرنا بمجئ المسيح الثاني الذي سيأتي فجأة كاللص في نصف الليل ١تس ٥: ٢ وغاية الكنيسة من ذلك تحريض النفس على التحلي بلباس الفضيلة والإستعداد لملاقاة الختن السماوى كالحكيمات مت ٢٥: ١٠ ، وإنجيلها من مت ٢٥: ١ - ١٥.

صلوة الهزيع الثاني: تذكرنا بيوم الدينونة الرهيب وتحثنا على التوبة والندامة وطلب الرحمة والإنعام علينا بإنسحاق القلب قبل أن يأتي الإنقضاء - ومزامير هذه الهجعة وانجيليها يتضمنان ذلك.

صلوة الهزيع الثالث: تنبه النفس وتحثها على السهر واليقظة حتى إذا ما جاء ابن الإنسان يجدنا ساهرين وكأناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت فينالوا الغبطة والفرح مت ٢٤: ٤٢- ٤٤ ولو ١٢: ٣٦ و ٣٧.

ونصلي صلوة نصف الليل طالبين من الرب يسوع أن ينبه قلوبنا ويوقظ نفوسنا من نوم الغفلة وأن ينظر إلينا بعين الرحمة والشفقة ويؤهلنا للدخول معه إلى عرسه السموي.

هذا ما أجمع عليه آباء الكنيسة سردناه لكي نتعلم منه حكمة الكنيسة في ترتيب المزامير واستعمالها في العبادة وتعيين أوقاتها وتحديد ساعات الصلوة بها والغرض منها. فلا يسعنا إلا الإعتراف بحكمتها راضين عن هذا النظام المحكم والترتيب لصالح الذي وضعته لخير بنيها.

أما صلوة الستار فهي خاصة بالآباء الرهبان يصلونها قبل النوم مباشرة وهي تبتدئ بمزمور ٤ الذى يتضمن تفكير الإنسان قبل نومه بما أتاه من أفكار والأعمال «وما تقولونه في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم، أعوم كل ليلة سريري بدموعي أذوب فراشي مز ٦: ٦ وتحرضنا الكنيسة فيها على تسليم نفوسنا للعناية الإلهية مز ٢٣ و ٣٠ و ٩١ والمبيت في ظل القدير. حافظ إسرائيل الذي لا ينعس ولا ينام مز ١٢١ إلخ. وعلى السلوك المرضي أمامه وحفظ وصاياه مز ١٣ و ١٥.

الفصل الرابع
(كيفية وسبب وفائدة رشم الصليب وإكرامه)

واعتادت الكنيسة كما تسلمت من معلميها ومؤسسيها وكلاء الله أن تبدأ صلواتها برشم علامة الصليب [1] على الوجه. وكيفية ذلك أن نضع الأصبع على جبهتنا ونقول «بسم الآب» ثم ننقلها إلى صدرنا ونقول

---

(١) الصليب هو الخشبة التي علق عليها المسيح الفادي.. وبقيت مدفونة في القدس إلى أن أخرجتها القديسة هيلانة قال ابن خلدون نقلاً عن ابن الراهب أن إسكندر البطريرك ولى أول سنة من ملك قسطنطين فمكث سنة وعلى عهده جاءت هيلانة أم قسطنطين لزيارة بيت المقدس وبنت الكنائس وسألت عن موضع الصليب فأخبرها مقاريوس الأسقف أن اليهود أهالوا عليه التراب والزبل فأحضرت الكهنة وسألتهم رفع ما هنالك من الزبل ثم استخرجت ثلاثة من الخشب، والخشبتان الآخرتان هما اللتان صلب عليهما اللصان، وسألت أيتها خشبة المسيح فقال لها الأسقف أن الميت يحيا بمسيسها واتخذوا ذلك اليوم عيداً لوجود الصليب وبنت على الموضع كنيسة القمامة «القيامة» وكان ذلك لسنة ٣٢٨ من مولد المسيح. أنها أخرجته من تحت الذبل وغشته بالحرير والذهب وجاءت به إلى رومية والمأثور في تاريخ الكنيسة أنها إنما أرسلت قسماً منه إلى روميه وأبقت قسماً في القدس فبقى فيها إلى أن أخذه كسرى عندما استولى على أورشليم فبقى في أيدي الفرس ١٤ سنة حتى اندحر كسرى الثاني أمام الرومانيين سنة ٦٢٩ م ٦هـ وصالحهم شيرويه قباذ الثاني ملك الفرس فاستولى هرقليوس على الصليب ورده إلى كنيسة القيامة وأقام النصارى عيدين تذكاراً لإكتشاف خشبة الصليب واسترجاعها. يقع أولهما في ٣ أيار مايو والثاني في ١٤ أيلول سبتمبر (توت) دائرة المعارف وجه ١٣ مجلد ١١.

وهكذا قال أحد الآباء اليسوعيين في مجاني الأدب جزء أول أن هيلانة الملكة جاءت إلى القدس في السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين وبأن الصليب الخاص بالمسيح لم يعرف إلا لما وضعوا عليه جثة ميت قد بلي إذ قام حياً. راجع جزء أول وجه ٣٠٩ و ٣١٠

«والابن» ثم نضعها على كتفنا اليسرى وننقلها إلى اليمنى ونقول «والروح القدس» ثم نختم ذلك قائلين «الإله الواحد آمين».

أما وضع الأصبع على الجبهة. وقولنا «بسم الآب» فذلك إشارة إلى أن الله الآب فوق الجميع ورأس كل خليقة. وبنقلها إلى صدرنا اعترافاً بأن الأقنوم الثاني كلمة الله الأزلي المساوي الآب في الجوهر تنازل من سماء مجده واتخذ جسداً طاهراً كونه من دماء العذراء النقية. وبوضعها على الكتف اليسرى ونقلها إلى اليمنى بقولنا «والروح القدس» إشارة إلى أننا بموت المسيح مصلوباً وبقول الروح القدس انتقلنا من الظلمة إلى النور العجيب أو من الشقاء لمعبر عنه بجهة الشمال المرذولة مت ٢٥ : ٢٣ [(١)] إلى مكان المجد والكرامة المعبر عنه باليمين موضع المختارين مت ٢٥ : ٣٣ وبقولنا «إله واحد» اعترافاً بوحدانية الله في ثلاثة أقانيم مت ٢٨ : ١٩ ويو ٥ : ٧.

﴿ سبب استعمال رسم الصليب ﴾

يرجع أصل استعمال رسم الصليب إلى الرسل أنفسهم [(٢)] فإنهم أمروا أن نرشم على جباهنا علامة الصليب في كل حين بإيمان قلبي ليهرب الشيطان منا. وجعلوا هذه العلامة مقرونة بإسم الجلالة لتنجو بها من أشراكه الردية وضرباته المرة الشيطانية كما جعل موسى دم خروف الفصح علامة على بيوت الإسرائيليين لكي لا يضرب الملاك المهلك أبكارهم كما ضرب أبكار المصريين خر ١٢.

---

(١) قوانين الرسل رسطب ٤٧.

(٢) المجموع الصفوي وجه ١٥٧ رسالة بطرس للإكليمس.

وقد أمرت الكنيسة برسم علامة الصليب على جدران الكنائس والمذابح والأغطية واللفائف وملابس الكهنوت والقربان وكل ما يقرب لله للدلالة على أنه لله وقد طبع بختمه.

وقد أثبت الآباء في مؤلفاتهم ان استعمال رسم الصليب تقليد رسولي فترتليانوس يقول أن المسيحيين اعتادوا رشم اشارة الصليب قبل كل عمل للدالة على أن ما يعملونه هو لوجه الله ومجده بسم الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس ١ كو ٣ : ١٧ (١) وقال أيضاً أن المسيحي الحقيقي يرشم دائماً على نفسه إشارة الصليب عند خروجه من البيت ودخوله فيه. عند رقاده وانتباهه. عند لبس ثيابه وعند تناوله الأكل وجلوسه وفي جميع أعماله. والقديس امبروسيوس يقول: لا تقوى الكنيسة أن تقوم دون الصليب كما أن السفينة لا تقوم دون سارية (٢) والقديس باسيليوس يقول: (تعلمنا من التقليد أن نرسم الصليب على جبهتنا وعلى سائر الأمكنة).

ثم أن التاريخ والآثار تنبئنا بأن المسيحيين في القرن الأول كانوا يعلقون في أعناقهم صلباناً من المعادن وقد وجدت صحيفة في القرن الثاني للميلاد مكتوب عليها «يا صليب طهرني أطردك أيها الشيطان. بحيث لا تبرح مقرك أبدا أفعل ذلك باسم سيدي الحي» (٣).

(وكتاب الوثنيين في الجيل الثاني وما يليه لاموا المسحيين وعابوهم على اتخاذ الصور. منهم سليسيوس الذي قال أن النصارى يعبدون إنساناً عوقب بعذاب أليم لإثمه ويعبدون ما يستحقون – أي الصلبان – وقال هوذا قد أعدت لكم العقوبات والعذابات والصلبان لا لتعبدوها بل لتتحملوا

---

(١) تفسير الرسائل وجه ٢١٣ ك ١ عن يوليانوس.

(٢) ميمر ٥٦.

(٣) هذه الصحيفة موجودة في المكتبة الأهلية في قاعة الوسامات بباريس. راجع مجلة الهلال سنة ١٠ : ١١.

آلامها) قال أوريجانوس الذي رد على ترهات هذا الكافر (أنه كان يعير المؤمنين بعبادة الصلبان) وكيرلس الأسكندري قال: «إن يوليانوس عير المسيحيين لأنهم كانوا يسجدون لعود الصليب ويرسمون اشارته على جباهم ويحفرونها في أعتاب بيوتهم» [١].

وقد شهد البروتستانت في كتبهم أن استعمال رسم الصليب قديم في الكنيسة فقد قال موسهيم المؤرخ البروتستانتي في كلامه على طقوس الكنيسة في القرن الثاني «أنهم كانوا يعمدون.. وكانوا يرشمون الصليب على المعمدين ويمسحونهم ويستودعونهم لله بالصلوة ووضع الأيدي [٢] وظنوا أن في رسم الصليب قوة فعالة ضد كل نوع من الشر ولا سيما ضد حيل الأرواح الشريرة ولهذا لم يشرع أحد في شئ له بدون أن يرسم الصليب.. أن المسيحيين يرسمون الصليب تذكاراً دائماً لموت المسيح الذي يكفر عن الخطية» [٣].

وقال صاحب كتاب ريحانة النفوس «ان الكنيسة القديمة كانت تعتبر جداً للتعليم العظيم الموجود في الإنجيل «الذي هو» أن الخلاص بجملته إنما هو بدم المسيح المسفوك على الصليب فقط. وكان هذا التعليم دائماً أمام عيونهم ويفتشون على رمز مناسب يشير إلى جميع البركات المسبغة علينا بواسطة موت المسيح «ولذلك» اتخذوا إشارة الصليب. وكانوا يستعملون هذه الإشارة مراراً كثيرة جداً في جميع أعمالهم الإعتيادية – أي عند النوم والقيام والأكل والشرب واللبس وإضاءة السرج وفي الصلوة وبالإجمال في كل حركة قاصدين أن يدلوا بذلك على أن الديانة الإنجيلية يجب أن تدخل في جميع أعمال الناس.. وإن كان الصليب يعتبر على هذا المنوال تبعة استعمال الصلبان معلقة في الأعناق. ومنقوشة على ا

---

(١) مرآة الحقائق الجلية صحيفة ٣٣٦.
(٢) تاريخ موسيم وجه ٧٦
(٣) التاريخ ذاته صحيفة ١١٢ و ١١٣.

لأيدي، ومرسومة على أشياء كثيرة من أمتعة البيت. ولذلك استعملت الصلبان في الكنائس ورسمت على أوانيها (١).

وفي كتاب الصلوة الهامة للكنيسة الأسقفية ما يدل على أن الإنجيليين يستعملون إشارة الصليب للغرض الذي نستعمله نحن إذ جاء فيه ما نصه «أننا نقبل هذا الولد في جماعة قطيع المسيح ونرسمه بعلامة الصليب إشارة إلى أنه لا يستحي فيما بعد من أن يقر بإيمان المسيح مصلوباً ويحارب تحت رايته الخطية والدنيا والشيطان ببسالة ويستمد جندياً للمسيح أميناً وخادماً له إلى آخر حياته. آمين» هنا يرسم القس على جبين الولد صليباً» (٢).

وجاء في كتاب إثبات صلب المسيح تأليف المرسلين الإنكليز ما نصه:

أن المسيحيين الأول قبلَ عهد قسطنطين الكبير شرعوا بحفر علامة الصليب على قبور موتاهم المحبوبين كما تشهد مدافن رومية إلى يومنا هذا(٣). وقال قسطنطين وهو أول امبراطور مسيحي. أنه بينما كان زاحفاً بجيشه لمحاربة ماكنتيوس الوثني رأى في رؤيا صليباً ظاهراً في عرض السماء وهذه الكلمات «بهذه العلامة انتصر» مكتوبة حوله فعمد بناء على هذه إلى عمل راية بهيئة صليب فانتصر بها على ماكنتيوس الوثني وجيشه انتصاراً عظيماً ومن ذلك الوقت صار الصليب معروفاً عند العموم ومكرماً في الإمبراطورية كشعار للديانة المسيحية وعلامة الظفر على الوثنيين (٤). وهكذا لم يزل مصوراً على أعلام وشعار كثيرة من البلدان المسيحية. ومرفوعاً كعلم فوق الكنائس لا عدد لها ومزينة صدور الرجال المشهورين في

---

(١) باب ٥: وجه ٥٩ – ٦٢.

(٢) الصلوة العامة صحيفة ٢٨٣.

(٣) صحيفة ٥٢.

(٤) راجع موسهيم ك ٢ ق ١ وجه ١٢٧.

كل منطقة كوسام يمنحه الحكام المسيحيين للذين يستحقونه ويتزين به ملايين من السيدات المسيحيات كحلية محبوبة. ونتعلم من كتابه ترتوليان التي كتبها في الجيل الثاني بعد المسيح أنه كانت عادة بين المسيحيين أن يرسموا إشارة الصليب بأصابعهم على أجسادهم عند القيام والأكل والإستحمام الخ والكنيسة الأسقفية إلى يومنا هذا تعلم أن كل شخص يجب أن ترسم على جبهته إشارة الصليب عند المعمودية وهكذا يقول القس القائم بوظيفة العماد الكلمات المؤثرة الآتية «أننا نقبل هذا الولد..الخ».

وجاء في دائرة المعارف ما نصه «ولما كان المسيح مات صلباً أصبح الصليب علامة المسيحية وشعاره وهو يرمز إلى الحيوة. وكان المسيحيون في أول عهد النصرانية يتعارفون برشم إشارة الصليب ومن ثم نقشوه ورسموه وأقاموه على أشكال تفوق الحصر... والظاهر من الآثار أنه لم يشع استعمال الصلبان في النصرانية إلى في القرن الثالث إما لأنهم كانوا يخافون أن يجاهروا بها. أو لأنهم لم يكونوا اعتادوا تكريمها على ما هو جار في هذه الأيام ولكن لما تراءت صورة الصليب في الجو للإمبراطور قسطنطين على ما جاء في أخبار الكنيسة زاد إستعمال الصلبان شيوعاً وبعد أن كان النصارى يرسمونها وينقشونها على النواويس والمعابد تحت الأرض أخذوا يتظاهرون بها في كل مكان وأقاموها في كنائسهم ونقشوها على أختامهم ونقودهم وأبنيتهم ومدافنهم [1].

من هذه الأدلة يتضح أن إستعمال رسم الصليب قديم في الكنيسة وبالتالي تقليد رسولي مأخوذ ومأمور به من الرسل أنفسهم.

---

(١) مجلد ١١ وجه ١١ و ١٢ ومجاني الأدب جزء أول وجه ٣٠٧.

﴿ الغرض من رسم الصليب وفائدته وإكرامه ﴾

«والغرض من استعماله» قال بعضهم : «أنه لما كان شعب الله قديماً في ضيقة وسموا بالدم فنجوا. هكذا المؤمنون بإشارة الصليب وبدم الخروف ينجون من الضيق الآتي رؤ ٧: ١١ وكما كانت تلك العلامة «الدم» مميزة بيوت الإسرائيليين من بيوت المصريين كذلك هذه العلامة، رسم الصليب، «تميز المؤمنين من الأمميين الذين لم يؤمنوا بالفادي المصلوب ١كو ١: ٢٣ وذكر موسهيم سبباً لذلك فقال أنهم رسموه أولاً تذكاراً دائماً لموت المسيح الذي يكفر عن الخطية. وأضاف صاحب ريحانة النفوس سبباً آخر بقوله: أن المسيحيين كانوا يستعملونها إشارة إلى جميع البركات المسبغة علينا بواسطة دم المسيح المسفوك على الصليب».

أما فائدة رسمه: فإنه يذكرنا بتعاليم روحية ويعيد إلى أذهاننا حوادث تبعث في القلوب خشوعاً وفي النفس انسحاقاً وتحملنا على شكر الفادي المصلوب لأجل آثامنا وقال بعضهم أن في رسم الصليب فائدة لنا عندما نسم به أنفسنا ونسمه على أيدينا وهي أن نجاهد لكي نكون في عداد المرسومين رؤ ٧: ٤ قال الذهبي فمه. برسم الصليب يتقدس جسد الرب. يتقدس تبع الصبغة. تبتدئ الكهنة وسائر رتب البيعة وجميع الأمور التي تتقدس تكرس بهذا الرسم - رسم صليب الرب - وبدعوة اسم المسيح لأنه صورة الملك الأعظم وهو خاتم اسمه فكما أن ملاك النقمة أهلك جميع أبكار مصر دون الإسرائيليين لأن أعتاب بيوتهم كانت مرسومة بعلامة الصليب بدم الخروم كذلك كل شئ يوضع عليه رسم صليب الرب لا يقترب إليه المفسد «على مت ١٠» وقال غيره قد عظم يقين بني الإيمان برسم الصليب لأنه قوة الله الذي به صنع الخلاص لنا: فنرسم الصليب.

(١) في بدء جميع أعمالنا. إن نمنا وإن قمنا الخ لنكون متشبهين بحياة المسيح ومترجين أن تسدد خطواتنا بهذا السلاح وتستقيم أفعالنا وتنجح أمورنا حتى نبلغ السماء بالذي أحبنا وتألم لأجلنا وذلك وفق قول الرسول

(١كو ١٠ : ٣١).

(٢) نرسمه في جميع ما يعرض لنا من المكاره وجميع ما يطرأ من العوارض البدنية. وفي جميع ما يحدث لنا من الحوادث الخارجية لأن الرب بموته على الصليب أخضع لنا جميع الطبائع التي كانت تغلبت علينا بالخطية فبرسم الصليب تدل على زوالها وضعف قوتها.

(٣) نرسمه على جميع تعليم الشياطين كالسحر وغيره مما يقصد به ضررنا. وبه بنعمة الله نقهر قوتها كما قهر داود جليات برشق الحجر. ونخزيها كما أخزى موسى عساكر عماليق بمد يديه على شكل صليب ونلاشي حيلها كما يلاشي الريح الدخان.

(٤) لأنه لا يتبارك شئ من أمور الكنيسة ولا يتقدس إلا بالصلوة وكلمة الله بإشارة الصليب. فلا يتعمد مؤمن ولا تكرس الكنائس والمذابح ولا يتكلل للعرسان ولا تنحل خطايا التائبين ولا يرسم الكهنة والشمامسة ولا يتبارك الشعانين والأيقونات والزيت وملابس الكهنوت وأغطية المذبح ولا يقدس الميرون ولا زيت العماد ولا يتم شئ من أمور الكنيسة حتى جسد الرب ودمه إلا برسم الصليب مقترناً بالصلوة والدعاء [١].

إكرامه : أما سبب إكرام الصليب فهو :

(١) لأنه الآلة التي تم بها خلاصنا وكمل سر فدائنا. قال بعضهم أن الصليب الذي كان في القديم آلة النقمة والعذاب وسبب اللعنة والهلاك تث ٢١ : ٢٣ وغل ٣ : ١٣ بعد أن ارتفع عليه ابن الله بالجسد صار لجنس البشر آلة الخلاص وسبب الحيوة وواسطة المصالحة مع الله. فما كان للعنة تحول إلى بركة وما كان علامة الهزء والإحتقار صار موضوع الفخر

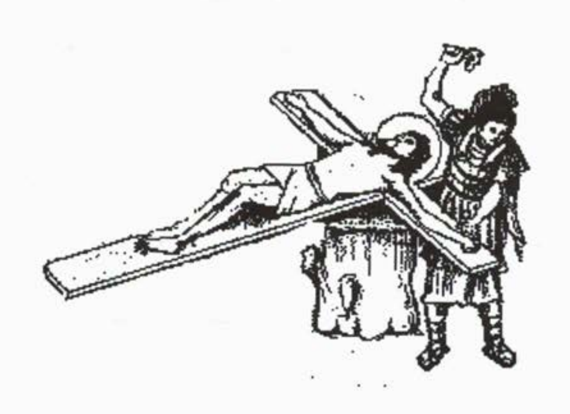
---

(١) راجع منارج الأقداس للمويهي جزء ٢ صفحة ٢٠٧ و ٢٠٨.

والكرامة. وما كان عثرة لليهود وجهالة للأمم صار ملجأ وسبيلاً لمن طلب البلوغ إلى مقر الراحة وسدد الأبرار حتى أن بولس شهد لأهل غلاطية أنه ما كان يفتخر إلا بصليب ربنا. (غل ٦ : ١٤).

هذا ما نقوله للمنكرين استعماله والقائلين بعدم لزومه وهم مع الأسف من المؤمنين الذين في الوقت نفسه ينادون ويكرزون بالمسيح مصلوباً. ونحن نخشى أن ينطبق عليه قول الرسول عن الكثيرين الذين ذكرهم باكياً وهم أعداء صليب المسيح في ٣ : ٨ والذين وان أنكروا علينا استعماله فإنهم يستعملونه ويرسمونه على أبواب وحيطان كنائسهم ومنابرهم وذلك طبعاً لتمييز معابدهم عن معابد الأمم.

(٢) لأنه العلامة التي أنبأ السيد بظهورها قبل مجيئه مت ٢٤ : ٣٠ وإذا كان الصليب علامة ابن الإنسان المتنبئة بمجيئه الثاني وجب توقيره. ونحن نفتخر به لأنه عنوان مجدنا وموضوع فخرنا وإن كان عند قوم موضع الهزء إلا أنه عندنا نحن المخلصون قوة الله ١ كو ١ : ١٨ ونحن نكرز بالمسيح المصلوب عدد ٢٣.



الفصل الخامس
« الإتجاه نحو الشرق »

أن الكنيسة المقدسة قد اعتادت منذ العصر الرسولي بناء على أوامر الرسل أن تتجه في صلاتها نحو الشرق أو تجعل الشرق قبلتها في الصلوة إذ قيل ما نصه «وتكون الصلوة وتقام المعابد جهة الشرق وفي الصلوة يجب الإتجاه بالوجه نحو الشرق لأنه الجهة التي قال المسيح له المجد أن يظهر منها في مجيئه الثاني مت ٢٤ [(١)] وكقول داود: رتلو للرب الذي صعد إلى سماء السموات نحو المشارق مز ٦٧ : ٨ «طبعة رومية» ومن مشرق الشمس إلى مغاربها اسم الرب مسبح مز ١١٣ : ٣ وقول النبي، لذلك في المشارق مجدوا الرب اش ٢٤ : ١٥. فإلى هذه الجهة التي سمع فيها صوته ومنها مجيئه أوجبت الشريعة أن يوجه إليها المصلي وجهه زك ١٤ : ٤.

وقد علل القديس أثناسيوس ذلك بثلاثة أسباب أولها لأن فردوس عدن كان في الشرق تك ٢ : ٨ ثانياً لأن المسيح شمس البر جاء من المشرق مت ٢ : ٢، ثالثاً لأن يسوع صعد وسوف يأتي من المشرق. لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجئ ابن الإنسان مت ٢٤ : ٢٧.

وقد ذكر بعضهم أسباباً أخرى نأتي على بيانها بالإيجاز.

أولاً : لأن الشرق موضع ظهور مجد الرب. من المشارق مجدوا الرب

---

(١) ق ١ من ٣٠ رسولي. و ١٢ المجموع الصفوي صحيفة ١٥٧.

ومن مشرق الشمس مجده اش ٥٩ : ١٩ وزك ١٤ : ٤ وقال حزقيال النبي. ثم ذهب بي إلى الباب المتجه نحو الشرق وإذا مجد الرب إله إسرائيل جاء من طريق الشرق حز ٤٣ : ١ و ٢ كما أن معرفة الرب تمتد إلى كل الأرض مبتدأ من الشرق اش ٤٥ : ٦ وقد رأى يوحنا ملاكاً طالعاً من مشرق الشمس معه ختم الله الحي ليختم به عبيد الله في جباهم رؤ ٧ : ٢ و ٣.

ثانياً: لأن اليشع لما بارك يوآش وأنبأه بأنه يضرب أرام ثلاث مرات قال افتح الكوة لجهة الشرق. ولما فتحها رمى منها السهم فقال سهم خلاص للرب ٢مل ١٣ : ١٧.

هذه أهم الأسباب التي بنى عليها اتجاهنا للشرق وقت الصلوة ومما يؤيدها ما جاء في أقوال أباء الكنيسة. قال القديس باسيليوس في ميمره على الاعتراف تنصب راية الصليب إلى المشرق لكي ما نتأمل بأبصارنا رجوعنا إلى الفردوس وقال في ميمره على الصلوة الربية: أننا نتجه إلى الشرق ليس لأن الله الذي لا يرى كائن هناك. لأنه في كل مكان ولا يتجزأ لكن لنذكر وطننا الذي في الشرق لنلتمس الفردوس الذي نفينا منه، وما سبب رفع أبصارنا إلى الشرق إلا لنذكر ذلك المكان المنير المفعم سعادة. وهكذا جاء في أوامر الرسل دسقولية باب ١٠.

وقال القديس ساويرس في ميمره الذي ضمنه السجود إلى الشرق. لأن الفردوس في الشرق موضوع تك ٢ : ٨ ومنه خرجنا فنرجو الرجوع إليه. والقديس أغسطينوس [١] وأبيفانيوس [٢] ويوستينوس الفيلسوف وترتليانوس وإيريناوس [٣] وغير هؤلاء كثيرون [٤] يؤكدون أن هذا التقليد مأمور به

---

(١) في كلمة الرب على الجبل ك ٢ : ق ٩.
(٢) في رده على هرطقة ١٩.
(٣) راجع البوق الإنجيلى جزء ٢ وجه ٢٣٥.
(٤) ابن المكين والقديس يعقوب السروجي وأولاد العسال ومنارة الأقداس ركن ١٣.

من الرسل ولذلك الكنيسة تخاطب بنيها وقت خدمة القداس (إلى الشرق أنظروا).

ربما يقال أن الكتاب لم يأمرنا باتخاذ الشرق وجهتنا للصلوة فنقول نعم ولكنه لم ينه عنه أيضاً بل فضله على غيره من الجهات الأربع كما ذكرنا آنفاً: هذا فضلا عن أن سليمان في صلاته وقت تدشين بيت الله قد جعل الشرق وجهة صلاته إذ وقف أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة اسرائيل وبسط يديه إلى السماء وصلى ١مل ٦. أما القول بأن السجود نحو الشرق عبادة وثنية فمحض افتراء على كنيسة الله. لأننا انما نحن نسجد نحو الشرق للمسيح الذي دعى شمساً وفي أجنحتها الشفاء مل ٤: ٢ والإ فيكون كل من وجه وجهه للصلوة شرقاً عابد وثن كما يدعون ولكن ما قولهم بعبادة بني اسرائيل الذين كانوا يسكنون الجهة القريبة من الهيكل وأورشليم وقد أمروا أن يجعلوها قبلتهم ١مل ٨: ٤٤ و دا ٦: ١٠.

أما الغرض من اتجاهنا إلى الشرق فذلك لإحياء الشوق فينا إلى وطننا الأصلي والتماسنا الرجوع إليه لنكون فيه مع المسيح لو ٢٣: ٤٣ كما رأيت من أقوال الآباء السابقة.



الفصل السادس

« سبب استعماله كيرياليصون ٤١ مرة عقب الصلوة »

تستعمل الكنيسة في ختام صلواتها كيرياليصون «وهي كلمة يونانية مركبة من كيريه. يارب. واليصون. ارحم أي يارب ارحم مرة وثلاث مرات و ٤١ مرة عقب صلوة السواعي استمطاراً لرحمة الله باللجاجة والإلحاح واقتصرت على هذا ٤١ بلا زيادة ولا نقصان لأنه كما قال معلموها بعدد الجلدات التي جلد بها المخلص وهو مساق إلى الصلب مت ٢٧ : ٢٥ فإنه له المجد جلد بحسب القانون الروماني ٣٩ جلدة وهذا واضح من قول الرسول جلدت ٤٠ جلدة إلا واحدة ٢ كو ١١ : ٢٤ وهكذا كان حكم الشريعة الموسوية على المذنب تث ٢٥ : ٣. ثم ضرب بالقصبة في رأسه مرة واحدة مت ٢٧ : ٣٠. ثم طعن بالحربة مرة واحدة في جنبه المقدس يو ١٩ : ٢٤. والغرض من هذه الصلوة الوجيزة تذكيرنا على الدوام بآلام المخلص وبما احتمله من أجلنا.

ولكن البعض يعترض بأن هذا تكرار باطل والمسيح نهى عن تكرار الكلام باطلاً مت ٦ : ٧ ولكن تكرار طلب الرحمة ليس باطلا وقد فسر آباء الكنيسة اليونانية آية المسيح هذه حسبما جاءت في الأصل اليوناني(١) فقالوا: «أن الأصل اليوناني لهذه الألفاظ قاطولوجيا» أما المعنى الأول لهذه الكلمة فهو التمتمة واللعثمة والهذيان حتى التكلم أو الكلام القليل الفائدة

---

(١) الهدية للمطران جراسيموس مسره.

وبالتالي كثرة الكلام باطلاً أي بلا فائدة توازيها. هذا معنى الكلمة الحقيقي فكان المخلص يوصينا بهذه الوصية أن لا تكثر الكلام حين الصلوة في مالاً فائدة منه أو في الباطل ولا تكون مثل الأمم الذين يعتقدون أن استجابة صلواتهم متوقفة على كثرة كلامهم وهذر ألسنتهم ١مل ١٨ : ٢٦– ٢٨ واليهود أيضاً لم يكونوا خالين مما يقرب من اعتقاد الوثنيين فإنهم كانوا قد سنوا صلوات كثيرة ورتبو على مجرد النطق بها قبول دعواتهم ووضعوا في تلمودهم المبدأ القائل «ان الذي يصلي كثيراً يستجاب له» «التلمود الأورشليمي ٦٣» ولهذا السبب نهى مخلصنا تلاميذه عن الإقتداء بهذه العوائد المخالفة لروحانية تعاليمه المقدسة وأبعدهم بلفظ صريح من التشبه بالأمم في الإطالة فيما لا فائدة منه وعن الإعتقاد الفاسد بأن مجرد كثرة الكلام يتضمن استجابة السؤال.

فهمنا من هذا أن المقصود من الكلمة حسب الأصل اليوناني الهذر أو الهذيان والإكثار ١ التكرار المفيد. والفرق واضح بين المعنيين «فالتكرار يكون مفيداً وربما كان ضرورياً في بعض الأحوال تأكيداً للحاجة واستمدادها للإجابة بخلاف الإكثار من الكلام على غير طائل فإنه لا يكون مفيداً في حال من الأحوال» ناهيك عن أن التكرار المفيد في الصلوة معناها إنكار على السيد نفسه الذي كرر كلاماً واحداً بعينه جملة مرات في صلوة ليلة آلامه راجع مت ٢٩ : ٢٦– ٤٥ وكذلك داود راجع مز.

ثم إن تكرار طلب الرحمة على هذا المنوال صالح ومفيد ودال على التذلل والخضوع وانسحاق القلب وهو مما يسر الله في الصلاة راجع مز ٣٤ : ١٨ ، ٥١ : ١٧ واش ٥٧ : ١٥ و ٦٦ : ٢ وهي كيرياليصون وإن كانت مختصرة إلا أنها كما قال بعضهم [١] مثير لعواطف الرحمة الإلهية وبواسطتها ننال المنح والعطايا كما نالها غيرنا بها مت ٩ : ٢٧ و ١٥ : ٢٢

---

(١) مرآة الحقائق الجلية صحيفة ٣٠٣ و ٤٠٣.

و مر ١٠ : ٤٧ «لذلك لا يلزم أن يرتبط الشعب بزيادة استغاثة أو صلوة عليها كل مرة لأنها مع كونها وجيزة جمعت كل معاني الصلوة التي يقولها الكاهن والشماس»

وقال آخر [١] وإنما نطلب الرحمة من الله في مبادئ وختام جميع الصلوات لأن هذه الطلبة مرضية لله ومفيدة لنا وحينما يرانا وقد تركنا سيرتنا الأولى المذمومة ورجعنا إليه طالبين العفو والرحمة يتحنن علينا ويفتح لنا ذراعيه كالأب الحنون... وينعم علينا بسعة الروح بكل ما نسأله فتكون طلباتنا مرضية له ومفيدة لنا كما تخبرنا الكتب المقدسة عن الرحمة التي شمل بها شعب إسرائيل وأهل نينوى وغيرهم حين تابوا ورجعوا إلى طاعته» وقد شهد الإنجيل الطاهر بأنه لما تقدم إليه ذلك الأعمى المولود من بطن أمه. والكنعانية والأبرص والمجنون صارخين «يا ابن داود ارحمنا تحنن عليهم ومنهم سؤلهم... أما هذه اللفظة فإن الكهنة يتلونها في أول الصلوة وأما الشعب في آخرها لأن الله ينبوع الجود والرحمة وبدون معونته لن نستطيع شيئاً ولذا حين يرفع الكاهن الصلوة لله يعلن شعبه بطلب الرحمة لكي يكون وقوفهم مرضياً أمامه وحينئذ يجاوب الشعب «كيرياليصون» تأميناً على دعائه ورضاءاً به.. على أنه ليس لنا أن نصرخ إلى الله كصراخ الكنعانية وغيرها بل بدالة البنين كزكريا. بأحشاء رحمة إلهنا التي افتقدنا بها المشرق من العلا لو ١ : ٧٨.

وجاء في بستان الأذهان (أن الكتاب المقدس يصف إلهنا العظيم الحنان أو هو تعالى يصف نفسه فيه بصفات كثيرة ومنها ما يملأ قلب الخاطئ من الرجاء والطمأنينة ويجعله يقترب إليه تعالى بجسارة وجرأة عظيمتين وهو صفة الرحمة لا غير على وجه مخصوص وبالتالي نرى أحسن تعبير اقترب به من المكتئبون ومتضايقو القلوب إليه تعالى هو طلب رحمته فكانت هذه

---

(١) منارة الأقداس صحيفة ٤٠٩ – ٤٦١.

استعطافات داود النبي في معظم أدوار حياته وغيره من رجال الإيمان الذين استمطروا رضوانه الأقدس وبركته الإلهية وكثيراً ما كان داود يطلب ويكرر الطلب بصفة واحدة وبلفظ واحد: ارحمني يارب [(١)] هذا غير ما ذكرناه من الآيات آنفاً عمن طلبوا رحمة الله في ظروفهم المؤلمة.

نتعلم مما توضح أن طلب الرحمة بتكرار أمر مفيد لنا ومرضي لله تمثلاً بالآباء والأنبياء الذين حينما اقتربوا إلى الله استعطفوه بطلب الرحمة واقتداء بالمسيح نفسه الذي كرر الطلبة مرات كما مر بك ولذلك علمت الكنيسة بهذا منذ القديم. ولا حرج علينا إذا استعملنا هذه الصلوة بإنسحاق قلب وطلبنا بتكرار ولجاجة رحمة الله.

ومما يجدر التنبيه إليه أنه واجب أن نطلب هذه الرحمة وليس لأنفسنا مز ٦ : ٢ بل للآخرين عد ٦ : ٢٥ ومز ٧٩ : ٨ وغل ٦ : ١٦ تي ١ : ٢ وليس لأجل الأحياء بل ولأجل الأموات أيضاً ٢تي ١ : ١٨.



(١) راجع مز ٦:٢ ، ٩:١٣ ، ٣١:٩ ، ٢٥:١٦ ، ٨٦:٣ و ١٦ ، ٤١:٤ و ١٠ ، ٥١:١ ، ٥٦:١ ، ٥٧:١ ومز ١١٩:٢٩ و ٥٨ و ١٣٢.

الفصل السابع
« أشكال أوضاع الصلوة »

اعتاد المؤمنون قديماً وحديثاً أن يستعملوا أثناء عبادتهم وتقديم صلواتهم حركات خضوعية ظاهرية. نعم وإن كان الله يعتبر حال القلب أكثر مما يعتبر هيئة الجسد في عبادته مت ١٥ : ٨ ولكن يليق أن تكون تلك الحركات الظاهرية على اختلاف أشكالها موافقة لأحوال قلوبنا ومعبرة عن حقيقة شعورنا وأن نظهر الإعتبار اللائق بالمعلومات المعتادة وذلك لنفعنا ونفع الذين يشاهدون عبادتنا وأن الله يسر بهذه الأشكال أو الحركات الظاهرية الجسدية وبعبارة أخرى يريد أن تعبده بالروح والجسد معاً: رو ١١ : ١ و ١كو ٩: ٢٠ وفي الكتاب المقدس نرى كثيرين من رجال الله القديسين الذين اعتادوا ذلك في عبادتهم بل أن الرب يسوع فعل ذلك ليعلمنا الإقتداء به إذ ترك لنا مثالا لكي نتبع خطواته ١بط ٢ : ٢١ وهذه هي أشكال أوضاع الصلوة:

[١] الوقـــوف

«الوقوف قد اعتاده الناس قديماً وحديثاً في الصلوة راجع ١صم ١ : ٢٦ ، ١ مل ٨: ٢٢ ، ١أي ٦ : ١٢ وأشار إليه السيد دليل على رضا ومسرته به مت ٦ : ٥ ومر ١١ : ٢٥ والكنيسة في عبادتها الجمهورية اعتادت أن تقيم الصلوة وقوفاً لا في وقت قراءة الكتب الإلهية بل وقت الصلوة أيضاً [١] .

---

(١) تفسير البروتستانت.

[٢] الجثو والركوع والسجـــود

هذه الأشكال تستعمل اقتفاء لآثار السيد له المجد لأنه كان دائماً يصلي جاثياً على ركبتيه مت ٢٦ : ٢٩ ولو ٢٢ : ٤١ وكذلك رسله الأطهار أع ٧ : ٦٠ ، ٩ : ٤٠ ، ٢٠ : ٣٦ و ٢١ : ٥ وقد يعبر عن الأخير «السجود» بالخرور أو السقوط على الوجه عدد ١٦ : ٢٢ ويش ٥ : ١٤ و ٧ : ٦ و١مل ١٨ : ٤٢ ، ٥٤ و ١ أي ٢١ : ١٦ وأي ٦ : ١٣ وأناة المسيح في صلواته مت ٢٦ : ٣٩ كما أشار وأمر بالسجود مت ٤ : ١٠ وهو دليل الخضوع والتعبد وإظهاراً لزيادة التواضع أمام الله ١مل ٨ : ٢٤ .

وقد جاء في تاريخ الكنيسة أن ركبتي القديس يعقوب الرسول قد تيبستا حتى صارتا كركب الجمال بسبب كثرة جثوه وقت الصلوة. وقد استمرت الكنيسة على هذه العادة منذ نشأتها إلى الآن (١) فهي حينما تقدم أفعال السجود تجثو وتركع وتسجد. ذكراً لسقوط آدم وذريته إلا أنها تستثني أيام الآحاد (٢) والأعياد السيدية والخماسين والسبوت على مدار السنة ما عدا السبت الكبير (٣) وأحد العنصرة (٤) فإنها اصطلحت على أن يكون الشعب وقت الصلاة فيها وقوفاً ذكراً لقيامة المخلص ونهوضه من بين الأموات وقد نص عن ذلك مجمع نيفيه (٥) .

---

(١) راجع مجموع الصفوي وجه ١٥٨ .

(٢) الكتاب نفسه.

(٣) لأن المسيح كان في القبر بعد.

(٤) تستعمل الكنيسة الجثو والركوع والسجود يوم عيد العنصرة بنوع استثنائي حيث تلزم كل بنيها أن يجثوا على ركبهم والكاهن يتلو صلوة السجدة وهو جاث على ركبته أمام الشعب.

(٥) راجع خر ٩ : ٢٩ ، ٣٣ و ١مل ٨ : ٢٢ و ٢ أي ٦ : ١٢ و ١٣ و مز ٢٨ : ٢ ، ٦٣ : ٤ ، ٦٨ : ٣١ واش ١ : ١٥ .

دلالته: قال أحد الآباء أن الجثو يدل على عبوديتنا لله واحترامنا الباطنيين دلالة محسوسة نحو العزة الإلهية.

مبدأ استعماله: قال القديس كبريانوس ان هذه العادة ابتدأت من زمن الرسل وقال غيره أنها ابتدأت من يوم العنصرة.

[٣] رفع الأيدي أو بسطها

دليل التذلل والخضوع لله كما قال القديس كبريانوس وعنه قال أرميا النبي في رثاه شقاوة حال أورشليم (قومي اهتفي في الليل في أول الهزع.، اسكبي كمياه قلبك قبالة وجه السيد. ارفعي إليه يديك لأجل نفس أطفالك مرا ٢ : ١٩ وقد حرض عليه الكتاب بفم النبي ارفعوا أيديكم نحو القدوس وباركوا الرب مز ١٢٤ : ٢ وقد اعتاد القدماء رفع الأيدي في ثلاثة أمور أولاً عند القسم: ثانياًعند منح البركة. ثالثًا عند الصلوة [١].

وكان داود وسليمان ونحميا وعزرا ودانيال وغيرهم يرفعون أيديهم في الصلوة نح ١ وعزرا ٩ : ٥ وقد أمر القديس بولس أن ترفع الأيدي في الصلوة طاهرة بقوله فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال ١ تي ٢ : ٨.

ومعنى رفع الأيدي رفع القلوب والعقول إلى الله قال النبي. لنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله في السموات: مرا ٣ : ٤١ والقديس كبريانوس يقول. رفع الأيدي كناية عن تقديم استحقاق المسيح المصلوب لله الآب وهو أبلغ ما يكون في استمالة الله إلى استجابتنا وعلى ذلك كثيراً ما يرفع الكاهن يديه بشكل صليب في وقت القداس فهو إذاً واجب. وقال آخر به نرفع عنا

---

(١) راجع خر ٩ : ٢٩، ٣٣ و ١مل ٨ : ٢٢ و ٢ أي ٦ : ١٢ و ١٣ و مز ٢٨ : ٢، ٦٣ : ٤، ٦٨ : ٣١ واش ١ : ١٥.

غضب الله وبه نغلب في الصلوة كما فعل موسى فإنه كان إذا رفع يده أن إسرائيل يغاب خر ١٧ : ١١ وهو دال أيضاً على شكرنا لله على ما وهب من البركات كما على شعورنا بإحتياجنا إلى الرحمة والمغفرة ١ مل ٨: ٣٨.

[٤] قـــرع الصـــدر

علامة خارجية دالة على فرط الحزن والندامة والإنسحاق والإقرار بالخطية. أتاه العشار في صلاته لو ١٨ : ١٣ ودالة أيضاً على شكوى النفس وتأنيب الضمير والخوف من دينونة الله لسبب الخطية وهكذا فإننا نرى صالبي المخلص لما رأوا العجائب التي حدثت وقت الصلب وأبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم لو ٢٣ : ٤٨ وقد جاء في القوانين الكنسية أن يؤتي عند الإستغفار ندماً على ما فرط من المعاصي وأسفاً على ما فات من العمر بغير عمل صالح المجموع الصفوي صحيفة ١٥٨ : ١٦.

[٥] احـــناء الرأس

دلالة على خجل المصلي وشعوره بدنأته أمام الله حتى اعتقد أنه لا يستحق أن يرفع عينيه إلى مسكن قدسه تعالى وهذا وفق قول عزرا «اللهم أني أخجل وأخزي من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا وآثامنا تعاظمت إلى السما» عز ٩ : ٦ وقال دانيال في صلوته هكذا «أخطأنا وأثمنا» يا سيد لنا خزي الوجوه. لأننا أخطأنا إليك. للرب إلهنا المراحم والمغفرة لأننا تمردنا عليه دا ٩ : ٥ و ٨ (١).



(١) تفسير البروتستانت.

الفصل الثامن

{ الألحان الكنسية }

الألحان الكنسية هي توسلات وابتهالات وتسابيح ترفع إلى الله القدوس استدراراً لبركاته ونعمائه والتماساً لرضائه وشكراً على آلائه. بها تناجي قلوب المسيحيين ربها وعلى أجنحتها ترتقي الأفكار إلي المراتب العلوية، والألحان الروحية المضبوطة تأثير شديد في النفس فإنها تنفذ إلى أعماق القلوب وتثير فيها كل عاطفة تجب للخالق على خلائقه الناطقة. وقد سر تعالى بالأغاني والألحان المخصصة لتمجيده في العبادة الجمهورية بل أوصى بها على ما جاء في سفر الخروج [١] والتحريض والحث عليه واضح من النصوص الآتية [٢].

(١) خر ١٥ : ١ – ٢٢ و ١أي ١٥ : ١٦ و ٢أي ٥ : ١٢ ، ٧ : ٦ و ٢٠ : ٣٢، ٢٩ : ٢٧ – ٣٠، ٣١ : ٢ ونح ١٢ : ٢٧ و مت ٢٦ : ٣٠.

(٢) ١أي ١٦ : ٩ ، مز ٢٣ و ٦٦ و ٦٧ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠٥ ولو ١ : ٤٦ و ٦٨ وأع ١٦ : ٢٥ ، ١ كو ١٤ : ١٥ وأف ٥ : ١٩ و كو ٣ : ٦ ويع ٥ : ١٣.

وقد كان الإسرائيليون يعولون عليها في عبادتهم فإن موسى لما عبر وقومه البحر الأحمر نظم تسبحة للرب ورنمها مع شعب إسرائيل خر ١٥ ثم إن داود الذي وهبه الله الملك والنبوة وقد فاق الجميع في الإشتهار بالترانيم الإلهية والتسابيح البيعية في العهد القديم فإنه بالهام روح الرب ألف المئة والخمسين مزموراً التي يغنى ذكرها عن وصفها واستنبط لها ألحاناً شجية وعين عدداً عظيماً لأجل الغناء في بيت الله «قدرة أربعة آلاف» بالآلات الموسيقية التي كانت متداولة في ذلك العهد ١ أي ٢٣ : ٥ و ٢٥ : ١ – ٧ ولما أصعد تابوت الرب من قرية يعاريم إلى أورشليم أصعده بالأغاني والترانيم ١ أي ٣ : ٨ ولما تبوأ ابنه سليمان عرض المملكة الإسرائيلية ألقى المغنيون في بيت الرب كما كانوا في أيام داود أبيه ٢أي ٥ : ١١ الخ وفي أيام حزقيال الملك ونحميا وعزرا كان بنو إسرائيل وكهنتهم يستعملون في العبادة ترانيم داود [١] إذ كانوا يقفون في بيت الرب وعند البدء بالمحرقة كان يبتدأ بنشيد الرب بواسطة آلات داود ٢ أي ٢٩ : ٢٥ – ٣٠ بدون أن يحيدوا عن ذلك قط ٢ أي ٨ : ١٤ و ١٥ .

وفي العهد الجديد قد سلكت الكنيسة هذا المنهج القويم فأدخلت الغناء في بيت الرب للتسبيح والتمجيد والحمد والترنم لإسمه القدوس لرسوخ الحقائق الدينية في أذهان المصلين وقد استندت في عملها هذا على وصيته تعالى الآمرة بأن يؤدى التسبيح والتعظيم لإسم الرب من جميع الأحداث والعذارى أيضاً والشيوخ مع الفتيان مز ١٤٨ : ١٢ كما استندت على الآية الكريمة التي نصت على أن جميع الشعب رجالا ونساء عذارى وشباناً كانوا يسبحون الرب بالأعواد والقياثير يهو ١٥ : ١٥ وعلى غيرها من الآيات الكثيرة الواردة بالعهدين القديم والجديد التي مر بك ذكرها.

---

(١) ١أي ١٥ : ١٦، ٢ أي ٧ : ٦ ، ٢٩ : ٣٠ ونح ١٢ : ٢٤ وعز ٣ : ١٠ .

وقد بلغ كهنة العهدين في التمسك بسنة التسبيح والتمجيد مبلغاً عظيماً اعتقاداً منهم بأن تركيب الإنسان من جسم وروح يضطره إلى أن يسبح خالقه ويتغنى بعظائمه لا بعواطف الروح فقط بل بألفاظ الفم وأصوات الجسم أيضاً [١].

زمن وضع الترانيم والغناء في الكنيسة

يرجع أصل وضع الترانيم والغناء في الكنيسة إلى الرسل أنفسهم بدليل ما جاء في رسائلهم أف ٥ : ١٩ وبناء عليه كان مسيحيو الأجيال الأولى يستعملون الترانيم ويغنون بها للرب في اجتماعاتهم الدينية. فيجيب الشعب الكاهن بصوت جهوري [٢] كما يشهد بذلك القديس كبريانوس أسقف قرطجنة «من سنة ٢٠٠ إلى ٢٥٨» في مؤلفه عن الصلوة والقديس ايرونيموس من سنة ٣٣١ - ٤٢٠ في رسالته إلى أهل غلاطية: ثم عين للتراتيل جماعة أطلق عليهم اسم «خورس» أي جوقة المرنمين.

قال سقراط المؤرخ الكنسي «المتوفي سنة ٤٤٠ م» إن القديس أغناطيوس الذي أقيم أسقفاً على أنطاكية واستشهد سنة ١٠٧ أمر المؤمنين أن يكونوا جوقتين منهم ليرتلوا أناشيد الثالوث الأقدس وقد نقلت ذلك عنه الكنائس جميعاً ك ٦ : ف ٨».

وجاء في قوانين مجمع لاذقية الإقليمي الذي عقد سنة ٢٦٤م. «لا يجوز أن يرتل في الكنيسة إلا المرتلون القانونيون الذين يصعدون على المنبر

---

(١) فرنسيس أفندي العتر في مقالته عن الألحان الكنسية.

(٢) محاضرة الألحان الكنسية صحيفة ٨ و ٩ و ١٠.

ويرتلون بدفاترهم وكتبهم [1] ولم يكن الترتيل أو قراءة الأسفار الدينية من حق الشمامسة بل كان يتولاها أفراد الشعب بدليل أن قانون ٢٦ للرسل أجاز للمرتلين أن يتزوجوا بعد رسامتهم للترتيل في الكنيسة في حين أن الزواج كان محرماً على الشمامسة بعد وضع الأيدي عليهم.

وقد أفرد ابن العسال في مجموعة القوانين بابا خاصاً لواجبات الأغنسطس «القارئ» والأيبودياكن «الشماس» والأبسلطيس «المرتل» راجع باب ٤٩.

وقد قال القديس غريغوريوس العجايبي أسقف قيصرية عن أستاذه العلامة أوريجانوس رئيس مدرسة اللاهوت القبطية بالاسكندرية (من سنة ١٨٥ - ٢٥٤) أنه (أوريجانوس) كان يعلمنا مع اللاهوت الفلسفة علم الطبيعة والمنطق والهندسة والرياضة والفلك والموسيقى.

وتاريخ الكنيسة يثبت أن استعمال الترانيم في العبادة منذ العصر الرسولي فقد جاء فيه (أن المؤمنين كانوا يتلون صلوات معينة وهم وقوف على أقدامهم وراء أسقف أو قس إذا لم يوجد أسقف. ثم يقرأون فصولاً عن الكتب المقدسة... وبعد ذلك يرنم أشخاص معينون (الشمامسة) ترانيم مقدسة وقت العشاء السري) وشهد بذلك مؤرخوا البروتستانت في كلامهم عما كان يجري في الكنائس في الجيل الأول من طقوس العبادة، (وقرئت الكتب المقدسة في اجتماعاتهم الجمهورية... ثم تقال وراء الأسقف

---

(١) جاء في المحاضرة عن الألحان الكنسية «وكان المنبر الخاص بالمرتلين يقام أولاً وسط الكنيسة إلى جانب الباب المتوسط للهيكل. ثم جعل لهؤلاء المرتلين محلان خاصان عند صرفي الهيكل محاطان بسياجين ولا يزال في الكنائس القبطية القديمة جزآن معروفان باسم الخورس الجواني والخورس البراني وقد أطلق عليهما هذان الإسمان من باب تسمية المكان باسم المكين صحيفة ١٠»

الصلوات التي كانت لهم جزءاً عظيماً من العبادة في الجمهورية ويتلوها الترنيمات التي لم يكن يرنمها كل الجماعة بل أشخاص معلومون في وقت العشاء المقدس وولائم المحبة) وقال في شرح طقوس عبادة مسيحي الجيل الثاني «إن المسيحيين يجتمعون لعبادة الله... وحيثما اجتمعوا كانت تتلى صلوات يذكر لنا ترتليانوس في احتجاجه ق ٣٩ فحواها وتقرأ الكتب المقدسة ويتلى على الشعب مواعظ مختصرة على الواجبات المسيحية ويرنم ترنيمات وأخيراً يمارس العشاء الرباني وولائم المحبة من القرابين التي يقدمها للشعب صحيفة ٧٤).

وورد في مختصر كنيسة المسيح لهم.. «أن المسيحيين الأول كانوا في عبادتهم الجمهورية يتلون صلوات معينة... قال يوستينوس الشهيد نحن الساكنين في البلاد نجتمع في يوم الأحد في محل واحد وقال بلينوس الشاب الوالي لأحد الملوك: ومن عادة المسيحيين أن يجتمعوا في يوم معلوم قبل الضحى ليرتلوا تسبيحاً للمسيح كما يكون لله» صحيفة ١٠٩٩.

وورد في كتاب الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة للروم الأرثوذكسية. أن باسيليوس الكبير كتب عما كان يتم إجراؤه في إجتماعات المسيحيين قائلاً أن العوائد المتملكة الآن في جميع كنائس الله هي موافقة ومطابقة بعضها لبعض فإن الشعب عندنا يدلج «يسير» ليلاً إلى بيت الصلوة فيعترف لله بألم وضيقة قلب وانسجام العبرات ثم أنهم ينهضون من الصلوة وينتصبون للتراتيل فمرة ينقسمون إلى فرقتين ويرتلون على التناوب ومرة يتركون واحداً يشرع بالترتيل والباقون يردفون بالتنغيم وهكذا يقضون الليل بتوزيع التراتيل وهم في أثناء ذلك يصلون.. رسالة ٢٠٧ إلى اكليروس قيصرية الجديدة.

﴿ الغرض من الألحـان ﴾

الغرض من الألحان إثارة حمية المؤمنين كما تثار حمية الجنود في ساحات الحرب وميادين القتال بالطبل والزمور المختلفة التي تشجعهم على مقابلة الأهوال بجأش ثابت وحنان رابط فإن المؤمنين محاطون بأنواع شتى من الأعداء الساهرين على اقتناصهم فإذا لم يكونوا على أهبة الإستعداد لمناوأة الأعداء الروحيين ضاع جهادهم وصبرهم عبثاً وبما أن طول السهر بسبب الملل أو الفتور أحياناً. وضعت الكنيسة الألحان والترانيم الروحية لتكون من وسائل التنبيه ووسائل التشجيع للمؤمنين ولتخلق فيهم الغيرة وتجدد الحماس الروحي في صدورهم ولإنعاشهم وإضرام نار الشوق والهيام في العبادة لفاديهم كما كان الأنبياء يفعلون ذلك إذ كانوا يستعينون بها على التنبؤ ١ صم ٦ : ٥ و ٢ مل ٣ : ١٥ كما كان داود يحارب الروح الرديء الذي كان متسلطاً على شاول ويفوز عليه بالترانيم ١ صم ١٦ : ٢٣ .

قال القديس «باسيليوس أن الترانيم هو هدوء النفس وراحة الروح وسلطان السلام يسكن الأمواج ويسكت عواصف حركات قلوبنا ويخمد هيجان المتهيجين ويرد الفاجرين وينشئ الصحبة وينفي الخصام. ويصالح الأعداء ومن يقدر أن يحسبه عدواً له وهو قد إشترك معه في تقديم التسبيح أمام عرش الله. فالترنم يطرد الأرواح الشريرة ويجذب خدمة الملائكة وهو سلاح في مخاوف الليل وراحة في الأتعاب اليومية الشاقة وأنه للطفل حبيب ومحام وحارس وللرجل أكليل مجد. وللشيوخ بلسان تعزية وللنساء زينة لائقة.

وقال بعضهم «أن النوتية يهتفون فرحاً عندما يرفعون المراسي لأجل المسير والحراث يصفر في الصباح عندما يسوق بقره إلى الحقل وحينما يترك العساكر أحباءهم ويذهبون إلى ساحات الحرب والنزال يعزفون على آلاتهم بنغمات الفرح والسرور. فروح الحمد والتسبيح يعمل كل ما تعمله أغانيهم وموسيقاتهم المطربة وفقط لو عزمنا على تسبيح الرب لتغلبنا على كثير من

الصعوبات التي لا يمكن التغلب عليها حينما نكون في حالة الهم والكدر ولأتممنا ضعف العمل الذي يعمل في حالة الحزن والإنسحاق فكما أن روح شاول الردئ خرج منه بتأثير فيثار ابن يسى فهكذا في الغالب يطير عنا روح الحزن والكآبة ان كنا نمارس ترانيم الحمد والتسبيح» [١].

وقد أتت الألحان والتراتيل الروحية بالغرض الذي وضعت له تماماً ولا غرابة لأنها مؤلفة من مزامير داود الموحى بها من الله وأنفاس رجال الله القديسين الذين تكلموا بإرشاد الروح القدس فضلاً عن اختباراتهم الثمينة وهي كنوز مملؤة بالنفائس الروحية».

وقد قسمت الترانيم إلى قسمين الأول خاص بالأفراح والثاني قاصر على الأحزان فالأول يستعمل في أيام الآحاد والأعياد السيدية والثاني في أيام الصوم الكبير وجمعة الآلام والجنازات وما يماثلها أما عددها كلها فيقرب من ٧٢ لحناً نصفها تقريباً ألحان كبيرة والنصف الآخر صغيرة وإنما الألحان الرئيسية أربعة ومنها تستمد بقية الألحان الكبيرة.

وأخيراً نختم هذا الفصل بما كتبته مجلة المنار الأرثوذكسية في هذا الصدد فقالت: «أن الترتيل الكنسي على الأصول الموسيقية وبألحان موافقة وبتأليف الأنغام وبإتفاق الأصوات ورخامة الصوت وبلذة الوزن وبخشوع ووقار كل ذلك يدخل بدون تكليف في نفس المصلى ويحرك فيه كل الصفات المقدسة السامية ويرفع جميع حواسه وأفكاره وتأملاته إلى الله داعياً إياه إلى روضة الجهادات الروحية. وعندما يشنف آذان المصلي الواقف بكل خشوع ووقار ترتيل شريف ومؤثر كهذا فإنه يترفع عن كل الإهتمامات الدنيوية ويلتصق بكليته مع مصاف سكان السماء حيث لا حزن ولا وجع ولا تنهد بل فرح ولذة يعجز القلم عن وصفهما».

---

(١) الترانيم الروحية للشماس حبيب جرجس.

إن نغمات النشائد العذبة المتقنة تسبب للمصلي لذة عظيمة لا توصف وتعزي النفس المعذبة بالآلام العالمية وتبعد عنها كل شدة وحزن وتمنحها تعزية سريعة ثابتة وتحثها على التوسل إلى الله وتضرم فيها الشوق إلى العيشة السموية. وأن يمجد المصلي الله ويسبحه ويشكره لأجل عظيم جلال مجده. ولإحساناته العميقة وينتصب رافعاً عينيه نحو ساكن السماء فيروض آلام النفس والجسد وينزع الإنسان العتيق البالي. ويلبس الجديد المتجدد ويتبع أحكامه ونواميسه وأوامره تعالى.

أن المصلي الواقف بخوف الله ورعب حينما يسمع الأناشيد الإلهية الحسنة الأنغام المؤثرة والتسابيع الحسنة الإيقاع التي تطرب النفس.. تارة يتحرك ويتأثر وطوراً يبكي ويتنهد بمرارة على خطاياه أمام المصلوب ومرة يتهلل بالروح محتفلاً بالنصرة على الخطية والموت مع الناهض من القبر بعض ٣ أيام. وعندما تؤثر فيه هذه الأناشيد العجيبة يرى عقلياً كيف أن الجحيم تنهد وتمرمر لإنتصار يسوع على كل قواته ومن ثم يشعر بالفرح العظيم الذي ناله المفديون الذين أطلقوا من الأسر ويذكر تسابيح السماويين لإلهنا الذي انتصر على الخطية والجحيم «وأباد بموته ذلك الذي له سلطان الموت - أي إبليس» فيتصور تارة سقوط الإنسان. وصوت الرحمة يناديه في عدن: «فيصرخ اللهم ارحمني أنا الخاطئ». وطوراً يسمع صوت الديان المرعب القاضي بالعذاب الأبدي على الأشرار فيتنهد هاتفا «رحمتك يارب ولا كخطاياي وأخرى يسمع صوت الفادي المسر المبهج.. «تعالوا إلى».

أن الترتيل الكنسي له فوائد جمة وقوة في تغيير الأميال الرديئة إلى صالحة فإنه يجور على سامعيه أو مرتليه بعبارات الإنسحاق أو الخشوع ويثبت في النفس روح الفضيلة ومحبة الصلاح واجتناب الخطية وكرهها ويلين القلب القاسي ويرفع النفس إلى الله فتشترك مع جمهور الجند العلوي في التسبيح المثلث.

أن الترتيل إذا كان كاملاً كل شروطه فعل هذا التأثير في نفس المصلي فيخرج من الكنيسة وقد امتلأ قلبه من تعزية الروح ورفع عن عاتقه ذلك الحمل الثقيل الذي كان عليه عند دخوله إليها. يخرج وقد تجدد قلبه وانتعشت روحه فيحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامه طارحاً كل اهتمام دنيوي وفكر عالمي أ.هـ».



الباب الثالث
{ التسابيح الكنسية }

اصطلحت الكنيسة على تسمية كل ما تقدمه من الصلوات والطلبات والتضرعات والإبتهالات ١تي ٢ : ١ باسم تسابيح جمع «تسبحة» وتماجيد وهي التي تسبق رفع بخور عشية وباكر وتتضمن:

أولاً : حمد الله وشكره على بركاته.

ثانياً : طلبات خاصة لأجل الكنيسة دعامة لأجل جميع الناس.

ثالثاً : مديح وتطويب رجال الله القديسين الذين جاهدوا الجها الحسن وأكملوا السعي وحفظوا الإيمان ١تي ٦ : ١٢ .

وتقسم هذه التسابيح إلى فصول يتلى كل منها في وقت خاص كما سنبينه فيما يأتي :

وبما أن التسبحة داخلة ضمناً في رفع البخور لهذا أثرنا أن نتكلم أولاً عن البخور ووجوب تقديمه لله في العبادة الجمهورية.

الفصل الأول

البخور ووجوب تقديمه في العبادة

تقدم الكنيسة البخور أثناء العبادة الجمهورية امتثالاً لأوامر صريحة في الكتاب المقدس نأتي على بعضها:

أولاً : أن الله أمر موسى بتقديمه وتقديسه له خر ٣٠: ٣٤- ٣٧ ونهى شعبه عن إستعماله في غير العبادة حتى أنه أنذر كل من يجرأ على ذلك بالعقاب عد ٣٨.

ثانياً: أن الله أمر أن يقام له مذبح خاص لإيقاد البخور خر ٣٠: ١ و ٨ و ٩ وأن يوضع داخل المسكن أمام تابوت الشهادة خر ٤٠: ٥ وهو غير مذبح المحرقة الذي كان قدام مسكن خيمة الإجتماع خر ٢٧: ١، ٣٨: ١ وقد مسح كلا المذبحين ليكونا مقدسين خر ٤٠: ١٠.

ثالثاً: أن نبوة ملاخي النبي تشير إلى ذلك «لأنه من مشرق الشمس إلى مغاربها اسمى عظيم بين الأمم وفي كل مكان يقرب لإسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود مل ١: ١١.

رابعاً : أن البخور يقدم في السماء بواسطة الملائكة كما أشار إلى ذلك يوحنا إذ تمثل أمامه ما كان يجريه المسيحيون من فروض العبادة بقوله «أن الأربعة وعشرين شيخاً أمام الخروف ولهم كل واحد فيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين رؤ ٥: ٨ ورأى ملاكً «كما كان معتاداً أن يرى الكاهن كل مرة يخدم الأسرار» جاء ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخوراً كثير لكي يقدمه مع صلوات القديسين

جميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله رؤ ٨ : ٣ و ٤ .

وأن أول من استخدم البخور في العبادة المسيحية هم الكهنة مليخور وجسبار وبلطاسر «مت ٢ : ١١» وتبعتهم على خلاف العادة المألوفة المرأة الخاطئة لو ٧ : ٣٨ ومريم أخت لعازر يو ١٢ : ٣ وتبع الجميع الكاهن نيقوديموس يو ١٩ : ٤٠ والنساء حاملات الطيب لو ٢٤ : ١ [١] .

هذه بعض الأدلة الكتابية الواردة في العهدين القديم والجديد على وجوب تقديم البخور وقت العبادة من المؤمنين.

ولا يجوز أن يقال فيها بأنها رمز آتية وحقائق عتيدة كما لا يجوز أن تؤخذ نبوة ملاخي على معنى آخر خفي غير المعنى الصريح الذي تدل عليه الأقوال النبوية لأسباب منها:

أولا – أن جميع الحقائق التي أقيمت أو عملت لها رموز تمت ولم تر فيها رموزاً إلى البخور – لم تر حقيقة من الحقائق التي أتى بها الإصلاح وجاءت بواسطة الرب يسوع وانجيله ورسله مشابهة للبخور حتى يصح أن يقال عنها بأنها مرموزة وأنه كان رمزا إليها إلا إذا كانت صلوات المؤمنين وكونها تصعد إلى السماء وذات رائحة زكية فيتم الشبه بين رائحتها ورائحة البخور. ولكن هذا مردود لأن الصلوات كانت تصعد إلى الله من رجاله وأصفيائه المؤمنين الذين ماتوا على الرجاء وسبقوا زمن الإصلاح. ومما لا ريبة فيه أنها كانت تصعد وتقبل وذات رائحة زكية وإلا لما استجاب الله لهم صلواتهم وقبلهم في ملكوته؟ وأي مؤمن يريد أن يقول بأنهم لم يصلوا ولم تقبل صلواتهم التي كانت تصحب بالبخور على الدوام.

---

(١) مرآة الحقائق الجلية صحيفة ٣٢٤ .

ثانياً – أن البخور وأن وجد مع الذبيحة الرمزية وعدّ من متماتها إلا أنه كان يصعد مستقلاً عنها وفي غير أوقاتها كما نرى في حادثة الوباء الذي أصاب الإسرائيليين إذ قال موسى لهرون خذ المجمرة وأجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفر عنهم عد ١٦ : ٤٦ وغيرها من الحوادث وهذا يبرهن على أنه واجب مستقبل من ضمن الواجبات المفروضة على كنيسة الله وحقيقة من الحقائق الثابتة الباقية ما بقى المؤمنون.

ثالثاً – أن نبوة ملاخي التي تنبئ عن تقديم البخور من الأمم من مشرق الشمس إلى مغاربها تبرهن على وجوبه. والأمم لم تكن تعرف الله في زمن النبوة ومنتظر أن تعرفه متى جاء رجاؤها فتقدم البخور لله بعد معرفته بواسطة يسوع ربنا. ولو كان البخور رمزاً لما لزم التنبؤ عنه لأنه موجود ووجوده يغني عن التنبؤ به ولم يوجد شئ استعمل قديماً وأنبئ بكينونته عتيداً لأنه كائن ولا معنى للأنباء بما هو كائن كما لا يخفى.

ثم أن بخور الملائكة الذي يصعدونه إلى الله مع صلوات القديسين على ما جاء في الرؤيا – على ما رأيت في الآية التي ذكرناها – يوجب علينا تقديم البخور ونحن لا نريد هنا أن نتكهن عن مادة وماهية البخور الذي تقدمة الملائكة وتصحبه بصلوات القديسين وعلى فرض أنه من غير مادة البخور الذي تستعمله هنا كما تختلف صلوات القديسين والملائكة عن صلواتنا غرضاً وشكلاً فإن احتياج الجنود السموية إلى البخور واستعمالهم له مهما يكن نوعه يدل على وجوب تقديمه على الأرض من الكنيسة المنظورة. ومن الغباوة أن يقال عن بخور الملائكة أنه صلوة لا بخور لأنه يصعد مع الصلوات فهو غيرها بلا ريب.

على أننا لو شئنا أن نأخذ بالقرائن والمشابهة أدلة لوجدنا جيشاً جراراً في الكتاب ينصرنا على المنكرين ويؤيد صدق اعتقادنا في وجوب البخور وضرورة استعماله، فمن ذلك :

أولاً : أن البخور كان ملازماً للذبيحة الدموية قديمة، وقد أثبتنا فيما سبق أن هذه الذبيحة وأن تغيرت شكلاً لم تتغير غرضاً وموضوعاً فأنها كانت تشير إلى ذبيحة دائمة هي الذبيحة الإلهية التي برهنا عليها والواجب أن تصحب هذه بالبخور كما أصبحت الأولى.

ثانياً : الذبيحة الأولى كما كانت تصحب بالبخور تصحب بالإعتراف والصوم والصلوة والتسبيح فلو كان البخور رمزاً الحقيقة عتيدة مثل الذبيحة ويجب إبطاله عندما بطلت وجب أن تكون الإعترافات والأصوام والصلوات والتسبيح رموزاً أيضاً يجب إبطالها بإبطال الذبيحة. وهذا مالا يقوله أحد ولم تعمل به كنيسة مسيحية على الإطلاق لأن الصلوات والتسبيحات وغيرها لاتزال تقدم إلى الله في كل زمان ومكان على الدوام حتى أن الكنيسة الإسرائيلية التي أبطلت الذبيحة لم تبطل هذه التوابع. ولا ندري سبب تخصيص البخور بالإعتراض دون بقية للفرائض الأخرى إلا إذا قيل بأن الوثنيين يقدمونه لمعبوداتهم ولكن الوثنيين يقدمون الصلوات والأصوام وغيرها من الفضائل الكثيرة لمعبوداتهم الباطلة أفيجب علينا أن نبطل الصوم والصلوة والفضائل لأن الوثنيين يقدمون لمعبوداتهم أمثالها؟ وإذا كان الجواب سلباً فلماذا خصص البخور بالإعتراض دون بقية الأعمال المشتركة إسماً بين المسيحيين وغيرهم المختلفة غرضاً وغاية لأننا نقدم عبادتنا لله ونسكب قلوبنا أمام عرشه الأقدس. وأولئك يجهدون أنفسهم باطلاً بعبادة الفانيات الزائلات سواء كانت طبيعية أو اصطناعية التي لا تنفع عابديها ولا ترفع عنهم ضيراً، وبعد كل هذه الأدلة نسأل ما هو الضرر الذي يحيق بالكنيسة أو بالأفراد من رفع البخور في أمكنة العبادة أو في البيوت؟ وعلى فرض المستحيل أنه ليس واجباً محتماً فليس فيه أقل أذى لأحد سواء من جهة الروحيات أو الماديات ويكفي أن الأطباء يحاربون به الوباء ولولا فائدته للصحة العمومية وكونه قضاء صارماً على أشد أعداء الإنسانية لما عولت عليه الأطباء مع وجود الأدوية المختلفة والعقاقير التي لا يحصى لها عدد وفضلوا على غيره من الوسائل الطبية الأخرى إذ أنه نافع للإنسان في كل

زمان ومكان سواء احتاج إليه أو استعمل بلا احتياج.

ولا يخفى أن الكنيسة تجمع بين المرضى والأصحاء وتمتزج أنفاس هؤلاء بأنفاس أولئك حتى لقد يخشى أحياناً من العدوى فإذا لم يكن البخور واجباً دينياً فيكفي أنه مطهر للأمكنة من الجراثيم المتبائنة ومختلف الأدواء وهو واجب صحياً كما هو واجب دينياً:

وأخيراً نقول أنه بناء على الأقوال النبوية والتعاليم الرسولية (١) تستخدم كل الكنائس الشرقية والغربية البخور دائماً في فروض العبادة واعتراف موسهيم المؤرخ البروتستانتي أن نصارى الجيل الثالث كانوا يقدمون في أماكن عبادتهم البخور ولو أنه أدعى عليهم بأنهم كانوا يقصدون به تطهيرها من الأهوية القذرة (٢).

فلعل في هذه البراهين ما يقنع المخالفين والمنكرين لهذه الفريضة بوجوبها وضرورة استعمالها ومثبتاً لإعتقادنا فيها.

أما وقد انتهينا من الكلام على البخور ووجوب تقديمه فلنتكلم على التسبحة التي تسبق رفع بخور عشية وباكر.



---

(١) راجع المجموع الصفوي صحيفة ١٠ و١٥٨.

(٢) مرآة الحقائق الجلية صحيفة ٣٢٥.

الفصل الثاني

شرح طقس تسبحة الآحاد التي تسبق رفع بخور عشية

يبدأ في تسبحة الآحاد بصلوة المزامير ويفتتح الكاهن الصلوة بقوله باللغة القبطية Ⲡⲟⲥ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ يارب ارحمنا ويرشم الجميع بإشارة الصليب على وجوههم فيقولون هللويا [١] Ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲣⲁⲛ ⲙ̀ Ⲫⲓⲱⲧ

باسم الآب الخ، ثم يتلون الصلوة الربانية ثم صلوة الشكر [٢].

هي شكر لله الرحوم على حفظه إيانا وقبوله لنا وشفقته علينا وإتيانه بنا إلى الساعة التي نصلي فيها ونتضرع إليه أن يحفظنا في يومنا الحاضر وكل أيام حيوتنا بكل سلامة مع خوفه.

ثم مز ٥٠. وارحمني يا الله كعظيم رحمتك: ثم توزع المزامير على جمهور المصلين.

---

(١) كلمتان عبرانيتان الأولى «هللوا» ومعناها احمدوا. والثانية «يايهو» وهو الإسم العلم لذات الواجب الوجود ومعناها – يكون – وقد ترجمت في الكتاب المقدس بمعنى «كيريوس» في اليوناني ومعناها «رب» فإذاً يكون معنى هللويا (احمدوا الرب) باللغة العربية طالع مز ١١٣ : ١ و رؤ ١٩ : ١٠.

(٢) راجع الأجبية بدء صلوة باكر.

مز ٥٠ هو أحد مزامير التوبة السبعة يصليه المؤمنون استعطافاً لرحمة الله واستجلاباً لعفوه ورضاه واستمداداً لنعمة الروح القدس وتجديد قلوبنا به.

والغاية من توزيع المزامير اشتراك المصلين في العبادة وهو نظام رسولي يعنيه الرسول بقوله متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور الخ.. ١كو ١٤ : ٢٦.

بعد صلوة المزامير يرنم المرتلون مزمور ١١٦ باللغة القبطية بلحنه المعروف أو دمجاً. أي بغير تلحين، وبعده الهوس [١] الرابع ويؤلف من ثلاثة مزامير ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ [٢].

تتلو الكنيسة مرنمة هذه المزامير تمجيداً للرب وشكراً لإسمه على مراحمه لنا واظهاراً لفرحها وابتهاجها بالخلاص الذي جملها به يسوع عريسها وملكها وبالكرامة التي نالها القديسون ولأن بعضها نبؤة بمجئ السيد فترتله على رجاء أن تكون في زمرة الآتين مع السيد المسيح في مجده مع ملائكته القديسين وجميع قديسيه.

بع الهوس الرابع تقال الإبصالية [٣] وبعدها تداكية السبت [٤].

الإبصالية هي قطعة موزونة كالأشعار ومقفاة أيضاً وأوائل أرباعها مرتبة غالباً على الحروف الهجائية القبطية. أما «التداكية» فهي عبادة عن قطعة موزونة كالأشعار إنما بدون نقفية.

---

(١) هوس لفظة قبطية معناها سبحوا والمراد بالهوس الرابع التسبيح الرابع.
(٢) هذا المزمور يقال في التوزيع دائماً بعد انتهاء القداس وسترى كلاماً عليه في محله،
(٣) لفظة قبطية معناها تسبيح أو ترانيم مشتقة من ابصلتيس «مزمور».
(٤) تداكية كلمة يونانية مشتقة من ثيوطوكس، أي أن والدة الإله.

ثم بعد التداكية يقول المرنمون الشارات (١) ثم يرتلون بعدها Ⲱⲡⲉⲛⲟⲥ Ⲓⲏⲥ Ⲡⲭ̅ⲥ̅ يا ربنا يسوع المسيح، ثم يتلو الجميع قانون الإيمان وبه تنتهي التسبحة.

✝

«تنبيه» اعلم أن الثيوطوكيات تجمع بين التمجيد لإسم الرب وبين تطويب العذراء والدة الإله التي قالت بالروح القدس جميع الأجيال تطوبني لو ١ : ٤٨. بخلاف الإبصاليات فهي تجمع بين التمجيد للرب ومديح الرسل والشهداء والقديسين. ثم إنها أي (الثيوطوكيات) تحوي كثيراً من عقائد الكنيسة وأسرار الفداء.

(١) شارات جمع شيرية كلمة يونانية معناها السلام: أي السلام لك يا مريم يا ممتلئة نعمة لو ١ : ٢٨.

الفصل الثالث

شرح طقس تسبحة رفع بخور عشية السنوي

يبدأ بهذه التسبحة كالمعتاد إلى الهوس الرابع وبعده تقال الإبصالية التي لليوم الحاضر والذي يكون أما عيداً سيدياً أو صوماً أو تذكاراً لأحد الشهداء أو القديسين وأن لم يكن شئ من ذلك فتقال الإبصالية السنوية التي لليوم الحاضر من الأسبوع (١) وبعدها تداكية اليوم الحاضر واطس أو ادام.

«واطس» كلمة يونانية صحتها فاطوس. ومعناها «عليقة» وهي مطلع ترنيمة عن العليقة التي رآها موسى في البرية متقدة ولم تحترق خر ٣ : ٢ و ٣ وتطلق في الألحان على نغم خاص يستعمل دائماً في أيام الأربعاء والخميس والجمعة والسبت أما «الآدام» فهي كلمة عبرانية معناه «الإنسان» آدم ولها نغم خاص يقال دائماً في أيام الأحد والإثنين والثلاثاء (٢).

ثم يبتدأ بصلوة رفع بخور عشية مبتدأ بصلوة المزامير كما سيأتي ثم ينشد المرتلون ⲱ̀ⲡⲉⲛⲟⲥ – ياربنا، هذا في الأيام الواطس «أما في الآدام» فيرتلون ⲡⲉⲕ ⲛⲁⲓ ⲱ̀ⲡⲁⲛⲟⲩϯ مراحمك ياإلهي وبذا تنتهي التسبحة.

---

(١) لكل يوم من أيام الأسبوع ابصالية وتداكية وهكذا للأصوام والأعياد وتذكارات الشهداء.

(٢) تنبيه أن تقاطيع ألحان الآدام أقصر من تقاطيع الواطس ثم أن لكل من الواطس والآدام نغم فرائحي وسنوي وكيهكي.

الفصل الرابع

شرح طقس تسبحة عشية آحاد كيهك

يبدأ بها كالمعتاد ومن بعد الهوس الرابع تقال أبصالية واطس وهى Ⲁⲙⲱⲓⲛⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ́ - تعالوا كلكم. ثم ينشد مديح باللغة العربية خاص بالعذراء ثم «القطعة الأولى» من تداكية يوم السبت فترنيمة رومية [١] فقبطية معقب [٢] فأخرى للعذراء [٣] أيضاً «فالقطعة الثانية» من التداكية فالرومية فالقبطية فالعربية وهكذا إلى نهاية «القطعة التاسعة» من التداكية: وبعد ذلك ترتل الشارات الكيهكي بلحنها المعروف ثم يقف الكاهن ويقول «الطرح» أمام الهيكل ثم يفسره عربياً بحسب وضعه ثم تختم التسبحة كالمعتاد.

«الطرح» هو لحن من الألحان الكنسية فحواه السجود للثالوث الأقدس وبعد ختامه يرتل - السلام الملائكي للعذراء - باللحن أيضاً ويعقبه بعض استيخونات «أرباع» مناسبة لخدمة ذلك الأحد فالأحد الأول خاص ببشارة الملاك لزكريا بيوحنا المعمدان. والأحد الثاني ببشارة الملاك للعذراء بتجسد الكلمة الأزلي من دمائها النقية. والأحد الثالث بزيارة العذراء لأليصابات.

---

(١) سميت هكذا لأن لغتها يونانية.

(٢) هذه اللفظة «معقب» أخذناها عن كتاب التسبحة وناظم هذه الترنيمة الذي سماها بهذا الإسم يقصد بهذه التسمية آخذ آخر شطرة من كل بيت وجعله أول شطرة للبيت الذي يليه.

(٣) بعض هذه الترانيم من نظم الأنبا مرقس البطريرك وبعضها للأنبا ميخائيل وغيرهما.

والأحد الرابع بولادة يوحنا المعمدان ونطق زكريا بعد البكم الذي أصابه. لو ١ كله.

الفصل الخامس
شرح ترتيب تسبحة أعياد الميلاد والغطاس والقيامة واللقان

ترتيب تسبحة هذه الأعياد كالتسبحة المار ذكرها انما يرتل فيها «الهوس» الخاص بالعيد وبعض الأبصاليات والطروحات الخاصة به أيضاً وبعد انتهاء تسبحة عيد الغطاس يعمل اللقان [١] عند المغس قبل رفع بخور باكر.

هذه الطروحات تحتوي ملخص فصول الإنجيل المقدس المرتب قراءتها في هذه الأعياد - «والقان» كلمة يونانية معناها حوض وه المراد بالمغطس - «وبه تمارس الكنيسة لتقديس المياه» [٢] على المنوال السيدي الذي صنعه ليلة آلامه المقدسة، لرشم المصلين به تبركاً وذكرى لعماد المخلص من يوحنا مت ٣ : ١٣- ١٧.

ثم تبدأ بصلوة الشكر وقراءة النبوات من حبقوق ٣ وأشعياء ٤٠ و ٤٥ و ٥٧ ثم يرتل البولس وبعد قراءته عربياً من ١ كو ١١ : ١- ١٤ تتلى

(١) سترى كلاماً عن اللقان في الجزء الثاني.
(٢) بالصلوة وبكلمة الله ١تي ٤ : ٥ وهي مأخوذة من القداس.

الثلاث تقديسات فالمزمور ١١٤ : ٣- ٥ فالإنجيل من مر ١ : ١١ وبعده يقول الشعب «بالناقوس» [١] كيرياليصون يارب ارحم ١٠ مرات.

الحكمة في الإقتصاد على العشرة لأنها تعني الإشارة إلى العشر عذارى والعشر وزنات ولأنها عدد كامل. والمقصود بالتكرار طلب الرحمة من الله بلجاجة والحاح.

ثم بعد ذلك يقول الكاهن السبع أواشي.

أواشي جمع أفشي كلمة يونانية معناها صلوة أو طلبة فيقال السبع أواشي أي السبع صلوات وهي تقدم إلى الله من الكنيسة [٢] الأولى لأجل المرضى. الثاني: لأجل المسافرين. الثالثة: لأجل المياه والزروع والثمار والأهوية. الرابعة: لأجل الملك. الخامسة: لأجل الراقدين. السادسة: لأجل القرابين. السابعة: لأجل الموعوظين.

وبعد تلاوة هذه الأواشي يتلو الكاهن طلبات وتضرعات ملائمة للخدمة.

هذه الطلبات مرتبة من الكنيسة مناسبة للعيد ذاته وبها تستمد رحمة الله ونعمة الغفران وامدادنا ببركة خصوصية لنعيش بالبر والتقوى عاملين ما هو مرضي عند الرب ومثمرين في كل عمل صالح ومتمثلين بالله كأولاد أحباء أف ٥ : ١ . وبعدها يصلي الكاهن والشعب جميعاً كيرياليصون ١٠٠ مرة.

الغرض من تكرار الصلوة استعطاف وجه الله واستجلاب رحمته علينا

---

(١) هو نوع من آلات الغناء والحمد في بيت الرب.
(٢) سترى شرحا عن كل منها في محله.

نحن الخطاة بلجاجة وحرارة بعدد كامل لنأتي بأثمار مئة كالأرض الجيدة تك ٢٦ : ١٢ ومت ١٣ : ٨.

ثم يصلي الكاهن الثلاث أواشي الكبار وبعدها يتلو الشعب قانون الإيمان.

هذه الأواشي طلبات وتوسلات تقدم إلى الله: الأولى: من أجل سلامة الكنيسة التي اقتناها الله بدمه أع ٢٠ : ٢٨. الثانية من أجل الآباء وسائر خدام الكنيسة لينعم الله عليهم وعلينا بالسلامة ويتقبل صلواتهم عنا وصلواتنا من أجلهم كرائحة بخور أف ٥ : ٢ والثالثة. من أجل الإجتماعات المسيحية ليباركها الرب ولتكون بحسب مشيئته.

الفصل السادس

« شرح طقس تسبحة الآحاد التي تسبق رفع بخور باكر »

هذه التسبحة تمارسها الكنيسة قبل فجر كل أحد على مدار السنة ويبتدأ بها بصلوة مزامير نصف الليل وبعدها يقول المرتلون التسبحة قبطياً وهي مركبة من أربعة هوسات وتداكية واحدة. فالهوس الأول «ⲧⲟⲧⲉ ⲁϥϩⲱⲥ ̀ⲛϫⲉ Ⲙⲱ̀ⲩⲥⲏⲥ – حينئذ سبح موسى» ثم لبشه.

الهوس الأول هو تسبحة موسى النبي وبني اسرائيل المذكورة في خروج ص ١٥ وتتلوها الكنيسة للغرض الذي نظمت لأجله. فكما أن موسى

نظمها ورنما بعد عبوره البحر الأحمر شكراً وحمداً وتمجيداً لله على الخلاص العظيم الذي صنعه لشعبه كذلك الكنيسة ترنمها تمجيدا للرب الذي اجتاز بنا بحر الموت وخلصنا من عبودية فرعون الخطية وأنقذنا من سلطان رئيس الظلمة كو ١ : ١٣ وعب ٢ : ١٤ .

وبعد هذه التسبحة يتلى السلام الملائكي Χερε ⲛⲉ Ⲙⲁⲣⲓⲁⲙ

السلام لك يا مريم لو ١ : ٢٨ Ⲥⲉⲙⲟⲩϯ ⲉⲣⲟ يدعونك ثم ϣⲁϣϥ ⲛⲥⲟⲡ - سبع مرات» مز ١١٩ و ١٦٤ فالهوس الثاني وهو ⲟⲩⲱⲛϩ ⲉⲃⲟⲗ ⲙⲡⲟⲥ - اعترفوا للرب» .

هذا الهوس هو مز ١٣٦ وهو يتضمن حض شعب الله على شكره والإعتراف بعظمته وحكمته وقدرته لأنه رحم إسرائيل وضرب أبكار مصر وأخرجه منها بيد شديدة وذراع ممدودة والكنيسة ترتله متوقعة كمال الإنتصار وإتمام مواعيد الله الصادقة التي قيلت لنا في برية هذا العالم منتظرين أن ننال ملكوتا أفضل عب ١١ : ١٦ .

ثم يقال لبشه [١] الآدام. ثم الهوس الثالث وهو Ⲛ̀ⲥⲙⲁ

Ⲡⲱⲟⲩϯ Ⲡⲟⲥ - تباركت أيها الرب»

رنم هذه التسبحة الثلاثة فتية القديسين وهي من «مضافات سفر دانيال «عندما طرحوا في أتون النار وهي بمعنى مز ٦٨ و ١٠٣ و ١٠٤ وبما أننا محاطون بنيران العدو اللدود إبليس ١بط ٥ : نرتلها متضرعين إلى الرب أن يحفظنا من شره ويخلصنا من هجماته أف ٦ : ١١ - ١٣ كما نجى الفتية من شر نبوخذ نصر: وأن يكون معنا كما كان مع الفتية وهم في وسط

---

(١) لبش كلمة قبطية معناها شرح أو تفسير.

لنيران حتى لا نهلك بأيدي العدو حسب مواعيده الأمينة الصادقة مت ٢٨ : ٢٠ مع مز ٩١ : ٩ الخ.

ثم يقول المرتلون إبصالية واطس تمجيداً للرب وهي Ⲁⲣⲓⲯⲁⲗⲓⲛ «
– رتلوا» ثم لبشه فالمجمع Ⲁⲣⲓ ⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲉⲩⲓⲛ ثم تقال الذكصولوجية الختامية.

المراد بالمجمع المديح الحاوي أسماء العذراء والرسل والشهداء والقديسين وغيرهم الذين أنشأ الرب فيهم مجداً كثيراً «ابن سيراخ» ورتبته الكنيسة أحياء لذكرى قديسيها والتشفع بهم [١] راجع لو ١ : ٤٥ و ٤٨ ، ٢ أي ٦ : ٤٢ وأي ٥ : ١ ومز ١٣٢ : ١ و ١٠، ار ١٥ : ١ .

أما «ذكصولوجيا» فهي كلمة يونانية معناها تمجيد أو مديح. وهي تحوي مديحاً مع خبر جزئي وهي موزونة كالأشعار بدون تقفية وبعضها آدام والبعض الآخر وهو الأكثر واطس.

وبعد ذلك يقال الهوس الرابع. فالابصالية [٢] على تداكية [٣] الأحد

---

(١) سترى كلاما مفصلا عن إكرام القديسين والتشفع بهم.

(٢) من الأبصاليات واطس. ومنها أدام. وأرباع الواطس أطول من أرباع الآدام ومعلوم أن الربع الواطس أو الآدام هو أربعة استيخونات مثل بيتين من الشعر. الخولاجي صحيفة ٨.

(٣) أنه لكل يوم من أيام الأسبوع تداكية خاصة به فتداكيات الأحد والإثنين والثلاثاء وهن Ⲥⲉⲙⲟⲩϯ Ⲁⲇⲁⲙ: ⲡⲓ ⲭ̀ⲗⲉⲙ بلحن آدم وتداكيات الأربعاء والخميس والجمعة والسبت وهن:

ⲛ̀ⲧⲁⲥⲙⲁ : ⲡⲓⲃⲁⲧⲟⲥ : ⲧ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ : ϯⲁϣⲗⲉⲃ بلحن واطس.

فالدفنار فقانون الإيمان فكيرياليصون ٤١ مرة فقدوس فأبانا.

الهوس الرابع هو مركب من المزمور ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ ويتلى بالقبطية. أما «الدفنار» فهو قراءة تشتمل على خبر مختصر خاص بالقديس أو الشهيد الذي يحتفل بتذكار استشهاده في اليوم الحاضر ومضاف إليه بعض مديح للقديس المحتفل بذكراه فهو كالسنكسار إلا أنه مختصر عنه مع إضافة مديح أو تطويب أو تقريظ ويقال له بالقبطية ⲛⲓϫⲱⲙ ⲛⲁⲛⲧⲓⲫⲱⲛⲉⲁ الكتاب الدفنارى.

ثم يصلي الكاهن تحليل صلوة نصف الليل وبه تنتهي صلوة نصف الليل والتسبحة.

وهو تضرع إلى الله بأن يهبنا روح الإنارة ويحفظنا من كوارث الدهر وتجارب الحيوة الدنيا وابتهال لأجل الكنيسة وامتداد ملكوت الله والغالب فيه طلب الرحمة والمغفرة والحل من أربطة خطايانا وبالإجمال يتضمن الصلوة لأجل جميع الناس بحسم احتياجاتهم وكل ما يؤول لمجد الله وبنيان كنيسته.



الفصل السابع

« ترتيب تسبحة باكر عيد القيامة وغيرها »

عيد القيامة لا عشية له وإنما تسبحته تكون في نصف الليل ثم يعقبها رفع بخور باكر وذلك بأن تبتدأ بصلوة المزامير فالنبوات قبطياً وعربياً وبعدها يقول المرتلون ⲦⲈⲚⲐⲎⲚⲞⲨ Ⲉ̀ⲠϢⲰⲒ التي مر ذكرها ثم مديح القيامة ⲦⲈⲚⲤⲀⲨ ننتظر (قيامة المسيح) [١] ثم هوس (تسبيح) العيد الخاص به (المجموع من المزامير) ثم الهوس الأول ولبشه فالأبصالية بالهوس الثاني فالثالث فالرابع فالإبصاليات السبعة التي للميلاد فالطرح ويفسر عربيا فمراحمك يا إلهي الخ ثم يبدأ برفع بخور باكر.

أما تسبحة عيد الميلاد والصوم الكبير وأحد الشعانين والخميس الكبير وسبت الفرح والأيام السنوية فهي كالمعتاد ولا تختلف عن بعضها إلا في معنى الإبصاليات فإن لكل منها هوساً خاصاً بها وإبصالية وطرحاً وتداكية كما في غيرها [٢].

---

(١) تنبيه – أولاً (علم أنه في عيد الغطاس خاصة تعمل تسبحة الغطاس غرباً عند المغطس أو موضع اللقان. وبعدها يعمل اللقان قبل رفع بخور باكر بخلاف ميعاد لقان الخميس الكبير ولقان عيد الرسل فإنهما يعملان قبل تقديم الحمل فيكون لقان الخميس بعد صلوة الساعة التاسعة ولقان الرسل بعد رفع بخور باكر.

ثانياً: أنه في لقان الغطاس يرشم الكاهن الشعب بالماء في جباههم وفي لقان الخميس الكبير وعيد الرسل يغسل الكاهن أرجلهم والشمامسة في كل لقان يرتلون مديحاً واطساً.

(٢) أن تسبحة عشية آحاد كيهك يسميها البعض (السبعة والأربعة) وذلك لأنها مرتبة من سبع تداكيات وأربعة هوسات راجع صحيفة ١١ و ١٢ خولاجي الكبير.

الفصل الثامن
« شرح طقس رفع بخور عشية أو باكر »

يعد عمل التسبحة حسب الترتيب الذي مر بيانه سواء كان في صلوة عشية أو باكر يبتدأ برفع البخور فيقول الكاهن ⲉⲗⲉⲏⲥⲟⲛ ⲏⲙⲁⲥ ارحمنا يا الله الآب الخ» ثم يسجد أمام الهيكل وهو يقول Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ⲙⲟⲕ – نسجد لك أيها .. الخ».

يسجد لله أمام الهيكل عملا بقول الوحي بلسان النبي لندخل إلى مساكنه لنسجد عند موطي قدميه مز ١٣٢ : ٧. أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك أسجد في هيكل قدسك بخوفك مز ٥ : ٧ و ١٢٨ : ٢.

بعد ذلك يتجه إلى الكهنة أو الشعب ويقدم لهم مطانية ويقبلهم ويطلب الحل والسماح [1].

مطانية كلمة يونانية معناها «خضوع أو توبة» وهي من أفعال السجود أو الخضوع يقدم بإحناء الرأس والركبتين» والغاية منها نيل رضاء واستسماح من كان عليه شئ وطلب صفحهم وبركتهم ومساعدتهم له بالصلوة والدعاء عنهم وعنه وعن الشعب ومصافحته لهم تشهد بخلو قلبه من أدران الحقد وأنه طيب الخاصر من قبلهم وكذلك هم يجب أن يكونوا مثله من جهته وهو يأتي ذلك قبل مباشرة الخدمة عملا بقول السيد ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شئ لكي يغفر لكم أيضاً

---

(١) قائلاً : ̀Ⲥⲙⲟⲩ ̀ⲉⲣⲟⲓ ⲓⲥϯⲙⲉⲧⲁ̀ⲛⲟⲓ̀ⲁ ⲭⲱⲣⲏⲓ ̀ⲉⲃⲟⲗ
باركوا على ها المطانية. اغفروا لي.

أبوكم الذي في السموات زلاتكم ومر ١١ : ٢٥ .

ثم يقف أمام باب الهيكل « ووجه إلى الشرق » ويرفع يديه إلى الله بورع وخشوع «وخلفه الشماس [١]» وبيده الشورية [٢] مخاطبا الشماس لينذر الشعب بالوقوف للصلاة قائلاً « ϣⲗⲏⲗ – صل «فيجاوب الشماس مخاطباً الشعب « ⲡⲟⲣ: ⲉⲩⲝⲓⲥⲑⲉ – قفوا للصلاة» .

الشماس خادم أو مساعد للقس ومن وظيفته تنبيه الشعب إلى واجباته والآن ينبههم للقيام والوقوف للإشتراك في الصلوة كأنه يخاطبهم بقول المرنم «هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين في بيت الرب مز ١٣٤ : ١» أما في القداس فيطلب منهم الوقوف للصلوة بتعقل وانتباه قائلا مع الرسول اصحوا وتعقلوا للصلوة ١ بط ٤ : ٧ و ٨ .

ثم يلتفت الكاهن إلى إخوته الكهنة ثانياً محنياً رأسه قائلا

ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ باركو فيجاوبونه ⲡⲑⲟⲕ ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲥⲟⲛ بارك أنت ثم يبارك الشعب بإشارة الصليب وهو يقول Ⲓⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ

السلام للكل «فيجاوب المرتلون Ⲕⲉ ⲧⲱ ⲡⲛⲁ ⲧⲓⲥⲟⲩ ولروحك أيضاً» .

يحني الكاهن رأسه إلى إخوته الكهنة خضوعا ومثله كثير في الكتاب المقدس فقد قيل عن بني الأنبياء أنهم لما رأوا اليشع قالوا قد استقرت عليه روح إيليا فجاءوا للقائه وسجدوا له إلى الأرض ٢مل ٢ : ١٥ راجع أع ١٠ : ٢٥ ، ١٩ : ٢٩ .

---

(١) سيأتي الكلام على الشماس وواجباته في محله.

(٢) كلمة قبطية معناها مجمرة وهي وعاء توضع فيه النار لإحراق البخور.

ثم أنه يرشم بالصليب إذا لم يكن الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً. أما إذا حضر أحدهما فله التقدم على الكاهن وهو الذي يرشم الشعب ويباركهم ويمنحهم السلام لأن القانون الرسولي ميز الأسقف عن القس فقال عن القس يبارك ويبارك عب ٧ : ٧ أما الأسقف فيبارك ولا يبارك وقول الكاهن للشعب. السلام لكم. إنما اقتداء بيسوع رئيس أحبارنا مر ١٦ : ١٤ ولو ٢٤ : ٣٠ ويو ٢٠ : ٢٩ وبرسله رو ١٥ : ٣٣ و ٢ كو ٣ : ١١ وفي ٤ : ٩ فكأنه يقول لهم سلام لكم جميعكم الذين في المسيح يسوع ١بط ٥ : ١٤ فيجاوبه الشعب مؤمنا «ولروحك أيضاً» أي فليكن لنا ولك أيضاً.

ثم يصلي الكاهن صلوة الشكر وعندما يقول Ⲡϭⲥ Ⲓⲏ︦ⲥ︦ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ الرب إلهنا، ويخاطب الشماس الشعب قائلاً Ⲡⲣⲟⲥ ⲉⲩⲝⲁⲥⲑⲉ صلوا «يجاوب الشعب والمرتلون Ⲕⲉ يارب ارحم». وعندما يقول ⲉⲩⲝⲁⲓ

ⲟⲩⲓⲟⲩⲑⲁ هذه الساعة يقول الشماس للشعب ⲧⲱⲃϩ ϩⲓⲛⲁ

أطلبوا لكي الله يرحمنا الخ، فيجاوب المرتلون Ⲕⲉ وعند قوله يحني برأسه ويرشمه وهو يقول ⲛⲉⲙ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲁⲡⲉⲕⲗⲁⲟⲥ ⲧⲏⲣϥ

وعن سائر شعبك، ثم يتجه إلى الشرق ويرشم على الموضع قائلا ϩⲁ ⲡⲁⲓⲙⲁ ϩⲁ

ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲁⲕ ⲫⲁⲓ وعن موضعك المقدس هذا» ثم يكمل الصلوة وعندما ينتهي يرتل الشعب كيرياليصون ثم يقولون ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ

– نسجد» باللحن إلى أن ينتهي الكاهن من البخور.

يقول المرتلون « Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ – نسجد» في الأيام الواطس. أما في أيام الآدام فيقال عوضها « ̀Ⲁⲙⲱⲓⲛⲓ ⲙⲁⲣⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ – تعالوا نسجد».

وفي أثناء ذلك يدخل الهيكل مقدماً الصلوة مصحوبة بالبخور لله ويأخذ بيمينه حق «علبة» اللبان البخور عن المذبح ويرشمه ثلاثاً بإسم

الثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس. ثم يضع يدي بخور بلا رشم وهو يقول ⲟⲩⲧⲁⲓⲟ ⲛⲉⲙ ⲟⲩⲱⲟⲩ - مجداً وإكراماً» وفي كل رشم من هذه الثلاثة يقول الشماس آمين.

ويرشم الكاهن علبة البخور لتخصيصه وتكريسه لله وتمييزاً له عن البخور الذي يقدمه الأمم لآلهتهم الكاذبة. والمعنى أن هذا البخور يرشم بإسمه لتقديسه ولإسمه يقرب مل ١ :١١.

ثم يقول الكاهن سر رفع بخور عشية.

هو طلبة تقدم إلى الله التماساً أن يقبل صلواتنا ويشتم منها رائحة القبول كبخور زكي صاعد أمام عرش نعمته مع صلوات القديسين أف ٥: ٢ ورؤ ٥: ٤، ٨: ٣ وسر رفع بخور باكر لا يخرج عن هذا المعنى ودعى سراً لأن الكاهن يناجي به الله مناجاة سرية.

بعد صلوة السر يصلي الثلاث أواشي الكبار وفي الثالثة يقدم البخور لله على المذبح ويطوف حوله ٣ مرات وهو يتلوها والشماس يتبعه في الطواف إنما يكون مقابله دائماً ويتلو الإبروسات جمع «أبروسة».

كانت العادة في كنيسة العهد القديم أن الكاهن لما كان يريد أن يبخر يتناول المجمرة ويضع بها ناراً من مذبح الوقود ويلقي البخور عليها ويرفع المجمرة فوق مذبح البخور ثم يطوف حول المذبح مرتلاً للرب إكراماً لمذبح الله وأشار إلى ذلك داود في مز ٢٦ : ٦ ولذلك رتبت الكنيسة الطواف حول مذبح الرب لأنه أشرف وأقدس من ذلك بما لا يقاس بمقدار أن الذبيحة التي تقدم عليه هي أفضل وأطهر وأعظم من تلك الرمزية. وقد قال أحد الآباء الطواف حول المذبح بالبخور على مثال ما في السماء إذ رأى يوحنا «ملاكاً آخر جاء ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخورا كثيراً لكي يقدمه مع صلوات القديسين» رؤ ٨ :٣ الطالبين هدم حصون الخطية وعقاب الأشرار الذين سفكوا دم أولاد الله رؤ ٦ : ٩. وقال غيره. أن

المذبح الذي رآه يوحنا في رؤ ٨ : ٣ يشير إلى الكنيسة التي تقدم فيها الصلوات الرب يسوع والمجمرة التي رآها إشارة إلى ناسوت المسيح المتقدم بالمحبة ومن ثم كان التبخير لله مقبولا ومستجابا لديه على ما قال صاحب الرؤيا. فصعد دهان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله رؤ ٨ : ٤ والكنائس الأخرى تؤيد هذا القول وسترى كلاماً عن سبب هذا الطواف وما يشير إليه في الباب الرابع.

بعد الدورة الثالثة ينزل الكاهن [١] ووجهه إلى الشرق ثم يقدم البخور لله أمام الهيكل ثلاث أيادي في الأول يقول Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ⲙⲟⲕ – نسجد لك «أيها المسيح إلهنا الخ» وفي الثانية يـــقول Ⲁⲛⲟⲕ ⲇⲉ ⲕⲁⲧⲁ ̀ⲡⲁϣⲁⲓ « وأنا كمثل كثرة «رحمتك الخ مز ٥ : ٧» وفي الثالثة يقول ̀Ⲙⲡⲉ ̀ⲙⲑⲟⲛ ̀ⲛⲛⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ أمام الملائكة «أرتل لك الخ مز ١٣٨ : ١ و ٢» ثم يتجه شمالا وهو يقول Ⲧⲉⲛϯ ⲛⲉⲙⲁⲛ Ⲭⲉⲣⲉ ⲧⲓⲥⲙⲟⲥ – نعطيك السلام مع جبرائيل» ثم يتجه غربا وهو يقول Ⲭⲉⲣⲉ ̀ⲛⲭⲉⲣⲟⲥ – السلام لمصاف «الملائكة» ثم يتجه جنوبا وهو يقول Ⲭⲉⲣⲉ Ⲓⲱⲁ – السلام ليوحنا «المعمدان» ثم يتجه شرقا ويسجد لله.

يقدم الكاهن الصلوة مصحوبة بالبخور في كل جهة من الجهات الأربع إشارة إلى وجود الله في كل مكان وفي أي جهة من الجهات الأربع يتجه إليها المصلي. ثم هو يعطي السلام العذراء تمثلاً بالملاك «لو ١ : ٢٨» ولمصاف الملائكة على مثال ما جاء في رؤ ١ : ٤. وليوحنا المعمدان اقتداء

---

(١) كلما نزل من الهيكل يسبق برجله اليسرى من الباب وكلما طلع يسبق برجله اليمنى.

بالعذراء لو ١ : ٤٠ و ٤١.

وعندما ينتهي المرتلون يتلو الأوشية المناسبة للوقت الحاضر [١] وعندما يقول Ⲁⲣⲓ ⲫ̀ⲙⲉⲩⲓ Ⲡ̅ⲟ̅ⲥ̅ - أذكر يارب» يقول الشماس «الطفه» بحسب الأوشية ويجاوب المرتلون. كيرياليصون. ولما ينتهي من الأوشية يصلي «تفضل يارب» هذا في عشية أما في صلوة باكر فيصلون «تسبيحة الملائكة - المجد لله» بعدها يقول المرتلون الذكصولوجيات المناسبة للوقت الحاضر [٢] أما الكاهن فيدخل الهيكل ويقدم البخور لله مصحوباً بالصلوة ويطوف حول المذبح مرة واحدة وينزل من الهيكل وتقدم البخور كما مر وإذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً يعطيه وأخوته الكهنة البخور [٣] وبعدهم الشعب.

---

(١) في زمن الصوم تقال أوشية الراقدية في رفع بخور عشية: وفيالآحاد والأعياد وأيام الفطر تقال أوشية القرابين في عشية. وأوشية المرضى في باكر. وفي الأيام السنوية تقال أوشية المرضى في عشية باكر ما عدا يوم السبت خاصة تقال فيه أوشية الأموات. أما أوشية المسافرين فتقال في باكر فقط ثم أن أوشية القرابين تقال في بقية الأيام في القداس قبل سر الإبركسيس. وفي رفع بخور باكر أيام الأعياد راجع «الخولاجي الكبير صحيفة ٥٦ و ٦٥ و ٦٧».

(٢) أما في الأعياد السيدية يرتلون السبعة ألحان وأولها Ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲫⲏ ⲉⲧⲁ ⲡⲓ ⲙⲉⲑⲙⲏⲓ - أياها النور الحقيقي» وآخرها Ⲡⲟⲩⲣⲟ ⲛ̀ⲧⲉ ϯϩⲓⲣⲏⲛⲏ - يا ملك السلام بلحنها المعروف. ثم تسبحة الملائكة والذكصولوجيات الخ.

(٣) يعطي الأسقف ٣ أيادي والقمص ٢ والقس يداً واحدة.

تقديم الكاهن البخور للأب البطريرك أو الأسقف أو الكهنة عموماً يراد به اشتراكهم جميعاً في تقديم البخور لله واصطحابه بصلواتهم وتضرعاتهم وذلك ظاهر مما يقوله الكاهن المصلي ويسأل به شريكه. وجواب هذا على سؤاله. فالكاهن المباشر تقديم الذبيحة أو المصلي يطلب منهم أن يصلوا من أجله وهؤلاء يقدمون بخوره لله مصحوباً بكلمات الدعاء مستمدين له العون من الله. وكذلك رئيس الكهنة يقدم هذا البخور مصحوباً بصلوات القديسين إلى الله نائباً عن الشعب كما يفعل رئيس الجنود السموية رؤ ٥ : ٨.

أما إعطاء البخور للشعب وهو يطوف حولهم فالمقصود منه إعطاءهم البركة وتقديسهم عد ١٦ : ٤٦ ثم يذكرهم في صلواته رو ١ : ٨، ٩ : ١ و تس ١ : ٢.

لما ينتهي الكاهن من إعطاء البخور للشعب يعود إلى الهيكل وهو يقول Іно Пχс ̀ⲛⲥⲁϥ - يسوع المسيح أمساً واليوم الخ عب ١٣ : ٨ ثم يقدم البخور لله مصحوباً بالصلوة كالعادة متضرعاً إلى الرب أن يقبل اعترافات الشعب.

كانت العادة في نفس الكنيسة في عهدها الأول أن يأخذ الكاهن اعترافات الشعب في نفس الكنيسة وأمام الجماعة ولاسيما الموعوظين الذين تحت الدخول في الإيمان. ولذلك رتبت الكنيسة أن يصلي الكاهن من أجلهم ويتضرع إلى الله بقبول اعترافاتهم كما قبل إليه اعتراف اللص الذي اعترف بلاهوت ابن الله وأقرّ مؤمنا أن المصلوب إله متجسد لو ٢٣ : ٤٢[١] ولما جعل الإعتراف سراً فالكاهن في تطوفه يفتقد المعترفين المصلين ويذكر المعترفين منهم بنوع خاص ليقبل الله توبتهم واعترافهم ويؤهلهم للإشتراك

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة ق١.

في عشائه السري.

أما الكاهن فيأخذ الصليب من الشماس وعليه ٣ شمعات موقدة [١] وملصقة به. وعندما ينتهي الشعب من تلاوة قانون الإيمان وقد رتل المرنمون TENXOYⲰT – وننتظر «قيامة الأموات الخ» يرشم بالصليب على الشعب ثم يتجه إلى الشرق ويرفع يديه إلى فوق بالصليب ممسكا بيده اليمنى ويتضـــرع إلى الله هـاتفا عـن نفســـه والشعب Ⲫϯ ⲚⲀⲒⲚⲀⲚ – اللهم ارحمنا ، وانما إذا كان «الأب البطريرك أو الأسقف موجوداً فهو الذي يقول ذلك «وبعد انتهائه من الصلوة يرتل الشعب – آمين كيرياليصون ٣ مرات بالناقوس.

ان انحناء الكاهن أو رئيس الكهنة بالصليب الكريم ورفعه إلى فوق وهو يصلي وترتيل الشعب آمين كيرياليصون مع تكرار الترنيمة ذاتها. أما الأول أي «عمل الكاهن» فيشير إلى وجود الصليب الذي كان زمنا مدفونا في الأرض ورفع من جوفها بعد التعب والإجهاد الكلي. ورفع الصليب دائماً موقداً بالشموع ليذكرنا بالمسيح المصلوب الذي رفع على خشبة الصليب لخلاصنا وأن بإرتفاعه جذب إليه الجميع وأنارهم بنور الإيمان المقدس يو ٣ : ١٤ ، ٨ : ٢٨ ، ١٢ : ٣٢.

ولهذا الطقس معنى آخر فإنه من جهة يمثل للبشر سقوطهم بالخطية

---

(١) تقاد الشموع في ابتداء رفع البخور على جانبي المذبح على شمعدانين أحدهما شمالا والآخر جنوباً وقنديل الشرق أيضا وتدوم متقدة من أول رفع البخور إلى نهايته. ان كان لعشية أو باكر. ومن وقت استعداد المذبح إلى نهاية القداس وانصراف الشعب وتوقد الشمامسة شموعا أخرى زيادة على هاتين عن يمين الكاهن ويساره للإنارة بها على الذبيحة الإلهية وقت تقديم الحمل ووقت الرسومات في القداس ومن أول قسمة الجسد إلى نهاية التناول دسقولية باب ١ : ٢ و ٣ وباب ١٣ : ١١.

وعدم ثباتهم في النعمة ومن جهة أخرى يشير إلى انتشالهم من هوة الهلاك وخلاصهم بآلام المسيح وصلبه.

فكأن الكنيسة بهذا الطقس توعز إلى أبنائها أن لا خلاص لهم إلا بالصليب الذي به كانت نجاتهم وهو فخرهم وبه نحرضهم على الثبات في الإيمان الحقيقي بالمصلوب والسير بمقتضى هذا الإيمان لكي تفاض عليهم استحقاقات آلام المسيح ويجنوا هم أثمار الصليب الخلاصية «ولدى سجودنا للصليب يجب أن نفطن بالمصلوب وعمله وتعليمه وعلى الخصوص تلك الكلمات التي نطق بها على الصليب وهي عظة موجهة إلى كل الملأ في كل أقطار الأرض» وفيه تعليم لنا بأن يجب أن نرفع عقولنا وقلوبنا من الأرضيات إلى السمويات ومن الجسديات إلى الروحيات وأن نطلب ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله كو ٣ : ١.

والثاني قول الشعب «آمين كيرياليصون» [١] ٣ مرات يدل على الاعتراف أمام الله بخطايانا التي هي نتيجة الخطية الجدية والتماس الرحمة عنها لأجل إيماننا بالمخلص الذي أتى وخلصنا بآلامه المحيية بالصليب كما خلص رجال العهد القديم لأجل إيمانهم به عب ١١ : ١٣ - ١٦ و ٤٠.

بعد ذلك يقول الكاهن أوشية الإنجيل. وعندما يقول

ϧⲉⲛ ⲛⲓⲧⲱⲃϩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲏⲉ̅ⲑ̅ⲩ - بطلبات قديسيك ، يقول الشماس مخاطبا الشعب وهو ساجد خلف الكاهن وبيده الإنجيل والصليب « ⲡ̀ⲣⲟⲥⲉⲩⲝⲁⲥⲑⲉ - صلوا من أجل الإنجيل المقدس» فيجب المرتلون هاتفين «كيرياليصون» ولما ينتهي الكاهن من الأوشية يطرح المزمور

---

(١) في عيدي الصليب وأحد الشعانين يطوفون الكنيسة بالصليب مع قراءة الأناجيل وفي عشية أحد القيامة وباكر عيد العنصرة يطوفون بأيقونة السيد المسيح.

وفي أثناء ذلك يدخل الكاهن الهيكل ويرشم حق البخور ويضع البخور في المجمرة كالمعتاد ويطوف حول المذبح والشماس مقابله دائماً حاملاً الإنجيل وهو يصلي صلوة سمعان الشيخ لو ٢ : ١٩ – ٢٢ « ϯⲛⲟⲩ ⲡⲁⲛⲏⲃ الآن يا سيد»

تلاوة هذه الصلوة تذكرنا بإنتهاء زمن العهد القديم وابتداء زمن العهد الجديد بمجئ المخلص الذي حمله سمعان على ذراعيه. وبارك الله قائلاً: «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام» لو ٢ : ٢٩ «وسترى شرح باقي الطقس في الباب الرابع».

ثم ينزل الكاهن من الهيكل ويعطي البخور للإنجيل وعندما يقول الشماس Ⲥⲧⲁⲑⲏⲧⲉ ⲙⲉⲧⲁⲫⲟⲃⲟⲩ قفوا بخوف الله. «لسماع الإنجيل المقدس».

يقف الشعب عند قراءة الإنجيل احتراماً له وجاء في تاريخ الكنيسة أن المؤمنين كانوا يقفون عند قراءة الإنجيل احتراماً [١] وقد كان الكهنة واللاويون يقدمون الذبائح ويرتلون التسابيح لله واقفين والشعب أيضاً كان يقف عند سماع الشريعة وقبول البركة وعند الشكر لله على انتصار أو احسان نح ٨ : ٥.

ثم يتقدم الشماس لقراءة الإنجيل باللغة القبطية وعندما يقول المقدمة يقول الشعب « Ⲇⲟⲝⲁⲥⲓ Ⲕⲩⲣⲓⲉ – المجد لك يارب» راجع نح ٨ : ٦ وكذلك عند ختام الإنجيل. ثم يفسره عربياً [٢] وبعده يقول المرتلون النشيد المناسب له. ثم يصلي الكاهن الأواشي الآتية. السلامة.

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة ق١ صحيفة ٧٩ ومختصر تاريخ الكنيسة صحيفة ٩٩.

(٢) في أوله يقول القارئ. ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ابن الله الحي له المجد إلى الآبد آمين.

الآباء. الموضع. المياه أو الزروع. واجتماعات – وفي هذه لما يقول ⲧⲱⲛⲕ

ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ – قم يارب عد ١٠ : ٣٥ ومز ٦٧ :١ يبخر شرقا ثلاث دفوع ثم يتجه غربًا ويعطي البخور مباركًا الشعب وهو يقول ⲡⲉⲕⲗⲁⲟⲥ ⲇⲉ:

ⲙⲁⲣⲉϥϣⲱⲡⲓ – وأما شعبك فليكن «بالبركة» ويناول المجمرة للشماس ثم يختم بالصلوة الربية ثم يأخذ الصليب ويصلي التحاليل الثلاثة فالأول والثاني يصليهما وهو متجه للشرق. وفي الثالث يتجه غربًا «إلى الشعب».

التحاليل هي صلوات وتوسلات من أجل الكنيسة وأطلق عليها لفظة تحاليل لأن الغالب فيها طلب حل الموجودين من أربطة خطاياهم وقبول الله إليهم.

في بدء التحليل عندما يقول الشماس مخاطبا الشعب ⲧⲁⲥ ⲕⲉⲫⲁⲗⲁⲥ ⲏ̀ⲙⲱⲛ احنوا أو طاطئوا رؤسكم «للرب» يجاوب الشعب « ⲉⲛⲱⲡⲓⲟⲛ ⲥⲟⲩ ⲕⲩⲣⲓⲉ – أمامك يارب» وفي ختام التحليل الثاني يقول الشماس للشعب « ⲡ̀ⲣⲟⲥⲭⲱⲙⲉⲛ – انصتوا «بخوف الله» ويقول الكاهن « ⲓⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ – السلام للكل» يجاوب الشعب (١) كالمعتاد وفي التحليل الثالث عندما يقول الكاهن « ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲉⲛ ⲛⲉⲕⲉ̀ⲃⲓⲁⲓⲕ – عن عبيدك» يرشم الشعب أولاً وثانيًا ثم يرشم ذاته وهو يقول « ⲛⲉⲙ ⲧⲁⲙⲉⲧϫⲱⲃ –

---

(١) كلما قال الشماس الأبروسة أو الطوفة يرتل الشعب كيرياليصون وكذلك عندما يقول الكاهن ⲓ̀ⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ – السلام للكل» يجاوب الشعب ⲕⲁⲓ ⲧⲱ ⲡⲛⲉⲩⲙⲁⲧⲓ ⲥⲟⲩ ولروحك أيضًا»..

وعن ضعفي» وكذلك عندما يقول « ⲥ̀ⲙⲟⲩ ⲉ̀ⲣⲟⲛ – باركنا» ثم يرشم الخدام عندما يقول « ⲙⲁⲧⲟⲩⲃⲟⲛ : ⲁⲣⲓⲧⲉⲛ ⲛ̀ⲣ̅ⲙ̀ϩⲉ – طهرنا حاللنا» ثم يرشم الشعب وهو يقول ⲛⲉⲙ ⲡⲉⲕⲗⲁⲟⲥ ⲧⲏⲣϥ وحالل سائر شعبك» وبعد انتهاء التحليل يضع الصليب على الإنجيل ليقبلهما الشعب ثم يختم بالبركة « Ⲡⲭ̅ⲥ̅ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ – المسيح إلهنا» يجاوب الشعب قائلاً: « ⲁⲙⲏⲛ ⲉⲥⲉϣⲱⲡⲓ – آمين فليكن» ثم يختم رفع البخور بصلوة ارتجالية ويختمها بالصلوة الربانية وبذا ينتهي رفع البخور. وبعد ذلك يصرف الشعب مزوداً إياهم بالبركة قائلاً لهم «انصرفوا بسلام الرب معكم» أما في رفع بخور باكر فتصلي المزامير ويقدم الحمل مباشرة.

الباب الرابع

« الطقوس الكنسية عامة »

الطقوس كلمة يونانية مشتقة من (طاكسس) ومعناها في الأصل اليوناني ترتيب أو نظام وهي تطلق بحصر المعنى على كل نظام أو ترتيب ديني أو مدني – وفي الإصطلاح الكنسي أطلقت على مجموع الصلوات والتسابيح التي تتلوها الكنيسة في إبان الخدمة العامة وتتميم الأسرار الإلهية.

وجدت هذه الطقوس في الكنيسة المسيحية منذ عهد الرسل الأطهار ومن خلفهم من الآباء واستمرت فيها إلى الآن وسوف تبقى ما بقيت للمسيح كنيسة على وجه الأرض. ونظام الطقوس الدينية على اختلاف الأديان والأجناس قديم وشامل. ففي العهد القديم نرى أن الكنيسة في دورها الثاني التاريخي الذي يبتدئ بموسى وينتهي بظهور المسيح في الجسد كانت تسير بنظام أو طقوس أبانها موسى في أسفاره الخمسة بأمر الله نفسه وكانت قسماً عظيماً من الشريعة القديمة وسار عليها شعب الله في أمور عبادته وتقدمة الذبائح والقرابين وغيرها جيلاً بعد جيل إلى أن جاء المسيح الذي كانت ترمز إليه.

وفي العهد الجديد نرى المسيح نفسه قد خضع لهذه الطقوس وقدسها بممارسته لها وإتمامه إياها بختانه في اليوم الثامن لو ٢ : ٢٢- ٢٥ وكذا أمر الأبرص بإتمام ما أمرت به الشريعة الطقسية لتطهيره مت ٨ : ٤ . ورسله الأطهار مارسوها في دورهم قبل دعوتهم بل بولس نفسه قد مارس هذه الطقوس بعد دعوته بإتمام النذر مع رفقائه المنتصرين من الأمم أع ٢١ : ٢٣- ٢٦ .

وليس عندنا إلا القليل من أبناء دور الكنيسة الأولى التاريخي ولكننا نرى في هذا القليل أن ابنى آدم مارسا في عبادتهما طقوسا تك ٤ : ٣ و ٤ ونوح ومن معه في الفلك مارسوا طقوسا تك ٨: ٢٠ وملكي صادق كان كاهناً عظيماً ولا يوجد كهنوت بلا طقوس وقيل أن المسيح جاء في رتبته راجع تك ١٤ : ١٨ مع عب ٧: ٢١ وأيوب البار وإبراهيم وإسحق وابنه ويعقوب حفيده كانوا يمارسون طقوسا تك ١٣ : ١٨ ، ١٥ : ٩ ، ٢٦ : ٢٥ ، ٣٥ : ١ وأي ١ :٥ فممارسة هؤلاء الآباء الطقوس الدينية يدل على قدمها ويدل كذلك على أن الله قد أمرهم بها وراضيا عنها وعن ممارستها.

هذا من جهة الكنيسة منذ بدء وجودها في دورها الأول. وإذا التفتنا إلى الوثنية وغيرها التي عاصرت الكنيسة في القدم والتي ظهرت بعد ذلك نجد أنها ذات طقوس لا تزال متبوعة عند أبنائها إلى زمننا هذا وهذا معنى كونها (الطقوس) شاملة كما هي قديمة.

أما الطقوس المسيحية فيرجع أصل وضعها إلى الرسل أنفسهم ومن خلفهم من الآباء الرسوليين وإليك الأدلة على ذلك.

أولاً: من الكتاب فإننا نقرأ فيه أن الرسل وضعوا ترتيبات في الكنيسة وأمروا بها وهم مع جماعة المؤمنين في زمنهم مارسوها راجع ١ كو ١١ : ٢ و ٣٤ ، ١٤ كله و ٢تس ٢ :١٥ ، ٣ : ٦ وفي ١ : ٥ وعب ٦ : ٢ ويع ٥ : ١٤ . وقد جاء في أوامر الرسل والقوانين الكنسية تفصيل وإيضاح لهذه الترتيبات والطقوس راجع (ب ١٣ و ١٤ للصفوي - والأفخولوجيون الكبير) .

ثانياً: وكتب الآباء تذكر هذه الطقوس وتحتم على الكنيسة القيام بها مستندة في هذا التحتيم على تعاليم الرسل وقوانينهم. قال القديس إيريناوس تلميذ بوليكربوس تلميذ يوحنا الرسول (إن الرسل قد جعلوا الكنيسة خزانة الحق الوافر كلما هو مختص بها سلموه إلينا بجملته) ١ تي١ : ١٤ وقال إكليمنطس: «إن مؤلفاتي تحتوي على ما سمعته من أناس حفظوا التقاليد

الحقيقية كبطرس ويعقوب ويوحنا وبولس أبا عن جد) والقديس باسيليوس قال من التقليد تعلمنا رسم الصليب على جباهنا.. والإتجاه نحو الشرق ومنه عرفنا كلمات التقديس (طقس القداس) والإستدعاءات التي يتلوها الكاهن ومباركة طقس المعمودية وترتيب المسحة وتغطيس المعتمد ق ٩١.

ثالثاً: إجماع الكنائس الشرقية والغربية على الإعتراف بهذه الطقوس وأمرها المؤمنين بإتباعها والخضوع لها وممارستها.

والكيفية أو الطرق التي تمارس بها هذه الطقوس والأسرار التي تكمل بها في هذه الكنائس المختلفة المبادئ واللغات والأجناس والأقاليم تكاد تكون واحدة. وهذا ما يبرهن على أنها مأخوذة من الرسل ومأمور بإتباعها ووجوب ممارستها: جاء في كتاب الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة للروم الأرثوذكس ما نصه «إن باسيليوس الكبير كتب بما كان يتم اجراؤه في اجتماعات المسيحيين الأول قائلاً أن العوائد «الطقوس» المتملكة في جميع كنائس الله هي موافقة ومطابقة بعضها لبعض فإن الشعب عندنا يدلج ليلاً إلى بيوت الصلوة فيعترف لله بألم وضيقة قلب وانسجام العبرات ثم ينهضون من الصلوة وينتصبون للترتيل الخ رسالة ٢٠٧ إلى اكليروس قيصرية الجديدة.

رابعاً: شهادة المنشقين عن الكنيسة وهم جماعة البروتستانت فقد قال مؤرخهم موسيهم في تاريخه ما يأتي «أنه لما انتظمت الكنائس ورتبت بحكم وقوانين كان يحق للأسقف وحده أن يعمد كل المدخلين حديثاً إلى الكنيسة ولا يمكننا أن نقول شيئاً نظراً لتلك الطقوس التي كانت تضاف إلى تلك المعمودية لأجل الترتيب واللياقة ك ق ٢ ف ٤ وجه ٤٢: وفي كلامه عن العشاء السري قال. أنه كان يمارس بطقس خاص. إلى أن قال. وكان هذا الطقس يعتبر عندهم ضرورياً للخلاص والبراهين على ذلك كثيرة. وجه ٥٧ وقال أيضا.. ولا إرتياب بأنه كان يستعمل طقس خاص من الصلوة في كل مكان جهراً وسراً. وجه ١١٢ وعن المعمودية قال:

وكان يمارس دائماً هذا الطقس المقدس في شارات الفصح والعنصرة والشموع المضيئة في أياديهم الخ ك ٣ ف ٤ قسم ٢ ق ٤».

هذه أربعة براهين تقنع من أراد الإقتناع بأن الطقوس المسيحية قديمة العهد وبالتالي أنها وضع رسولي وهي تمارس منذ العصر الرسولي وأن من حاول انكارها وعدم ممارستها كان خارجاً على الرسل أنفسهم بل على الله نفسه الذي قال من يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني. والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني لو ١٠ : ١٦.

بقي علينا أن ننظر إلى اعتراضات المنشقين فهم يعترضون:

أولاً: أن هذه الطقوس يهودية ولذلك لا يجب العمل بها: صحيح أن بعض هذه الطقوس مقتبس من نظام كنيسة العهد القديم. ولكن هذا لا ينفي وجوب ممارستها مادام الله نفسه مصدرها ورسله أقروها ومادامت الغاية منها بنيان الكنيسة. البروتستانت أنفسهم يسلمون بهذا ويعترفون بأن الرسل أدخلوا بعض نظام العهد القديم في كنيسة العهد الجديد بما يطابق روح المسيحية. قال الدكتور يوحنا هوج «في رده على شيعة البليموثيين في كتاب مرآة الإكتشاف، ما نصه: أن الكنيسة المسيحية تعتقد أن الله روح وأنه في الأزمنة القديمة كما في الأخيرة لم ير قط إلا في الذين يعبدونه بالروح والحق [1] وأن العبادة المقدمة لله في المجامع والكنائس اليهودية من أنقياء الله الحقيقيين لم تفرق جوهراً عن العبادة المطلوبة الآن: وإن الرسل في خدمة وضع نظام كنيسة العهد الجديد فيما يختص بانتخاب وإقامة الخدام وممارسة القبول والفرز وتعيين وترتيب أمور العبادة الجمهورية إلى غير ذلك لم يرسموا رسماً جديداً بل اتخذوا هيئة النظام الموجود بين أيديهم في

---

(١) مز ٢٤ : ٣ و٦٣ : ١ - ٤ و٩٣ : ٥ وجا ٥ : ١ و ٢ ويو ١ : ٤٧ و رو ٢ : ٢٨ و ٢٩ و في ٣ : ٣.

المجامع اليهودية وطبقوها للأحوال المستجدة الناشئة مع فتح باب الخلاص لجميع أمم الأرض وصيرورهم شركاء مع اليهود في الميراث والمجد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل. صحيفة ٩ و ١٠: وقال أيضاً في صحيفة ٢٦ «رأى الإخوة البيمثيين» مبنى على إنكار حقيقة مقررة قد سلم جمهور العلماء الكنائسيين وهي أن الكنيسة المسيحية الرسولية قد تسلمت من المجامع اليهودية أصول نظامها وطريقة سياستها ومعظم صور عبادتها وذلك بتعيين المسيح نفسه الذي كان حجر زاوية هذا وذاك» وقال موسهيم في شرح طقوس مسيحي الجيلي الأول «إني أصادق على أن الرسل في تلك الكنائس المؤلفة كلها أو أكثرها من اليهود أبقوا الطقوس اليهودية بقدر ما تسمح به اختلاف هيئة الديانتين وهذا يمكن أن يبرهن على صحته بشواهد عديدة. صحيفة ٤١ و ٤٢ وجاء في تفسير الرؤيا ٤: ٤ ما نصه «ومشاركة الكنيسة القديمة للكنيسة المسيحية ظاهرة من الترنم في السماء بترنيمة موسى والخروف رؤ ١٥: ٣ وأن ترنيمة موسى وترنيمة الخروف ليستا ترنيمتين إنما هي ترنيمة واحدة فهي تدل على تمام الإتحاد بين كنيسة العهد القديم وكنيسة العهد الجديد فترنيمة الإنتصار التي رنم بها الإسرائيليون رنم بها المسيحيون فإنهم كلهم أعضاء كنيسة واحدة: وترنيمة الخروف لأن موسى كان نائب النظام القديم والخروف هو شمس النظام الجديد ومركزه (١) وأخيراً قال الدكتور يوحنا هوج: لم يفرق روح اليهود عن روح عبادتنا الآن وذلك للممارسات الدينية الجارية في اجتماعاتهم الجمهورية ما خلا الهيكل وحده «ولماذا» لم تختلف في وجه جوهري عن الممارسات الجارية في الكنائس الإنجيلية «الآية ٥١ صحيفة ٢٣٢».

ثانياً: أن قدم هذه الطقوس جعلها غير صالحة لعصرنا الحالي والواجب تغييرها بما يوافق مقتضيات هذا الزمن: وهو قول مأخوذ بما يقال عن

---

(١) تفسير الرؤيا صفحة ٦٢٠، ٦٩٠.

النظامات الإجتماعية والمدنية التي وضعها متشرعون لفائدة نبي زمنهم وعلى مقتضى حاجاتهم وهو بالنسبة لهؤلاء المتشرعين وأزمانهم في محلة لأنه لم يوجد ولن يوجد شارع قام ويقوم على الأرض يدعى العصمة لنفسه أولاً والإلمام بحاجات الناس ومطالبهم في سائر الأجيال حتى يجعل شريعته ثابتة وعامة إلى يوم الدين ومع هذا فإنه لم يتغير نظام من هذه الأنظمة إلا بثورات داخلية وحروب خارجية تترك وراءها تشريعاً جديداً غير التشريع القديم وهذه الثورات والحروب لم تكرر إلا مراراً قليلة عند بعض الأمم في كل أجيال التاريخ القديم إلى الآن فإذا صح القول بالتغيير في الأنظمة البشرية للأسباب المتقدمة فلا يصح القول به في الشرائع الكنسية والطقوس الدينية وذلك لسببين اثنين أولهما أن وضعها كان بإرشاد الروح القدس وثانياً: إلمام هذا الروح نفسه بما يلزم لبنيان المؤمنين في كل زمان ومكان.

على أننا لا ندري ما الذي نغيره ونحذفه منها؟ وما الذي نبقيه؟ مادامت كلها صالحة ونافعة لبنيان جسد المسيح وموافقة لكلمة الله. وإلا لماذا نحذف ونغير وليس ثمة موجب لهذا التغيير مادامت موضوعة على أساس متين وقواعد أساسية راسخة ومجمع على فائدتها وصلاحيتها ووجود ممارستها وعدم تغيير شئ فيها. على أن تغييرها «على فرض جوازه» لا يمكن إلا إذا غيرنا أساسها الأصلي ومع ذلك فتغييرها نفسه ليس من الحكمة في شئ كما يقوله البروتستانت أنفسهم «إذ ظهر بالإختيار الطويل أن الأشياء التي قامت على أساس متين متى تغيرت بغير سبب ضروري قد ينشأ عن تغييرها صعوبات أشد ضرراً وأكثر شراً من الأشياء التي أريد إصلاحها» (١)

نعم أن الكنيسة الأسقفية غيرت ولكن فيما لا يمس جوهر العبادة كقولها وهو «إن أكثر التغييرات إنما طرأت لأسباب ثلاثة:

---

(١) الصلوة العامة للأسقفيين المقدمة حرف (و) (د) الكتاب نفسه المقدمة حرف (و).

أولاً ـــ لإرشاد الذين يباشرون الخدمة الإلهية وخصوصاً في التقاويم والتنبيهات التي تتخلل كتاب الصلوة.

ثانياً ـــ إيضاحاً لبعض الكلمات أو العبارات القديمة الإستعمال بعبارة أقرب فهماً وأوفق للغة الزمن الحاضر وتغيير كلمات أو جمل أخرى كان معناها ملتبساً أو كانت مظنة للخطأ.

ثالثاً ـــ إيضاحاً لمآ ل فصول من الكتاب المقدس إلخ ثم لأنه وجد موافقاً أن يضاف في بعض الأماكن المناسبة بعض صلوات وتشكرات لأوقات معلومة الخ.. ومع ذلك فقد قالت عن الأمور التي غيرتها (أن أساسها الأصلي ولوازمها الجوهرية في أخص المواد أو في صورتها وترتيبها قد بقيت على حالها حتى الآن وستبقى ثابتة لا تتزعزع رغماً عما طرأ عليها من المساعي الخائبة والهجمات العنيفة التي صوبها إليها أولئك الذين من دأبهم التغيير والتبديل الذين أشغلهم الإهتمام بمصالحهم الخصوصية وتخيلاتهم الذاتية عن الإهتمام الواجب عليهم بمصلحة الشعب.

ان الطقوس الكنسية المسلمة للكنيسة والمعمول بها منذ القديم ليست زياً من الأزياء ولا شكلاً من أشكال (المودة) المدنية الحديثة حتى تغير وتبدل تبعاً للظروف ومقتضيات العصر الحالي - إنما هي أنظمة مقدسة وطقوس إلهية مرعية لدى جميع الكنائس المسيحية لازمة لتكميل الخدم الدينية لزوم الواسطة للغاية والهواء للتنفس. فإذا غيرنا أو حذفنا شيئاً منها عمت الفوضى إجتماعاتنا وتداعت أركان عبادتنا فضلاً عن أنها وضعت على أساس متين كما قلنا روعي فيه صالح النفوس وتمجيد الله القدوس أضف إلى هذا أن هذه الطقوس سبق تقريرها شرعاً من الكنيسة فتغييرها مما يضر الآخرين أكثر مما يريح ضمائرهم. ومن ذلك ليس منها شئ مخالف لكلمة الله والتعليم الصحيح وليس فيها ما يأبى الإنقياد إليه والعمل بموجبه من كان تقياً صالحاً «كما تقول الكنيسة الأسقفية في مقدمة الصلوة العامة» غير هذا فإنه ليس في سلطة أحد التعدي على الترتيبات الكنسية

وطقوسها وتغييرها كغيرها وهذا ما تقوله الكنيسة الأسقفية، ثم وان يكن حفظ شئ من الطقوس أو حذفه أمراً يسيراً في حد ذاته إلا أن التعدي على التراتيب العمومية وتأديبات الكنيسة عمداً واستخفافاً ليس بالجرم اليسير في عيني الله فقد قال الرسول: وليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب ١ كو ١٤ : ٤٠ فتعيين هذا الترتيب غير خاص بأفراد مخصوصين ولذلك لا ينبغي لإنسان أن يسرع بتعيين أو تغيير نظام عام أو خاص لكنيسة المسيح ولا أن يقدم على شئ من ذلك إلا إذا انتدب شرعاً للقيام به وفوضت السلطة إليه «مقدمة الصلوة العامة حرف أي».

على أنه إذا فكرت كنيسة ما في شئ من هذا القبيل دلت بهذا على أن طقوسها غير أساسية وليست رسولية وأنها ليست بذات أهمية في حد ذاتها ولا هي جوهرية في تكميل الخدم الإلهية ولأنما يعول عليه في عبادتها الجمهورية. فضلاً عن مخالفتها لتعليم الكتاب أم ٢٢ : ٢٨ و ٢ تس ٢ : ١٥ و ٢ تي ١ : ١٣.

هذا أما تغيير القديم بغيره جديد موافق لروح العصر فيكفي للرد عليه ما قالته الكنيسة الأسقفية وهو بنصه «بما أن عقول الناس في عصرنا هذا مختلفة إلى حد أنه يخيل للبعض أن من الأمور الخطيرة على ضمائرهم أن يتركوا جزءاً من طقوسهم مهما كان قليلاً حتى أنهم يتعلقون مزيد التعلق بعبادتهم القديمة. ولما كان البعض يميلون إلى كل مستحدث حتى تمنوا لو إن في وسعهم تجديد كل شئ. وأبغضوا ما تقادم عهده فلا يرضيهم إلا الجديد لذلك لاح لنا أن أوفق ما نفعله أن لا نهتم في مراعات وإرضاء كلا هذين الفريقين أكثر من إهتمامنا في إرضاء الله واستجلاب النفع لكليهما. أما الذين يمكن أن يعتبروا ببقاء حفظ طقوس قديمة فإن اعتبروا أنه يستحيل حفظ الترتيب والتأديب في الكنيسة بدون بعض الطقوس يدركون بسهولة السبب العادل لتغيير آرائهم فإذا استعظموا بقاء قديم وفضلوا تجديد الجميع فقد أجازوا استعمال شئ من الطقوس الموافقة ولا يعقل أن يكرهوا القديم لمجرد قدميته إلا إذا أكدوا حماقتهم بل الأولى بهم احترامهم بسبب

قدميتها هذا إذا صرحوا بأنهم يدأبون على الوحدة والوفاق أكثر من دأبهم على ابتداع استحداث الأمر الذي يجب اجتنابه دائماً لأجل انتشار دين المسيح ما أمكن إلخ. وأيضاً لا يجد هؤلاء سبباً صحيحاً ليعثروا بالطقوس الباقية. وفوق ذلك فهي ليست طقوساً مبهمة أو غير مهذبة ولكنها ثبتت بكيفية يفهم كل انسان منها ما هو معناها والغاية التي تستعمل لأجلها أ.هـ. الصلوة العامة حرف بي وجي»

ثالثاً: يعترض بأن هذه الطقوس من وضع البشر ولذا لا تجب ممارستها والخضوع لها. وهو قول هراء لا ينطق به إلا الجهلاء وإلا فإن الكتاب المقدس نفسه وضعه أناس لا ملائكة نعم وضعه أناس مسوقين من الروح القدس غير أن الروح القدس وضعه بواسطة هؤلاء الناس. ثم أن الرسل وضعوا أموراً في الكنيسة «ومنها الطقوس وأنزلوها منزلة المكتوب وأمرا المؤمنين بحفظها والتمسك بها ٢ تس ٢ : ١٥ كما مدحوا من حفظها ١ كو ١١ فهل من يقول برفضها لأنها غير مكتوبة أو يجرأ على القول بأنها من وضع البشر ولذا لا يجب قبولها. بينما أن مصدرها واحد والأمر بالحفظ يشملها «المكتوب وغير المكتوب معاً».

على أنه بفرض أنها من وضع البشر فهذا لا ينفي ممارستها ووجوب التمسك بها أولاً: لأن الرسول أمر بالخضوع لكل ترتيب بشري من أجل الرب ١ بط ٢ : ١٣ والقديس بولس أمر مؤمني كورنثوس أن يسيروا في أمور عبادتهم على النظام الذي أشار إليه وأوضحه في ١ كو ١٤ بدون أن يغيروا فيه أو يضعوا رسوماً أخرى مغائرة له بل يجب أن يوافقوا باقي الكنائس فيه كما أمر أن كل ما يعمل في الكنيسة يجب أن يكون بلياقة وبحسب ترتيب ١ كو ١٤ : ٣٣- ٤٠.

على أنا إذا أخذنا بهذا المبدأ لزم منه أن نرفض كل ترتيب بشرى دينيا كان أو مدنيا فنرفض كل الشرائع المدنية والإجتماعية وما يتعلق بالأحوال الشخصية فإنها كلها من وضع البشر ونحن نسير عليها ونخضع لها ونحض

الناس على وجوب الخضوع لها والعمل بها وإلا ما معنى أن نقبل هذه ونترك تلك ومصدر الإثنين واحد «وهو البشر».

وما دمنا نعترف بوجوب الخضوع للترتيبات البشرية المدنية كأمر الكتاب رو ١٣ : ١ وفي ٣ : ١ فأحرى أن نخضع للترتيبات أو الطقوس الدينية لاسيما وواضعها هم الرسل الأطهار ومن خلفهم من الآباء القديسين الذين اصطفاهم العلي لسياسة شعبه وتدبير كنيسته وفيهم جعل مسرته وأن ما وضعوه كان بإرشاد الروح القدس نفسه. ولأجل منفعة المؤمنين روحياً (ولكي يشتركوا في قداسته ووصيتهم وصية الرب نفسه ٢بط ٣ : ٢ ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيا عب ١٢ : ٩.

لا ريب أن الله يسر بهذا الخضوع مادام هو الأمر به ومن أجله كما سر قديماً بمحافظة شعبه على الشرائع والطقوس حتى ما كان منها من موضوعات البشر والترتيبات والأنظمة التي وضعها داود لتكميل الخدمة في بيت الرب سار عليها سليمان ابنه وشعب إسرائيل ولم يحيدوا عن وصيته ٢أي ٨ : ١٤ و ١٥ وكذلك في أيام حزقيا الملك فإنهم عملوا حسب أمر داود وجاد الرائي وناثان النبي وكانوا عند ابتداء المحرقة يرنمون نشيد الرب والأبواب بواسطة آلات داود ٢ أى ٢٩ : ٢٥ - ٢٨ وكل شعب الله حتى زمن عزرا ونحميا بعد السبي البابلي كانوا يسيرون في أمور عبادتهم على ترتيب داود ملك إسرائيل نوبة مقابل نوبة عز ٣ : ١٠ ونح ١٢ : ٢٤.

والرب سر بهذه الترتيبات أو الطقوس التي أمر بها داود وبارك العاملين بها والسائرين عليها كما نقبل تقدماتهم ونسم رائحة الرضى من عبادتهم وقد شهد البروتستانت واعترفوا بوجوب حفظ الطقوس الكنسية وإن كانت من أوضاع الناس وهاك قولهم (وهناك طقوس أخرى غير التي تقدم ذكرها استنبنا حفظها وإن كانت من أوضاع الناس حرصاً على نظام كنسي حسن ولأنها تؤدي إلى المنفعة التي ينتهي إليها كل ما يجري في الكنيسة كما

علم الرسول) مقدمة الصلوة العامة حرف (أى).

هذا وما دامت هذه الطقوس وضعت لنفع العابدين والمصلين بإرشاد الروح القدس وهي موافقة لإذاعة مجد الله وإرشاد النفوس إلى حيوة أكمل وأتم كما تقول الكنيسة الأسقفية. مادامت كذلك فواجب ممارستها والخضوع لها.



الفصل الأول

خدمة القداس ووضعها وما تحويه وأقسامها

القداس باللغة العربية والقبطية (أنافورا) وقد أخذها عنا السريان فقالوا – نافورا – وباليونانية (أفخولوجيون) ويسميه اللاتين وغيرهم (ليتورجيا) (١) – هو مجموع صلوات وتضرعات وإبتهالات معينة تتلى في ظروف خصوصية ـ أي في الخدمة الإلهية وتقديس الأسرار الربية ألفها نفر من الرسل وآباء الكنيسة في الأجيال الأولى المسيحية بالروح القدس غرضها تقديس سر الإفخارستيا المعروف بالعشاء الرباني أو العشاء السري الذي يتكون من خبز وخمر ويتحولان بقوة وفعل الروح القدس وبواسطة تلك الصلوات ١تي ٤ : ٥ إلى جسد الرب ودمه كما تعتقد الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية.

كان يطلق قديماً على تقديس سر الإفخارستيا الذي هو أحد أسرار

---

(١) هي كلمة يونانية الأصل قد استعملها كثير من المسيحين في لغتهم ومعناها الحرفي (ليتوس) عمومي و(أرغون) عمل – أي عمل عمومي – وهو ما ندعوه أيضاً للخدمة الإلهية. وكان في العهد القديم يراد بالليتورجيا الخدم التي تقوم بها الكهنة واللاويون في الهيكل لتمجيد اسم الله والإقرار بلاهوته واشهار عبادته. أما في العهد الجديد فقد خصصت لأن تكون علما على خدمة القداس ولاسيما عند الشرقيين الذين استعملوها للدلالة على ترتيب النظام الطقسي والصلوات وخدمة القداس (أ. هـ)

تزييل للباب ١٢ من المجموع الصفوي صحيفة ١٢٥.

الكنيسة السبعة عندنا أما الآن فيقصد به أولاً: كلما يقال في الكنيسة من الفصول الإنجيلية والخطب الدينية والمواعظ الروحية: ثانياً: الصلوات والتضرعات والإبتهالات والتشكرات التي تتلى وقت ممارسة خدمة القداس: ثالثاً: تطلق على تقديس السر نفسه.

والقداس معروف في الكنيسة المسيحية وهو خاص بها لم يعرف عند سواها من الأمم والشعوب أما خدمته فهي أعظم وأهم من سائر الخدم الكنسية ووجه عظمتها وأهميتها كونها موضوعة لتذكار موت الرب وبأمر الرب نفسه له المجد لو ٢٢ : ١٩ و ١كو ١١ : ٢٤ و ٢٥.

يرجع ترتيب خدمة القداس إلى الرسل أنفسهم كما ترى ذلك واضحاً في تعاليمهم وأوامرهم [١] وقد بقى في هذا الترتيب محفوظاً في الكنيسة إلى يومنا هذا وسيبقى ما بقى المؤمنون في الوجود.

والتاريخ الكنسي ينبئنا أن القديس يعقوب الرسول هو أول من ألف قداساً وسلمه لكنائس أورشليم وأثبت ذلك أباء الكنيسة كالقديس أغسطينوس والذهبي فمه. وعليه أجمعت كل الكنائس المسيحية. ووجود هذا القداس عند الطوائف الأخرى واستعمالها له مع شهادة التاريخ والآباء دليل على أنه تسليم رسولي وقد كانت الكنيسة في أول عهدها تستعمله في خدمتها مع قداس القديس مرقس الرسول الإنجيلي المنسوب إلى القديس كيرلس الأسكندري كما يأتي:

ويوجد في الكنيسة قداديس (جمع قداس) منسوب بعضها للرسل والبعض الآخر لآباء الكنيسة في الأجيال الأولى وسلمت للكنائس التي قبلتها وأطلقت عليها اسم قداس واستعملتها في تقديس سر الإفخارستيا.

---

(١) المجموع الصفوي ب ١٢ و ١٣ صحيفة ١٢٣ و ١٥٤ ودسق ٣٨ و ٢٣ و ١٠.

وبما أن هؤلاء الرسل والآباء تعددوا تعدد طبعاً ما ألفوه من هذه القداديس وصار كل قداس منها ينسب إلى مؤلفه ويسمى باسم واضعه. وهي كثيرة ولدى الأحباش منها اثنتا عشرة ليتورجيا [1] أو قداساً وصلتهم من الكنيسة القبطية. وأول ما وصلهم منها في منتصف القرن الرابع في زمن رئاسة القديس أثناسيوس الرسولي بابا الأسكندرية ٢٠ في عدد البطاركة الذي هو أول من سام أسقفاً للأحباش اسمه فرومنتيوس وبعث به إليهم حوالي سنة ٣٣٠ م لنشر الإيمان وتوطيد دعائم الدين المسيحي هناك وسلمه الليتورجيا أو القداس مكتوباً.

أما القداديس التي تستعملها كنيستنا القبطية والحبشية أيضا. وتستعملها كل الكنائس المسيحية الرسولية الآن فهي ثلاثة فقط أوضحها ابن العسال في نهاية الباب ١٢ من كتاب القوانين وهي:

الأول ـــ القداس الباسيلي نسبة لواضعه القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية القبادوق الذي كان معاصراً للقديس أثناسيوس الرسولي ومن آباء مجمع أنطاكية في الجيل الرابع. وفيه يوجه الخطاب لله الآب الذي أحبنا وصالحنا معه بإبنه يسوع المسيح ربنا الذي أرسله لفدائنا يو ٣ : ١٦ وغل ٤ : ٤.

الثاني ـــ القداس الغريغوري نسبة لواضعه القديس غريغوريوس الثاولؤغس «المتكلم بالإلهيات» الذي كان أسقفاً للقسطنطينية في سنة ٣٧٩م. ويوجه الخطاب فيه إلى ابن الله الذي تجسد لأجل خلاصنا وأسلم ذاته للموت فداءاً عنا وكفارة لخطايانا لكي يقربنا إلى الله عب ٩ : ١٢ و ١ بط ٣ : ١٨.

---

(١) راجع بيانها في المجموع الصفوي تذليل ١٢ : ١٣٠.

الثالث ــ القداس الكيرلسي المنسوب إلى القديس كيرلس البطريرك الأسكندري ٢٤ في عدد الآباء البطاركة الذي رأس المجمع الثالث المسكوني المنعقد في أفسس. والواضع الحقيقي لهذا القداس هو القديس مرقس الرسول مؤسس الكنيسة المصرية. وإنما نسب إلى القديس كيرلس لأنه هو الذي جمع أقواله وزاد عليها بعض ترتيبات ورتبها على النسق الحالي المعروف.

وهذه القداديس التي تستعملها كنيستنا قد وضعت أصلاً باللغة اليونانية لأنها كانت وقتئذ لغة البلاد الرسمية ولغة العلم أيضا ولهذا السبب ترى فيها جملاً يونانية برمتها بخلاف غيرها من «الليتورجيات» عند الطوائف الأخرى ثم ترجمت إلى القبطية باللهجة البحيرية دون سواها. والكنيسة تستعملها منذ نشأتها وسيما قداس القديس مرقس مؤسسها بشهادة علماء التاريخ من الأجانب فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت عنوان «الطقس المصري» أو طقس القديس مرقس «مجلد ١٦ صحيفة ٧٩٦» ما يأتي:

«يدخل في هذا القسم القداسات اليونانية وهي المرقسي والباسيلي والغريغوري. والقداسات القبطية الثلاثة. وهي الباسيلي والغريغوري والكرلسي. أو هو قداس مرقس الرسول ويدخل فيه أيضا بضع قداسات أخرى غير معروفة الأصل وقد أوردها «بريتمان» في كتابه وكذلك طقس الكنيسة الأثيوبية أي الكنيسة الحبشية المعروف بالطقس الرسولي»

أما قداس القديس مرقس فأقوال علماء الغرب تؤيد أنه موضوع في الجيل الأول وأن واضعه هو القديس مرقس نفسه وقد أتمه ورتبه خلفاؤه. قال الدكتور «نيل» في مقدمة القداس القديس مرقس الذي تولى هو إعادة طبعه في سنة ١٨٥٨» أن اسلوب هذا القداس وترتيبه بوجه عام ينسبان بوجه التقريب إلى القديس مرقس نفسه وإلى خلفائه البطاركة الثلاثة الأولين وهم القديسون (انيانوس وأبيلوس (صحته ميليوس) وسردوا (صحته

كردنوس) وقال ملان في مقدمة كتاب القداس الإلهي للقديس مرقس الإنجيلي المطبوع باللغة الإنكليزية في سنة ١٨٧٢ ما نصه: «أن الكنيسة المصرية تستعمل من القرون الأول على ما يظهر ثلاثة قداسات وهي: القداس الباسيلي والغريغوري والكيرلسي الذي ينسب القديس مرقس. وسواء كانت هذه القداسات موضوعه أصلا باللغة اليونانية أم لا فمن المحقق أنها كانت موجودة باللغة القبطية في العصر اليوناني للكنيسة القبطية وكان يستعملها منذ ذلك الزمن معظم سكان القطر المصري الذين كانوا وقتئذ لا يفهمون إلا اللغة القبطية ولا يتكلمون إلا بها ولما أهمل استعمال اللغة القبطية ترجمت إلى اللغة العربية.

هذا وإن كانت هذه القداديس هي التي تستعملها كنيستنا إلا أن الأكثر استعمالاً منها هو القداس الباسيلي لسهولة مأخذه ولخلوه من التطويل الذي وجد في غيره من القداديس المختلفة الأخرى ولهذا تستعمله الكنيسة في معظم أيام السنة تحاشياً من الملل الذي يسببه التطويل عادة. وتلاقياً للضجر الذي يستولى على المصلين: أما القداسان الآخريان فتستعملهما الكنيسة في الأيام الشهيرة والأعياد السيدية والمراسم الكبرى.

ومما تجب ملاحظته أن هذه القداديس ليست قاصرة على ما يقدس سر الافخارستيا أو على أقوال الآباء الذين ألفوها بالروح القدس فقط بل إنها مملوءة بالآيات الكتابية، وفائضة بالطلبات الخشوعية. والصلوات التقوية التي ترفع إلى الله من أجل الكنيسة والمؤمنين، والملوك والرؤساء والمتسلطين، ومن أجل المرضى والأغراب والمسافرين، ومن أجل الخطاة والتائبين والمعترفين والضعفاء والمساكين والراقدين في الرب. ومن أجل العذارى والبتوليين والمسيحيين أجمعين، ومن أجل المياه والزروع والأثمار والأهوية وغير ذلك مما فيه راحة شعب الله وسلامة الكنيسة وهداية الأمم إلى حظيرة القدوس حمل الله الوديع الرافع خطايا العالم كله.

وتقسم خدمة القداس إلى ثلاثة أقسام، أولا قداس التقدمة ثانياً

الموعوظين: ثالثاً المؤمنين:

الأول ــ يسمى التقدمة وهو الذي يقدم الحمل (القربان) ويفرز لتقديسه ويسمى التقدمة. من عادة المسيحيين الباقية إلى الآن بأن يحضروا من بيوتهم خبزاً (دقيقاً) وخمراً ويقربونهما إلى الكنيسة لأجل الافخارستيا.

والثاني ــ يسمى الموعوظين لأن فيه كانت تقدم الصلوات وتقرأ الفصول الإنجيلية وتتلى الخطب والمواعظ لأجل الموعوظين «وهم الداخلون في الإيمان حديثاً وتحت العماد».

الثالث ــ هو القداس الذي به يكمل تقديس السر إلى نهاية توزيعه على المشتركين وسنتكلم بالتفصيل على كل منها كما سترى.



الفصل الثاني
طقس خدمة القداس وأقدميته

قلنا في الفصل السابق أن القداس هو مجموع صلوات وابتهالات الخ تستعملها الكنيسة وقت الخدمة الإلهية - أي ممارسة سر الإفخارستيا والآن نقول أن هذه الخدمة كانت ولا تزال تتمم بطقس مخصوص كما بصلوات معينة - وضعته الكنيسة كغيره لتكميل الخدمة به وليكون كل شئ بحسب ترتيب ولياقة. وهو مرعى لدى جميع الكنائس الرسولية ومعمول به مع بعض اختلافات بسيطة اقتضتها ظروف كل كنيسة وعادات البلاد التي هي فيها.

وقد رأيت من شهادات علماء الغرب التي أتينا عليها في الفصل السابق أن خدمة القداس قديمة العهد ويرجع أصل وضعها إلى الرسل أنفسهم حيث وضع القديس مرقس قداسه للكنيسة الأسكندرية: والقديس يعقوب الرسول وضع قداسه لكنيسة أورشليم: وطقس هذه الخدمة ملازم لها لا يمكن أن يكمل بدونها فهو قديم مثلها وموضوع لأجلها. وكنيستنا الآن تمارس هذه الخدمة (خدمة القداس الإلهي) بالطقس الذي كانت تمارسه بها الكنيسة في الأجيال الأولى. وبنفس الصلوات التي كانت تستعملها في تقديس السر. ومن مقابلة أقوال الآباء وما جاء في التاريخ الكنسي عن نظام الخدمة في الأجيال الأولى بما جاء في تعاليم وأوامر الرسل وخلفائهم عن نظام الخدمة الحالي تتضح هذه الحقيقة.

أولاً : من اقوال الآباء فقد قال ايريناوس تلميذ يوحنا الرسول محاجاً

الهراطقة (أن المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد فالكنيسة تسلمتها من الرسل وقدمها في كل المسكونة بحسب نبوة ملاخي) ١ : ١١[١] وقد سرد القديس يوستينوس الفيلسوف ما يتعلق بالترتيب المحفوظ في تكميل الأسرار وإجراء العبادات الشريفة فقال (أن المسيحيين كانوا ينهضون صباحاً ويسبحون الله ويكملون أسرارهم فكانوا أولاً يتضرعون إلى الله من أجل الحديثي الإستشارة والمسيحيين قاطبة في أي مكان كانوا. ثم كان رئيسهم يأخذ خبزاً وخمراً يمزجه بماء ويصلي وهكذا يكمل سر الشكر ثم يقول الشعب آمين) [٢] .

ثانياً: قد شرح التاريخ الكنسي نظام العبادة في الأجيال الأولى بما لا يختلف عن نظام الخدمة الحالي إذ جاء فيه (أن المسيحيين كانوا يؤدون العبادة بنظام وهم واقفون تحت مراقبة أسقف أو قس ويتلون صلوات معينة وفصولاً مقدسة وعند قراءة فصل الإنجيل يقفون مكشوفي الرؤوس وبعد ذلك يقدم العشاء الرباني ويأخذ أشخاص معينون - أي الشمامسة - بالترتيل إلى أن يكرسه الأسقف أو القس فقط بصلوات مخصوصة ويجيبه الشعب آمين [٣] .

موسهيم المؤرخ البروتستانتي أثبت ذلك في تاريخه وهو يشرح طقس العبادة الجمهورية في الجيل الأول إذ قال: «وقرئت الكتب المقدسة في اجتماعاتهم الجمهورية هذه ولهذا قسمت إلى أجزاء وأمثولات ثم يتلوها نصائح للشعب لا فصيحة ولا طويلة بل مملوءة من الحرارة والمحبة وإن كان أشخاص دلوا على أنهم حركوا بإلهام إلهي كان يسمح لهم بأن يذكروا بالتتابع ما أمر الرب به والأنبياء الآخرون الحاضرون يحكمون كم لهم من ا

---

(١) مرآة الحقائق الجلية وجه ٢٠٢ .

(٢) الكتاب نفسه صحيفة ٣١٨ .

(٣) الخريدة النفيسة صحيفة ١١٤ .

لسلطان (١كو ١٤ : ١٦) ثم تقال وراء الأسقف الصلوات التي كانت لهم جزءاً عظيماً من العبادة الجمهورية ويتلوها الترنيمات التي لم يكن يرنمها كل الجماعة بل أشخاص معلومون في وقت العشاء المقدس وولائم المحبة أ. هـ وجه ٤٢. وقال في شرحه طقوس عبادة الجيل الثاني ما نصه «أن المسيحيين يجتمعون لعبادة الله في مساكن الأفراد وفي المغارات وفي مدافن الأموات فاجتمعوا في اليوم الأول من الأسبوع وفي بعض أماكن في اليوم السابع الذي كان السبت اليهودي وحفظ مقدساً أكثرهم لذلك اليوم الرابع والسادس والأربعاء والجمعة، تذكاراً لآلام المسيح وصلبه والأوقات المعينة لهذه الإجتماعات كانت تختلف بحسب الأوقات والظروف فكثيرون منهم لم يقدروا أن يجتمعوا إلا في المساء أو في الصباح قبل الفجر. وحيثما اجتمعوا كانت تتلى صلوات يذكر لنا ترتليانوس في احتجاجه ف ٣٩ فحواه وتقرأ الكتب المقدسة ويتلي على الشعب مواعظ مختصرة على الواجبات المسيحية ويرنم ترنيمات وأخيراً يمارس العشاء الرباني وولائم المحبة من القرابين التي يقدمها الشعب (صحيفة ٧٤) راجع تاريخ الإنجليز المطبوع بمالطة ف ٤ ق ٢ ومختصر تاريخ كنيسة المسيح للبروتستانت صحيفة ٩٩.

وهذا نفس النظام المستعمل في الكنيسة الآن وقت عبادتها الجمهورية وتقديس أسرارها الربية هو نفس النظام الذي شرحه ابن العسال في كتابه «مجموع القوانين» نقلاً عن الدسقولية والأوامر الرسولية يبدأ القداس عند اجتماع الشعب ويبتدئ المقدس بصلوة الشكر وبعد ذلك يفسر كلام الكتب المقدسة ثم يحمل القس الخبز وكأس الشكر. وبعد الفراغ من الترتيل يقرأ الشمامسة فصولا من الرسائل وتسابيح المزامير وبعد ذلك فليقرأ الإنجيل المقدس قس أو شماس والكل واقفون صامتون. وبعد ذلك يفسر الأسقف أو القس الفصل المقروء وبعد تفسير الإنجيل فليصلٍّ عن المرضى والغرباء وسلامة الكنيسة وجميع الإكليروس والشعب. وبعد ذلك فليقبل كل واحد من الرجال قبلة طاهرة وبعد أن يدعو رئيس الكهنة للشعب

فليكمل القداس وكل الشعب قيام يصلون بسكون وإذا تكاملت الصلوة فليعترف القسوس بالثالوث ويقول الشعب آمين «المجموع الصفوي صحيفة ١٢٣ - ١٢٥» قابل هذا وذاك بما يجري الآن تجد أن الكنيسة تتمم خدمة القداس على الترتيب أو النظام الرسولي في الأجيال الأولى.

الفصل الثالث

جواز استعمال اللغة في خدمة القداس الإلهي

ليس للكنيسة لغة خاصة تستعملها في الصلوات والخدم الإلهية بل تركت لكل أمة من الأمم المسيحية الحرية في استعمال لغتها التي كانت تتفاهم وتتخاطب بها يوم اعتنقت الدين المسيحي. فالكنيسة القبطية لغتها القبطية تستعمل لغتها القبطية والأمم الأوربية تستعمل لغتها اللاتينية. والأمة اليونانية تستعمل لغتها اليونانية وهلم جرا.

نعم أن هذه اللغات اندثرت أو كادت تندثر ولكن اندثارها الذي حصل بتغلب اللغات المستجدة بعدها عليها لا يخول إهمالها وطمس معالمها وآثارها لأن هذا الإهمال يقضي على مجدها ومجد الأمم الغابرة التي بقيت إلى الآن أولاً ويحرم الشعوب المتأخرة علوم وآداب ومدنية الغابرين ثانياً: وإذا كانت الأمم الراقية انشأت المدارس أو فروعاً في مدارسها الكلية لدرس هذه اللغات التي أطلقوا عليها اسم اللغات القديمة أو الشرقية. وعلى النابغين فيها والباحثين عما خلفته شعوبها الماضية من العلوم والآداب والحضارة اسم مستشرقين.

فإذا كانت هذه عناية الأمم الغربية بلغاتنا أفليس من الواجب وأولى بنا أن نحافظ على لغتنا وان حلت محلها لغات الفاتحين من الشعوب الأجنبية للدلالة على أصلنا ومجدنا وحضارتنا وعلومنا الغابرة. ومن أولى من الكنيسة بهذه العناية التي لا تكلفنا ولا تكلفها شيئاً من التعب الذي تعانيه الأمم الغربية في هذا السبيل المجيد.

بل أن استعمال كنيسة كل أمة للغتها القديمة حفظ كتبها وسهل على المستشرقين الغربيون استخراج دقائقها وحرص أبناءها على تعاليمها وهذا هو الواقع في أمتنا القبطية التي بدأ شبابها يتعلمون لغتهم لغة آبائهم وأجدادهم حتى كثر عدد المتعلمين بالنسبة إلى العدم الذي كان سابقاً تنال الشعوب هذه المزايا التي لا تقدر بمال ولا تثمن بثمن من استعمال الكنائس اللغات القديمة ومحافظتها عليها مع أن الكنيسة لم تخسر شيئا من هذا الإستعمال.

نعم أن أغلب الشعب لا يفهم ما يتلى عليه باللغة ولكن هذا لا يمنع الكنيسة من أن تمارس طقوسها وخدماتها وقداستها باللغة القبطية. وهي على كل حال تترجم وتشرح وتفسر إلى الشعب مالا يفهمه لأجل بنيان الكنيسة التي هي جسد المسيح وبذلك تجمع بين الفائدتين اللتين تتوخاهما وهما فائدة المحافظة على اللغة. وفائدة الشعب بترجمتها له كل ما تقوله له.

على أن الكنيسة لم تبتكر هذه الفضيلة حسب اعتقادها بل أن الكنيسة الإسرائيلية سبقتها إلى استعمال لغة أمتها العبرانية التي استمرت على استعمالها بعد اندثارها الذي كاد يفقدها من الشعب الإسرائيلي بسبب السبي البابلي. ومما يبرهن على ذلك أن الكهنة واللاويين زمعلمي الناموس وكتبة الشريعة كانوا يصلون ويقرأون الكتاب المقدس باللغة العبرية مع أنها أهملت فيما بينهم من سبي بابل كما سبق القول ثم يفسرون ما يتلى أو يترجم إلى اللغة التي كانت معروفة ومفهومة عند الشعب. فقد جاء في الكتاب أن عزرا قرأ السفر باللغة العبرانية أما يشوع ومن معه واللاويون أيضاً

أفهموا الشعب الشريعة. وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة نح ٨: ٥- ٨.

والمفهوم من هذا أن معلمي الناموس والكهنة كانوا يقرأون الشريعة باللغة وغيرهم يترجم للسامعين لتفهيمهم ما قرئ وهكذا استمروا محافظين على هذه العادة: والكتاب المقدس لم يزل بهذه اللغة إلى زمن المسيح ولم يذمهم على تلاوته فيها كما قال المؤرخون.

ولولا المحافظة بتلك الطريقة لبادت اللغة العبرانية من الوجود وأصبحت أثراً بعد عين. وإلا أين اللغات التي كانت معاصرة لها وكانت تتكلم بها أمم أعز من الإسرائيليين جاهاً وأكثر عداً وأوسع سلطاناً مثل لغات بابل وأشور والكلدان وغيرها. ولو بادت اللغة لما تمكنا من حفظ الكتاب المقدس أو على الأقل من فهم ما فيه. وإلا إذا حفظته العناية الإلهية حبراً على ورق بلغة ليست مفهومة هل يكون له فائدة أو من ورائه نفع لأحد من الناس؟ وكذلك لغة العهد الجديد الأصلية «اليونانية القديمة» التي كتبه بها الرسل ليست مستعملة الآن ولولا محافظة الكنيسة عليها لضاعت فائدته.

على أن بعضهم يعترض علينا بما جاء في رسالة القديس بولس الأولى لأهل كورنثوس ص ١٤ فنقول أن الرسول لما كتب عن التكلم بالألسنة واستعمالها وقت العبادة في الكنيسة لم يذمهم على ذلك ولا منعهم من تلاوة الصلوات المشار إليها في رسالته باللغة ولكنه استحب أن تترجم إلى لغة الشعب لفائدة السامعين ولبنيان الكنيسة كما يتضح ذلك من قوله: «من يتكلم بلسان يبني نفسه. وأما من يتنبأ فيبني الكنيسة. أني أريد أن جميعكم تتكلمون بألسنة ولكن بالأولى أن تتنبأوا لأن من يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة إلا إذا ترجم حتى تنال الكنيسة بنياناً. لذلك من يتكلم بلسان فليصلي لكي يترجم» ١كو ١٤: ٣ و ٤ و ٥ و ١٣.

وواضح من هذا أن الرسول لا ينفي الصلوة باللغة الغير المفهومة للشعب كما لا يستنتج منه أن الصلوة باللغة الغير المفهومة عند الشعب أو عند

المصلي لا تجوز أو هي غير مقبولة، وإنما كما قلنا أراد أن تترجم لتكون الفائدة أعم وأتم لبنيان الكنيسة. وهذا معمول به في الكنيسة فإنها تصلي باللغة ثم تشرح أو تترجم ما يلزم ترجمته لفائدة الشعب. هذا فضلا عن أن كتب الخدم الكنسية والصلوات البيعية مترجمة باللغة العربية المفهومة للشعب ومنها الصلوات المستعملة في تقديس سر الإفخارستيا وغيره من الأسرار الإلهية.

قال أحد علماء الكنيسة الكاثوليكية على تفسيره «١ كو ٤ : ١٣ في «في هذه الآية وما يليها لا يشير الرسول إلى الصلوات الطقسية بل إلى الصلوات التي كان البعض يصلونها من تلقاء أنفسهم بألسنة أجنبية: والبرهان على ذلك أن اليهود في الهيكل يرتلون المزامير بالعبرانية القديمة التي لم يكونوا يتداولونها بعد في أيام المسيح وقد حضر ذلك المسيح نفسه مراراً عديدة ولم ينكر عليهم هذا الصنيع قط بل ثبت هذه العادة الحميدة بمواظبته على هذه الصلوات بلغة غير لغة الشعب: فإذا تقرر ذلك فلا سبيل لأحد أن يستند على هذه الآية من كلام بولس ويعنف الكنائس على حفظها اللغات القديمة في طقوسها وإلا فقد جعل بولس معنفاً للمسيح عينه «أ هـ صحيفة ٥٠٩ للعهد الجديد».



الفصل الرابع
الملابـــس الكهـنوتــية

أمر الله موسى أن يصنع ملابس خاصة لهرون أخيه واللاويين والكهنة ليستعملوها وقت خدمته تعالى فقط بقوله: وأصنع ثيابا مقدسة لهرون أخيك للمجد والبهاء.. وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا ثياب هرون لتقديسه ليكهن لى خر ٢٨ : ٢ و ٣ ولم يترك له الحرية في اختيار أجناسها وألوانهاوعددها بل عينها له واختار بذاته الرهيبة الذين يصنعونها والنســيج الذي تنســج وتتألــف وتتكــون مــنه عد ٤ و ٥.

ومن المعلوم المسلمُ به عند جميع الكنائس المسيحية أن شريعة موسى والأوامر والوصايا الإلهية التي أمر بها الكليم سارية على المسيحيين كسريانها على الإسرائيليين ما عدا الطقوس والرموز التي كانت تشير إلى ذبيحة المسيح وعمل الفداء المجيد الذي تم بواسطة الصليب - ويستثنى منها أيضاً ما أطلقه أو قيده الرب يسوع ورسله منها على ما ترى في العهد الجديد مت ٥ إلخ فإذا استثنينا ما كان رمزاً وإشارة وتم بمجئ المرموز والمشار إليه وما وضعه رئيس الإيمان ومكمله ورسله من أوامر ووصايا الله التي أمر بها موسى فى العهد القديم كان الباقي من تلك الشريعة الإلهية ساريا وواجباً علينا لا فرق بيننا وبين الإسرائيليين الذين وضعت لهم في الخضوع لها وما يترتب على الطاعة والعصيان من ثواب وعقاب.

يدلنا على ذلك أمر الرب يسوع الصريح لتلاميذه المؤمنين بقوله على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيين مت ٢٣ : ١٩ وليس المقصود بالكتبة والفريسيين هنا أولئك الرجال الذين ذمهم الرب مت ٢٣ الخ بل الشريعة التي يعلمونها للشعب وأن خالفوها وتلك الشريعة هى توراة موسى

والأوامر والوصايا التي تركها للمؤمنين من الإسرائيليين وغيرهم ومن هذه الوصايا التي لم تبطل بمجئ المسيح وبعمله الشريف ولا بأوامره. ما كان خاصاً بالملابس الكهنوتية فإن الرب يسوع لم يشر إليها بذم. ورسله فعلوا ذلك فضلاً عن عدم وجود أمر صريح أو غير صريح في العهد الجديد منسوب للرب يسوع ورسله يقضي بأبطالها أو بذمها وهذا ما جعلها محترمة وواجبة الإستعمال كبقية الشريعة التي لم تنقض بأمر إلهي أو رسولي ولهذا أجمعت الكنائس قديماً وحديثاً على تخصيص ملابس خاصة برجال الكهنوت يلبسونها وقت الخدمة الإلهية حتى أن الإنجيليين «الأسقفيين» ساروا على هذه الفريضة وأن اختلفت تلك الملابس بإختلاف البلاد والشعوب: ولما كانت كنيستنا خاضعة لهذا النظام الإلهي فخصصت الكهنة ملابس يستعملونها وقت التقديس فقط وهي سبع بحسب أمر الله خر ٢٨ : ٤ وهي أولا: التونية (القميص) ثانيا: البدرشيل للشمامسة. والصدر للكهنة ثالثاً: الشملة للكهنة والبلين لرؤساء الكهنة: رابعاً: الأكمام خامساً: المنطقة أو الحياصة سادساً: البرنس سابعاً: التاج [١].

هذا بيان أسماء الملابس الكهنوتية التي تستعمل وقت الخدمة الإلهية ومع أن كل قطعة منها تشير إلى معنى روحي في الكنيسة المسيحية كما سترى. فإن أصل وضع الملابس الكهنوتية كان الغرض هو الذي بينه الله لموسى بقوله (اصنع ملابس.. للمجد والبهاء) خر ٢٨ : ٢.

---

(١) راجع المجموع الصفوي صحيفة ١٢٣.

وفضلاً عن كون الواجب علينا أن نمتثل لأوامر الله المقدسة الصريحة بدون تعليل الأسباب وتحليل الغرض الذي وضعت لأجله فإننا هنا نقول. أنه كما يحق للملوك والرؤساء والمتسلطين أن يقابلوا الحشمة والوقار وبأفخر الملابس وأثمن الحلي (النياشين) تعظيماً واجلالا لمقاماتهم العالية يحق بل يجب من باب أولى أن نقابل العزة الإلهية بزينة ظاهرة مقدسة تكسي لابسيها وقاراً وتملأ قلوبهم هيبة وخشوعا لملك الملوك ورب الأرباب المسجود له من سائر الطغمات السموية في السماء وجميع الشعوب والأمم على الأرض.

بل كما وجب أن يلبس كهنة العهد القديم تلك الملابس وقت الخدمة بأمر الله نفسه للمجد والبهاء وجب كذلك أن يلبس كهنة العهد الجديد هذه الملابس وقت الخدمة الإلهية خدمة البر والمصالحة التي تمتاز عن خدمة الدينونة كما يمتاز كهنوت المسيح وذبيحته الدائمة على كهنوت هرون وذبيحته الزائلة إجلالا لسلطان الكهنوت المسيحي وشرف ومجد الخدمة الإلهية التي يخدمونها وطهارة وعظمة السر الذي يقدسونه لأنه (إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة (على صدره هارون احدى الملابس الكهنوتية خر ٢٨:٢) قد حصلت في مجد.. فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد... لانه إن كانت خدمة الدينونة مجداً فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البر في مجد.. لأنه إن كان الزائل في مجد فبالأولى كثيراً يكون الدائم في مجد ٢ كو ٣: ٧- ١١.

غير ذلك فإنه واجب أن تكون ثياب الخدمة الكهنوتية غير الثيابت العادية ليمتاز بها الكاهن خادم السر عن الشعب كما يمتاز بوظيفته بصفته وكيلاً لله ونائباً عنه في تقديس الأسرار وتوزيعها على المؤمنين أعضاء جسده وهذا ما قاله معلموا الكنيسة «ليكن ثياب الكاهن للكهنوت بخلاف لباس العلمانيين» «المجموع الصفوي صحيفة ١٢٣» هذا الواجب تفرضه اللياقة وتستلزمه خدمة المجد فكم يكون فرضه محتم الأداء إذا صدرت به

أوامر إلهية.. ذلك سبب تخصيص ملابس لرجال الكهنوت يستعملونها في أوقات الخدمة المقدسة فقط ولا يجوز لغيرهم استعمالها في أوقات الصلوة وغيرها.

وقد اختارت الكنيسة اللون الأبيض لها وفضلته عن سواه أولاً: لأنه يليق بالله اللابس النور كثوب مز ١٠٤ : ١ ويشير إلى قداسته وطهارة شعبه بعد تطهيره إياه من خطاياه مز ٥١ : ٧ واش ١ : ١٨ فقد قيل أن لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي دا ٧ : ٩ ورأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج رؤ ١ : ١٤.

ثانياً : لأن الرب نفسه لما تجلى أمام تلاميذه تغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور مت ١٧ : ٢ ومر ٩ : ٣.

ثالثاً : لأنه لباس الملائكة وقت ظهورهم أو تجليهم للبشر وقد ظهر ملاكان وقت القيامة للنسوة بلباس أبيض كالثلج لو ٢٤ : ٤ ويو ٢٠ : ١٢ وقد رأى يوحنا الأربعة وعشرون شيخاً «كهنة الحق» متسربلين بثياب بيض حول العرش رؤ ٤ : ٤.

رابعاً: لأنه لباس المفديين في السماء الذين رآهم يوحنا واقفين أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل. وهم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله رؤ ٧ : ٩ الخ.

خامساً: لأنه اللون الذي اختاره الله لنفسه وظهر به للأنبياء ووعد به خدامه الأمناء ملائكة الكنائس الذين يغلبون رؤ ٣ : ٤ و ٥ علامة التقديس والتمجيد والإكرام وبه يمتازون عن غيرهم في المجد.

سادساً: لأنه ينسب إلى أشياء كثيرة في السماء من ذلك السحابة البيضاء رؤ ١٤ : ١٤ والبز الأبيض الذي هو تبررات القديسين رؤ ١٩ : ١٤.

سابعاً: لأنه يكنى به عن الطهارة ويشير إلى قداسة القلب الباطنية التي

يجب أن يتحلى بها خدام الله ووكلاء سرائر المسيح.

وغاية الكنيسة من اختيار هذا اللون تحريض رعاتها على أن تكون قلوبهم نقية دائماً ولا سيما عندما يظهرون أمام الرب في بيته اش ٢ : ١ ومت ٥ : ٢٤ و ٢٥ وفقا لقول الحكيم لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن جا ٩ : ٨ ليكونوا متشابهين لهيئة شركائهم العلويين النورانية. ولهيئة ربهم الذي يخدمونه نهاراً وليلاً. حتى يستحقوا أن يلبسوا الثياب البيض التي وعد الرب بمنحها لرعاة كنيسة رؤ ٣ : ٤ و ٥ ويقفوا بها أمامه في كنيسة الأبكار في السماء مع الجنود العلوية رؤ ٤ : ٤، ١٩ : ١٤ وأن يتحلوا بالفضائل المسيحية أف ٤ : ٢٢ و ٢٣ وكو ٣ : ١٢ – ١٤ خالعين الثوب العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور لابسين دائماً الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق كو ٣ : ٩ و ١٠ ولذا يطلب الكاهن المباشر خدمة السر في صلوة الإستعداد أن ينزع الله عنه الثياب القذرة ويذهب اثمه ويلبسه ثياباً مزخرفة وعمامة طاهرة كما فعل مع يهوشع الكاهن العظيم زك ٣ : ٣ ليكون مقدساً ويستحق أن يخدمه ويقدس أسراره الإلهية ويجلس على مائدته الرهيبة.

هذه الملابس تكرس كغيرها للخدمة الإلهية وتقدس بالصلوة ويرشمها بعلامة الصليب لتكون مقدسة كأمر الله خر ٢٨ : ٢ وذلك لأن الله قدوس وواجب أن كل من يدنو منه ويلامسه يكون مقدساً.

يرسم على كل قطعة منها شكل صليب إشارة إلى أنه بالصليب كان خلاصنا كو ١ : ٢٠ ويكتب «ينقش» عليها اسم «يسوع المسيح ابن الله» الذي صالحنا مع الله بالصليب أف ٢ : ١٦ راجين أن يكتب أسماءنا في السماء في سفر حيوة الخروف حسب وعده لتلاميذه لو ١٠ : ٢٠ ورؤ ٣ : ٥ و ١٢ قال صاحب الإقتداء بالمسيح «أن الكاهن اللابس الأثواب المقدسة يقوم مقام المسيح ليكفر عن نفسه وعن جميع الشعب بخضوع والحاح وتواضع أنه يحمل من قدامه ومن ورائه علامة الصليب السيدي لكي

يتذكر دائماً آلام المسيح. فإنه يحمل الصلب في الحلة من قدام لكي ينظر إلى آثار المسيح بتدقيق ويجتهد في اقتفائها بنشاط وعليه أيضاً سمة الصليب من الوراء لكي يحتمل بصبر جميل حباً بالله جميع الإهانات اللاحقة به من قبل الغير ويحمل الصليب من قدامه ليبكي على خطاياه. ويحمل من ورائه لكي يبكي إشفاقا للخطايا التي اقترفها الآخرون ويعلم أنه قد أقيم وسيطاً بين الله والخاطئ فلا يفتر عن الصلوة وتقديم القربان الأقدس إلى أن يؤهل لإستمداد النعمة. عندما يقدس الكاهن يكرم الله ويفرح الملائكة ويبنى الكنيسة ويمد الأحياء بالمعونة ويسبب الراحة للأموات ويجعل ذاته شريكاً في جميع الخيرات (صحيفة ٥٢٥ و ٥٢٦).



الفصل الخامس
شرح المعاني الروحية
التي تشير إليها الملابس الكهنوتية

أوضحنا في الفصل السابق وجوب استعمال الملابس الكهنوتية وقت ممارسة الخدمة الإلهية وأبنا أسماء هذه الملابس. والآن نشرح ما تشير إليه من المعاني الروحية.

أولاً – ا«التونية» [(١)] ويسميها اليونان «استيخاره» ومعناها في الأصل اليوناني «اخط» أي أمش بترتيب [(٢)] وتشير إلى ثوب المسيح الذي ألقي عليه اليهود القرعة مت ٢٧ : ٣٥ وإلى حلة المجد النورانية المتشح بها الله كثوب رؤ ١ : ١٣ ولذا يقول الكاهن عند لبسها «الرب قد ملك لبس الجلال لبس القدوة ائتزر بها مز ٩٣ : ١ ولبسها ذاته يذكر الكاهن بوجوب لبس ثوب الفضيلة والطهارة. وبممارسة خدمة السر بهدو وتأن وترتيب ونظام. لأنه بها يتجلى مع المسيح في هيكله.

يشترك في لبسها جميع خدام المذبح على اختلاف درجاتهم وقد أشار معلمو الكنيسة بأن تكون واصلة إلى القدمين [(٣)] وعريضة على الأكتاف كما يقول القديس باسيليوس «لتذكر الكاهن بأن يكون رحب الصدر واسع

---

(١) راجع المجموع الصفوي وجه ١٢٣.
(٢) التلخيص المنيف للروم وجه ١٨.
(٣) المجموع الصفوي وجه ١٢٣.

البال وديعاً حليماً وأن تكون أفعاله طبق مشيئة الله».

ثانياً – «البدرشيل» ومعناه في اللغة اليونانية «ما يعلق في العنق» [1] وهو خاص بالشمامسة ويلبسه كبارهم على الجهة اليسرى تحت الأبط اليسرى إلى الكتف اليمنى وطرفاه متدليان الواحد من الأمام والآخر من خلف. وصغارهم يلبسونه على شكل صليب من خلف [2] دلالة على حملهم صليب الرب الذي تكرسوا لخدمته مت ١٦ : ٢٤ ومن الأمام على شكل حزام دلالة على ضبط النفس والتهيؤ للخدمة. وقد كان قديماً يصنع على هيئة شكل مثلث الزوايا احدى زواياه مدلاة من خلف: وطرفاه كالأجنحة نازلان على الكتفين ويعلق في العنق إشارة إلى وظيفتهم التي هي خدمة الله وبها يشبهون الملائكة المعينين للخدمة. لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص عب ١ : ١٤.

أما «الصدر» وهو شبيه بالصدرة التي كان يلبسها هرون قديماً بأمر الله خر ٢٨ وله فتحة في أعلاه ويلبس في العنق ويتدلى إلى الأمام «فقط» للقدمين – وهو خاص بالكهنة ورؤسائهم. ويلبسونه اشارة إلى حمل نير المسيح الواجب أن يحملوه مت ١١ : ٣٠ ورئيس الأساقفة ينقش عليه صور الرسل الاثنى عشر كما نقش على صدرة هرون أسماء أسباط اسرائيل الإثنى عشر بأمر الله ويحمله رئيس الكهنة على كتفي الرداء تذكاراً لبني إسرائيل خر ٢٨ : ١٣ وذلك تذكاراً لهم وإشارة إلى أبناء الكنيسة على أساسهم أف ٢ : ٢٠ كما نقشت أسماؤهم على أسوار أورشليم الجديدة رؤ ٢١ : ١٤ وبتذكير لابسه بأنه يجب أن يكون مماثلاً في أقواله وأعماله رسل الحمل وبأنه يحمل شعبه كالمسيح على منكبيه بالوعظ والتعليم حافظاً لهم

---

(١) التحفة الزكية وجه ٨٥.

(٢) منارة الأقداس وجه ٢٠١.

في قلبه ذاكراً إياهم في صلواته في ١ : ٣ و ٤ و ٧ وأن يكون مائلاً إلى الحق وضميره إلى الحكم «في القضاء» بالعدل. ولبسه «كالبدرشيل» يذكر الكاهن بالحبل الذي جعل في عنق السيد عندما مسك [١].

ثالثًا : «المنطقة» وتسمى في الإصلاح الكنسى (حياصة) وهي عبارة عن حزام من الحرير أو القصب أو الفضة. يلبسها رئيس الكهنة ليشد بها وسطه وقت الخدمة. وكان يلبس مثلها الحبر الأعظم عند تقديم الذبيحة (خر ٢٨ : ٤٠) وقد رأى يوحنا الرب متمنطقاً بمنطقة من ذهب على حقويه رؤ ١ : ١٣ وذلك للدلالة على مقامه والبركات التي يمنحها لكنيسته، ويلبسها رئيس الكهنة دلالة على سمو مقام الكهنوت المسيحي الذي هو موهبة فائقة السمو كما يقول الذهبي فمه. وتشير إلى تيقظ الرعاة الدائم وحركاتهم ودأبهم على خدمة الله أبداً كشركائهم العلويين وفقا لقول المسيح «لتكن أحقاؤكم ممنطقة» لو ١٢ : ٣٥ وعلى استعدادهم للخدمة وتأديتهم لها بنشاط «وكما أن اللابس الثوب الطويل بلا منطقة غير متأهب لسفر أو مستعد لعمل هكذا إذا كان هو مرتبكاً في أموره الدنيوية غير مستعد للسفر أو الخدمة الإلهية. وأما مشدود الحقوين فهو عازم على العمل وشارع فيه ٢ مل ٤ : ٢٩، ٩ : ١ و ار ١ : ١٧ واع ١٢ : ٨» [٢] وتشير أيضاً إلى منطقة المجد التي تمنطق بها يسوع في ملكه ومنطقة الفرح التي منطقنا بها بفدائه العظيم الذي صنعه لنا وشدنا بجسده بالمحبة كشد المنطقة المتحدة بجسده على ما رآه دانيال ١٠ : ٧ ولذا يقول عند لبسها (حللت مسحي ومنطقتي فرحا لكي تترنم لك روحي ولا تسكت يا رب إلهي إلى الأبد أحمدك مز ٣٠ : ١١.. وفي الوقت تذكر لابسها:

---

(١) المجموع الصفوي صحيفة ١٢٣ : ١٥.

(٢) الكنز الجليل على (لو ١٢ : ٣٥).

(١) بالحبل الذي شد به يسوع وسيق إلى الصليب.

(٢) بما يفعله السيد لخدامه الأمناء يوم عرسه الإلهي من وسائل الإكرام. أنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم لو ١٢ : ٣٧ فيحمله ذلك على خدمة سيده بمحبة وأمانة ليستحق إكرامه.

(٣) بوجوب منطقة أحقاء ذهنه بالحق أف ٦ : ١٤ و ١ بط ١ : ١٣ لأنه يقوى كل قوى نفسه كما تقوى المنطقة جسده.

رابعاً : «الأكمام» وهي خاصة بالكهنة ورؤسائهم. وقد جعلت لتخلص أيدي الكاهن وقت الخدمة لئلا تخبله أكمام ملابسه. وتشير إلى تكميل جسد الرب بذات يديه كما يقول القديس يعقوب أخو الرب في قداسة. والوثاق الذي ربط به يسوع وهو مساق إلى بيلاطس مت ٢٧ : ٢٠ وربطه مكتوف اليدين وقت الجلد مر ١٥ : ١ وإلى بسط يسوع يديه مستقيمتين على الصليب وإلى قدره الله الذي صنع الكل بيديه وقوته التي يمنحها لخادمه لتأييده وقت الخدمة ولذا يقول وقت لبسها «يمينك تعضدني ولطفك يعظمني» مز ١٨ : ٣٥ تمد يدك وتخلصني يمينك مز ١٣٨ : ٧ يداك صنعتاني وأنشاتأني. فهمني فأتعلم وصاياك مز ١١٩ : ٧٣. يمين الرب مرتفعة يمين الرب صانعة ببأس مز ١١٨ : ١٦ .. وفي الوقت نفسه تذكر الكاهن بوجوب الجهاد في مصارعة العدو أي ٤٠ : ٤ ولذا يقول أيضاً. الذي يعلم يدي القتال فتحنى بذراعي قوس من نحاس مز ١٨ : ٣٤ وبالإهتمام بالقداسة العملية الخارجية التي هي علامة ثمينة لوجود النعمة في الداخل. وهكذا يصلي رافعاً أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال ١ تي ٢ : ٨ وأخيراً يلبسها إشارة إلى استعداده لتقديس السر الذي هو تذكار موت

---

(١) التحفة الزكية وجه ٨٥.

(٢) منارة الأقداس وجه ٢٠١.

المسيح الذي بذواعه صنع عزاً لشعبه اش ٥٩ : ١٦ و ١٧ .

خامساً: «الشملة» وهي تشبه العمامة التي كان يلبسها رئيس الكهنة قديماً بأمر الله وقت الخدمة خر ٢٨ : ٤ ولذا توضع على الرأس وتطوى كعمامة وتدلى من خلف القدمين: وهي قطعة من القماش مستطيلة مرسوم عليها صليبان أحدهما على الرأس والآخر على الظهر وقد تغير رسمها الآن فصارت تعمل على شكل مدور مقور يلبس في الرأس قريب من شكل التاج وتسمى «طيلسانة» [(١)] وتشير إلى ثوب البر الذي البسناه الرب يسوع وفرح قلوبنا به مز ٤٥ : ١٣ و ١٤ واش ٦١ : ١٠ ولبسها على الرأس يذكرنا بضرورة اليقظة الروحية والإنتباه العقلي ابان الخدمة وفقاً لقول الرسول. فلنصح لابسين وخوذة هي رجاء الخلاص ١ تس ٥ : ٨ ويحمل خوذة الروح في جهادنا الروحي لوقائنا من خطر الشرير اف ٦ : ١٦ كما تذكرنا بغلبة يسوع على الموت والخطية والشيطان فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه وخلصت له ذراعه اش ٥٩ : ١٧ راجع رؤ ١ : ٦ ، ٢ : ١٢ و ١٦ .

أما «البلين» فهو خاص برئيس الكهنة يلبسه على صدره ثم يطوي الطرف الواحد على كتفه من الأبط الأيمن على الكتف اليسرى على ثديه اليمنى ثم ينقل الطرف الآخر من تحت الأبط الأيسر إلى الكتف اليمنى إلى الثدي اليسرى بكيفية أن يكون من أمام وخلف على شكل صليب وهو يذكر لابسه بالصليب الذي حمله يسوع وهو مساق إلى الصلب يو ١٩ : ١٦ و ١٧ .

سادساً: «البرنس» هو رداء مدور واسع مفتوح من الأمام بلا أكمام وهو من ضمن ملابس الخدمة التي أمر الله بها قديماً لهرون خر ٢٨ كله

---

(١) المجموع الصفوي وجه ١٢٢ : ١٠ .

وهو كما قال الآباء يشير إلى عناية الله التي تحيط به وتستره من كل جهة ويذكر لابسه بالرداء القرمزي الذي ألبسه هيرودس المسيح وقت الصلب مر ١٥ : ١٧.

سابعًا: «التاج» وخاص برئيس الأساقفة «البطريرك» ويصنع من الحرير والقصب المخيش أو الذهب مدوراً كالكاس من أسفل ورقيقاً من أعلاه وعليه تنقش صورة المسيح مصلوبا. ويماثله العمامة التي كان يلبسها هرون وعليها صفيحة الآكليل الذهب المنقوش عليها «قدس للرب» خر ٣٩ : ٣٠ و ٣١ ويلبسه رئيس الأساقفة على مثال شركائه العلويين الذين يخدمون الله في الهيكل السموي ورآهم يوحنا وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب رؤ ٤ : ٤ وإشارة إلى اكليل الإنتصار الذي توج به يسوع يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه بخلاص البشرية نش ٣ : ١١ وإلى تاج المجد والخلاص الذي كلل به هامة البشرية مز ١٠٣ : ٤ ويلبسه وقت الخدمة فقط. إشارة إلى اكليل الشوك الذي وضع على رأس يسوع وقت الصليب يو ١٩ : ٥ وإلى المنديل الذي كان موضوعا على رأسه في القبر يوحنا ٢٠ : ٧. وفي الوقت نفسه يدل على سلطان رئاسة الكهنوت المعطى له من الله ١ كو ١٠ : ٨ والذي به صار وكيلاً للمسيح ونائباً عنه ١كو ٤ : ٤ ولذا يقول عند لبسه «مز ٨ : ٦، ٢٠ : ٤» «وصار للكنيسة بمنزله الرأس يدبر كل الأعضاء ويدبر كنيسة الله التي هي عمود الحق وقاعدته ١ تي ٣ : ١٥ وفيه تحريض على الجهاد الروحي في سبيل خدمة الله ورعاية النفوس لينال اكليل المجد الذي لا يفنى الذي وعد به الله خدامه الأمناء متى ظهر رئيس الرعاة ١تى ٤ : ٧ و ١ بط ٥ : ٤ و رؤ ٢ : ١٠ و ٣ : ١١ وليمكنه أن يقول «مع الرسول» لشعبه لأن من هو رجاؤنا وفرحنا واكليل افتخارنا. أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه ١تس ٢ : ١٩.

ويصنع التاج من ذهب منقوشا عليه صورة المسيح مصلوباً للدلالة على سمو مقامه والبركات الثمينة التي يمنحها الله لشعبه بواسطة سفرائه ووكلاء سرائره: مت ٢٨ : ١٩ ويو ٢٠ : ٢٣ وأع ٨ : ١٥، ١٩ : ٦ و ١

تي ٤ : ٤ و ٢ تي ١ : ٦ وتذكيره بأنه ولمن لبسه كرئيس كهنة إلا أنه خاضع للمسيح المصلوب وتحت طاعته «أما المسيح فهو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد لكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة عب ٢ : ٩ وأن الله الآب رفعه وأعطاه أسما فوق كل اسم في ٢ : ٩ وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة... وإياه جعل رأسه فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده أف ١ : ٢٢.

يلبسه رئيس الأساقفة وقت الخدمة ولكنه يخلعه عند قراءة الإنجيل المقدس خضوعا وإجلالا للرب واحترامه لإنجيله.

هذا بيان الملابس الكهنوتية وما تشير إليه من المعاني الروحية وهي كما ترى متنوعة للدلالة على تنوع أعمال ذوي الرتب الكهنوتية في القيام بخدمتهم لتمجيد ذاك الذي هو موضوع محبتهم وخوفهم. وإلى اجلال المسيح وبهاء مجده وشرف الكهنوت المسيحي كما تنبأت الأنبياء كهنتك يلبسون البر مز ١٣٢ : ٩ و ١٦ وقد خصصت هذه الملابس لكل منهم حسب درجته وهذا التخصيص بناء لما قرره مجمع لاذقية أن يكون لكل طغمة كهنوتية حلة مخصوصة وخدمة واجبة ق ٢٢.

هذا وقد يعترض البعض لإستعمالنا ملابس مزركشة للكهنوت بحجة أن لباس المسيح كان حقيراً ولكن دفعاً لذلك نجيب مع آباء الكنيسة بأنه لم يرد في الإنجيل أن لباس المسيح كان حقيراً بل بالعكس وإنما ورد ذلك عن يوحنا المعمدان مت ٣ : ٤ فإنه لو كانت ملابس المسيح حقيرة لما اقتسم الجند ثيابه ولما اقترعوا على اللباس لأنه كان قطعة واحدة منسوجة بلا خياطة يو ١٩ : ٢٣ و ٢٤.

«وأما سبب تقمش ذوي الرتب الكهنوتية أثناء الخدمة بالملابس الفاخرة فهو مجد المخدوم وهو السر الذي تشتهي الملائكة أن تطلع عليه والبرهان أن كهنة اليهود مع أنهم كانوا يخدمون الرموز والأمثلة والاعراض فقد كانوا

يتزينون بأزياء مجيدة فكم بالأولى الذين يخدمون الحقائق مكشوفة بلا رموز ولا أمثلة. ثم أن الملائكة ما ظهر أحدهم في خدمة من الخدم إلا وهو متجلل بأثواب فاخرة مت ٢٨ : ٣».

وأما كون المسيح لم يستعمل ملابس خصوصية وقت رسمه السر وتقديسه إياه فلأنه هو صاحب السر والممجد في ذاته وليس ثمة واجب أن يستعمل شيئاً للمجد والبهاء وهو الإله المتجلل بالمجد والجلال. على أن رجال الكهنوت يستعملونها ليظهروا بها أمامه كأمره خر ٢٨ : ٢ واعترافا بسمو مقامه واجلالاً لعظمته وعظمة السر الذي يقدسونه ومع ذلك فإن المسيح قد استعمل ثوباً وقت غسل أقدام تلاميذه ومباشرة قبل ممارسة هذا السر ورسمه **ولكننا نسأل هل لو كان المسيح استعمل شيئاً من هذه الملابس أكانوا يحذون حذوه ويمارسون السر بملابس خصوصية؟ إذا كان الجواب نعم فلماذا لا يلبسون ثوباً ويمارسون فريضة غسل الأقدام وقد أمرنا بها. وقد ولد. وصام ومات وقام. فلماذا لا يقتدون به؟ بل لماذا لا يحتفلون بميلاده وموته وقيامته كما احتفلت جند السماء وسكان الغبراء؟**



الفصل السادس

{ ذبيحة القداس }

ذبيحة القداس هي ذات جسد الرب ودمه الطاهرين تحت أعراض الخبز والخمر اللذين بعد تقديسهما يتحولان بقوة الروح القدس إلى الجسد والدم الأقدسين.

ومع كون ذبيحة القداس فرضت بأمر إلهي كما سترى كما فرضت ذبيحة العهد القديم ومع كونها جاءت بعد ختام النبوات والأنبياء إلا أنها ذكرت فيه وتنبأ عنها الأنبياء بأقوال صريحة لا تحتمل التأويل. نأتي هنا على بعضها وهو غير الوارد في الكتاب عن الذبيحة التي قدمت مرة واحدة على الصليب التي لم نتعرض للإشارة إليها ولا لإيراد الأدلة عليها لأن أدلتها بلا حصر من جهة ومن الجهة الأخرى لا نظن واحداً من المسيحيين ينازعنا في أمرها أو ينكرها علينا بخلاف ذبيحة القداس التي وجد بعض المنازعين لنا فيها أو هم الذين يفهمونها على غير حقيقتها أو على غير فهمنا ويعتقدون فيها اعتقاداً مباينا لإعتقادنا فيها ولذا نأتي هنا على بعض البراهين التي جاءت في العهد القديم عن ذبيحة القداس. والعهد الجديد. وما جاء في تعاليم الكنيسة وأقوال الآباء.

أولاً: «من العهد القديم» أن نبوات الأنبياء عن ذبيحة القداس كثيرة نذكر بعضها بنصها ونشير إلى البعض الآخر منها:

(١) قول الله : والتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفي ميثاقي معكم فتأكلون العتيق المتعتق وتخرجون العتيق من وجه الحديد لا ٢٦ : ٩.

(٢) قول النبي ترتب قدامي مائدة تجاه مضائقي مز ٢٣ : ٥ وقد أجمع معلموا الكنيسة على أن هذا القول مع مز ٢٢ : ٢٦ - ٢٩ نبوة عن تقدمة القداس الطاهرة التي يقوم غذاء روحياً وطعاماً سموياً للمؤمنين على مائدة الرب ١ كو ١٠ : ٢١.

(٣) من قول النبي نفسه: أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق مز ١١ : ٤ فالمراد بالكاهن في هذه النبوة هو المسيح الذي كما قال الرسول. قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حيوة لا تزول لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق عب ٧ : ١٦ و ١٧ وفي هذا القول بيان واضح لحقيقة هذه الذبيحة ذلك لأن كلا من النبي والرسول أوضح أن كهنوت السيد له المجد على رتبة ملكي صادق لا على رتبة هرون والمراد برتبة ملكي صادق كهنوته وتقدمته خبزاً وخمراً تك ١٤ : ١٨ كما أجمع الآباء والمفسرون.

ولا يخفى أن بين ذبيحة «تقدمة ملكي صادق وذبيحة هرون فرقاً وإن اتحدتا في معنى المرموز إليه واختلفتا في الشكل الظاهري أي الرمز فذبيحة هرون كانت دموية وهي ترمز إلى ذبيحة الصليب. أما تقدمة ملكي صادق فغير دموية وهي تشير إلى ذبيحة القداس لا إلى ذبيحة الصليب لأن كليهما من مادة واحدة هي الخبز والخمر وإن كانت التقدمة الأولى لم تكتسب قوة التقدمة الثانية لأن الرمز لا يكون بقوة المرموز إليه وإلا هل يمكن أن يقال أن ذبائح الثيران والعجول والتيوس التي كانت تقدم قديماً لها قوة ذبيحة الصليب المرموز إليه بتلك الذبائح؟ وإن كان الجواب سلباً فإنه يكون بحكم البداهة نمت فرق بين قوة تقدمة«ذبيحة» ملكي صادق وخبزه وخمره اللذين لم يتغيرا ولم يتحولا وبين قوة ذبيحة القداس وخبزها وخمرها المتحولين إلى جسد الرب ودمه. ويظهر فضل الأخيرة على فضل الأولى من فضل المسيح الفادي وواضعها وصانعها والحاضر فيها بذاته الطاهرة - على ملكي صادق المخلوق. وكرامة الكهنوت المسيحي الدائم على الكهنوت ملكي صادق الزائل.

«وبما أن يسوع جاء على رتبة ملكي صادق كاهناً إلى الأبد لا على رتبة هرون لم يكن يتم هذا الكهنوت إلا برسم ذبيحة لا ينقطع تقديمها تماثل ذبيحة ملكي صادق أي غير دموية تحت شكلي الخبز والخمر وقد قدم المسيح هذه الذبيحة تحت الشكلين المذكورين في العشاء السري».

هذا من جهة ومن جهة أخرى «إن كهنوت ملكي صادق كان في رجل واحد ولم يعتدّ إلى خلف آخر من بعده بخلاف كهنوت هرون الذي كان متسلسلاً بين كثيرين كلما مات واحد خلفه آخر وحيث قيل أن كهنوت المسيح يبقى إلى الأبد - أي إلى انقضاء العالم كما فسر ذلك الآباء القديسون والحال أن ذبيحة الصليب انما قدمت مرة واحدة ولا سبيل إلى تكرارها من بعد إذ المسيح لا يموت مرة أخرى لم يكن بد والحالة هذه من وجود ذبيحة أخرى لا ينقطع تقديمها إلى الآبد لئلا يبقى كهنوت المسيح معطلاً وإلا فكيف يصح أن يسمى كاهناً وهو لا يقدم ذبيحة فمن ثم وضع له المجد هذه الذبيحة الدائمة الحقيقية المنسوبة إليه - أي إلى المسيح الحبر العظيم - مقربة على الدوام بأيدي الكهنة خدامه ونوابه وهي ذبيحة القداس الإلهي [١].

(٤) من قول النبي إشعياء «في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر.. فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة الخ ١٩: ١٩- ٢١ فهذه الآية تشير إلى المذبح والذبيحة اللتين يكونا في مصر عند رجوع المصريين إلى الله. والمصريون لم يرجعوا إليه سبحانه ولا تمت هذه النبوة فيهم إلا في العهد المسيحي فإذاً تكون الذبيحة والمذبح المشار إليهما هما نفس مذبح وذبيحة القداس اللتين في الكنيسة المسيحية. منذ دخلت أرض مصر إلى اليوم.

---

(١) راجع حواشي العهد الجديد للكاثوليك صحيفة ٥١٦.

وليس من العقل ولا من الإيمان ولا من العلم أيضاً أن يقول أن هذه الذبيحة تعني ذبيحة الصليب التي قدمت مرة واحدة على عهد بيلاطس البنطي لأنها لم تكن في مصر بل في أورشليم كما هو معلوم ولم يقم مذبح ولا قدمت ذبيحة في أرض مصر بعد هذه النبوة أو بعد العهد المسيحي إلا من المسيحيين الذين لا يزاولن محافظين عليها للآن.

(٥) نبوة ملاخي وهي قوله «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها أسمى عظيم بين الأمم وفي كل مكان يقرب لإسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود مل ١ : ١٠ و ١١ وقد أجمع الآباء والمفسرون على أن المقصود بهذه التقدمة التي تنبأ عنها ملاخي النبي ذبيحة «تقدمة» القداس وليس ذبائح الأمم التي يرذلها الله ويكرهها ويكره مقدمها ولا الذبائح الروحية لأنها حاصلة وتحصيل الحاصل محال فإن كثيرين من الأتقياء مارسوها قبل النبي وبعدها إلى يومنا هذا. ولا الذبائح اليهودية لأن الله رذلها كما هو واضح من نفس الآية ومن آيات كثيرة في الكتاب. ولا ذبيحة الصليب أيضاً لأنها تقدمت في مكان واحد «في أورشليم» لا في كل مكان. ومن المسيح لا من الأمم وقد تقدم لنا شرح هذه النبوة في الباب الثالث عندما تكلمنا عن البخور وأثبتنا هناك بالأدلة القوية أن البخور المشار إليه في النبوة هو البخور المسيحي ومادام الأمر كذلك فبالبداهة تكون الذبيحة أيضاً هي الذبيحة المسيحية ذبيحة القداس الإلَهية بلا جدال.

(٦) وتوجد نبوات أخرى عن تقدمة القداس ومقربوها الكهنة. فقد قال الله بلسان أشعياء النبي. آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلوة يدعى لكل الشعوب اش ٥٦ : ٧ وقال أيضاً: أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تخلفونهم اش ٦١ : ٦ وأيضاً «ويحضرون كل اخوتكم من كل الأمم تقدمة للرب كما يحضر بنو اسرائيل تقدمة في إناء طاهر إلى بيوت الرب واتخذ أيضاً منهم

كهنة ولاويين قال الرب اش ٦٦ : ٢٠ و ٢١ وقال أرميا النبي «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ار ٣ : ٣١ قابل ذلك مع مت ٢٦ : ٢٨ .

(٧) عدا ذلك قد تنبأت الأنبياء عن استمرار هذه الذبيحة وعدم انقطاع مقربيها فعن الأول قال دانيال النبي وتقوم منه أذرع وتنجس المقدس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل رجسة الخراب ١١ : ٣١. ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ١٢٩٠ يوما ١٢ : ١١ وقد أيد الرسول بولس بأن هذه التقدمة لن تزال أبداً حتى يأتي الرب ١ كو ١١ : ٢٦ .

وعن الثاني قال أرميا النبي لأنه هكذا قال الرب. لا ينقطع لداود انسان يجلس على كرسي بيت اسرائيل: ولا ينقطع للكهنة اللاويين انسان من أمامي يصعد محرقة ويحرق تقدمة ويهيء ذبيحة كل الأيام ار ٣٣ : ١٧ و ١٨ . ان نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون نهار ولا ليل في وقتهما. فإن عهدي أيضاً مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن ملكاً على كرسيه ومع اللاويين الكهنة خادمي عد ٢٠ و ٢١ .

(٨) ليس هذا بل قد رمز إليها في العهد القديم برموز متعددة منها خبز الوجوه الذي كان يتقدم على المائدة أمام الرب دائماً خر ٢٥ : ٣٠ وبالمن الذي أكله الإسرائيليون في البرية خر ١٦ : ١٥ و ١٦ وبالذبيحة والرسوم لتقدس الكهنة التي كانت تقدم من خبز فطير من دقيق الحنطة خر ٢٩ : ٢ و ١٥ وبقربان التقدمة الذي من دقيق لا ٢ و ٥ و ٦ وبخبز التقدمة المقدس ١ صم ٢١ : ٤ هذه نبوات ورموز العهد القديم عن تقدمة القداس اكتفينا بها عن غيرها فراراً من التطويل المخل.

ثانياً : «من العهد الجديد، أما أقوال العهد الجديد فهي كثيرة نجتزي بذكر القليل منها» .

أولاً: أن السيد لما سلم السر لتلاميذه في ليلة آلامه قال عن جسده. خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري. لو ٢٢ : ١٩ وعن دمه قال. اشربوا منها كلكم. لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا مت ٢٦ : ٢٧ و ٢٨. فهنا أوضح السيد أن الخبز هو ذات جسده الذي يبذله. وأن الخمر هو ذات دمه الذي يسفكه. ومنه نفهم أن جسد الرب ودمه ذبيحة حقيقية تحت شكلي الخبز والخمر لا ريب فيها. وقد قدسها تلاميذه بناء على وصيته لهم أع ١٣ : ٢ وتكلم عنها القديس بولس وأوضح بصريح اللفظ أن سر الأفخارستيا كان معروفاً عند جميع المؤمنين أنه ذبيحة لأنه يقابل بين مائدة الرب ومائدة الشياطين التي كانت تقدم عليها ذبائح حقيقية اسماً وأن تكون في الحقيقة رجساً أمام الله ومكروهة منه راجع ١كو ١٠ : ١٥- ٢٢ ثم أن الرسول نفسه قال في موضع آخر. لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن الأول أن يأكلوا منه عب ١٢ : ١٠ فالرسول هنا صرح بأن عند المسيحيين مذبحاً وهذا المذبح يقدمون عليه ذبيحة حقيقية أو أشرف وأطهر وأقدس من ذبائح العهد القديم. وللمسيحيين الحق وحدهم دون سواهم أن يأكلوا منها، ومعلوم أن وجود المذبح في الكنيسة يستلزم وجود الكاهن والذبيحة لأن هذه من المستلزم كما قال الآباء فإذا كان عند المسيحيين مذبح كان عندهم ذبيحة أيضاً وهذه الذبيحة هي الإفخارستيا[١] وهذا التعليم نفسه تجده مسطراً في كتاب خدمة القداس فقد قيل: نقرب لك قرابينك من الذي لك. على كل حال. نقدم لك هذه الذبيحة المقدسة الناطقة الروحية الغير الدموية. ونحن نتقدم إلى هذه الذبيحة المقدسة ونتناول منها بشكر. ولهذا نسأل يارب أن لا تكون لنا هذه الذبيحة تبكيتاً لخطايانا لأننا قدمناها لك عن ضعفنا.

---

(١) تفسير الرسل على عب ١٣ : ١٠.

ثالثًا: «أقوال المجامع والآباء» أما المجامع المسكونية فقد أثبتت ذلك فقد قال مجمع نيقية الأول. «وأقواله وقوانينه مسلم بها ومرعية عند الجميع حتى البروتستانت» على المائدة المقدسة يوضع حمل الله الرافع خطايا العالم يو ١ : ٢٩ ويذبح خدام الله ذبيحة غير دموية ق ١٨ .. «والمجمع الثالث المسكوني يقول أننا نقدم في الكنائس الذبيحة غير الدموية وهكذا نلمس الأسرار المقدسة المباركة ونتقدس باشتراكنا فيها بالجسد المقدس جسد المسيح مخلص العالم كله وبدمه الكريم قسم ٢ جلسه ١» (١)

أما أقوال الآباء فكثيرة نأتي على بعضها قال القديس الذي انتقل سنة ٢٥٨ «لأنه إذا كان يسوع المسيح ربنا وإلهنا هو ذاته رئيس كهنة لله الآب وهو قدم أولاً نفسه للأب ذبيحة وأمر أن يصير هذا لتذكاره فلابد أن الكاهن الذي يقتدى تماماً بما عمل المسيح قد قام بواجبه حقيقة عوضاً عن المسيح وحينئذ يقدم في الكنيسة الذبيحة الحقيقية الكاملة لله الآب أعنى حين يبدأ بالتقدمة على الصورة التي يرى المسيح ذاته قدم عليها أننا نصنع مرضاة مبدي الكل يشكره على إحسانه ونتضرع إليه ونأكل خبز التقدمة بعد أن يصير بالأفشين «بالصلوة» جسداً مقدساً ومقدس الذين يأكلونه بطوية صالحة (٢).

وقال يوستينوس الشهير من أباء الجيل الثاني «في خطابه لتريفين تقدم بإسمه ذبيحة مقدمة من المسيحيين في كل مكان على الأرض ذبيحة طاهرة ومرضية لله» (٣) وقال إيريناوس تلميذ يوحنا الرسول محاجا الهراطقة. أن المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها في كل المسكونة بحسب نبوة ملاخي ١ : ١٠ و ١١

---

(١) الأنوار في الأسرار صحيفة ٢٠١.

(٢) الأنوار في الأسرار صحيفة ١٤٥.

(٣ مرآة الحقائق الجليلة صحيفة ٢٠٢ و ٢٠٣.

أحد الأنبياء الإثنى عشر حيث يقول لا إرادة لي بكم الخ وينادي أن الشعب الأول سيكف عن أن يقدم لله ذبائح وأنه في كل مكان ستقدم ذبيحة لإسمه الممجد في الأمم (١) وقال كيرلس الأسكندري في رسالة تليت في المجمع الثالث المسكوني الأفسسي (أننا ننادي بأن ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح مات بالبشرية ونقر بقيامته بصعوده إلى السموات فنتمم في الكنائس الذبيحة الغير الدموية الخ، وقال الذهبي فمه: فياللعجب من كون المائدة مهيأة وحمل الله قد قدم لأجلك ذبيحة. والنار الروحية قد أشرقت من مطلع المائدة الرهيبة. والكاروبيم محدقون بها والساروفيم ذو الستة أجنحة يتطايرون وهم يحجبون وجوههم خوفاً والقوات العلوية بأسرها المنزهة عن الأجسام تبتهل مع الكاهن في شأنك والنار الآلهة منحدرة من فوق لأجلك. والدم الكريم مسفوك في الكأس من الجنب الطاهر لتطهيرك وأنت تلتهي عنها غير خائف ولا مرتعد م ١٩ على اش ٦ : ١ – ٧ والقديس أغريغوريوس يقول وهو نفسه قدم ذاته بعمل التقديس الذي لا ينطبق به وغير المنظور من البشر قربانا وذبيحة عنا إذ هو كاهن وحمل الله الرافع خطية العالم. وان سألت متى كان هذا؟ فأجيبك أنه كان عندما جعل جسده مأكلا بصريح العبارة وأعطاه للأكل وصارت ذبيحة الحمل كاملة لأنه لو كان الجسد ذا روح لما كان ضحية تصلح للأكل فلما منح تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه ضحى جسده بوجه لا ينطق به وغير منظور مدبراً هذا السر كما أرادت سلطته [١] «ومن الوسائل الأربع عشر التي تبادلت بين القديسين الجليلين بطرس مغوس البطريرك الأسكندري وأكاكيوس البطريرك القسطنطيني إتضح أنه كان لكل رئيس كهنة مصلي خصوصي في مركزه الأسقفي يقدم كل صباح الذبيحة الإلهية فيه قبل أن يتناول فطوره [٢].

---

(١) مرآة الحقائق الجليلة صحيفة ٢٠٢ و ٢٠٣.

(٢) مرآة الحقائق الجلية صحيفة ٢٠٤.

اعتراضات : يعترض علينا الجاحدون لهذه الحقيقة بقول الرسول وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة لخطايانا عب ١٠ : ١٨ و ٢٦.

ووجه الإعتراض الذي يحتجون به علينا في هاتين الآيتين هو أنه لا توجد بعد ذبيحة وفضلا عن كونه منافيا لأقوال الرسول فإن تكرارها يعد نقصاً لذبيحة الصليب.

وهو قول حق واعتراض عادل نقول به نحن من أن وجود ذبائح غير ذبيحة الصليب وبعدها مناف لأقوال الرسول ودال على نقص الذبيحة الإلهية التي قدمت مرة واحدة على مذبح الجلجثة ولكن ذبيحة القداس ليست غير ذبيحة الصليب ولا متممة لنقصها فإن ذبيحة الصليب كانت للتكفير عن الخطايا وأما ذبيحة القداس فإنها تذكار لها. ولكن تذكاراً عينياً أي من عين الشئ. فذبيحة الصليب وذبيحة القداس شئ واحد. قال الذهبي فمه «ان رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التي تطهرنا ومن ذاك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً هذه الذبيحة نفسها وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة هي تتمم إلى انقضاء الدهر حسب وصية المخلص **«اصنعوا هذا لذكري»** فبعملنا إذاً تذكار تلك الذبيحة التي قدمت على الصليب تتمم الذبيحة التي تممها رئيس الكهنة العظيم نفسها على «عب ١٣ : ١٠ وم ٢٢» وقال القديس غريغوريوس «نحن لا نقدم ذبيحة أخرى بل نتمم تذكار تلك الذبيحة الخلاصية وقد تكرار كل يوم في القداس الإلهي لا لإعتقاد أن ذبيحة الصليب كانت قاصرة عن الإقتداء الدايم ولكنها تقدم تذكاراً عملاً بقوله ولكي توزع فائدتها على كل واحد من المؤمنين المتفرقين. وهذا التقريب - كما يقول الذهبي فمه هو عين ذاك وكلاهما ذبيحة واحدة وتقدمة واحدة على يد كاهن واحد.

أما كلام الرسول فمعناه أن الذين يخطئون أو «يرتدون عن الإيمان

باختيارهم بعد ما أخذوا معرفة الحق فهؤلاء لا يجدون بعد ذبيحة تكفر عن خطاياهم إذ يصلبون ابن الله ثانية ويشهرونه. وابن الله لن يصلب ثانية ولن يشهر ولو هلك هؤلاء المتكلون علي سفك دمه مرة ثانية. بل في اعتقادنا أن الذين يريدون أن يصلبوا ابن الله مرة ثانية أشر بما لا يقاس من الذين صلبوه في المرة الأولى ومن المجدفين على الروح القدس الذين قال عنهم الرب لا غفران لخطاياهم مطلقاً مت ١٢ : ٣٢.

ثانياً: يقولون إذا كان هذا السر تذكار لذبيحة الصليب فكيف يسمى ذبيحة؟ نقول أن ذبائح العهد القديم كانت رسماً لذبيحة الصليب ومع ذلك فكانت ذبائح حقيقية كذلك هذا السر هو تذكار ذبيحة الصليب ومع ذلك فهو ذبيحة واحدة حقيقية مع ذبيحة الصليب. قال الذهبي فمه «ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين؟ نعم نقدم. ولكننا نصنع تذكار موته «تعالى» وهذه الذبيحة هي واحدة لا أكثر لأنه قدم مرة واحدة مثل الذبيحة التي كانت تقدم إلى قدس القديسين. وكما أنه هو رسم لتلك هكذا هذه الذبيحة رسم لها لأننا دائماً نقدم حملاً واحداً نفسه ولا نقدم الآن خروفاً وغداً خروفاً آخر بل الحمل نفسه دائماً فالذبيحة إذا هي واحدة. أو هل المسحاء كثيرون لأن الذبيحة تقدم في حالات كثيرة؟ حاشا لأن المسيح واحد في كل مكان وهو هنا بكليته وهناك جسد واحد. وكما أنه يقدم في أماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا أجساداً كثيرة هكذا الذبيحة أيضاً واحدة هي م ١٦ على العبرانيين».

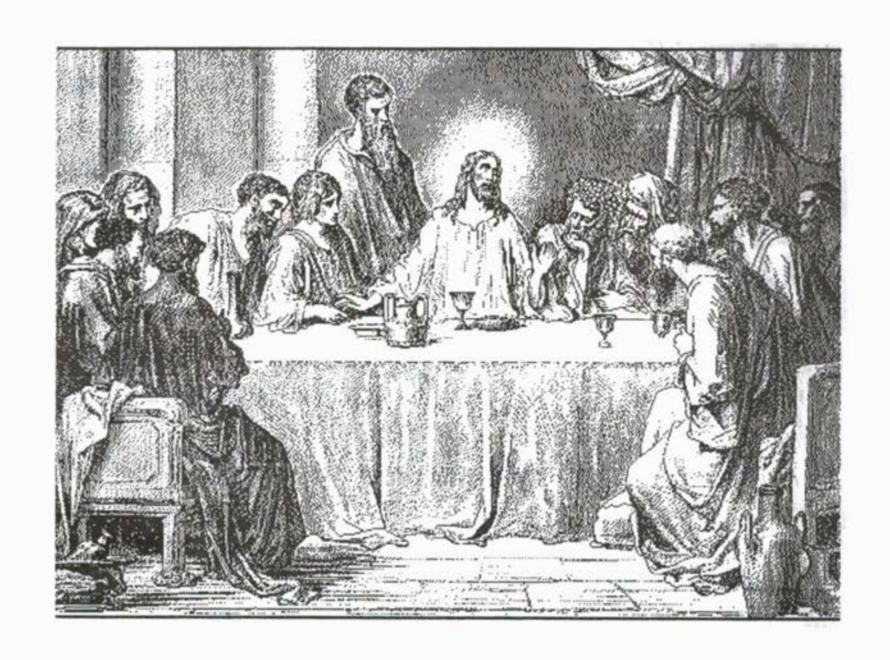
إنما الفرق بينهما أن تلك كانت محسوسة منظورة. لا تؤكل ولا تشرب وذبحت بطريقة فظيعة جداً تقطع المرائر وتذيب الأحشاء. أما ذبيحة القداس فهي ذبيحة حقيقية ولكنها ليست حسية بل سرية. تحت أعراض خبز وخمر يتحولان إلى جسد الرب ودمه وتذبح بطريقة مقبولة ويؤكلان ويشربان ولذا سماها الآباء الذبيحة الغير الدموية.

ثم أن ذبيحة الصليب كانت للتكفير عن خطايا العالم. ووفاء عدل الله

وفاءاً أبديًا. وأما ذبيحة القداس فتقدم استعطافًا لله عن خطايا الذين قدمت لأجلهم وبواسطتهم ولذلك سماها الآباء ذبيحة استعطاف. كما سموها ذبيحة شكر. وذبيحة إلهية.

تلك قدمت مرة واحدة على الصليب ولن تصير مرة ثانية أما هذه فتقدم كل يوم إلى انقضاء الدهر حسب وصية المخلص لو ٢٢ : ١٩ : تلك قدمت بغير وسيط لأن المسيح قدم نفسه وأما هذه فتقدم من وإلى المسيح بواسطة خدامه الذين هم نوابه ووكلاء سرائره ١ كو ٤ : ٤ .

وقصاري القول «أن ذبيحة الصليب هي ينبوع نعم عامة وبركات شاملة وأما ذبيحة القداس فهي بمثابة قناة تجري منها مياه النعم الإلهية علينا» كما قال الآباء.



الفصل السابع
{ وجوب التناول من ذبيحة القداس }

يتكون الإنسان من جسد وروح. فالأول ترابي لأنه من الأرض أخذ ومما تنبته يتغذى ويحيا. فكل هذه الأطعمة والأشربة والملابس والمساكن التي يستعملها الإنسان لإنماء جسده وتقويته مصدرها الأرض ولا ينفع جسد الإنسان غيرها. والثانية سماوية إلهية لأنها من الله أعطيت وطعامها وغذاؤها من الله من السماء من المصدر الذي أخذت أو أعطيت منه لا يفيدها غذاء غيره.

وليس لموضوع كتابنا علاقة بأطعمة الجسد وغذائه بل هو روحي ولا سيما هذا الفصل الذي خصصناه للتكلم عن وجوب تناول المسيحيين من جسد الرب ودمه الأقدسين لذلك نريد أن نفصل ما يجب على المؤمنين ونبين فائدة التناول من مائدة الرب المقدسة فنقول:

أن الرب يسوع لما وعد تلاميذه بإعطائهم جسده ودمه قال عن نفسه أنا هو خبز الحيوة آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حيوة العالم. يو ٦ : ٤٨ – ٥١.

فهنا أوضح السيد أنه القوت الموافق لطبيعة الروح وقال عن جسده أنه حيوة النفوس والأرواح «من يأكلني يحيا».

هذا وفي ليلة آلامه أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال عن الخبز. خذوا كلوا. هذا هو جسدي. وعن الكأس. اشربوا منها كلكم. لأن

هذا هو دمي الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا مت ٢٦ : ٢٦ – ٢٨ ثم أعطى رسله سلطاناً لأن يصنعوه لذكره كما صنع لو ٢٢ : ١٩ وهكذا اقتضى جوده الإلهي وسخاؤه العميم وحبه العظيم ورحمته بنا نحن الخطاة أن يعطينا ذاته قوتاً وغذاء خلاصياً تحت شكل الخبز والخمر. وذلك لكي يجرئنا ويشجعنا على التناول منهما لأنه لو لم يحتجب تحت هذه الأعراض لما استطاع المؤمنون أن يتناولوا جسده ودمه الأقدسين بأعراضهما الظاهرة فكان عمله هذا وقوله في يو ٦ : مبرهناً على أن جسده ودمه هو طعام النفوس وغذاء الأرواح. ولذلك أصبح من الواجب على كل مؤمن يريد حيوة نفسه وتقوية روحه أن يتناول من جسد الرب ودمه ولا يهمل أمراً يتوقف عليه اتحاده مع الله وثباته فيه ونموه في الحياة الروحية. وإلا فإن من يهمل هذا الواجب لا تكون نفسه حية: قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حيوة فيكم يو ٦ : ٥٣ ومن لا تكون له حيوة في نفسه ليس مسحياً لأن المسيحي يجب أن يكون حياً.

قد صار الرسل على الطريقة التي رسمها الرب يسوع نفسه اع ٢ : ٤٢ و ٤٦ وسلموا السر الذي استلموه من الرب نفسه كما سلموه لخلفائهم من بعدهم ١كو ١٠ : ١٧ ، ١١ : ٢٣ – ٢٦ وهكذا صار التناول من جسد الرب ودمه فرضاً واجباً على كل المسيحيين.

كذلك الكنيسة أمرت بنيها أن يتقدموا كثيراً إلى مناولة جسد الرب ودمه الأقدسين. وقد فرضت عليهم أن يفعلوا ذلك أربع مرات كل سنة في الأصوام المفروضة. أو على الأقل مرة واحدة في الصوم الكبير بعد أن ينقوا ضمائرهم بالتوبة والندامة الحقة. وغرضها من ذلك اتحادنا بالمسيح الذي قال من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه يو ٦ : ٥٦.

ثم أننا إذا تأملنا في تاريخ الكنيسة نجد أن المؤمنين في القرون الأولى كانوا يتناولون الأسرار المقدسة في كل قداس كهنة وعلمانيين نساء

وأولاداً[١] وأثبت ذلك القديس اكليمنضس وقد جاء في أوامر الرسل وقوانين المجامع ما يؤيد ذلك حيث قيل. وليتقرب الأسقف أولاً وبعده القسوس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور تتناول النساء. وليرتل إلى أن يتناول القربان كافة المؤمنين ولأجل هذا كانوا يقدمون قرابين كافية لمناولة الإكليروس[٢].

إن المسيح أعطانا هذا السر لكي نتناول منه حيوة لأنفسنا فواجب أن نتناوله لكي نحيا به.

إننا أعضاء في جسد المسيح السري وواجب أن نكون والمسيح جسداً واحداً ولا وسيلة لإتحادنا به ولجعلنا واحداً معه إلا بمناولتنا جسده الأقدس ودمه الكريم.

إننا أغصان في الكرمة يسوع. ولا يمكن الغصن أن يثبت وينمو ويزهر ويثمر إلا إذا كان متحداً بالكرمة ومتأصلا فيها كذلك نحن لا يمكننا أن ننمو في الحيوة الروحية ونثمر في العمل الصالح إلا بتناولنا من ذلك الغذاء الخلاصي الذي يثبتنا فيه ويوحدنا معه كما قال له المجد «يو ٦ : ٥٦».

إننا كغرباء ومسافرين في برية هذا العالم إلى الوطن السموي نحتاج إلى قوة تعين ضعفاتنا وتساعدنا على السير في طريق السماء بدون كلال أو إعياء. ولا واسطة لذلك إلا بمناولتنا من هذا الخبز الحي النازل من السماء إذ يقوي فينا روح الرجاء ويشجعنا على مواصلة السير مع الله كل أيام غربتنا كما كان المن قديماً لشعب الله.

إننا ضعفاء ومن أنفسنا لا نقدر أن نعمل شيئاً ولكننا نستطيع كل شئ

---

(١) تاريخ الكنيسة ف ١٠.

(٢) ق ٥٢ من ٧١ و ق ١٧ من ٢٠ لمجمع نيقية راجع الصفوي ١٤٨.

بالمسيح يسوع الذي يقوينا. ولا يمكننا أن نحصل على هذه القوة إلا بإتحادنا بجسد الرب ودمه الكريم.

إننا لابسون جسد الخطية ونعيش في عالم موضوع في الشرير وكل أعماله شر والخطية محيطة بنا ولا يمكننا أن ننجو من شرورها ولا أن نحفظ أنفسنا من دنس العالم إلا بإقترابنا من الرب واشتراكنا في عشائه السري فإنه يميت فينا الحاسات الشريرة ويصلب إنسان الخطية الساكن فينا ويحيى فينا الإنسان الجديد فنحيا حيوة الإيمان ابن الله الذي أحبنا وبذل نفسه لأجلنا وأعطانا جسده لنحيا به وهو يحيا فينا:

إننا خطاة ولا يمكننا أن ننال مغفرة خطايانا ونحصل على صفح الله عن آثامنا إلا بتناولنا من هذه الوليمة التي أعدها لنا لمغفرة الخطايا وهي تذكار موته الكفاري.



الفصل الثامن

الإستعداد اللائق لتناول سر الشكر

أوضحنا في الفصل السابق وجوب الإشتراك في سر الإفخارستيا. على أن ذلك التقدم «التناول» لا يجب أن يكون اقتحاماً بل يجب أن يستعد له المسيحي استعداداً لائقاً لأنه مزمع أن يقترب من الرب نفسه ويتناول من مائدته الرهيبة التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها وذلك كما سترى.

أولاً: «من العهد القديم» قد أمر الله موسى قديماً بأن يستعد الشعب ويغسلوا ثيابهم ويتطهروا لليوم الثالث لإعطائهم الشريعة خر ١٩ : ١٠ و ١٤ و ١٥ وأمر بالإستعداد عند تقديم الذبائح التي كانت رمزاً لذبيحة الصليب خر ٢٩ و ٣٠ : ١٨ و ١٩ وإذا كان الإستعداد واجباً عن المتقدمين للشريعة والذبائح الرمزية. أفليس هو بالأولى واجباً على راغبي الإشتراك قبل الإقتراب من الذبيحة الحقيقية الغير الدموية. جسد الرب ودمه الأقدسين. بل يجب أن نمتحن أنفسنا ونفحص ضمائرنا.

ثانياً : «من العهد الجديد» قال القديس بولس ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا كل من يأكل الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ودمه ١ كو ١١ : ٢٨ و ٢٩ وإذا كان الله قضى على كل نفس تتقدم إلى الذبيحة قديماً وهي نجسة بقوله تقطع تلك النفس من شعبها لا ٧ : ٢٠ فأي عقاب يستحقه الذين يتقدمون لمناولة جسد الرب ودمه بقلوب شريرة وضمائر نجسة أنهم بلاشك يأكلون ويشربون دينونة لأنفسهم لأنهم لم يميزوا جسد الرب ودمه. وهذه الحقيقة ثابتة قد أوضحها الرسول في كلامه

على الذين أقدموا على مناولة عشاء الرب بدون استحقاق بقوله من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون ١ كو ١١ : ٣٠.

ثالثاً: أن عظمة السر وجلال واضعه الرهيب يقتضيان هذا الإستعداد ويستلزمان تهيئة النفس واعدادها له وفحصها فحصاً دقيقاً قبل الإقتراب منه. وإلا أي إنسان يستطيع الإقتراب من مائدة الملك بأثواب رثة وأيد قذرة؟ وهل يجرأ امرؤ مهما كان عظيماً على المثول بين يدي الملك فضلاً عن الجلوس على مائته الملوكية إذا كان خائناً؟ إذاً كيف يجسر المؤمن على الإقتراب من الملك العظيم الذي هو نار آكلة عب ١٢ : ٢٩ ومن منا يسكن في وقائد أبدية اش ٣٣ : ١٤ بل كيف يجسر على الإشتراك في مائدة الرب الرهيبة وهو مدنس النفس والجسد «أن من يتقدم إلى أكل جسد الرب ودمه وهو عارف بنفسه أنه على خطأ مميت أو بدون مهابة واحترام كما إذا تقدم وهو سكران أو مخاصم أو ظالم للمسكين مثل الكورنثوسيين فإنه يذنب إلى جسد الرب ودمه ذنب من قتل المسيح وأراق دمه كما قال ثاوفيلاكطوس وحكمه في ذلك حكم يهوذا واليهود من حيث الخيانة والإهانة كما قال تاوديريطوس. قال باسيليوس «كما أن من يجلس على مائدتة الملك وهو مضمر العداوة والبغض له يسخطه ويغضبه كذلك من يتقدم إلى مائدة المسيح وهو من أعدائه فإنه يهين المسيح لا بل اهانة مثل هذا أكبر وأفظع بكثير لأنه يأكل جسد المسيح نفسه «تفسير الرسائل ٢٢٤» - أن المسيح في مثل عرس ابن الملك قال: فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك انساناً لم يكن لابساً لباس العرس. فقال له: ياصاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس. فسكت. حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية هناك بكاء وصرير الأسنان مت ٢٢ : ١١- ١٣ هكذا يعامل الله أولئك الذين يقدمون على مناولة عشائه السري وهم ملوثون بالخطايا. أو هم على حال منافية لقداسة الله القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب عب ١٢ : ١٤.

رابعًا: أن مفاعيل السر الخلاصية تحتم علينا هذا الإستعداد قال الله لموسى. كل من مس لحم الذبيحة يتقدس لا ٦ : ٢٧ كذلك الذين يتناولون جسد الرب ودمه باستحقاق يتطهرون ويتقدسون بل يحيون حيوة أبدية. والإستعداد لإقتبالنا هذا السر المقدس يجعلنا نربح هذه البركات ونجني هذه الأثمار الخلاصية وعدمه يسبب لنا خطراً عظيماً ويجلب علينا ضرراً كبيراً إذ نجرم في جسد الرب ودمه. قال أحد الآباء «أن ما يفعله الخبز الأرضي في جسد الإنسان يفعله الخبز السماوي في نفسه. فكما أن طعام الجسد يقويه وينميه في حالة الصحة ويضر به في حالة المرض. هكذا السماوي الذي هو جسد ودم مخلصنا يسوع المسيح يعطي قوة وحيوة أبدية للذين يتناولنه بإستحقاق. ويكون ناراً ملتهبة للذين يتناولونه بغير استحقاق. أي الذين لم ينقوا ضمائرهم بالإعتراف ولم يستعدوا الإستعداد اللازم قبل أن يتقدموا إليه» وقال الذهبي فمه «أريد أيها الأخوة أن أذكركم بما قلته لكم مراراً كثيرة عن الوقت الذي نتناول فيه من أسرار المسيح المقدسة فإني حين أراكم في انحلال «تهاون» وعدم مخافة تستوجب النوح أبكي وأقول في ذاتي العلي هؤلاء غير عارفين من هو الذي يقفون أمامه ولم لا يتأملون في قوة السر؟ وهكذا احنق واستاء بغير إرادتي ومن ضيقة النفس أحاول الخروج من وسطكم وإذ وبخت أحدكم لا يكترث أبداً لكلامي بل يتقمقم على كأني ظلمته يا له من عجب أن ظالميكم والآخذين لما لكم لا تغضبون عليهم بمقدار غضبكم على أنا الذي أريد خلاصكم أنا خائف عليكم ومرتعد جدا لعلمي بالمجازاة التي تصير لكم من الله عوض تهاونكم بهذا السر العظيم. يا ترى هل تعلمون ما هو الذي تريدون أن تتناولوا منه؟ هو الجسد المقدس الذي لله الكلمة ودمه الذي بذله عن خلاصنا هذا الذي إذا تناول منه أحد بغير استحقاق يكون له عقوبة ومحقاً كما كان يهوذا الذي أسلم الرب بعد أن تناول منه بغير استحقاق أ. هـ عظة ١١ على ثلاثاء البسخة» وقال أيضاً. كما سلم يهوذا المسيح وأهانه هكذا يهينه المتناولون جسده بغير استحقاق».

والقديس كبريانوس أخبر أن بعضا من الذين أكلوا ذبائح الأوثان ثم تقدموا إلى الإفخارستيا اغتالتهم يد النعمة الإلهية فمنهم من بلى بالخرس ومنهم من أكل لسانه إلى غير ذلك من البلايا والمصائب [١] . والذهبي فمه قال: وكثيرون كانوا يعذبون من الشياطين لأجل ذلك فعلى المسيحي إذاً أن يهيئ نفسه ويصلح قلبه لأن الرب مزمع أن يصنع الفصح مع تلاميذه عنده مت ٢٦ : ١٨ فاستعد للقاء الرب إلهك: «ولا تنس أن الله يديننا لا عن الأمور التي نرتكبها فقط بل عن الفرص التي نهملها. فأهل اليسار يدانون يوم الحساب ليس لأنهم ارتكبوا جرائم بل لأنهم أخفوا وزناتهم وما تاجروا بها ممتنعين عن فعل أفعال الرحمة الشفقة والخدمة والمحبة فامتحن نفسك بهذا الإعتبار أيضاً». وتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشاً قلبك من ضمير شرير ومغتسل جسدك بماء نقي عب ١٠ : ٢٢ .



---

(١) الإستعداد للشركة وجه ١٠ .

الفصل التاسع
الواجبات المطلوبة من راغبي الإشتراك

أن الغرض من الإستعداد كما يقول العلماء اثارة الشوق في قلوب المؤمنين إلى المسيح وزيادة الترحاب به وبما أن الخطية هي العائق الكبير في سبيل ذلك الشوق فالإستعداد يساعد على اكتشاف الخطيئة ومصادمتها ونبذها حتى لا يكون مانع بينه وبين الرب، وهذا الإستعداد يقوم بثلاثة أمور رئيسية [١] بامتحان النفس وفحصها [٢] بالتوبة [٣] بالقيام بالواجبات التي يتطلبها الناموس الكنسي.

أولاً امتحان النفس: ـ يقوم (١) بالاعتقاد والإحترام اللائق لهذا السر الأقدس (٢) بالندم على ما ارتكب من الرذائل وأهمل من الفضائل (٣) بمراجعة الإنسان ضميره من جهة حفظ الوسائا وإتمام شروط «المحبة لله وللقريب» اللتين بهما يتعلق الناموس كله والأنبياء مت ٢٢ : ٤٠ . فمحبة الله التي هي الوصية الأولى العظمى تتضمن وصايا اللوح الأول. ومحبة القريب تتضمن وصايا اللوح الثاني راجع خر ٢٠ لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وأن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شر للقريب فالمحبة هي تكميل الناموس رو ١٣ : ٨- ١٠ .

ثانياً التوبة : هي شعور النفس بالخطية التي هي التعدي على شريعة الله يو ٣ : ٤ قولاً أو فكراً أو عملاً وتقوم (١) بترك الخطية والإقلاع عنها اش ١ : ١٦ ، ٥٥ : ٧ والهرب من الأسباب التي تقود إليها مت ٣ : ١ واع ٣ : ١٩ (٢) بالندامة عليها مز ٤ : ٤ وأع ٢ : ٣٧ (٣) بالإعتراف بها للكاهن

اعترافاً صادقاً وصريحاً لا ٥ : ٥ وعد ٥ : ٧ واع ١٩ : ١٨ ويع ٥ : ١٦ ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم ١ يو ١ : ٩.

والغرض من الإعتراف للكاهن اشهار نفسه أمامه كوكيل الله وطلب إرشاده وأخذ العلاج الروحي الملائم لمرضه واستعماله هذا العلاج لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب ١كو ٥ : ٥ ومتى أثمر ثمراً لائقاً بالتوبة ينال الحل من خطاياه يو ٢٠ : ٢٣ والإعتراف للكاهن واجب بإقرار البروتستانت أنفسهم فقد جاء في الصلوة العامة للأسقفين صحيفة ٢١٢ «إن كان أحد غير قادر أن يطمئن باله بهذه الوسيلة.. فليأت إلى أحد خدام الله ويكشف له كربه لينال فائدة الحل من خطاياه بواسطة خدمة كلمة الله. ليطمئن باله ويتحرز من شبهه وريبة. وعلق عليه أحد قسوسهم قائلاً: إن كلمة الله تقول اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا يع ٥: ١٦. وقد رأينا مواضع يجب فيها هذا الإعتراف... وهناك حوادث يجب الذهاب من أجلها إلى القسيس« والإعتراف له بما يفصله عن الله ويصده عنه تعالى.. لا تخف.. أن ما تبوح به لخادم الله لن يفشى لأن هذا لا يريد إلا أن يأتي بك إلى المسيح ويجعلك تقابله وجهاً لوجه إزالة لحملك الثقيل «الإستعداد للشركة صفحة ١٧» (٤) بالعزم على إصلاح السيرة والسير في طريق الكمال المسيحي اش ١ : ١٦ و ١٧ ومت ٣ : ٨ والإتكال على رحمة الله وموت المسيح والسلوك مع جميع الناس بالمحبة.

ثالثاً: القيام بالواجبات المأمور بها شرعاً نذكر هنا أهمها:

(١) طلب المغفرة من المساء إليه عملاً بقول المخلص «فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فأترك هناك قربانك قدام المذبح وأذهب أولاً أصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك مت ٥ : ٢٣ و ٢٤.

(٢) المغفرة للمسيء ومصالحته. قال الرب: وان أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. ان سمع منك فقد ربحت أخاك. وان لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. ان لم يسمع منهم فقل للكنيسة «القسوس» وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشارمت ١٨ : ١٥- ١٧ ولا يجب أن يخالط ولا يؤاكل ١كو ٥:٩ - ١٣ لأنه بهذا الصنيع قد انفصل من الكنيسة وصار بعيداً عن السلام والمحبة اغفروا يغفر لكم لو ٩ : ٣٧ فإنه من غفرتم الناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي وأن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم مت ٦ : ١٤ و ١٥.

(٣) الصلوة وطلب الرحمة من الله مز ٥١ ولو ١٨ : ١٣ ومغفرة الخطايا عز ٩ : ٦ الخ ونح ١ : ٥ الخ ومز ٢٥ كله ودا ٩ : ١٥- ١٩.

(٤) الصوم نح ١ : ٤ ودا ٩ : ٣ و يؤ ٢ : ١٢ والإنقطاع عن الطعام من ٦- ٩ ساعات قبل الإشتراك. وقد جاء في القوانين الكنسية «لا يتناول أحد القربان إلا وهو صائم نقي. ومن أفطر من المؤمنين والمؤمنات ثم تقرب أن كان فعل ذلك تهاوناً به فليفرز [١] وكل مؤمن فليجعل دأبه أن يتناول من الأسرار من قبل أن يذوق شيئاً ولا سيما أيام الصوم وإن كان له إيمان فليتناوله وإذا دفع له سم الموت فلا يؤلمه [٢].

(٥) هجر الفراش «لمن كان متزوجاً» ٣ أيام قبل الإقتراب من السر. نعم أن الزواج مكرم والمضجع طاهر عب ١٣ : ٤ ولكن. لأن ناموس الأداب والإحتشام والوقار يقضي أن يكون الإنسان عفيفاً أولاً. ولأن الله نفسه آمر به يؤ ٢ : ١٦ وقد حافظ على حرمة الجبل الذي خاطب إسرائيل منه وحذر

---

(١) الصفوي باب ١٣ : ١٧ رسطب ٤٣ بط ١ صفحة ١٤٧.
(٢) م: ١٨ بدس ٢٨ و ٤٣.

كل من لم يصم عن الإجتماع بزوجته ٣ أيام أن يدنوا من ذلك الجبل وقال الرب لموسى إذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم. وفعل موسى كما أمر الرب. وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا إمرأة خر ١٩ : ١٠ و ١٥ وصار ذلك واجباً على كل من تقرب إلى الذبيحة كما نرى واضحاً في مسألة داود لما أراد أن يأكل من خبز التقدمة فإن أبيمالك الكاهن قال له لا يوجد خبز محلل تحت يدي ولكن يوجد خبز مقدس إذا كان الغلمان قد حفظوا أنفسهم ولا سيما من النساء. فأجاب داود أن النساء قد منعت عنا منذ أمس وما قبله عند خروجي وأمتعة الغلمان مقدسة ١صم ٢١ ، ٤ و ٥ وإذا كان الله حافظ على حرمة الجبل وداود على حرمة خبز الوجوه فكم بسر الإفخارستيا الذي هو أعظم من الجبل وخبز الوجوه وكل المخلوقات ولأجل هذا تطلب الكنيسة من المتقدمين للتناول من سر الشركة عدم معرفة الزوجه قبل الإقتراب منه.

(٦) لأن الرسول نفسه استحسنه وأشار عليه في ١ كو ٧ : ٥ بقوله: لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلوة ثم تجتمعوا أيضاً معا لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم، والبروتستانت يسلمون بهذا بدليل وضعهم شاهداً على هذه الآية خر ٩ : ١٥ و ١ صم ٢١ : ٤ و ٥ و يؤ ٢ : ٦ وزك ٧ : ٣ وقد جاء في جريدة الحق سنة أولى صفحة ٣٩٠ ما نصه: أمر الله به في القديم خر ١٩ : ١٥ لا تقربوا امرأة راجع ١ صم ٢١ : ٤ و ٥ وصرح به الرسول ١كو ٧ : ٥ وقد اعتاد للناس منذ العصور الخالية أن يمتنعوا عن نسائهم عند الشروع في الأعمال المقدسة على ما ثبت من أقوال المؤرخين الأقدمين وكانت الشريعة اللاوية كذلك لا ١٥ : ١٨ وهذه السنة لا تزال بين الهنود والمجوس والمسلمين في القرآن س ٤ آية ٥٠ باعتراف البروتستانت راجع تفسير الخروج ص ١٩ . فكم أحرى يجب أن يكون ذلك في شريعة الفضل شريعة الكمال التي تأمرنا أن نكون متفرغين للصوم والصلوة بالطهر نفسا وجسدا وقلوبنا مهتمة بالأحرى إلى ما هو أسمى

وأفضل ونفوسنا مهيئة لإستقبال الرب لا على جبل سليمان بل في قلوبنا ولا يكلمنا بواسطة موسى بل بنفسه رأسا. أن القول بعدم وجوب الإهتمام بذلك إهانة للرب وانقياد وراء الشهوات الجسدية التي تحارب النفس والتي يجب أن نهربْ منها. وتفضيل للجسد على الروح واهتمام للجسد دون الروح مع أنه يجب أن نسمع قول الرسول لنكون نزيهين. وليفرض المتزوج كأنه غير متزوج ليهتم للرب. وإنها لدناءة وخسة وتعبد للشهوات عدم الإمتناع عن النساء وما جاء في ١ صم ٢١ : ٤ و ٥ يعلمنا كيف نستعد لمناولة القربان المقدس ويحذرنا كل الحذر من الإقتراب إلى مناولة جسد المسيح بغير استعداد فإنه إن كان محظوراً على اليهود وهم غير صائمين ومبتعدين عن زوجاتهم أكل ذلك الخبز المتقدم قرباناً للرب الذي لم يخرج عن حد البساطة ولم يفرق عن الخبز الذي نأكله كل يوم إلا في كونه دعى عليه باسم الرب وتخصص له فكم بالحرى محضور علينا ونحن غير أطهار في أنفسنا وأجسادنا الإقتراب إلى مناولة هذا الخبز الذي هو جسد ابن الله الحي المحيى والمغذي لأنفسنا وأجسادنا فلا يعترض بأن الزواج طاهر غير أن الصوم أطهر والخبز الذي نود أن نتغذى به هو كلي الطهارة فإحذر الإقتراب إليه فإنك تجد من يناجيك في سريرك قائلاً «هل صنت نفسك ولاسيما من النساء» فتضطر أن تجيب كما أجاب داود إلا فتقع في شر أعمالك وتأخذ اللعنة عوض البركة فتقتل نفسك وتهلك ذاتك كما أهلك يهوذا ذاته أ. هـ [1].

(٧) اجتناب المحادثات الباطلة والأشغال العالمية قبل وبعد التناول من السر الرهيب والإبتعاد عن كل ما يتأتى منه تعكير الضمير وتدنيس الفكر.

(٨) ممارسة الرياضة الروحية على انفراد مع الله والتأمل في آلام الرب

---

(١) راجع مرآة الحقائق الجلية صفحة ٢١٦.

وموته عن الخطاة ومحبته لشعبه وجوده في منحه إياهم ذاته طعاماً روحياً.

(٩) جمع الحواس ولم شقت الفكر والتقدم إلى الله بهيبة وخشوع والإقتراب من السر بكل ورع وخضوع كغير مستحق للتناول منه.

(١٠) تقديم الشكر لله «بعد وقبل التناول» الذي مع كونك أسأت إليه أحسن إليك بنفسه وأهلك للتناول من مائدته الإلهية. وألتمس منه أن يجعله نوراً لك لا ناراً. وبركة لا لعنة وحيوة لا موتاً وخلاصاً لا هلاكاً. وثباتاً لا انفصالاً كما ويساعدك على النمو في الحيوة الروحية وأختم ذلك بصلوة مز ١٠٤ الخ.

(١١) بعد الخروج من الكنيسة يجب التحفظ من الخطأ باللسان مز ٢٩ : ١ أو بإحدى الحواس الظاهرة وحفظ النفس من دنس العالم يع ١ : ٢٧ والسلوك كما يحق لإنجيل المسيح في ١ : ٢٧ لأن هذا يؤهل النفس لدوام الإشتراك مع الله في الحيوة الدنيا وللتناول من الوليمة السموية يوم عشاء عرس الحمل رؤ ١٩ : ٩.

(١٢) مطالعة الكتاب المقدس فإنه خير مرشد إلى الطريق الصالح الذي إذا سار فيه الإنسان وجد راحة لنفسه.

(١٣) حض الآخرين على الحيوة المسيحية والقيام بهذه الواجبات الروحية والعمل على جذبهم إلى المسيح لكي يشتركوا في وليمة نعمته ويفوزوا ببركته.



الفصل العاشر

فوائد التناول من جسد الرب ودمه

أن لسر الإفخارستيا فوائد روحية ونتائج عظمى خلاصية يحصل عليها من تناوله بإستحقاق وهي واضحة في كتاب الله العزيز وليس من غرضنا الآن شرح هذه الفوائد أو تعداد هذه النتائج واحدة فواحدة فإن هذا مما يقتضى لشرحه وتبيانه كتاباً قائماً بنفسه. وإنما غرضنا أن نأتي على اختصها وأهمها كما هي مدونة في كتاب الوحي لتحريك النفوس الفاترة وإيقاظ القلوب الغافلة عن الإشتراك في هذا السر الإلهي وتنبيه أولئك المتراخين في واجباتهم الدينية والغير مهتمين بحياتهم الروحية الذين جعلوا همهم قاصراً على إعطاء الجسد رغائبه بدون التفات إلى مطالب النفس التي هي الجزء الأشرف في الإنسان وعليها يتوقف أما خلاصه. أو هلاكه - عساهم يفيقون من سنتهم وينتبهون إلى ما فيه خلاص نفوسهم وسعادتهم في هذه الدنيا وتلك العتيدة. ومن ثم يقبلون إلى الإشتراك في هذا السر العظيم لإجتناء أثماره الخلاصية والتمتع بمنافعه الروحية تلك التي تؤهلهم هنا لحيوة النعمة وهناك لحيوة المجد الأبدي مع الله في السماء.

أما هذه الفوائد فينحصر أهمها فيما يأتي :

أولاً : أنه يعطى لتطهير النفس وتنقيتها من أدران الخطية وتمتعها برحمة الله وغفران الخطايا. وذلك واضح من كلام الرب نفسه فإنه في الليلة التي أسلم فيها أعطى تلاميذه هذا السر وقال. خذوا كلوا هذا هو جسدي. الذي يبذل عنكم. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها

كلكم. لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا مت ٢٦ : ٢٦- ٢٨.

أما كونه يعطى لمغفرة الخطايا فذلك بإعتبار كون ذبيحة القداس هي عين ذبيحة الصليب التي تقدمت مرة واحدة على مذبح الجلجثة كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً ١ يو ٢ : ٢ راجع عب ٩ : ٢٧ ، ١٠ : ١٢. كيف لا وقد قال السيد له المجد. اصنعوا هذا لذكري لو ٢٢ : ١٩. والقديس بولس يقول: اننا كلما أكلنا من هذا الخبز وشربنا من هذا الكأس نخبر بموت الرب إلى أن يجئ ١كو ١١ :: ٢٦ ومما لا ريب فيه أن موت يسوع على الصليب كان لغفران الخطايا وبما أن الذبيحة واحدة فما حصلنا عليه بموت المسيح ننال أثماره بهذا السر إذ لا فرق بينهما فالمقدم والمقدم فيهما واحد إلا أن تلك كينبوع وهذه ذبيحة القداس كقناة تجرى إلينا منها أنهار الحيوة ونعم الله ومنها غفران الخطايا كما قال الآباء. عدا ذلك فإن الرسول قال أن من يتناوله بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه. ويأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ١ كو ١١ : ٢٧ و ٢٩ وهذا يدل صريحاً على أن من يتناوله بإستحقاق. يخلص. على وفق قول المخلص. في أمر المعمودية. من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن مر ١٦ : ١٦.

ثانياً: إن المسيح يحضر في القربان حضوراً سرياً ويحوله بروحه القدوس فلا يكونان حينذاك خبزاً وخمراً بسيطين بل جسد الرب ودمه الأقدسين ولا يمكن أن يحضر المسيح في القربان بدون فائدة. فبحضوره إلى العالم وهبنا النعمة والحق والحيوة يو ١ : ١٧ و رؤ ٥ : ١٨ وبتناولنا جسده ننال نفس هذه البركات.

ثالثاً: أنه يعطى لحيوة النفوس. فهو للنفس كالطعام للجسد فكما أن الجسد لا يحيا بغير الخبز كذلك النفس لا تحيا بغير هذا الخبر الحي النازل من السماء، وهذا قول الرب. الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم

الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حيوة العالم. أنا هو خبز الحياة. أباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي. والخبز الذي أنا أعطى هو جسدي الذي أبذله من أجل حيوة العالم يو ٦ : ٣٢، ٣٣، ٤٨، ٤٩ و ٥١ و ٥٧.

رابعاً: أن هذه الحياة الروحية التي ننالها من سر الإفخارستيا ليست حيوة وقتية أو زمنية بل حيوة دائمة وأبدية. أن الخبز الجسدي لم تكن له قوة على إحياء الإنسان حيوة دائمة. لأنه ليس بالخبز وحدة يحيا الإنسان مت ٤ : ٤ وكذا المن الذي أكله بنو إسرائيل في البرية فإنه لم تكن فيه قوة حيوة دائمة فمات الذين أكلوه ولكن بعكس ذلك جسد الرب ودمه فإن الذي يتناوله يحيا حيوة أبدية في المسيح يسوع كما قال له المجد. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن في البرية وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد يو ٦ : ٥٨.

خامساً: كما أن الخبز يغذي الجسد ويقويه وينميه كذلك الخبز السماوي فإنه يغذي النفس ويرويها ويقويها ويساعدها على النمو الروحي والسير في طريق الكمال المسيحي فهو طعامها الذي به تحيا. وهو غذاؤها الذي عليه قوامها. قال يسوع. خذوا كلوا هذا جسدي. واشربوا هذا دمي مت ٢٦ : ٢٦ أنا هو خبز الحيوة من يأكلني يحيا بي هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت يو ٦ : ٣٥ و ٥٠. فلا يتمالك متناوله من أن يهتف. ما أكرم رحمتك يا الله فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمتك تسقيهم لأن عندك ينبوع الحيوة مز ٣٦ : ٧- ٩ ثم يردف هذا القول بطلب الإنعام بهما عليه دائماً قائلاً. يا سيد اعطيني في كل حين هذا الخبز يو ٦ : ٣٤ وأعطني هذا الماء الحي لكي لا أعطش يو ٤ : ١٥.

سادساً: أنه ينعش النفس ويقوي عزيمتها وينشط إرادتها بنعمة جديدة لتكون حارة في الروح فرحة في الرجاء صابرة في الضيق مواظبة على الصلاة مجاهدة حتى الموت ضد الخطية حتى أن من كان قبل تناوله فاتراً شعر لدى تناوله بإنتعاش روحي عظيم وبارك الله قائلاً: ما أعظم وجودك يارب الذي ذخرته لخائفيك وفعلته للمتكلين عليك تجاه بني البشر مز ٣١: ١٩ فقد هيأت بجودك للمساكين يا الله مز ٦٧: ١١ ورتبت قدامي مائدة مز ٢٣: ٥ أن يوناثان ابن شاول لما تناول قليلاً من الشهد وقد أعياه التعب وأضناه السغب استنارت عيناه وانتعشت روحه وتجددت قواه وتمكن من غلبة الفلسطينيين ١ صم ١٤: ٢٧- ٣١.

هذا ما يحصل عليه المؤمن لدى تناوله من خبز الحيوة إذ تنجلي عينا قلبه وتستنير نفسه وتنتعش روحه وتسترد قوتها المعنوية وتنشط عزيمتها المسترخية. ولقد سار تلميذا عمواس مع المسيح في الطريق إلى أورشليم وكان يكلمهما ومع أن قلبهما كان يلتهب فيهما إلا أنهما لم يعرفا إلا بعد أن كسر الخبز وأعطاهما حينذاك انفتحت أعينهما وعرفاه لو ٢٤: ٢٨- ٣٣.

ولا ريب أن يسوع قد صار لنا من الله حكمة وقداسة وبراً وفداء ١ كو ١: ٣٠. فالمسيحي لا يستطيع أن يعيش منتعشاً بدون افتقاد يسوع له ولذا كان عليه أن يدنو منه ويتناوله كدواء خلاصي لئلا يخور في الطريق من عدم القوت السماوي.

سابعاً: أنه يستأصل جرثومة الموت المتأصلة فينا من جراء معصية آدم. إذ لا يخفى أن كل تصورات الإنسان مائلة إلى الشر منذ حداثته فإذا لم يتدارك بالعلاج الإلهي صارت عاجلاً إلى أسوأ حال ولذا قال يسوع الحق الحق أقول لكم أن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حيوة فيكم يو ٦: ٥٢.

ثامناً: أنه يثبتنا في المسيح إلى النهاية. وبثباتنا في المسيح وبثباته فينا هو

اتحاد جسده بجسدنا كما يتحد الغذاء بالجسد ولذا قال الرب. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه يو ٦ : ٥٨ قال البروتستانت في تفسيرهم هذه الآية «ويتضمن ثبوت المؤمن في المسيح الإتحاد به والمشابهة له والموافقة له في الإرادة والتمتع برضاه والأمن من الخوف والتعزية في الضيق والنجاة من الدينونة يو ١٥ : ٥، ١٧ : ٢١- ٢٣ وغل ٢ : ١٧ و ٢٠.

تاسعاً: أنه يصيرنا «نحن المسيحيين» واحداً في المسيح ومتحدين به اتحاداً روحياً وقد أوضح الرسول هذه الحقيقة بقوله. أننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد ١كو ١١ : ٢٦ ومفاد ذلك كما قال آباء الكنيسة أنه كما أن الخبز الذي نتناوله هو واحد حقاً وهو جسد المسيح كذلك نحن كلنا جسد واحد وكلنا نتحد بالمسيح في تناولنا جسده اتحاداً حقيقياً كما يتحد المأكل بمن أكله وكما أن الخبز يتكون من حبات كثيرة ويصير واحداً كذلك نحن المؤمنين فإننا بتناولنا خبزاً واحداً نصير جسداً واحداً في المسيح «إذ فبتناولنا جسد الرب ودمه نصير كما يقول آباء الكنيسة أعضاء جسده وحاملي المسيح ومشاركي طبيعته الإلهية» الأنوار وجه ٢٧٣.

عاشراً: أنه يكسب النفس شعوراً جديداً من نحو محبة المسيح إذ نتذكر به موته عنا وبذل نفسه لأجل خلاصنا فتضطرم قلوبنا بمحبته وتصبو نفوسنا إليه ويزداد شغفنا به لتحيا به حيوة جديدة - بحسب مشيئة الله - حيوة الإيمان تلك الحيوة التي تجعل الإنسان لا يحيا لنفسه فيما بعد بل الذي مات وقام لأجله ٢كو ٥ : ١٥ ولذا قال يسوع لتلاميذه اصنعوا هذا لذكري لو ٢٢ : ١٩ والرسول أوضح هذه الحقيقة بأجلى بيان بقوله. لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً. وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المسفوك لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم

كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ ١كو ١١ : ٢٣- ٢٦.

إحدى عشر: أنه يعطى كعربون لقيامتنا للحيوة الأبدية. قال يسوع من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حيوة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير يو ٦ : ٥٤.

وبالإجمال أن هذا السر السامي الجليل هو خلاص النفس والجسد ودواء لكل داء روحي «فيه تشفى عاهات النفس وتقمع الشهوات وتقهر التجارب أو تنقص وتفاض نعم غزيرة وتزداد الفضيلة نموا ويثبت الإيمان ويقوى الرجاء وتضطرم المحبة وتمتد اتساعاً. بل بقوة هذا السر تعطى النعمة الروحية فتفيض في النفس الفضيلة المفقودة وتعيد إليها جمالها المشوه بالخطية. أن هذه النعمة هي عظيمة بهذا المقدار حتى أنه ليس الروح فقط ينتعش بملء فيضانها بل تزداد به أيضاً قوى الجسد الضعيف نشاطاً، الإقتداء المسيحي وجه ٤٩٦ و ٥١٨.

قال صاحب الأنوار : ولكونه غذاء خلاصيا يقوي الجسد ويغذيه ويغذي النفس أيضا ويقويها ويحييها ويشفي الضعف الأدبي منها منقياً النفس من الخطايا ويقدس النفس والجسد ويجعلنا غير متزعزعين وغير مغلوبين في جهادنا في سبيل التقوى ضد أعداء خلاصنا وجه ١٧٤.

تلك أثمار السر الخلاصية التي أجمعت على صحتها واعترفت بها سائر الكنائس المسيحية شرقاً وغرباً. ونفس هذه النتائج تذكرها الكنيسة في صلوة الإعتراف في نهاية القداس حيث تقول بلسان الكاهن «أؤمن أن هذا هو الجسد المحيئ الذي لربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وأنه يعطى عنا خلاصاً وغفرانا لخطايانا وحيوة أبدية لمن يتناوله، ثم تقول في صلوة قبل التناول «يا رئيس الحيوة إجعلنا أهلا أن نتناول من جسدك الأقدس ودمك الكريم. وليصيرنا تناولنا واحدا معك».

ونفس هذه النتائج يقررها آباء الكنيسة في الأجيال الأولى فالقديس أمبروسيوس يقول: كيف يموت من كان طعامه الحياة [1] ثم قال: أن المقصد الأصلي من الإشتراك بالأسرار الطاهرة هو الإشتراك بالحيوة الأبدية[2] والذهبي فمه يقول أننا نتحد بالمسيح في الإفخارستيا لا بالمحبة ورضى الإرادة فقط بل بالحقيقة والجوهر [3] والقديس كيرلس يقول «أن الرسول أشار إلى المن ثم إلى الماء الذي أخرجه موسى من الصخرة ولكن يظهر لي أنه يقابله جسده ودمه مع كل مأكل ومشرب آخر ويبين أن لا مأكل ولا مشرب يقيت النفس حقيقة للحيوة الأبدية إلا جسده ودمه»[4] وقال القديس أغناطيوس في رسالته لأهل أزمير: «أن سر الشكر دواء لعدم الموت وحرز ضد سلطان الموت وتثبيت للحيوة الأبدية يسوع المسيح» والقديس ايريناوس يقول «أن أجسادنا بعد اشتراكها بالشكر الإلهي لا تبقى فاسدة بل يكون لها رجاء القيامة للحيوة الأبدية» وقال القديس كيرلس أيضاً أن الله يتحد معنا بالجسد كالإنسان وبالروح في القربان المقدس كالإله وبنعمة روحية يرشدنا إلى الحيوة الجديدة وإلى شركة الطبع الإلهي إذ هو يتحد معنا ومع الآب كالحلقة بل نكون متحدين مع بعضا فإن جميعنا نأكل من الطعام الواحد ونشرب شراباً واحداً لنكون واحداً معه كما قال الرسول ١كو ١١ : ١١- ٢٦ .

هذه أقوال آباء الكنيسة وهي تعليم الكنيسة الجامعة في كل مكان وزمان عن نتائج سر الشكر الإلهي ولا بأس من أن نأتي هنا على أقوال الكنيسة الأسقفية فقد جاء في كتاب الصلوة العامة وجه ٢١٠ ما نصه

---

(١) على مز ١١٥ خطبة ١٨ زك ١٠ : ٤٩ .
(٢) على يو خطبة ٦١ .
(٣) على يو ٦ .
(٤) ضد الهراطقات ٤ : ١٨ - ٤ و ٥ ويوستينوس احتجاج ١ : ٦٦ «عن الأنوار» .

«يجب علينا أن نقدم شكراً خشوعياً قلبياً لله أبينا السموي لأنه سمح بإبنه.. لا ليموت فقط لأجلنا بل ليكون أيضاً قوتاً وغذاء روحياً في هذا السر الطاهر ولأنه تعزية إلهية للذين يتناولونه وهم يستحقون لأنه كما أن الفائدة تكون عظيمة في قبولنا هذه الشركة المقدسة بقلب مثبت حقيقة وبإيمان حي ونحل في المسيح والمسيح فينا ونتحد مع المسيح والمسيح معنا.. كذلك الخطر يكون عظيماً إذا تناولنا منها ونحن غير مستحقين وجه ٢١٤ وعند المناولة يقول: «أنعم علينا يا ربنا الكريم بأن نأكل جسد ابنك يسوع المسيح ونشرب دمه لتطهير أجسادنا الأثيمة بجسده وتغتسل أنفسنا بدمه الكريم ونسكن فيه وهو فينا أبداً دائماً آمين» وجه ٢١٩.

وأن البروتستانت أنفسهم الذين يعلمون أن العشاء الرباني ليس إلا خبزاً وخمراً بسيطين وأنه إشارة فقط إلى جسد المسيح يعترفون بالنتائج العظيمة التي ينالها المؤمن من اشتراكه بهذا السر المقدس. وهاك أقوالهم نقلا عن كتبهم فقد جاء في تفسيرهم «١كو ١١ : ٢٠ - ٢٨» ما نصه: «أن هذا دليل على أن هذا السر ليس وقتيا كعيد الفصح بل أنه يدوم إلى نهاية النظام الحاضر وأنه فوق كونه إعلاناً لموت المسيح عربون محبة ثابتة بلا خطية للخلاص» عب ٩ : ٢٨ أننا إذا تقربنا إلى مائدة الرب بكل تواضع بغية أن يطعمنا منها لكي لا نجوع وأن يسقينا منها لكي لا نعطش أبداً. وجاء في الملاحظات الختامية لهذا الأصحاح «أن المسيح قصد بالعشاء الرباني تذكير أتباعه ما احتمله من أجلهم وربطهم به برباط المحبة والشكر وربط بعضهم ببعض من كل رتبة في كل زمان ومكان ليكونوا كأهل بيت واحد لأكلهم من خبز واحد وأعضاء جسد واحد رأسه المسيح. أن مائدة الرب محل تجديد العهود وذكر المراحم. ونيل زيادة النعمة ومحل الراحة والإنتعاش وتجديد القوى للنفوس المتعبة. أنها فئة تقدر أن ترى منها بعين الإيمان جلياً شقاء الحال التي نجانا المسيح منها ومجد الميراث الذي اشتراه لنا. أنه إذا نظرنا إلى استحقاقنا نرى أننا لسنا أهلا للإقتراب من مائدة الرب إذ ليس للملائكة مثل تلك النعمة. وأما نعمة الرب يسوع تجعل أقل

المسيحيين أهلا لذلك إذا اقترب إليها بالإيمان والتوبة والتواضع. أنه يجب على كل إنسان أن يشترك.. ولا يجوز أن يعتزل العشاء الرباني بحجة أنه غير مستحق لأنه غير مستعد إذ بقاؤه في تلك الحال خطية فوق خطية. أنه يستحيل أن يأتي أحد إلى مائدة الرب ويرجع كما أتى لأنه أما أن يأكل ويشرب بركة لنفسه ونموه في المحبة والإيمان والشكر. أو يأكل ويشرب دينونة لنفسه راجع تفسير كو ١١ صحخيفة ١٣٦ و ١٣٩. هذه أقوال البروتستانت التي كلما قرأناها وقعنا في حيرة لا ندري كيف نوفق بين قولهم أن العشاء الرباني فريضة وإشارة فقط لموت المسيح. وأن الخبز ليس جسده والخمر ليس دمه بل يشيران إليهما – وبين أقوالهم هذه التي تدل صراحة على اعتقاد تام بأن الإفخارستيا سر لا فريضة وجسد الرب حقا ودمه حقا لا إشارة. وإلا لما كان لها مثل هذه النتائج العظمى التي ينالها المشترك بإستحقاق؟؟



الفصل الحادي عشر
مكملي خدمة القداس

تنحصر خدمة القداس «تقديس سر الإفخارستيا» في الأساقفة والقسوس فقط والأدلة على ذلك كثيرة.

أولاً: «**من العهد القديم**»: أن تقديم الذبائح التي كانت رمزاً لذبيحة الصليب كان خاصا بالكهنة دون غيرهم خر ٢٨ : ١ وعب ٥ : ٤ وملكي صادق كاهن الله العلي الذي جاء المسيح على رتبته مز ١٠٩ : ٤ قدم خبزا تك ١٤ : ٢٠ وتقدمته كانت رمزاً لتقدمة القداس الطاهرة «التي من خبز وخمر» ولا يقدمها إلا كاهن الله العلي مثله. وأنبياء العهد القديم تنبأوا عن تقدمة القداس ومقدميها الكهنة دون غيرهم راجع مز ١٣٢ : ١٣ واش ٥٦ : ٧ قابل هذا مع مت ٢٦ : ٢٨ وار ٣٨ : ١٧ - ٢٦.

ثانياً: «**من العهد الجديد**»: هذا واضح [١] من نفس كلام السيد لتلاميذه فإنه بعد أن أعطاهم السر قال لهم: «اصنعوه لذكري لو ٢٢ : ١٩ فبقوله هذا فوض إلى الرسل وبأشخاص الرسل إلى جميع الأساقفة والقسوس سلطان التقديس وإلا لكان أمره لهم بأن يصنعوه مثلما صنع مستحيلاً. [٢] من قول الرسل. كأس البركة التي نباركها والخبز الذي نكسره ١كو ١٠ : ١٦ وبه أوضح أن حق تقديس سر الإفخارستيا خاص بهم وحدهم وخلفائهم أي الأساقفة والكهنة لأنه قال «التي نباركها» لا

---

(١)، (٢) ق. ر ٣ واعتراف الرأي القويم قسم ١ سؤال ١٠٧ ورسالة البطاركة فصل ٧ عن الأنوار ١٥٧.

التي تباركونها. «والذي نكسره» لا الذي تكسرونه». ومن مراجعة سفر الأعمال ١٣ : ٢ يتضح أن الرسل هم الذين كانوا يمارسون هذا السر.

ثالثاً: الأوامر الرسولية [(١)] وأقوال المجامع المسكونية والمكانية وشهادات الآباء في الأجيال الأولى تؤيد هذه الحقيقة فالقديس دينوسيوس الأريوباغي يقول رئيس الكهنة.. يقدس الأسرار الإلهية وهكذا يوستينوس الشهيد [(٢)] وترتليانوس [(٣)] وباسيليوس الكبير [(٤)]. وجاء في ق ١٨ لمجمع نيقية الأولى ما نصه «لقد بلغ المجمع الكبير المقدس أن الشمامسة في بعض الأماكن يناولون الافخارستيا للقسوس وهذا لم يسلمه القانون ولا العادة أعني أن يناول الذين لا سلطان لهم أن يقدموا جسد المسيح للذين يقدمونه «أي الأساقفة والقسوس الخ [(٥)] وق ٥٨ لمجمع لاذقية يقول لا يجوز أن يقدم الأساقفة والقسوس التقدمة في البيوت».

رابعاً: إجماع الكنائس الرسولية شرقاً وغرباً دليل ساطع على صحة ذلك راجع شرح الكاثوليك على العهد الجديد صفحة ٥٠٨ والأنوار في الأسرار صفحة ١٥٧- ١٥٩ والبروتستانت يعترفون بهذا الحق للقسوس وحدهم راجع الصلوة العامة للأسقفين وقال الدكتور يوحنا هوج في كتاب مرآة الإكتشاف ما نصه «أن المسيح أعطى الكنيسة رعاة ومعلمين لأجل عمل الخدمة. هذه الخدمة تتضمن ما هو ضروري لتكميل القديسين وبنيان

---

(١) ق. ر ٣ واعتراف الرأي القويم قسم ١ سؤال ١٠٧ ورسالة البطاركة فصل ٧ عن الأنوار ١٥٧.

(٢) احتجاج ١ : ٦٥.

(٣) في الأكليل فصل ٣.

(٤) رسالة ٩٣.

(٥) راجع أيضاً ق ١ المجمع أنقره وق ٤ لمجمع قرطجنة عن الأنوار في الأسرار صفحة ١٥٨.

جسد المسيح فإذاً هذه الخدمة تتضمن ممارسة العشاء الرباني إلا إذا كان ذلك غير ضروري لتكميل القديسين وبنيان جسد المسيح وقال أيضاً رأي المجمع هو رأي جميع الكنائس المسيحية منذ العصر الرسولي إلى الآن.. وأنه قد مضى نيف و ١٨٠٠ سنة من الليلة التي فيها رسم المسيح العشاء الرباني قبل أن يخطر على بال إنسان جواز أو لياقة ممارسة خدمة العشاء الرباني من أناس خلاف الخدام القانونيين صفحة ٥٨ و ٩١ وشهد موسهيم المؤرخ البروتستانتي بهذا أيضا بقوله «أما النوع الثاني» العبادة الجمهورية بنظام وهم واقفون تحت مراقبة أسقف أو قس ويتلون صلوات معينة وفصولاً مقدسة وعند قراءة الإنجيل يقفون مكشوفي الرؤوس وبعد ذلك يقدم العشاء الرباني ويأخذ أشخاص معينون أي الشمامسة بالترتيل «إلى أن يكرسه الأسقف أو القس فقط» بصلوات مخصوصة ويجيبه الشعب آمين. الخ وكما أن الكنيسة ما سمحت لسوى الأسقف أو القس أن يقدم العشاء الرباني كذلك لم يسمح لغيرهما أن يقدس ماء المعمودية ويعمد كما قال مار اغناتيوس في رسالته لأهل أزمير: «لا يسمح لكم أن تعمدوا بدون أسقف أو تقربوا قرابين أو تقدموا ذبيحة» ك ١ قرن ١ فصل ٥ وتاريخ الإنكليز المطبوع بمالطة ف ٤ ق ٢ راجع الخريدة النفسية ق ٢ رأس ٤ :١ صحيفة ١١٤.

أما الشمامسة فغير مصرح لهم بذلك إذ لم يعطوا هذا الحق كما يتضح من مراجعة سفر الأعمال ٦ : ٢ - ٤ مع ٢ : ٤٢ وقد كانت واجباتهم أن يحضروا ويخدموا الأساقفة والقسوس فقط في تتميم سر الأفخارستيا (١) ويقدموا الكأس للإشتراك (٢) «أما الشعب ممنوع بصرامة لا عن تتميم السر فقد بل عن خدمته الخدمة البسيطة أيضاً عند الأساقفة والقسوس والشمامسة» الأنوار في الأسرار وجه ١٥٩.

---

(١) امبروسيوس في واجبات الخادم ١ : ٤٨ و ٢١٤ و ق ١٨ لمجمع نيقية.
(٢) أوامر الرسل ك ٤ : ١٣.

الفصل الثاني عشر
الواجبات المطلوبة من مكملي السر

على الشعب واجبات مفروضة «سبق ذكرها» ويشترك فيها خادم السر الذي عليه واجبات كثيرة خاصة به نذكر أهمها حسب تعاليم الآباء والقوانين الكنسية.

أولاً: أن يكونوا مقدسين نفساً وجسداً. قال القديس غريغوريوس الثاولوغوس «على راعي الكنيسة أن يقف مع الملائكة وأن يسبح مع رؤساء الملائكة وأن يقدم الذبيحة على المذبح الذي هو في الأعالي وأن يقدس الأسرار مع المسيح وأن يعمل كل شئ للبنيان، وقال أيضاً «أنه لمشين بالإنسان أن يأخذ على عاتقه العمل المقدس ولا يتقدس كأن يقبل إلى قدس الأقداس بأيد غير مغسولة ونفس مدنسة فكأن خدمة الهيكل لا يعدون وظيفتهم مثالاً للفضيلة فيتزاحمون ويتضاربون حول المائدة المقدسة ظانين أن وظيفتهم هذه ليست مثالا للفضيلة بل وسيلة لإقتناء أسباب المعاش. ولا يفكرون بما على صاحبها من المسؤولية العظمى حاسبين إياها سلطة غير محاسبة عما تأتي به من الأفعال فمثل هؤلاء الخدمة القليلي التقوى الذين وهم في حالة السعادة يستوجبون البكاء والنحيب كادوا يكونون أكثر عدداً من مرؤسيهم».

والذهبي فمه يقول: «كيف يجب أن يكون ذاك الذي يصلي عن بلدة بأسرها لا بل عن العالم كله ويطلب من الله تعالى مغفرة خطايا الأحياء والأموات أيضاً؟ بالحق أنا أعد جسارة موسى وإيليا غير كافية لذلك لأن الكاهن يتقدم إلى الرب كأنه موكل عن كل العالم وكأب للجميع ويصلي

لكي يمنع الله الحروب ويخمد الفتن ويطلب تعميم السلام وخصب أثمار الأرض وزوال المصائب لذلك يجب أن يفوق من يصلي عنهم بمقدار ما يفوق المحامي المحامى عنه وأي نقاوة تطلب منه حين يستدعى الروح القدس ويكمل الذبيحة الإلهية الرهيبة ويلمس سيد العالم بل يضعه في قلبه. وأي نقاوة يجب أن تحويها تلك الأيدي التي تخدم ذلك؟ وكيف يجب أن يكون اللسان الذي يفوه بكلمات التقديس؟ وكم تكون مقدسة النفس التي تقتبل الروح الكلي قدسه؟ فإن الملائكة وكل الطغمات السموية تقف أمام ذلك الكاهن على المائدة المقدسة متهللة ان كان لك على عدو غيظ فاطرحه عنك. اشف الجراح. حل العداوة لأنك قادم على ضحية رهيبة» ك ٦: و ١٠٦ و ١٠٧.

تأمل ترى أنه قد شبههم بالمحامين والشعب بالمتهمين فكما يكون المحامي أكثر جرأة ومقدرة وكفاءة وعلما بما أخذ على عاتقه. عمله وفطنه في أساليب الدفاع وأفصح لساناً وأبلغ بياناً من المتهم هكذا الكاهن يجب أن يكون أكثر تقوى وورعاً ومخافة ورهبة لله ونقاوة قلب وصفاء ضمير ونية ليكون مستحقاً لمباشرة خدمة السر المقدس وشفيعاً للشعب أمام العزة الإلهية:

ثانياً: بما أن طهارة النفس واجبة كذلك طهارة الجسد مطلوبة من مكمل السر. وغير ما ذكرناه من الواجبات العمومية أن يغسل رجليه قبل أن يدخل الهيكل ويباشر الخدمة الإلهية وقد اعتادت الكنيسة أن تفعل ذلك قبل تقديس السر اقتفاء لآثار يسوع الذي قبل أن يسلم السر لتلاميذه غسل أرجلهم وقال. الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا على غسل رجليه بل هو طاهر كله يو ١٣: ٥ و ١٠ والكنيسة أمرت به كعلامة ظاهرية يشار بها إلى التطهير الباطني جا ٥: ١ والنظافة على كل حال واجبة للجسم ومطلوبة ٢كو ٧: ١ وعب ١٠: ٢٢ ولما كانت الأرجل أكثر تعرضا للوساخة كما يرى كل واحد منا في جسده باختباره لذلك خصصت بالغسيل. نعم أن الشيء الجوهري للكاهن وغيره عند تقدمة السر هو نظافة

القلب وغسل النفس من أو حال الأرجاس والذنوب ١ش ١ : ١٦ ار ٤ : ١٤ وعب ١٠ : ٢٢ إلا أن هذا لا ينفي وجوب نظافة الجسد وطهارته أيضاً تك ٢٥ : ٢ لاسيما والرب أمر به كهنته قديماً خر ٣٠ : ١٩- ٢١ وقد اعتاد القدماء أن يفعلوا ذلك لمضيفيهم تك ١٨ : ٤.

ثالثاً: أن يكون لابسا أثوابا نظيفة مرتبة لائقة بالخدمة مقلماً أظافره.

رابعاً: أن يفرش المذبح وينظفه ويرتب أواني الخدمة واضعاً كلا منها في موضعه بعد أن ينظفها مما علق بها من الغبار.

خامساً: أن يفحص الخبز والخمر جيداً حتى لا يكون الأول مشقوقا أو مكسوراً لأن القربان المشقوق أو المكسور لا يجوز تقديمه شرعاً [١] ولا تكون الثانية مفسودة أو مغشوشة لأن القوانين الكنسية تأمر أن لا يرفع منه إلا ما كان زكياً نقياً [٢] وإذا وجد أحدهما غير لائق يجب أن يستبدله.

سادساً: أن يباشر الخدمة بهيبة ووقار لا بعجب وافتخار غير متفنن في صوته ولا في أسلوب صلوته قال باسيليوس: والذين يرتلون على المذبح لا يرتلوا بلذة بل بحكمة ق ٩٧.

سابعاً: أن يكون متنبهاً يقظا موجهاً قلبه وعقله وذكره إلى الله متأملاً في هيبة الواقف أمامه وفي جلال السر الذي يباشر تقديسه «فإن الملائكة وكل الطغمات السموية تقف إذ ذاك أمام الكاهن على المائدة المقدسة متهللة كما يقول الذهبي فمه ك ٦ : ١٠٦ على الكهنوت».

ثامناً: أن يصلي بكل هدوء وتأن لا بإنزعاج وعجلة. لاسيما عند صلوة استدعاء الروح القدس.

---

(١) باسيليوس ق ٦٨ الصفوي وجه ١٤٦.

(٢) باسيليوس ق ٩٩.

تاسعاً: أن يقسم الجسد بهدوء جزءا جزءا ويتحرز من وقوع شئ منه ويفصل بقدر. وليكن ملء فهم متناوله بحيث يمكنه إدارته فيه وليكن على كل جوهرة منه صليب مثالا للصليب المقدس «ق ٩٧ س الصفوي وجه ١٢٤».

عاشراً: إذا تكاملت الصلوة كلها فليعترف القسوس بالثالوث الأقدس وليهتف الشعب جميعه بتلاوة الإعتراف وليقل القس بلسان كبير الشمامسة. من كان طاهراً فليدن من الأسرار المقدسة. ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت. من كان له عثرة مع صاحبه. من كان عنده فكر زنى. أو كان ثملاً من الخمر فلا يدن. «ق ٩٧».

أحد عشر: «لا يجوز لقس لم يحضر القداس من بدايته أن يتقدم ليقسم ولا يأخذ بيده الجسد «خرسطا» الصفوي صفحة ١٢٥.

إثنا عشر: أما المتقدمون إلى مائدة الرب فيجب أن يكونوا من أعضاء الكنيسة الذين دخلوا إليها من باب المعمودية وتبنوا لها وصاروا ورثة جميع الخيرات التي منحها الرب للكنيسة كقول الرسول. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد ١كو ١٠ : ١٧ والقديس يوستينوس الشهيد يقول «هكذا الغذاء يدعى عندنا شكراً ولا يسمح لأحد يشترك به إلا للمؤمن بأن ما نعتقده حقيقي وهو الذي استحم بحميم غفران الخطايا وإعادة الولادة كما سلمه المسيح» احتجاج ١ : ٦٦ عن الأنوار ١٥٩.

ثلاثة عشر: إذا علم أن بين المتقدم للتناول وبين غيره خصاماً أو عداء أو أنه مشهور برداءة السيرة أو سبب ضرراً للقريب فليمنحه حتى يصالح أخاه ويصلح طريقة ويصنع أثماراً لائقة بالتوبة وإلا فليصيبه ما أصاب يهوذا الدافع.

أربعة عشر: أن لا يقبل ولا يرفع إلا تقدمات المؤمنين ذوي السيرة

الحسنة. أما غير المؤمنين والقتلة والزناة واللصوص والسكيرين وظالمي الأرامل والأيتام والذين يعيشون في الموازين وسائر المخالفين للناموس فيرفضها م ص ١٤٥» ولا يراعى في قبولها الجاه والسؤدد بل يجب أن يؤنب الخاطي على خطيته حتى يرتدع عن غيه ولا يكون سببا للشك وحجر عثرة في سبيل دخول غيره إلى الباب ليطلب المغفرة مرتكناً على أنه قدم قرباناً لكي يكون مقبولاً عند الله الذي لا يقبل بأن يأتي إليه خاطئ إلا إذا تاب توبة حقيقية على أن لا يعود إلى ما كان عليه والقوانين تنصح الكاهن «بأن يكون بعيداً عن المخالفين فلا يقبل منهم شئ حتى يعودوا إلى حضن الكنيسة معترفين بخطيتهم فيقبلهم كما قبل الإبن الضال. أما تقدمة الأشرار فإنها مكرهة الرب كما أن صلوة المستقيمين مرضاته أم ١٥ : ٨ فكم بالحري عندما يقدمها بغش أم ٢١ : ٢٧ : راجع الصفوي تذييل وجه ١٤٥.

خمسة عشر: أن لا يقبل قرابين الممنوعين الذين ربطتهم الكنيسة نيق ٣٠، ولا يقرب غير مؤمن ولا ممنوع.. دسق ٣٨ رسطب ٤٤» وذلك لأن الرسول يأمر باجتناب كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه من الرسل ٢ تس ٣: ٦ ثم قال: كتبت إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة. وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم. وأما الآن فكتبت إليكم أن كان أحد مدعو أخا زانيا أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا. لأنه ماذا لي أن أدين الذين من خارج. ألستم أنتم تدينون الذين من داخل. أما الذين من خارج فالله يدينهم. فاعزلوا الخبيث من بينكم ١كو ٥: ٩- ١٣ فمثل هؤلاء لا يجب أن يشتركوا مادامو ممنوعين. أما غير المؤمن فلأنه يهزأ بالسر والمسيح نفسه نهى عن إعطاء القدس للكلاب وطرح دررنا قدام الخنازير مت ٧: ٦.

والبروتستانت يسلمون بهذا معنا. قال الدكتور يوحنا هوج في كتاب مرآة الإكتشاف صفحة ٥٨. فالظاهر أنه في ممارسة الإشتراك يقتضي أن تجتمع الكنيسة بهيئة منظمة وليست بصفة بعض أفراد منها وأن خدام

الكلمة يتخذون في الإجتماع المقام المعين لهم في الكنيسة المنظورة دون المقام المشترك بينهم وبين سائر العضوية في الكنيسة غير المنظورة وأنه كما يطلب منهم أن يفسروا مفاد الشركة ومضمون للتعهد.

كذلك يطلب منهم أن يؤخروا عن الشركة من كان غير فاهم معناها أو غير قابل شروطها أو غير سالك بموجبها وفي كل ذلك ينصرفون ليس كونهم أعضاء في الجسد السري بل بصفة كونهم خدام المسيح في كنيسته المنظورة مقامين فيها لنفس هذه الغاية أ. هـ.

ستة عشر: «أما من كان محروماً لجرم وطلب تناول القربان عند دنو وفاته فلا يمنع منه ولا يؤخر عنه فإن عوفي من مرضه فليشترك مع المؤمنين في الصلوة فقط ق ١٣ لنيقية والصفوي ١٤٦ : ٩.

سبعة عشر: وإذا رفع القربان ولم يتناوله الأسقف أو أحد الكهنة فليذكر السبب ليغفر له وإلا فليفرق لأنه بهذا يعثر الشعب في حامل القربان بأنه غير طاهر ارسطا ٨ رسطج الصفوي وجه ١٤٨ : ٢٢.

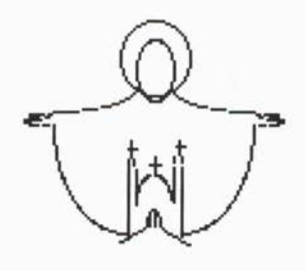
ثمانية عشر: ليتقرب الأسقف أولاً وبعده القسوس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور تتناول النساء رسطب ٥٢ نيقية ١٧.

تسعة عشر: ليقل الكاهن عند تناول الجسد. هذا هو جسد المسيح الذي بذله عن خطايانا. وليقل متناوله آمين. وكذلك فليقل حاملي الكأس أيضاً. هذا هو دم المسيح الذي سفكه عنا ويجيبه متناوله آمين رسطب ٥٢ بس ٩٧.

عشرون: ليتحرز القسوس والشمامسة من أن يبقى شئ من القربان فيكون عليهم دينونة عظيمة رسطب ٥٢ ومهما فضل من الكأس فليتناوله جميع الشمامسة الذين على الهيكل دس ق ٩٩ وليحذر أحد أن يتبقى منه شيئاً قصد تناوله وإتخاذه كطعام جسدي فيحل به ما حل بأولاد هارون وأبناء عالي الكاهن عندما أهانوا ذبائح الله بس ١٠٠.

واحد وعشرون: وإذا فرغ المرتلون من تسبيحهم فليقل الشماس بصوت عال.. قد نلنا من الجسد الجليل المسيحي فلنشكر الذي أهلنا لمناولته. وبعد ذلك فليصل الأسقف شكراً لله على تناوله الأسرار المقدسة. ومن ثم يقول الشماس. احنوا رؤوسكم الرب ليبارككم. وليقل الأسقف البركة. وبعد ذلك فليقل الكاهن امضوا بسلام رسطب ٥٢.

اثنان وعشرون: لا تبقى الكأس معمرة بعد الشكر الأخير لإنتظار من لم يأت إلى الكنيسة وقت القداس «خرسطا ٦٥».



الفصل الثالث عشر
مـادة ذبيحـة القـداس

تتكون مادة سر الافخارستيا من عنصرين هما الخبز والخمر مت ٢٦ : ٢٦ – ٢٩ أما العنصر الأول «**الخبز**» فقد أمرت الكنيسة أن يكون. أولاً مصنوعاً من دقيق القمح النقي. ثانياً أن يكون خبزاً مختمراً. ثالثاً: أن يكون خصيصاً لا عادياً ولصيانته من الغش والإطمئنان رتبت أن يخبز بمعرفة رجالها حتى أنها لا تقبل خبزاً غيره وليس غرضها مجرد الإطمئنان على سلامة الدقيق من الغش وعلى كونه دقيق قمح نقي. بل لها غرض آخر هو أن يكون خبز الذبيحة مقدساً بالصلوات التي تتلى عليه وقت صنعه وغير مستعمل بأيدي الناس حفظاً وتعظيماً لكرامة السر واحتراماً للذبيحة نفسها.

أما كونه خبزاً نقياً من القمح النقي فلان حرمة السر وقداسته وعظمته تستلزم أن يكون كل شئ فيه نقياً وطاهراً وهكذا جاء في الأوامر الرسولية(١) «لا يرفع على المذبح خبز غير السمين النقي وماء العنب ولا تبدل الخمر بشئ من الأنبذة المسكرة المعمولة بالنار «بط رسطا ق ١٠٣ المجموع الصفوي وجه ١٤٣ : ٢» ولحسن الحظ لم يوجد للكنيسة القبطية منازع ينازعها أو معترض يعترض عليها من بقية الكنائس في وجوب

---

(١) لا يدخل الكاهن إلى المذبح بلبن أو بعسل ولا بطائر ولا بحيوان آخر: وأي كاهن دخل بشئ من غير أمر الله فليقطع. إلا زيت المنارة الطاهرة وبخور في وقت القداس الطاهر رسطج ١٢ المجموع الصفوي وجه ١٤٣ : ١ وذلك لكي تمتاز عن معابد الغير المؤمنين الذين يدخلون إليها بحيوانات وطيور.

استعمال دقيق القمح النقي دون غيره. حتى أن الكنيسة الأسقفية اتفقت معنا في ذلك وهذا ما جاء في كتاب الصلوة العامة «ولتكن تهيئة الخبز والخمر للشركة على يد القسيس ونظار الكنيسة وأن يكون الخبز من الصنف المعتاد أكله وإنما يكون من أحسن الحنطة أنظفها سهل المأخذ «وجه ٢٢٥ و ٢٢٦» ولكن الخلف الحاصل بين الكنيسة الشرقية والغربية في مسألة الخبز المختمر وعدمه.

فكنيستنا وسائر الكنائس الشرقية والأرثوذكسية تعلم بوجوب استعمال الخبز المختمر: وأما الكنيسة البابوية تقول بوجوب استعمال الفطير: وقد طال الجدال وكثرت المناقشة بين الكنيستين الشرقية والغربية في هذه المسألة حتى أن علماء كنيستنا والكنائس الشرقية الأخرى لهم مؤلفات خاصة بها لم تبحث في شئ آخر غيرها ولولا أن كتابنا هذا ليس جدليا لأتينا بالبراهين الكثيرة التي تثبت بها وجود استعمال الخبز المختمر لا الفطير غير أننا نقول:

أولاً: أن المسيح لما صنع السر صنعه من خبز مختمر لا من فطير إذ صنعه في وقت استعمال الإسرائيليين له أي قبل عيد الفصح الذي لا يؤكل فيه غير الفطير يو ١٣ : ١ و ٢.

ثانياً: أن الإنجيليين قالوا بصريح اللفظ وبإتفاق واحد أن يسوع أخذ خبزاً وباركه وأعطاه لتلاميذه قائلاً خذوا كلو هذا هو جسدي مت ٢٦ : ٢٦ ومر ١٤ : ٢٢ ولو ٢٢ : ١٩.

ثالثاً: أن الرسل أنفسهم أوضحوا في رسائلهم أن الرب في ليلة آلامه أخذ خبزاً ولم يقل أحد منهم أنه أخذ فطيراً ١كو ١١ : ٢٣.

رابعاً: أن لفظة خبز تعني المختمر في لغة الكتاب وكلمة فطير تعني ما خلا من الخمير أي الخبز الغير المختمر وكانت كل من الكلمتين تستعمل

لغرض لا تستعمل له الأخرى وفرّق الكتاب بينهما بصريح اللفظ فالفطير له اسم خاص لا يمكن أن يطلق لفظ الخبز عليه عد ٦ : ١٩[١] ولما قال الكتاب عن السيد له المجد أنه أخذ خبزاً عبر عن الخبز المختمر أي «ارطوس» باللغة اليونانية التي تعني خبزاً مختمراً ومرتفعاً [٢] . فإذا قلنا أن المسيح أخذ خبزاً وفطيراً فالعبارة تكون متناقضة إذ نقول «ارطوس أزيموس» أي خبزاً مرتفعاً أي مختمر «بلا خمير» وكيف يمكن أن يكون الخبز الواحد مختمراً وبلا خمير؟! فالكلمة اليونانية «ارطوس» التي تعني الخبز المختمر قد تكون من الأدلة على صدق بينة الكنيسة لأن العهد الجديد كتب بها وهي غير كلمة «آزيموس» التي تعني الفطير ولم تستعمل في كلام الرب ولا الرسل الأطهار عند مباشرتهم هذا السر المقدس ولا في كلامهم عليه.

خامساً: قد سارت جميع الكنائس الرسولية حتى الغربية نفسها على استعمال الخبز المختمر ولم تنفرد الأخيرة عن هذا الإجماع إلا في القرن الحادي عشر (٣) ولم يكن انفرادها يجرءها على إنكار الخمير والإقتصار على الفطير بل أنها صرحت بجواز استعمال الجنسين [٣] فكأن انفرادها هذا حجة عليها لا لها ولنا لا علينا لأنه جاء بعد اشتراكها معنا في الخمير أكثر من عشرة قرون أولاً ولأنها لم تنكره ثانياً. بل ساوته بالفطير.

سادساً: أن جميع آباء الكنيسة أيدوا ذلك وأثبتوا في كتبهم أن سر

---

(١) راجع الأنوار في الأسرار سر الشكر ق ٣.

(٢) تاريخ الكنيسة لكلاين صفحة ٤٣٠ جز ٤.

(٣) بيرون في مقدمة اللاهوت في شرح سر الشكر قسم ٢ فصل ٣ قضية ١ عن الأنوار وجه ١١٤.

الشكر يجب أن يتمم بخبز مختمر لا فطير [1].

وللكنيسة الجامعة تتمم هذا السر من العصر الرسولي – كما تسلمت من الرسل أنفسهم الذين استعملوا في الإفخارستيا خبزاً لا فطيراً اع ٢ :٤٢ و ٤٦، ٢٠: ٧ و ١كو ١٠: ١٦ و ١٧، ١١: ٢٣ – إلى الآن بخبز مختمر لا بفطير [2] «كما يصنع البابايون قال صاحب الأنوار «وهذا حقيقي لا ريب فيه. أولاً: لأن الخبز لهذا السر كان كما هو معلوم يجمع «حتى الآن» من تقدمات الشعب أي من بيوت المسيحيين وكانوا يقدمونه بكثرة إلى الهياكل خبزاً اعتياديا مختمراً يصلح لموائد المحبة ولإعانة الفقراء أيضاً ١كو ١١: ٢١ و ٢٢. ثانياً: لأنه ليس أحد من القدماء يسمى خبز الإفخارستيا فطيراً بداعي أن جميع المؤلفين يسمون خبزاً اعتياديا وأحياناً خبزاً مخمراً. ثالثاً: لأن القديس أبيفانيوس أوضح أن عادة الكنيسة أن تتمم سر الشكر بالخبز والخمر لا بالفطير والماء كما يصنع الهراطقة الخ وجه ١١٣.

هذا ما أردنا بيانه على سبيل التذكرة وفي اعتقادنا أن هذه البراهين على قلتها كافية لإقناع الذين لم يتطلعوا على المطولات في هذا الموضوع الجليل.

أما كون الخبز يصنع خصيصاً فلهذا قال الآباء لأن حرمة السر تستلزم أن يكون كل شئ فيه نقياً طاهراً موقرا وليست الطائفة القبطية وحدها تفعل ذلك بل كل الطوائف ما عدا البروتستانت. ولا يعقل أن الله يؤاخذ الكنيسة لأنها تعظم شأن أسراره المقدسة. وكون المسيح أخذ خبزاً عادياً فهذا لا ينفي

---

(١) يوستينوس في احتجاجه الأول ٦٦. إيريناوس ضد الهرطقة ٤: ١٨– ٤ و ٥ وأمبروسيوس في الأسرار ٤ «ربما كنت تقول أنت خبزي هو اعتيادي».

(٢) إيريناوس ضد الهرطقات ٥: ٢ و ٣ ومجمع قرطجنة ٤٤.

عمله خصيصاً فإنه صنع ذلك في ظرف مخصوص ومع ذلك ربما كان مخصوصا لأن الإنجيل لا يصرح بهذا أو ذاك.

ربما يسأل البعض لماذا لا يملح القربان كتقدمات وذبائح العهد القديم؟ الجواب لأن الملح يوضع في الطعام وغيره لسببين الأول لجعل الطعام لذيذ المذاق مر ٩ : ٥٠ : والثاني لحفظ المواد من الفساد مت ٥ : ١٣. ولا يخفى أن القربان يختار منه «**الحمل**» الذي بعد الصلوة والدعاء والتبريك والتقديس بكلمة الله يستحيل بفعل الروح القدس استحالة جوهرية غير مدروكة بالحواس - إلى جسد الرب ودمه فلا يكون الخبز خبزاً بسيطا ولا الخمر خمراً بسيطا بعد التقديس وحلول الروح القدس عليهما بل جسد الرب حقا ودمه حقا تحت شكلي الخبز والخمر كما قال السيد بصريح اللفظ يو ٦ : ٥٢- ٥٥ والحال أن جسد المسيح غير قابل للفساد مز ١٦ : ١٠ ولا يحتاج أن يصلح بملح لأنه صالح ومقدس وكامل في ذاته وبالتالي هو ملح روحي يصلح النفوس ويحفظها من الفساد الذي في العالم وقد أمر الله بتملح الذبائح والتقدمات قديماً لا ٢ : ١٣ لمنع الغير الدموية من الإختمار ومنها ومنع الدموية من الفساد خر ٤٣ : ٢٤ وذلك إشارة إلى نقصها وعدم كمالها في ذاتها عند التفكير ولأنها كانت رمزاً لذبيحة العهد الجديد الكاملة التي ذبيحة القداس تذكار لها. ومتى جاء الكامل فلا حاجة لوضع ما كان يوضع للناقص ليجعله كاملاً وصالحاً للإستعمال.

ثم أن الملح كان يشير إلى عهد رحمة الله لا ٢ : ١٣ ولكن المسيح أعطانا عهداً جديداً أبدياً وقطع معنا ميثاقا دائماً مز ٨٩ : ٣ ودا ٩ : ٧ وأدخل شعبه معه في رباط العهد خر ٢٠ : ٢٧ وأثبت ذلك فعلا بموته فصار وسيط العهد الجديد عب ٨ : ٦، ٩ : ١٥ و ١٢ : ٢٤ بل صار ضامنه عب ٧ : ٢٢ وموضوع ذلك العهد هو ذبيحة نفسه التي قال عنها المرنم بأنها ذبيحة العهد مع مختاريه مز ٥٠ : ٥ وأكد ذلك نفسه بقوله. اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا مت ٢٦ : ٢٨ و ١٤ : ٢٤ ولو ٢٢ : ٢٠ و ١كو:

١١ : ٢٥ وهذا العهد الذي هو رباط المؤمنين مع المسيح هو جسده الطاهر ودمه الكريم اللذين أسلمهما للموت والسفك على الصليب فداء عنا. وقبل موته أعطاهما لتلاميذه مع كل مستلزماتها من موجبات الفداء وأسبابه ولذا دعوا خدام العهد الجديد ٢كو ٣ : ٦ وبما أن سر الشركة هو علامة عهد جديد مع شعبه فليس تمت موجب لوضع الملح الذي كان يشير إلى عهد الله قديماً في تقدمة العهد الجديد.

أن الملح كان رمزاً للطهارة والنقاوة وعدم الفساد وقد ملحت به التقدمات والذبائح القديمة للإشارة إلى ذلك. أما قربان العهد الجديد فيعطى للتطهير وللوقاية من الفساد الروحي وبه يخلصون إلى الأبد ويقيمهم الله معه في اليوم الأخير يو ٦ : ٥٤.

الملح يشير إلى نعمة الروح القدس كو ٤ : ١٩ وهذه النعمة تسبب الطهارة الداخلية وتبعث الأشواق الروحية في القلب وإنكار الذات وتعد النفس لأن تكون ملحاً للآخرين وأما القربان فيتحول بكلمة الله والدعاء إلى جسد الرب ودمه ويقي القلب من أدران الخطية ويبعث في النفس أشواقًا روحية لله ويمنحها حيوة جديدة ويساعدها على الفضيلة والنمو في الحيوة الروحية. ومتابعة السير في طريق الكمال المسيحي: لهذا نهت الكنيسة عن وضع الملح في قربان العهد الجديد.

قد يصنع القربان على شكل قرص مستدير مطبوعاً في وسطه ختم مدور مرسوم عليه شكل صليب مكتوب على دائرة هذه الكلمات قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت .. وهي الترنيمة التي أنشدها نيقوديموس ويوسف الرامي وقت موته ودفنه كما قال أوسابيوس..

وصنع القربان على هذا الشكل (١) لتميزه عن الخبز العادي (٢) لتكريسه لله (٣) للإشارة إلى أن تقدمة القداس هي عين تقدمة الصليب التي تقدمت مرة واحدة لله الآب كفارة عن خطايانا. والتي تصنعها الكنيسة بأمر المسيح تذكاراً لموته لو ٢٢ : ١٩ ولذا ينقش عليه التسبيح المثلث

التقديس الذي أنشد وقت موته ودفنه.

ويثقب القربان خمسة ثقوب وقت خبزه وذلك كما يقول علماء الكنيسة إشارة إلى الخمس مسامير التي سمر بها جسد يسوع على الصليب وهي الحربة واكليل الشوق. والمسامير الثلاثة في يديه ورجليه. أن الكنيسة اليونانية تصنع هذه الثقوب بحربة وقت القسمة ولكن كنيستنا تعمل الصواب والأنسب والأكثر لياقة وموافقة للذوق إذ ليس من اللياقة ولا من الذوق أن يطعن الخبز بحربة حديدية وقت القداس لاسيما وأن ذبيحتنا روحية لا تحتاج إلى سكاكين وحروب حديدية والأمور الحسية بطلت وكل شئ صار جديداً ويكفي للإشارة إلى ذلك عمل هذه الثقوب وقت خبز القربان. وغاية الكنيسة من ذلك التعليم بأن حياة المسيح الجسدية كانت كلها آلام من المهد إلى اللحد فقد ولد ليلاً وفي فصل الشتاء ووضع في مزود بلا فرش ولا غطاء وفي اليوم الثامن ختن واحتمل ألم الختان في جسم بشريته المقدس.

تقدم الكنيسة في الحمل عددا فردياً من القرابين ٣ أو ٥ أو ٧ أما عدد ٣ – فذلك على اسم الثالوث الأقدس. واختيار الكاهن واحدة منها للقداس إشارة إلى تجسد الكلمة الأزلي أحد الأقانيم الثلاثة يسوع حمل الله الذي يرفع خطية العالم يو ١ : ٢٩ والذي هو مختار من الله كريم ١بط ٢ : ٤ معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم ١بط ١ : ٢٠ وأن تجسده كان بإرادته وبمسرة أبيه الصالح والروح القدس «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقربانا لم ترد ولكن هيأت لي جسداً بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر. ثم قلت هأنذا أجئ في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله عب ١٠ : ٥– ٧. ودلالة على أن الأقانيم الثلاثة مشتركون في عمل الفداء اتفقوا عليه في قصدهم الأزلي ثم على اجرائه في زمان مت ٣ : ١٦ و ١٧.

أما عدد ٥ : فإشارة إلى ذبائح العهد القديم التي كانت من خمسة

أنواع. الغنم والبقر والمعز والحمام واليمام لا ١ :٣ و ١٠ و ١٤ ، ٣: ١٢ وتقدمة إبراهيم التي أعقبتها الرؤيا الدالة على تجسد الرب كانت من هذه الأنواع الخمسة بذاتها تك ١٥ : ٩- ١٧ .

أما عدد ٧: فإشارة إلى عدد هذه التقدمات ذاتها يضاف إليها العصفوران الخاصان لأجل تطهير الأبرص لا ١٤ : ٤ وبهذا وذاك تعلم الكنيسة بنيها بأن تقدمات العهد القديم على اختلاف أنواعها التي كانت رمزاً لذبيحة الصليب حلت محلها تقدمة واحدة طاهرة هي تقدمة العهد الجديد وبالتالي تقدمة القداس التي تنبأت عنها الأنبياء أش ١٩ : ٢١ وملا ١ : ١١.

أما العنصر الثاني **«الخمير»** فقد أمرت الكنيسة أن يكون من عصير الكرمة «العنب» دون غيره (١) لأن الرب استعمله وقت صنعه هذا السر قال البشير: وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم. وأقول لكم أني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي مت ٢٦: ٢٧ و ٢٩.

فإستنادا على هذه الأقوال تتمم الكنيسة سر الشكر من خمر عصير الكرمة منذ العصر الرسولي بشهادة آباء الكنيسة مثل إيريناوس (٢) وكبريانوس (٣) والذهبي فمه قال. ولماذا لم يشرب ماء بعد القيامة بل خمراً ؟ لكي يستأصل هرطقة أخرى أيضاً من أصولها لأنه إذا كان قوم يستعملون في الأسرار ماء لا خمرا فقد أوضح أنه عندما سلم الأسرار سلمها بخمر وأنه عندما وضع مائدة بسيطة بعد القيامة من دون الأسرار

---

(١) اعتراف الرأي القويم ق ١ ص ١٠٧.
(٢) ضد الهرطقات ٥: ٢ و ٣.
(٣) رسالة ٦٣ عن الأنوار وجه ١١٥.

استعمل الخمر أيضاً وقد قال من «عصير الكرمة» أما الكرمة فلا تعصر ماء بل خمراً على متى «٢٦ : ٢٩» وقد حذر مجمع قرطجنة استعمال غير الخمر عصير الكرمة في الأفخارستيا ق ٤٦ . والقانون الثالث الرسولي هدد بالقطع كل كاهن يستعمل في الأفخارستيا غير نتاج الكرمة.

والقوانين الكنسية تأمر بوجوب ذلك: وهي :

أولاً : أن يكون الخمر نقياً كالخبز أيضاً كما يليق بعظمة السر ولا يرفع منه إلا ما كان كذلك [١] .

ثانياً: أن لا تدخل عليه مادة أخرى مهما كان نوعها ما عدا الماء[٢] .

ثالثاً: أن لا تزاد كمية الماء فيفقد الخمر منظره [٣] .

---

(١) المجموع الصفوي وجه ١٤٧ وباسيليوس ق ٩٩ .
(٢) مجموع قرطجنة ٤٦ .
(٣) قال باسيليوس والذي يعمر الكأس لا يجعله خمراً صرفاً ولا يمزجه بماء كثير زائد عن الثلث وأن كان الخمر موجوداً بكثرة فلتعمر بالعشر من الماء ولا تحرر هذه المقادير بميزان ومن تجاسر وحررها فليفرز ق ١٠٢ ولا تعمر الكأس إلى شقها تعميراً مترعاً لئلا يهرق منها شئ على الأرض ق. ر ٤٤ من ٧١ . وجاء في كتاب الطب الروحاني أما الخمر المفزة في طعمها إلى الخلية فلا سبيل إلى تقديمها البتة وأن وجب تقديم القربان المشقق من الفرن لأنه إذا انشق من قوة النار أو من الخمير أو من عدم التثقيب لم يخرج عن اسم الخبز ولا طعمه ولا منفعته. أما الخمر المفسودة والمائلة إلى الخلية فقد خرجت عن اسم الخمر وطعمها ومنفعتها. المجموع الصفوي وجه ١٤٣ الحاشية.

رابعاً: أن لا يبدل الخمر بشيء من الأنبذة المسكرة المطبوخة بالنار ٣ من ٨٢ أما مزج الخمر بالماء فهو تذكار للدم والماء اللذين جريا من جنب المخلص على الصليب يو ١٩ : ٣٤.

والكنيسة منذ العصر الرسولي هكذا تتمم السر بمزج الخمر بالماء كما يتضح من خدمة القداس وكما جاء في تعاليم الرسل [١] أن الرب استعمل خمراً ممزوجة بماء كعادة سكان اليهودية وقتئذ أم ٩ : ٥ وشهادة الآباء القديسين كيوستينوس [٢] وإيريناوس [٣] وكبريانوس [٤] والمجامع القديمة كمجمع قرطجنة الذي قال «لا يقدم في القدسات أكثر من جسد الرب ودمه كما سلم الرب نفسه أعني الخبز والخمر الممزوجة بالماء ق ٤٤.. ومجمع ترولس قال «أن الذهبي فمه قد سلم لكنيسته التي تسلم رئاستها السامية أن تمزج الخمر بالماء كلما اقتضى أن تتمم الذبيحة غير الدموية موضحاً بذلك مزج الدم والماء اللذين جريا من جنب المسيح الإله المنقذ والمخلص لحيوة العالم أجمع والخلاص من الخطايا» قال صاحب الأنوار «وجميع الكنائس التي أشرقت فيها الكواكب الروحية. فيها هذا الترتيب المسلم من الله لأن يعقوب الذي كان بالجسد أخا بالمسيح إلهنا وأؤتمن أولاً على كنيسة كرسي أورشليم وباسيليوس أسقف قيسارية الذي مجده امتد إلى كل المعمورة وقد سلم إلينا كتابه خدمة الأسرار. كتبا إن الكأس المقدس هكذا تكمل في الخدمة الإلهية أي من الماء والخمر ق ٣٢ وجه

---

(١) وقد أخذ الكأس ممزوجة خمراً وماء وقدسه وأعطاهم قائلاً اشربوا منه ق ٨ : ٢٢.

(٢) احتجاج ١ : ٦٦.

(٣) قال في كتابه ضد الهرطقات عندما تنال الكأس الممزوجة والخبز المقدم كلام الله وتصير الآفخارستيا جسداً ٥٠ : ٢ و ٣.

(٤) قال: حالما تمتزج الخمر التي في الكأس بالماء حينئذ يتحد الشعب بالمسيح ثم قال من التقليد أن يمزج الخمر بالماء في القداس رسالة ٦٣ إلى شيتليانوس.

الفصل الرابع عشر

شرح طقس خدمة القداس بحسب أقسامها

جعلت الكنيسة ترتيب خدمة القداس من بدء تهيئة وتقديم الحمل إلى نهاية توزيع الأسرار المقدسة على نسق يذكرنا بحيوة الرب يسوع على الأرض من وقت ولادته إلى ساعة صعوده فكل عمل تعمله يمثل أو يشير إلى حادثة من تلك الحوادث الماضية كما سترى من البيانات الآتية :

هذا وقد أوضحنا سابقاً أن خدمة القداس تقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: تقدمة الحمل. الثاني: الاستعداد لتقديس السر وهو الذي يسمى قداس الموعوظين: الثالث: ويتم فيه تقديس القرابين واستحالتها إلى جسد الرب ودمه الأقدسين وهو ما يسمى بقداس المؤمنين. والآن نأتي على شرح معانيها وترتيبها.

[١] تقدمة الحمـل

المراد بتقدمة الحمل تهيئة مادة سر الشكر وتحضيرها وإعدادها للتقديس وما يصنع ويستعمل في هذا القسم يذكرنا بظروف ولادة المخلص كما

---

(١) في أثناء ذلك يقول المرتلون لحن البركة وإذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضر يقولول .. الخ

سيأتي بيانه. بعد رفع بخور باكر [١] يلبس الكاهن المباشر خدمة القداس بدلته الكهنوتية ثم يبدأ بفرش المذبح وتنظيفه ثم يهي أواني الخدمة بعد حلها ورشمها [١] بإسم الثالوث الأقدس ويضع كلا منهما في مكانه وهو يتلو صلوة استعداد المذبح.

وهي توسل يقدمه الكاهن إلى الله الذي دعاه بنعمته لخدمته المقدسة غل ١ : ١٥ وعب ٥ : ٤ وأئتمنه على-أسراره الإلهية ١ كو ٤ : ١ ليؤهله برحمته حتى يكملها كإرادته وكما يرضيه وتكون مقبولة لديه راجع خولاجي كبير صفحة ١٩٨.

بعد ذلك يسجد لله نحو الهيكل مز ٥ : ٧ ويطأ من يرأسه نحو أخوته الكهنة «والشعب أيضاً» مقبلاً إياهم مصافحاً لهم طالباً مساعدتهم بالصلوة لأجله ٢ كو ١ : ١١ ثم يهيأ الحمل ويقدم إلى الهيكل.

قال الآباء أن ذلك يشير إلى تهيئة المسيح حمل الله يو ١ : ٢٩ ذاته لله الآب كفارة عن خطايا العالم مستندين على ماقاله الرسول «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقربانا لم ترد ولكن هيأت لي جسداً بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر. ثم قلت هأنذا أجئ في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله عب ١٠ : ٥ • ٧ أما القبلة فسيأتي الكلام عليها في القسم الثالث.

---

(١) رشم بمعنى خط أو كتب وختم وبالعربية وتأتي في السريانية بمعنى خط أو رسم أو ختم بكذا أو إشارة بسمة الصليب على كذا وعليه تكون هذه اللفظة إما عربية أو سريانية. لوجودها في اللغتين. وقد صارت هذه الكلمة من الإصطلاح الكنائسي ومعناه فيه صلب بأصبعه أي أشار إلى شئ بعلامة أو صلب على نفسه بيده بسمة الصليب وهي مقبولة على كل وجه في الإصطلاح الكنائسي خ. ك. وجه ٤٤٩.

بعد تهيئة الحمل وتقديمه إلى الهيكل يصلي الكاهن والشعب المزامير تصلى المزامير [1] حال وجود الحمل لأنها أنبأت بكل ظروف وأعمال المسيح وتقديم نفسه ذبيحة عن الجميع. ومما تجب ملاحظته أن الكنيسة تصلي في أيام الفطر «صباحاً» وصلوة الساعة الثالثة والسادسة وتضم إليها في أيام الصوم صلوة الساعة التاسعة للدلالة على أن فك الصوم كان مستعملاً بعد نهاية الساعة التاسعة ولا يجوز الأكل قبل اتمام صلواتها.

بعد صلوة المزامير يقف الكاهن في باب الهيكل متجهاً إلى الشعب «غرباً» وبيده لفافة والشماس [2] يقف عن يمينه وبيده اليمنى لفافة وباليسرى شمعة تضيء على الحمل وقت انتخابه ثم يقدم له القربان والأباركة «الخمر» ليختار منه الحمل أي الخبز المراد تقديسه.

يشترك في تقديم الحمل ثلاثة. مقدمه. والكاهن المباشر الخدمة. والشماس. وفي ذلك تعليم إلى أن تجسد الرب كان يفعل واشتراك الأقانيم الثلاثة. وبالثالوث الأقدس تم تدبير التجسد العجيب ويأخذ الحمل أو اختيار واحدة منه. إشارة إلى رضى الابن بتجسده عب ١٠ : ٥- ٧ وأن الذي تجسد لتقديم نفسه ذبيحة لأجلنا هو الإبن الكلمة أحد الأقانيم الثلاثة. وقال بعضهم أن تقديم القربان إلى الهيكل واختيار الحمل منه إشارة إلى تقديم المسيح نفسه لله الآب في سر ميلاده العجيب إذ كان منذ ولادته الحمل المقدم ذاته ضحية عن خطايا العالم عوضاً عن ذبائح العهد القديم

---

(١) في أيام الصوم الكبير تقرأ الكنيسة بعض فصول منتخبة من نبوات الأنبياء قبل الحمل لأنها أنبأت بتجسد ابن الله.

(٢) قال مجمع نيقية لا ينبغي للقس أن يقدس القربان بغير شماس ينذر الشعب للصلوة ويناديهم بالهيبة والوقار ويكون مسمعاً لهم بندائه.

راجع يو ١ : ٢٩ وعب ٧ و ٩ و ١٠ وتقول الكنيسة اليونانية أن تقديم الحمل يشير إلى مجيء العذراء إلى المغارة لتلد ابنها البكر وأما استخراج الحمل منه يشير إلى ولادة المسيح (١).

وبعد تقديم الحمل (٢) يفحصه الكاهن جيداً ويختار من القربان ما كان صحيحاً سالماً ومن الخمر ما كان نقيا ذلك لأنه هكذا كانت تقدم الذبيحة الرمزية - أي أنها كانت تقدم صحيحة لا عيب فيها راجع خر ١٢ : ٥ ولا ٢٢ : ١٧- ٢٤ ومل ١ : ٨ ويسوع نصحنا هو بلا عيب عب ٩ : ١٤ و ١بط ١ : ١٩ أما تسميته حملا فلان يسوع سمى هكذا يو ١ : ٢٩ و ١بط ١ : ١٩ و رؤ ٥ : ١٢ ، ١٣ : ٨ وتقدم الكنيسة الخبز والخمر منفصلين عن بعضهما أولاً : - على مثال ما فعل يسوع فإنه هكذا تمم السر بفصله دمه عن جسده مت ٢٦ : ٢٦- ٢٨ ثانياً ليكون ذلك ممثلاً بنوع جلي موته على الصليب وانفصال دمه المهراق من جسده «جنبه الطاهر المطعون بالحربة» يو ١٩ : ٣٤.

قبل فحص الخبز والخمر يرشمها الكاهن باسم الثالوث الأقدس وبعد اختيار الحمل يمسحه بلفافة نظيفة ويلفه في أخرى من كتان أو من حرير ويعطي قارورة الأباركة «الخمر» للشماس فيلفها بلفافة ثم يضع الكاهن الحمل على المذبح.

يلف الحمل بلفافة إشارة إلى الأقمطة التي لفت بها العذراء ابنها البكر يسوع وقت ولادته لو ٢ : ٧ أما كون اللفافة من كتان فذلك لأنه هكذا ظهر الرب لدانيال لابساً كتاناً دا ١٠ : ١٧ والكتان لبس الكهنة وهو رمز

---

(١) راجع الصلوات البيعية للروم الأرثوذكس.

(٢) وإذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً يقدم إليه الحمل ليختار منه خبز التقدمة ويعطيه للكاهن الخديم.

للقداسة لأنه أنقى من الصوف خر ٢٨ : ٤٢ وهو أيضاً لباب الأنبياء ار ١٣ : ١ ولباس الملائكة أيضاً رؤ ٥ : ١٦ وقد ظهر لابساً كتان لأنه رئيس كهنتنا كما كان رئيس الكهنة يلبس كتانا في يوم الكفارة [١] وهكذا لف جسد يسوع بكتان نقي مت ٢٧ : ٥٩ أما وضعه على المذبح في الصينية فيشير إلى عمل العذراء إذ أضجعته في مذود بعد تقميطه لو ٢ : ٧ وقد قال بعض الآباء. بما أن السيد هو الحمل المذبوح لأجلنا منذ تأسيس العالم وبالتالي كانت ولادته بدء دخوله في طريق الصليب وأن نفس الأشياء التي تذكرنا بحوادث ولادته هي تذكرنا بحوادث آلامه وموته ودفنه فالمذبح يشير إلى الجلجثة التي صلب عليها المخلص. والأغطية تشير إلى اللفائف التي كفن بها يوسف ونيقوديموس جسده المقدس بعد ما أنزلاه عن الصليب مت ٢٧ : ٥٩ ويو ١٩ : ٤٠.

بعد وضع الحمل على المذبح يتقدم الكاهن فيغسل يديه وينشفهما بستر أبيض من كتان نقي.

بما أن الأيدي هي المباشرة للعمل وجب أن تكون نظيفة وأن غسل الأيدي قبل مباشرة أي عمل مثل الطعام أو سواه فضلا عن كونه صحياً فإنه عادة عامة منذ القديم ولا تزال متبعة إلى الآن عند الكنيسة وسواها ولهذا رتبت الكنيسة أن يغسل الكاهن يديه قبل أن يتقدم للخدمة الإلهية إعلاناً لطهارته. وقد كان غسل الأيدي معمولا به في الشريعة الطقسية بأمر الله نفسه خر ٣٠ : ١٧ و ٢١ قال أحد العلماء: أن غسل الأيدي هو عمل معنوي يدل على عدم علاقتنا بأمر ما. كما يقول إنسان. أنا أغسل يدي من القضية كلها. وعليه قال النبي أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يارب مز ٢٦ : ٦ فيجب على كهنة الله أن يدققوا بكل جهدهم

(١) تفسير النبوات وجه ٣٠٥.

حتى يطهروا في أشخاصهم إذ لا يخفي أن المرحضة النحاسية كانت لازمة نظير المذبح الذهبي فإن عبادة الله توجب علينا أن نكون مقدسين في الحيوة إذ أنه لا يمكن مثلاً لمن هو ظالم للناس أن يكون دينا بنوع مقبول أمام الله كذا لا يجوز أن نحضر تقدمات شكرنا بأيادي ملوثة بالذنب. أن القداسة العملية الخارجية هي علامة ثمينة جداً لوجود النعمة في الداخل. نعم أن غسل الأيدي بالماء مع بيلاطس هو أمر فارغ وعديم الفائدة ولكن الغسل في النقاوة هو أمر ذو أهمية كبرى فالذين يقتربون لله ينبغي أن يكونوا حاصلين على أياد طاهرة وإلا فأي ملك يسمح لخدام وعبيد أياديهم قذرة وسخة بالخدمة على مائدته. ولا يخفى أن الذين كانوا نجسين بأية طريقة ما حسب النظام الطقسي ما كان يسمح لهم بالدخول إلى بيت الرب الذي كان مصنوعاً بالأيادي فبالأول كثيراً لا يسمح للنجسين نجاسة أدبية بالتمتع بالشركة الروحية مع الإله القدوس فإن كانت قلوبنا نجسة فلنغسلها في دم يسوع الثمين وهكذا نصلي لله رافعين أيادي طاهرة ١تي ٢ : ٨ ولكن طهارة اليدين لا تكفي ما لم تكن مقترنة بنقاوة القلب ولذا قال النبي الطاهر اليدين. والنقي القلب مز ٢٤ : ٤ (١). وقال القديس كيرلس الأورشليمي أن «غسل الأيدي» «يسير إلينا نحن الكهنة بأنه يجب علينا أن لا نتقدم إلى مذبح الرب إلا بتزكية الندامة والعقل والأفكار التي هي بمثابة أيد لنفوسنا» وقال غيره: «أن التقرب الحقيقي من الله ينحصر في هذا وهو أن تكون أيدينا طاهرة وقلوبنا مخلصة لله وقد كان كهنة العهد القديم يغسلون يديهم قبل الصلوة وتقديم الذبيحة كما أمر الله خر ٣٠ : ١٧ و ٢١ ومز ٢٦ : ٦ و ٧ ولا يخفى أن الله يطلب منا في عهد النعمة طهارة أعظم جداً مما كان يطلب من الكهنة في عهد الناموس بمقدار ما أن ذبيحتنا أشرف وأقدس من تلك ولهذا أمرت الكنيسة المدبرة بروح الله أن

---

(١) تفسير المزامير على مز ١٨.

يغسل الكاهن يديه ورجليه قبل التقديس إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه عند اقترابه من هذه الذبيحة من طهارة القلب ونقاوة الضمير وعلمت أن يتلو عند غسل يديه من مز ٥١ : ٧- ١٣ ، ٢٦ : ٦ و ٧ والغاية من ذلك جميعاً كما قال الآباء استمالة القلب بذلك إلى محبة الطهارة المبتغاة منه تعالى روحيا وجسدياً ٢ كو ٧ : ١ وعب ١٠ : ٢٢ وتحويل القلب بهذا الإغتسال المائي الظاهري إلى غسل الندامة الذي يطهر القلب ويعده لقبول نعمة الله.

بعد غسل يده يضع الحمل على كفه اليسرى ويمسحه بيده اليمنى بالماء وهو يقول باللغة , **Ⲙⲏⲓⲥ Ⲡⲟⲥ ⲉⲑⲣⲉⲥϣⲱⲡⲓ ⲉⲥϣⲏⲡ** أعط يارب أن تكون مقبولة ..الخ.

قال الآباء أن مسح الكاهن الحمل «القربان» بالماء إشارة إلى اعتماد يسوع من يد يوحنا مت ٣ : ١٦ وأن هذه الذبيحة التي تقدمها تذكاراً لموت الرب الذي تعين لإتمام للفداء مسحه الله الآب بزيت الإبتهاج أكثر من رفقائه مز ٤٥ : ٧.

وبعد ذلك يتقدم الكاهن إلى المذبح ويصلي من أجل المؤمنين ويخص بالذكر منهم أسماء الذين قدموا القرابين والذين قدمت عنهم أحياء كانوا أو أمواتاً.

ذكر الأحياء والأموات في القداس قديم في الكنيسة ومبنى على تعليم الكتاب وموضوع من الرسل أنفسهم بدليل ما جاء في أوامرهم وهذا نصه «وليكتب الشمامسة في كل يوم أسماء من يأتي بالقرابين لتقديمها لأجل الأحياء والأموات ليذكروهم عند الصلوة والقراءة وليكن من يلي الستارة يدعون لهم» دسق ٣٥.

والكنيسة تذكر الأحياء والأموات. أما الأحياء فلأجل نجاتهم من المحن والشدائد والضيقات والبلايا وغفران خطاياهم وتثبيت إيمانهم أما الأموات

فلإستعطاف الله نحوهم ونياح نفوسهم. وهي نافعة للذين لحقهم توان أو كسل كثير كما أنها تفيد الذين تقدم عنهم بإستحقاق من الأحياء وبها يحصلون على نعمة الله ويفوزون بشركة الإتحاد معه. وسترى كلاماً مفصلاً في القسم الثالث عن صنع القداديس عن أنفس الراقدين في الرب وذكرهم وقت تقديم الذبيحة «راجع المجموع الصفوي باب ١٣ وجه ١٤٦»[١].

قلنا سابقاً أن هذا القسم يسمى بقداس الموعوظين وأن يكن استعداداً لتقديس القرابين وذلك لأن الكنيسة في عهدها الأول كانت تسمح للموعوظين الذين تحت الدخول في الإيمان أن يمكثوا إلى ما قبل الشروع في القداس ليسمعوا الكتب الإلهية وفي نهايتها تصلي الكنيسة طالبة من الله تثبيتهم في الإيمان وهدايتهم وأن يعطيهم لكي يعرفوا بثبات الكلام الذي وعظوا به وينزع من قلوبهم كل أثر لعبادة الأصنام حتى يستحقوا حميم الميلاد الجديد لغفران خطاياهم ثم تأمرهم بالخروج لعدم استطاعتهم فهم أسرار الله لأن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً ١كو ٢ : ١٤ وكما قال القديس أغريغوريوس الثاولوغوس أنه لا يليق ولا يوافق للأعين الضعيفة أن تعاين الشمس ولا للرضع اللبن أن يتناولوا طعاماً كاملاً. بل الأجدر أن يتدرجوا قليلاً قليلاً إلى ما قدام ويرتفعوا رويداً رويداً إلى الأمور السامية فنحن بهذا الصنيع نمنح هؤلاء نور بعد نورا مبينين من الحق نوراً».

ومع أن تسمية هذا القسم استمرت إلى اليوم حيث لا يوجد موعوظون فإن الكنيسة تصلي عن شعبها المؤمنين طالبة من الرب أن ينزع من قلوبهم كل اهتمام عالمي والمال والطمع اللذين هما عبادة أصنام ١ف ٥: ٥ و١تي ٦ : ١٠ وأن ينير قلوبهم ويوطدهم في الإيمان المستقيم إلى النفس

---

(١) «شرح ترتيب ومعاني القسم الثاني من القداس»

الأخير وأن ينميهم في النعمة ومخافة الله ومعرفة الرب.

أما الإشارة التي تستعمل فيه تذكرنا بحوادث المخلص على الأرض من بعد ولادته إلى آلامه كما سترى.

[٢] دورة الحمل

انتهينا من القسم الأول حيث الكاهن يمسح الحمل ويذكر من أراد ذكرهم. ونقول الآن أنه بعد ذلك يلف الحمل في لفافة ويرفعه على رأسه بكل إجلال ووقار وكذلك الشماس الخديم يلف قارورة الأباركة في لفافة ويدور الإثنان «الكاهن والشماس خلفه» حول المذبح دورة واحدة وقبل الدورة يقول الكاهن وهو متجه إلى الشعب غربا Ⲟⲩⲱⲟⲩ ⲛⲉⲙ ⲟⲩⲧⲁⲓⲟ مجداً وإكراماً «والشماس يخاطب الشعب أثناء طوافه خلف الكاهن حول المذبح قائلا Ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲝⲁⲥⲑⲉ «صلوا من أجل هذه القرابين المقدسة الكريمة... الخ»

وضع الكاهن الحمل على يديه ورفعه على رأسه إشارة إلى عمل سمعان الشيخ الذي حمل المسيح «في الهيكل عندما قدمه أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، على ذراعيه وطاف بمذبح الرب لو ٢ : ٢٨ وكما بارك سمعان الله لخلاصه الذي أعاده قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبه إسرائيل لو ٢ : ٢١ و ٣٢ كذلك الكاهن يدور حول مذبح العهد الجديد مباركاً وممجداً الله الذي أرسل ابنه لخلاصنا غل ٤ : ٤ ودلالة على انتهاء زمن العهد القديم عهد الرموز والنبوات وإتيان العهد الجديد عهد النعمة والحق الذي بيسوع المسيح صارا يو١ : ١٧ أما دورة الحمل مرة واحدة فترسم اتيان المخلص إلى الهيكل بواسطة أبويه ليقدماه للرب لو ٢ : ٢٢ وإشارة إلى أنه عتيد أن يقدم ذاته ذبيحة عن العالم.

في حال طواف الكاهن المذبح ومخاطبة الشماس الشعب بالصلوة.

يرتل الشعب ساجداً وبفرح وتهليل من مز ٧، ١١ : ٢٤ – ٢٦ وهو ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ⲡⲓⲉϩⲟⲟⲩ وهذا هو اليوم الذي صنعه الرب[١].

وبما أن دورة الحمل ترسم إتيان المخلص وتقديمه ذاته للرب لهذا أمرت الكنيسة أن يسجد بنوها لله حال مباركة الكاهن لهم قبل دورته ويرتلون النشيد السابق إشارة إلى فرحنا لولادة يسوع لنا لو ٢ : ١١ وبالخلاص الذي أنعم الله به علينا في المحبوب أف ١ : ٦ أما سجودنا للحمل وقت تقديمه فليس عبادة بل إكراماً وإحتراماً ولإعتبار ما يكون كما سجد المجوس إليه «قبل أن يعرفوا أنه إلـــه» وهو طفل كما أن سجودنا للحمل يشير إلى سجودهم وقد قال الرسول وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله عب ١ : ٦ . اهتفي لله يا كل الأرض رنموا بمجد اسمه. كل الأرض تسجد لك وترنم لإسمك القدوس مز ٦٦ : ١ و ٤ .

بعد انتهاء دورة الحمل يرشم الكاهن الشعب مباركاً إياهم وهم يحنون برؤوسهم.

ذلك تعظيماً للحمل وخضوعاً للكاهن ليباركهم ويذكرهم وقت تقديس هذه القرابين وحلول الروح القدس عليها واستحالتها إلى جسد الرب ودمه الأقدسين «خ.ك. وجه ١١٥» وأن تكن القرابين لم تتقدس بعد إلا أنها انتخبت للتقديس وهي رسم سابق لجسد ودم الرب والكاهن صلى ملتمساً من الله أن يقبلها على مذبحه المقدس. خ. ك. ٢١٤ . على مثال ما إذا انتدب أحد الناس ليكون ملكاً ففي وقت حضوره لتتويجه يحف به أكابر دولته وسائر رعيته مقدمين له الخضوع والوقار وأسمى آيات التعظيم

---

(١) في كل الآحاد ما خلا آحاد الصوم الكبير وفي الأعياد السيدية والخمسين وكل أيام الإفطار يقول الشعب هذا المزمور.

والإجلال.

بعد ذلك يضع الكاهن الحمل على يده اليسرى ويكون الشماس عن يساره حاملاً وعاء الخمر فيرشم الإثنين معاً «أي الخبز والخمر» باسم الثالوث الأقدس ٣ مرات. ففي الرشم الأول يقول باللغة ما ترجمته «مبارك الله الآب ضابط الكل» وفي الثاني يقول «مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا». وفي الثالث يقول. «مبارك الروح القدسِ المعزي» وفي كل رشم يجاوب الشماس آمين. وفي الأخير يقول Ⲁⲩⲏⲧⲓ ⲥⲡⲁⲧⲏⲣ ⲁⲅⲓⲟⲥ واحد هو الآب القدوس» وحالما ينتهي يجاوب الشعب « Ⲇⲟⲝⲁⲡⲁⲧⲣⲓ المجد للآب والإبن والروح القدس»... الخ.

يفتتح القداس بتقديم البركة والمجد والكرامة للثالوس الأقدس لأن التجسد كان بفعل الأقانيم الثلاثة. ولأن سر التثليث عرف بتجسد الرب يسوع الذي مات عنا ولصنع تذكار موته ولذا وجب أن تذيع المجد لله الواحد الذات المثلث الأقانيم والصفات. وقد ذكر بعض الآباء أسباباً أخرى حرية بالإمعان وجديرة بالإعتبار فقال القديس ديونسيوس «كل عمل يكون الله غايته يجب علينا قبل الشروع به أن نبدأ بنداء الثالوث الأقدس الذي بقوته نمارس هذا العمل العظيم المقدس» وقال القديس اغسطينوس «لما كان لا شئ ما يمكننا أن نحويه في قلوبنا ونلفظه بألسنتنا ونسطره في رسائلنا أبهج وأجمل وألذ من قولنا «المجد لله ومبارك الله» لأنه كلمة تتضمن معرفة الجميل وإحسان الله والشكر عليه كان الكاهن يبتدئ قداسه بها جاعلاً إياها أول لفظة من ألفاظ الشروع بعمله هذا العظيم معلنا هكذا مبارك الله الآب والإبن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين» والمراد بالقول «مبارك الله الآب ضابط الكل» الإقرار بسلطة الله على جميع الخلائق بأسرها والإعتراف بتملكه السامي علينا وعبوديتنا لجلاله وأنه رب الحيوة والموت.

أما الشماس فيتلو مز ١١٧ كله وذلك ذكراً لمراحم الرب التي تعاظمت

بموت المسيح وتحريضاً للشعب على تسبيح الرب الذي «أبى لكي يعلن الآب للعالم ولكن العالم لم يدرك إلا قليلاً من إعلانه إلا بعد إرتفاع يسوع على الصليب وحلول الروح القدس فأظهر المسيح وبموته مع اظهار الروح عدل الله وقداسته وحقه ورحمته ومحبته» والشعب يجاوب ممجداً الله الذي خلصنا بمقتضى رحمته تي ٣ : ٥.

بعد ذلك يضع الكاهن الحمل في الصينية ثم يأخذ قارورة الأباركة من الشماس ويصبها في الكأس وهو يصلي قائلاً « ϣⲗⲏⲗ - صل» والشماس يجاوب والشعب يرد عليه كالمعتاد ثم يصلي صلوة الشكر التي رتبتها الكنيسة.

لوضع الخبز والخمر في الصينية والكأس معنى روحي هو أنه يذكرنا بآلامه وموته تذكيراً يدخل مخادع القلب ويبعث فيه روحاً خشوعياً لاهجاً بحمد الله. قال الرسول كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجي ١كو ١١ : ٢٦ أننا بموته عتقنا من عبودية سلطان رئيس الظلمة ابليس» وجعل لنا عشاءه السري «جسده ودمه الأقدسين» نقربه كل يوم على مذبحنا تذكاراً عينياً صفحاً وغفراناً واستعطافاً عن جميع البشر فإذا رأينا جسده ملفوفاً باللفائف موضوعاً في الصينية تذكر أنه هكذا لف بلفائف من كتان بواسطة يوسف ونيقوديموس «حال دفنه» ووضع في قبر جديد. وإذا رأينا دمه مهراق في الكأس نذكر أنه هكذا أهرق دمه من أجلنا لما طعن في جنبه إذ «خرج دم وماء» فنشكره ونعترف بحمده ونقر بآحسانه ونباركه على ما أعطانا وصنع معنا ومن ثم نجاهد في سبيل مرضاته وحفظ شريعته والعمل بوصاياه لنستحق الحظوى بمشاهدته والتمتع بوليمته السماوية مت ٢٦ : ٢٩ و رؤ ١٩ : ٩. أما تلاوة صلوة الشكر فذلك لما جاء في أوامر الرسل حيث قيل وليبتدئ المقدس بصلوة الشكر دسق ١٠ و ٢٣ و ٢٨م. ص. وجه ١٢٣، وعليه قال القديس كيرلس، أنه يلزمنا ضرورة أن نشكر الله لأننا إذ كنا غير مستحقين دعانا إلى هذه النعمة وإذ كنا أعداء فصالحنا وأهلنا لروح النبوة.

في صلوة الشكر عندما يقول الكاهن ⲛⲉⲙ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϩⲁⲛⲉⲕ-

ⲗⲁⲟⲥ ⲧⲏⲣϥ وعلى شـــعبك، يرشم الشـعب ثم يرشم المائدة وهو يقول ⲛⲉⲙ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϩⲁⲧⲁⲓ ⲧⲣⲁⲡⲉⲍⲁ ⲑⲁⲓ وعن هذه المائدة. ثم يكمل صلاة الشكر وفي نهايتها يرتل الشعب باللحن «ⲁⲙⲏⲛ ⲥⲱⲑⲏⲥ - خلصت حقاً» وفي أثناء ذلك يصلي أوشية تقدمة الخبز والكأس سراً.

وتسمى أوشية الغطاء لأن الكاهن بعد تلاوتها يغطي التقدمة وبها يلتمس من الرب يسوع الذي قدم ذاته حملاً بلا عيب عن حيوة العالم يو ٣ : ١٤ - ١٦، ٦ : ٥٠ و ٥١ أن يبارك الخبز والكأس الموضوعين على المائدة ويقدسهما ويطهرهما وينقلهما لكي يصير الخبز جسده المقدس والخمر دمه الكريم.

بعد ذلك يغطي كلا من الصينية والكأس بلفافة ثم يضع عليهما الإبروسفارين وعلى هذا يضع لفافة.

قال بعض الآباء «أن تغطية السر بعد صلوة الشكر وحجبه عن الأنظار تذكرنا بهرب يسوع إلى أرض مصر وتغيبه في الناصرة مخفياً مجد الإله على علم البشر مت ٢ : ١٣- ١٥ و ٢٣. بعد أن كانوا شاهدون حين ولادته آيات ظهوره العجيبة فتركهم في حيرة ينتظرون بالصلوات والطلبات ظهور الإله «كما يذكرنا بذلك الوقت الذي بقى فيه الصبي يسوع في أورشليم عند رجوع أبويه وهما لم يعلما وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا.. يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل لو ٢ : ٤٣- ٤٦ وفي الوقت نفسه يشير إلى تكفين الرب ودفنه في القبر مت ٢٧ : ٥٩ و ٦٠ أما الإبروسفارين «ستر الغطاء» فيشير إلى الحجر الكبير الذي دحرج على باب القبر. واللفافة التي عليه تشير إلى الختم الذي ختم به مت ٢٧ : ٦٠ و ٦٦.

بعد تغطية المائدة يقبل الكاهن المذبح بفمه بوقار ثم يسجد شاكراً لله

الذي أهله لهذه الخدمة المقدسة ثم ينهض ويقبل المذبح ويدور حوله وينزل من الهيكل «مع بقية الخدام» ووجهه إلى الشرق إكراماً للذبيحة».

تقبيل الكاهن والشماس المذبح إكرام للمذبح المقدس بالذبيحة مت ٢٢ : ١٩ واحترام للذبيحة نفسها وخضوع لله ومثله كثير في الكتاب المقدس راجع يش ٧ : ٦ و ٢ صم ٦ : ١١ و ١٤ الخ ومز ٥ : ٧، ٩٩ : ٥، ١٣٢ : ٧.

بعد نزول الكاهن والشماس وبقية الخدام من المذبح يجثون جميعاً أمام الله قدام باب الهيكل ثم يقف أحد الكهنة [١] من خلف ويتلو عليهم تحليل الابن سراً فتحليل الخدام علنا وبعد تلاوتهما يقبل الكهنة بعضهم بعضاً.

بهذين التحليلين يتوسل الكاهن إلى الله الذي منح تلاميذه سلطان الحل والربط مت ١٨ : ١٧ ويو ٢٠ : ٢٢ و ٢٣ أن يبارك هؤلاء الساجدين له ويغفر خطاياهم ثم يطلب حلهم من فم الثالوث الأقدس ومن فم الكنيسة الجامعة الرسولية والرسل وآباء المجامع المسكونية وجميع الآباء القديسين. أما خضوع الكاهن ليقرأ له التحليل فهو إقرار بضعفه وحاجته إلى البركة والحل والصلوة لأجله وأن يكن هو المباشر خدمة السر الرهيب والواقف أمام الله ليقدم الصلوة عن نفسه وعن الشعب وخضوع لله ولخادمه الأمين على مثال المحبة لله ثم للقريب.

بعد ذلك يدخل الكاهن والشماس إلى الهيكل بخضوع ويقدم له الشماس المجمرة ويرشم حق البخور ويضع منه خمس أياد في الشورية. أو

---

(١) إذا كان الأب البطريرك والأسقف حاضراً فهو الذي يقرأ التحليل لأن الأصغر يبارك من الأكبر عب ٧ : ٧.

يقدم هو درج البخور للرئيس إذا كان حاضراً ليبارك على البخور ويرشمه قبل أن يضعه في المجمرة - وإلا فليبارك ويرشم هو «إذا لم يكن الأسقف حاضراً» وفي كل مرة قبل أخذ البخور يرشم وهو بإسم الآب والإبن والروح القدس. مجداً وإكراماً الخ.

يضع خمس أيادي بخور وهو يبارك الله إشارة إلى رجال العهد القديم الذين قدموا للرب تقدمات وتنسم منها رائحة الرضى. كهابيل تك ٤ : ٤ ونوح تك ٨: ٢٠ و ٢١ وملكي صادق تك ١٤ : ١٨ وهرون لا ٩ : الخ وزكريا الكاهن لو ١ : ٨- ١٣ ملتمساً من الله قبوله كما قبل بخور وتقدمات هؤلاء البررة الصالحين الذين منهم ٣ قبل ظهور الناموس والنبوة و ٢ بعده ولهذا يضع ٣ أياد باسم الثالوث الأقدس واليدين ويقول مجداً وإكراماً. وهي بهذا تعلم أن الناموس كان مؤدينا إلى المسيح وأن جميع هؤلاء مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئا أفضل لكي لا يكملوا بدوننا عب ١١ : ٣٩.

بعد ذلك يرفع بخور البولس وهو يتلو سر البولس فالثلاث أواشي ثم يطوف حول المذبح ثلاث مرات.

يطوف حول المذبح ثلاث مرات تمجيداً للثالوث الأقدس دسق ١٠ و ٢٣ و ٣٨ م. ص ١٢٣. أما سر البولس فهو صلوة بها يلتمس الكاهن من الرب الذي دعا بولس وجعله أناء مختاراً ورسولاً كارزاً بإنجيله الطاهر أع ٩ : ١- ٥ و ١٥- ١٧ أن يعطينا روح الفهم والإرشاد لنفهم معاني كلمته التي تقرأ من رسائله وأن يجعلنا متشبهين به ١كو ١١ : ١ في الإيمان والعمل ممجدين اسمه ومفتخرين بصليبه كل حين غل ٦ : ١٤.

بعد ذلك ينزل الكاهن من الهيكل ويقدم البخور لله كالمعتاد ثم يطوف حول الشعب بالبخور من اليسار إلى اليمين في «الخورس الأول والثاني» ومن ثم يعود إلى الهيكل وهو يتلو سراً اعتراف الشعب.

تقديم البخور لله مصحوباً بالصلوة في تقدمة القداس الطاهرة مأمور به من الله ١ مل ١ : ١١ وتطوافه به حول الشعب الغرض منه مباركتهم بوضع يمناه عليهم واحداً فواحد على مثال سيده مت ١٩ : ١٥ ولو ٢٤ : ٥٠ ولذا أشارات الكنيسة على بنيها المصلين أن يقول كل منهم عند مباركة الكاهن له (أسألك أيها الرب يسوع أن تغفر خطاياي التي فعلتها عمداً أو سهواً» ولهذا يسأل الكاهن الله من أجله فمن كان تائباً حقاً ونادماً على خطاياه وراغباً في اصلاح سيرته وتطهير سريرته أفاده توسل الكاهن من أجله وإلا فلا يستفيد شيئا ك. خ وجه ٢٣٧ وتطواف نفسه حول الشعب يشير إلى إرسال الرب ورسله إلى العالم لتبشير الناس به ودعوتهم إلى الإيمان باسمه المبارك مت ص ١٠ : ١ الخ. ولو ٩ : ١ الخ والتبخير نفسه وقت قراءة الرسائل رسم النعمة التي أعطيت للعالم قاطبة بواسطة التعليم الرسولي وكونه من اليسار إلى اليمين اشارة إلى أننا بموت المسيح والإيمان بالانجيل نقلنا من الظلمة إلى نوره العجيب ١ بط ٢ : ١٠ ومن جحيم الأشرار المعبر عنه باليسار إلى نعيم الأبرار المعبر عنه باليمين مت ٢٥ : ٣٣- ٤١ .

أما سر الإعتراف الذي يتلوه وهو عائد إلى الهيكل فهو صلوة بها يطلب من الله قبول اعترافات شعبه والانعام عليهم بمغفرة خطاياهم حسب مواعيده الأمينة ١ يو ١ : ٩ ويتلوه الآن بعد تطوافه حولهم ذاكراً المعترفين الذين سبق فأتموا سر الإعتراف واستعدوا للإشتراك في مائدة الرب الخلاصية ليؤهلهم الرب للتناول منها بإستحقاقات موته وقد اشتركوا في هذا الطلب لهذا الغرض (راجع ما كتبناه في رفع بخور عشية وباكر).

بعد سر الإعتراف يطوف الكاهن حول المذبح مرة واحدة ثم ينزل من الهيكل ويبخر كالمعتاد أمام الهيكل ويقف خاشعاً ريثما يقرأ الكاثوليكون. وقبل قراءة الإبركسيس يدخل الهيكل ويصلي أوشية القرابين وسر الإبركسيس ثم يطوف ثلاثا حول المذبح وينزل ويقدم البخور كما سبق ويعطي البخور للشعب في الخورس الأول ويطوف من اليمين إلى اليسار.

يطوف حول المذبح ثلاثاً تمجيداً للثالوث الأقدس. وعدم تطوافه حول الشعب في سر الكاثوليكون ووقوفه خاشعاً بجانب باب الهيكل وقت قراءة الرسالة إشارة إلى وعد الرب لتلاميذه بأن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه متى أع ١ : ٤ وإن الرسل في الفترة بين الصعود وحلول الروح القدس لم يباشروا خدمتهم ولا جالوا إذ ذاك للتبشير. أما طوافه بالبخور في سر الإبركسيس من اليمين إلى اليسار وإختصاره فيه على الخورس الأول فإشارة إلى أن الرسل بعد حلول الروح القدس رجعوا إلى أورشليم من جبل الزيتون الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت أع ١ : ١٢ واعطاء البخور للشعب الآن إشارة إلى تبشير الرسل بالإنجيل للخليقة كلها حسب أمر الرب مر ١٦ : ١٥ بعد أن نالوا قوة بحلول الروح القدس عليهم إذ جالوا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض أع ١ : ٨، ٨: ٤، ١٧ : ١ ، ١٩ : ١ وقصره إعطاء البخور في الخورس الأول إشارة إلى أن الرسل جعلوا عملهم أولا مقصوراً على اليهودية وفي مدن يهوذا.

أما أوشية القرابين فيها يتوسل إلى الله من أجل المهتمين بالصعائد والقرابين الذين قدموها «الذين أرادوا أن يقدموها وليس لهم» لكي يقبلها الرب نسيم رائحة طيب ذبيحة مقبولة مرضية لديه في ٤ : ١٨ كما قبل قربان هابيل تك ٤ : ٤ وذبيحة إبراهيم عب ١١ : ١٧ وفلسي الأرملة لو ٢١ : ٣ وأن يعطيهم الباقيات عوض الفانيات والسمائيات عوض الأرضيات وأن يذكرهم في ملكوته كما ذكروا اسمه على الأرض ولا يتخلى عنهم حسب وعده مز ٣٧ : ٢٥ و ٢٨. أما سر الإبركسيس فيه يلتمس قبول صلواته كرائحة بخور ويرسل من لدنه رحمته ذات الغنى ويطهرنا من كل أدران الخطية ويعطينا أن نخدمه ببر وطهارة لكل أيام حيوتنا لو ١ : ٧٤ : ٧٥.

(٢) واجبات الشعب أثناء تقديم البخور

بعد قراءة تحليل الخدام يرتل الشعب نشيد العذراء [١] الذي مطلعه « Ϯⲁⲓϣⲟⲩⲣⲏ ، هذه المجمره [٢] أو Ϯϣⲟⲩⲣⲏ المجمرة [٣] أو « Ⲛⲑⲟⲕ ⲧⲉ Ϯϣⲟⲩⲣⲏ [٤] أنت هي المجمرة» وبعده [٥] يقولون بعض أرباع «قبطية تتضمن طلب رحمة الله ومغفرة خطايانا بشفاعة قديسيه» ويختمون بهذا – وهم سجود لله Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ⲱ Ⲡⲭ̅ⲥ̅ – نسجد لك أيها المسيح الخ» ثم يقرأ الشماس على القطمارس [٦] القبطي البولس بلحنه المعروف على المنجلية [٧].

---

(١) هذا النشيد يقال دائماً كل السنة ماعدا أيام الصوم الكبير.

(٢) يراد بها من باب الإستعارة العذراء التي حملت جمر اللاهوت في أحشاها.

(٣) هذا النشيد يقال وعلى الأخص في عيدي الصليب ١٧ توت و ١٠ برمهات وفي الساعة التاسعة نهار جمعة الصلبوت وأيضاً في الأكاليل وحل زنار الشمامسة.

(٤) هذا النشيد يقال في أيام الصوم الكبير.

(٥) إذا أريد وكان الأب البطريرك حاضراً يقول الشمامسة Ⲡⲓϩ̀ⲙⲟⲧ ⲅⲁⲣ ⲙ̀Ⲫϯ – نعمة الله الآب الخ» ٢ كو ١٣ : ١٤ وبعدها Ϯⲓⲃ̅ Ⲛ̀ⲁⲣⲉⲧⲏ الإثنتا عشر فضيلة.

(٦) كلمة يونانية تعني «فصول» وقد جعلت علماً لكتاب كنسي يحوي فصولاً معينة من الكتاب تقرأ في الكنيسة بحسب أيام شهور السنة القبطية الإثنا عشر مركبة من مقطعين كاطا. وميروس. خ ك وجه ٢١٢.

(٧) منجلية تسمى «قرأية، مركبة من كلمة قبطية وهى «ما» ومعناها محل أو موضع أو مكان. ومن كلمة يونانية وهي (انجيلية) ومعناه البشرى. فيكون معناها إذاً «محل الإنجيل» ويقرأ عليها عدا الإنجيل الرسائل والمواعظ والتفسير وميامر الآباء وسنكسارات الشهداء.

وفي ختامه يقول ⲠⲓϨⲙⲟⲧ ⲉⲁⲣ – نعمة ربنا يسوع المسيح الخ، وعند قوله « ⲚⲈⲘ ⲠⲈⲚⲒⲰⲦ » وأبانا» يذكر اسم الرئيس الحاضر بعد الأب البطريرك.

قراءة البولس باللحن إشارة إلى مناداة الرسل بالإنجيل في العالم. في كل الأرض خرج صوتهم وإلى أقصى المسكونة بلغت كلماتهم مز ١٩ : ٤ ورو ١٠ : ١٨.

ثم يفسر «يترجم» البولس عربياً [١] وبعده يقرأ [٢] الكاثوليكون [٣] قبطياً باللحن أيضا ثم بترجمة عربيٍ.

تلاوة الرسائل على مسمع المؤمنين المصلين تشير – كما قال القديس يوستينوس الفليسوف إلى انتخاب السيد رسله وإرسالهم إلى العالم أجمع ليكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها مت ١٠ ولو ٩ ومر ١٦ : ١٥ وأنه بواسطة كرازتهم انتشر الإيمان في كل مكان واعترفت به الأمم وقبلته كو ١ : ٢٣ و١تس ٢ : ١٣.

قد خصصت الكنيسة فصولاً معينة من العهدين تقرأ على مسمع بنيها في الكنيسة بحيث يقرأ الكتاب مرة في السنة وقد اعتمدت في هذا على

---

(١) في بدآ قراءته يقال فصل من رسالة معلمنا بولس الرسول إلى، كذا، بركته علينا آمين. ثم يختم بقوله نعمة الله الآب تحل على أرواحكم يا آبائي واخوتي آمين.

(٢) إذا كان الأب البطريرك حاضراً فقبل قراءة الكاثوليكون يقول المرتلون « ⲀⲄⲀⲠⲎ » – محبة الله».

(٣) كاثوليكون لفظة يونانية تعريبها جامعة وتسمى هكذا: لأن الفصل الذي يقرء بعد البولس عادة يكون من الرسائل الجامعة كرسالة يعقوب ورسالتي بطرس ورسائل يوحنا ودعيت جامعة لأنها كتبت للأمم والشعوب.

أمر الله نفسه قديماً وحديثاً.

أما قديماً فقد أمر الله شعبه بلسان موسى أن يقرأ الكتاب أمام كل إسرائيل في مسامعهم عندما يأتون في عيد المظال لكي يظهروا أمام الرب في المكان الذي يختاره تث ١٦ : ١٠ و ١١ ولما اجتمع الشعب في جبل عيبال حيث بنوا مذبحاً للرب قرأ يشوع جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل والنساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم يش ٨ : ٣٤ و ٣٥ وبعد سبي بابل كلف الشعب عزرا الكاهن أن يقرأ لهم في سفر شريعة الرب فقرأ فيها من الصباح إلى نصف النهار أمام الرجال والنساء والفاهمين وكانت إذن كل الشعب نحو سفر الشريعة وكان يقرأ في سفر شريعة الله يوماً فيوماً من الأول إلى اليوم الأخير نح ٨ : ٣ و ١٨.

أما في العهد الجديد فقد أمر المسيح بتفتيش الكتب يو ٥ : ٣٩ وقال يعقوب الرسول في مجمع أورشليم لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به إذ يقرأ في المجامع كل سبت أع ١٥ : ٢١ وقيل عن بولس ورفقائه أنهم لما أتوا إلى أنطاكية بيسيدية دخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا يسمعون قراءة الناموس والأنبياء أع ١٣ : ١٤ و ١٥ وقال بولس في خطابه. وأقوال الأنبياء التي تقرأ كل سبت تمموها إذ حكموا عليه أع ١٣ : ٢٧ وقيل عن المسيح أنه لما كان في الناصرة حيث تربى دخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ فدفع إليه سفر إشعياء النبي لو ٤ : ١٦. قال صاحب كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأميركان «كان جميع المسيحيين يتعبدون بتلاوة الكتب المقدسة في كنائسهم كما كان اليهود يتعبدون بتلاوة التوراة في مجامعهم ومما يدل على أنه كانت عادة المسيحيين التعبد بتلاوة كتبهم المقدسة في معابدهم

حتى في زمن بولس الرسول قوله في كو ٤ : ١٦ ومتى قرئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضاً في كنيسة اللاودكيين والتي من لاودكية تقرأونها أنتم أيضاً وشهد يوستينوس الشهيد في أوائل الجيل الثاني المسيحي أنه جرت عادة المسيحيين سكان المدن والأرياف أن يجتمعوا في يوم الأحد للتعبد بتلاوة رسائل الرسل وأقوال الأنبياء. وقال ترتليان أن المسيحيين يجتمعون لقراءة الكتب المقدسة في يوم الأحد ويرتلون المزامير وقس على ذلك شهادة بريان «كبريانوس» وديوناسيوس وغيرهما من قدماء المؤلفين وقرر مجمع لاودكية ومجلس قرطجنة عدم جواز تلاوة غير الكتب الإلهية «جز ٤ صفحة ٤٣ و ٤٤».

والنتيجة أن الكنيسة القبطية تعد في مقدمة الكنائس التي عولت على هذا الناموس الإلهي لتعليم وتهذيب ووعظ ونصح وإرشاد وتقويم شبابها ورجالها وشيوخها وفتياتها وسيداتها وعجائزها فإنها رتبت منذ زمن لا يعرف أوله قرأة تلاوة الأسفار المقدسة وعلى الخصوص أسفار العهد الجديد ضف على ذلك شروحات وتفاسير وتعليقات على هذه الأسفار وتراجم قديسين ومواعظ خطتها أقلام الذين نبغوا فيها أو في شريكاتها [١].

هذا النظام موجود في الكنيسة منذ نشأتها بشهادة التاريخ وقد أثبت موسهيم هذه الحقيقة في تاريخه في شرحه طقوس العبادة في الجيل الأول حيث قال «وقرئت الكتب المقدسة في إجتماعاتهم الجمهورية هذه ولهذا قسمت إلى أجزاء وأمثولات ثم يتلوها نصائح للشعب لا فصيحة ولا طويلة بل مملوءة من الحرارة والمحبة وجه ٤٢» وقال في شرحه طقوس العبادة في الجيل الثاني «وحينما اجتمعوا كانت تتلى صلوات يذكر لنا ترتليانوس في

---

(١) مرآة الحقائق الجلية صحيفة ٢٣١.

احتجاجه ق ٣٩ فحواها وتقرأ الكتب المقدسة ويتلى على الشعب «بعد قراءة الكتب» مواعظ مختصرة على الواجبات المسيحية وجه ٧٤.

قال القديس أغريغوريوس الكبير «أن ما يتلى من أقوال الرسل يسمى رسالة لا لأنه جزء من رسائل الرسل فقط بل لأن الكنيسة تريد أن تسمع ما يتلى علينا في هذا المكان «الكنيسة» بإصغاء ونقبله كرسالة إلينا من الله يعرفنا بها إرادته.

بعد تفسير الكاثوليكون عربياً [(١)] يرتل الشعب مرد الإبركسيس [(٢)] Ⲁⲣⲓⲡⲁⲙⲉⲩⲓ ⲱ̀Ⲡ̄ⲟ̄ⲥ أذكـــرني يـارب [(٣)] لو ٢٣ : ٤٢ « Ϣⲁⲣⲉ Ⲫϯ· الله يرفع خطـــية العالـــم» [(٤)] يو ١ : ٢٩ أو « Ⲫⲁⲓ ⲉ̀ⲧⲁϥⲉⲛϥ ⲉ̀ⲡϣⲱⲓ هذا الذي قدم ذاته ذبيحة» أف ٥ : ١ [(٥)] أو « Ⲧⲟⲧⲉ ⲁ̀ⲗⲏⲑⲱⲥ حينئذ بالحقيقة [(٦)]، ثم يرتل الشعب بعده مباشرة – Ⲁ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲁ̀ⲗⲏⲑⲱⲥ مبارك أنت بالحقيقة مع أبيك... إلخ.

---

(١) في بدء قراءته يقال الكاثوليكون من رسالة معلمنا «فلان» يذكر اسم صاحب الرسالة التي عين قراءة الفصل منها، بركته علينا آمين.. ويختم بقوله: لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم الخ ١يو ٢ : ١٥ و ١٧.

(٢) الإبركسيس كلمة يونانية معناها قصة أو تاريخ أو عمل.

(٣) هذا النشيد يقال في آحاد الصوم الكبير.

(٤) وهذا يقال في أيام الصوم الكبير.

(٥) يقال نهار الجمعة الكبيرة.

(٦) يقال في أيام الافطار طول السنة وفي أعياد العذراء.

اختارت الكنيسة هذه الألحان من الكتاب كما ترى أما مرد الإبركسيس فهو ربع آدام يقال بلحنه الخاص به قبل Ⲁ̀ⲉⲙⲁⲣⲱⲟⲩ̀ السابقة وأكثر مردات الإبركسيس منتخبة بعضها من الأبصلمودية من أوفق ما يكون لليوم الحاضر وكلها على نغمة واحدة فقط تختلف في الألفاظ التي تكون ملائمة لليوم الحاضر إذ لكل عيد مرد خاص به فمثلاً في أحد الشعانين لا يقال شيء من المردات المذكورة بل «أوصنا» وفي عيد القيامة « Ⲛⲁⲧⲁ ⲛⲓⲭⲟⲣⲟⲥ يا كل الصفوف العلوية» وقس على هذا بقية الأعياد.

بعد ذلك يقول الشماس الإبركسيس بلحنه المعروف قبطيا ثم يفسر عربياً (١) وبعده يقرأ السنكسار (٢) ثم يرتل الشعب الثلاثة تقديسات «قدوس الله الخ».

---

(١) في بداءة قراءته يقال: فصل من قصص أبائنا الأطهار المشتملين بالروح القدس بركتهم علينا آمين. ويختم قائلاً: لم تزل كلمة الرب في هذه البيعة وكل بيعة أع ١٢ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٠ .

(٢) بعد الإبركسيس مباشرة تقرأ تفاسير الرسائل التي قرئت لتفهيم الشعب معانيها الطاهرة لكي يحفظوها ويعملوا بها. ثم في هذا الوقت سواء قرئت التفاسير أو لم تقرأ تزف أيقونة القيامة في أيام وحدود الخمسين إلى أيام عيد الصعود وسترى كلاماً عن الصور فيما يلي:

(تنبيه) بعد قراءة الإبركسيس والسنكسار إلى آجيوس ترسم الأساقفة.

[٣] السنكسار

لفظة يونانية قيل أنها تعني خبراً أو سيرة أطلقت على كتاب تراجم الآباء والأنبياء وسير الرسل والقديسين والشهداء الذين «جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعي وحفظوا الإيمان» فحفظت الكنيسة تاريخ حياتهم أحياء لإسمهم وتخليداً لذكراهم. كما كتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوه وللمفكرين في اسمه مل ٣ : ١٦ ونقش أسماءهم في سفر حيوة الخروف لو ١٠ : ٢٠ وفي ٤ : ٣ و رؤ ٢١ : ٢٧ جزاء صبرهم واحتمالهم الآلام من أجل اسمه ومحافظتهم على وديعة الإيمان المسلم مرة للقديسين يه: ٣ ومحاماتهم عنه وتسليم أنفسهم للموت من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم ليسوع رؤ ٦ : ٩ وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم عب ١١ : ٣٨.

والغرض من قراءته استنهاض عزائم بنيها وبث روح الغيرة المسيحية في قلوبهم لكي يحذوا حذوهم ويتمثلوا بإيمانهم ويجاهدوا هذا الجهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية. قال الرسول. أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم عب ١٣ : ٧ راجع ١كو ٤ : ١٦ و ١١ : ١ وفي ٣ : ٧ وبذا يحرزون لأنفسهم اسماً أبدياً وينالون نصيباً مقدساً مع المفديين ويفوزون أخيراً بآكليل المجد الذي وعد به الرب الذين يحبون ظهوره أيضاً ٢تي ٤ : ٨.

وإذا كانت الممالك تحفظ تاريخ قوادها وأبطالها وتعلمه لطلبة مدارسها لتبث فيهم روح الشجاعة فأحرى بكنيسة المسيح أن تحافظ على تراجم أبطالها البررة وتعلمها لبنيها حتى يتشبهوا بالذين شادوا للكنيسة مجداً وفخاراً وخلدوا لها ذكراً لا يمحى قال الذهبي فمه. لا شئ أنفع لنا من التأمل بسيرة القديسين وإعادة التبصر والتروي في أعمالهم.

قد اعتادت الكنيسة منذ العصر الرسولي أن تحتفل بأعياد شهدائها

وقديسيها وتقرأ سيرهم للإقتداء بهم ويستدل على ذلك:

أولاً: مما جاء في الأوامر الرسولية فقد قيل في دسق ١٣ و ٣٣ ما نصه اجتمعوا بلا كسل إلى البيع وإقرأوا الكتب المقدسة ورتلوا على من رقد من الشهداء والقديسين المتقدمين واخوتكم الذين رقدوا في الإيمان ثم أصعدوا قداس الشكر الخ م. ص صفحة ٢٠٥. والشهداء ليكونوا عندكم بكل جلالة كما صاروا جليلين عندنا أيضاً مثل الطوباني يعقوب الأسقف والقديس استفانوس شريكنا الشماس هؤلاء الذين هم مغبوطون من الله وفضائلهم غير مدركة «دسق ٢٨ م. ص وجه ٢٠٠ وسير الشهداء تتضمن أخبارهم وهي تقرأ في أيام أعيادهم م. ص ٢٠٤.

ثانياً: من أقوال الآباء قال ذهبي فمه: «ها تذكار الشهداء موجود وأنت متكاسل».. والقديس باسيليوس يقول أن مواضع الشهداء تكون تحت سلطة الكنيسة وهم يمجدون منها لأن المجد لها والروح القدس تكلم من أجل الكنيسة بأنها واحدة جامعة مبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع نفسه حجر الزاوية أف ٢ : ٢٠.

ثالثاً : التاريخ الكنسي يؤيد ذلك راجع الخريدة النفسية ق ١ صفحة ٧٩.

رابعاً: والبروتستانت أنفسهم يعترفون بهذه الحقيقة فقد قال موسهيم في تاريخه الكنسي حيث قال وهو يشرح طقوس الجيل الأول «ويمكن أن يضاف على هذه العيدين «عيد القيامة وحلول الروح القدس» تلك الأيام التي فيها اعتنق رجال قديسيون لأجل المسيح التي بالأكثر احتمالاً كانت أياماً مقدسة وعظيمة منذ ابتداء الكنيسة المسيحية» صفحة ٤٢ وجاء في كتاب القواعد السنية تأليف البروتستانت «وبينما كان أهل أزمير يعيدون لأسقفهم الشهيد بوليكريوس تلميذ يوحنا الرسول ادعى عليهم اليهود بالعبادة الوثنية فأجابوهم برسالة مفتدين هذا الإدعاء بما لفظه: أن هذا من الأمور المستحيلة لأن المسيح إنما هو موضوع العبادة ولا يمكن غيره أن

يحل محله وله وحده يقدم سجودنا وأما الشهداء فهم موضوع مديحنا ومحبتنا: أ هـ. وجه ١٠٠، وفي تاريخ البروتستانت الكنسي المطبوع سنة ١٨٣٩ قيل «أن المسيحيين الأول كانوا يكرمون الشهداء ويعبرون عن ذكر يوم مكايدتهم بمولدهم ويعيدون الأعياد عند قبورهم بغاية السرور والمحبة والإحسان.. أن كنيسة أزمير قالت في شأن استشهاد بوليكوبوس أسقفها أنه بعد أن توفى ورد كثيرون من المسيحيين أن يضعوا بقية جثته في مقام كريم فأبت اليهود ذلك وقالوا لعل النصارى ينسون معلمهم المصلوب ويعبدون بوليكربوس. قالت وإنما فعلوا هذا لأنهم لم يعلموا أن من المحال لنا أن نترك المسيح الذي مات لأجل خلاص الناس ونعبد غيره فأما عبادتنا له فلأنه ابن الله وأما الشهداء تبعه وتلامذته فإننا نحبهم كما يليق بهم لأنهم اقتدوا بمثال زعيمهم ومرشدهم ونود لو أن نكون نحن أيضاً مرافقين لهم وعاملين أعمالهم صحيفة ١٠٠ و ١٠١.

وقال كاتب ترجمة القديس أغناطيوس بطريرك أنطاكيا وتلميذ يوحنا الرسول «إننا نحن كنا شهوداً لهذه الميتة المجيدة فقد سكبنا لأجلها العبرات السخينة من مقلنا وأقمنا الليل كله بالسهر والصلوة متوسلين إلى الرب ونحن جاثون أمام بقايا الجسد طالبين من الرب أن يشدد ضعفنا فظهر لنا الشهير بهيئة مجاهد خرج ظافراً من القتال ممجداً وكان قائماً أمام الرب مكللا بمجد لا يوصف فإمتلا قلوبنا فرحاً وأسدينا الشكر لله صانع كل خير وباركناه لأجل السعادة التي منحها لعبده فتعيين يوم وفاته ليمكننا أن نجتمع كل عام لتكريم جهاده في اليوم الذي نال فيه إكليل الجهاد أملاً بالإشتراك بنصرة هذا المجاهد المجيد الذي داس إبليس بأخمص قدميه بمعونة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس إلى الأبد آمين» الخريدة النفيسية جزء ١ صحيفة ٧٩.

أما ترجمة حياة هؤلاء الشهداء والقديسين. فقد كانت الكنيسة تعتني اعتناء فائقاً للوقوف على تراجمهم وتعين الوفود والمندوبين ليرافقوا خطاهم ويدونوا ويسجلوا حوادثهم قال صاحب مرآة الحقائق «فكنيسة رومية كانت

معينة سبعة شمامسة للقيام بهذا العمل وذكر التاريخ أن ثلاثة شمامسة من آسيا وهم مرقص وفيلكس وفاروس كانوا يشتغلون بذلك في الشرق وبناء على ذلك أقول أن السنكسار جمع من هذه المصادر - بخلاف الأسفار الإلهية.

(١) تاريخ الكنيسة لأوسابيوس الشهير في ١٠ كتب ضمته حوادث وتراجم رجال الدين من ميلاد المسيح إلى وفاة ليسينوس سنة ٣٢٤ وجه ١٤٢ من تاريخ موسهيم.

(٢) تاريخ نلاديوس في الرهبنة وجه ١٤٥ من التاريخ المومأ إليه.

(٣) تآليف الآباء الشرقيين وهم أثناسيوس وباسيليوس وأخيه اغريغوريوس نيصص واغريغوريوس النزينزي والذهبي الفم.

(٤) تآليف الآباء الغربيين وهم أمبروسيوس وأيرينيموس وأغسطينوس قال الأول في فائدة قراءة تاريخ القديسين «أن كثيرين من أعيان رومية رجالا ونساء لما قرأوا ترجمة انطونيوس التي كتبها القديس أثناسيوس هجروا العالم ورغبوا عن أباطيله وحملوا صليب سيدنا يسوع المسيح في الرهبانية «مقدمة مروج الأخيار».

(٥) سجلات الحكومة أن نصارى كليكية اشتروا تراجم الشهداء تراكيوس وبروبوس وأندرونيكوس من كتاب المحكمة بمائتي ديناراً وجه ٦٠٧ من مروج الأخيار».

(٦) تاريخ البطاركة الذي ترجمه العلامة أنبا ساويرس أسقف الأشمونين.

(٧) يوليوس من أقفهص مركز الفشن من مشاهير الجيل الثالث والرابع ومؤسس من بادئ بدء جمعية الصليب الأحمر لأنه جند ثلثمائة شاباً على نفقته ليسعفوا المجاهدين ويواروا بقايا المتوفين منهم ويكتبوا سيرهم.

(٨) يوحنا أسقف البرلس من آباء أوائل الجيل الخامس الذي كان راهباً في برية شيهات وتلميذاً للقمص دانيال مديرها فقد جمع سير الشهداء والقديسين وجعل لكل يوم من السنة سيرة تقرأ فيه.

(٩) أخيراً قال موسهيم في صفحة ٢٣ : أقوال وأعمال الشهداء من حين يقع عليهم القبض إلى آخر دقيقة من حياتهم كانت تكتب باعتناء لكي تقرأ في أيام معلومة لبنيان خلفائهم في الكنيسة أهـ. مرآة الحقائق وجه ٣١٣ هذا ويقرأ الكاهن السنكسار [١] لا الشماس. وذلك كما قال بعضهم «لأن السنكسار لإعتبار له بهذا المقدار غير أن قراءة الكاهن تجعل له نوعاً من الإعتبار ويستميل الإسماع له ثم لأن السنكسار كتاريخ وإنذار وتعليم والغاية من قراءته تعليم الشعب وحثه على التحدي بسير القديسين ولا يليق أن يتصدى للتعليم والإرشاد غير الكاهن حسب مقتضيات وظيفته. أما أن الشماس يقرأ الإنجيل وهو أسمى منه فذلك لأن الإنجيل معتبر لأنه مكتوب بروح الله لا تزيده قراءة الأشخاص ولا تنقصه اعتبارا وإنما لا ينبغي أن يقرأه الأولاد الذين لا يحسنون القراءة ولا الذين ليسوا من ذوي الكهنوت.

---

(١) في بدء قراءته يقول الكاهن: اسمعوا أيها الآباء الروحيون والإخوة النجباء المسيحيون حفظكم الله بيمينه وذراعه الحصين ومتعنا وإياكم ببركته في الدارين: اليوم «كذا» من شهر «كذا» جعله الله عليكم مباركاً وأعاده علينا وعليكم بهدوء وطمأنينة وغفر لنا ولكم الخطايا والزلات بمراحمه تعالى يا أبائي وأخوتي آمين.

[٤] تسبحة الثلاثة تقديسات

هذه التسبحة المثلثة التقديس أول من رنم بها يوسف الرامي ونيقوديموس عندما أنزل جسد المخلص عن الصليب يو ١٩ : ٢٨ - ٤٢ والذي رتب استعمالها في الكنائس الآب أغناتيوس الثاوفورس وبأمر القديس بطرس الرسول سلمها لكنائس سوريا وأمرها بأن ترتلها قبل انجيل القداس.

ظلت هذه التسبحة مستعملة في عموم الكنائس حتى القرن الخامس حيث كانت انتشرت بدعة أريوس الهرطوقي الذي كان حذف منها العبارات الثلاثة الأخيرة المتضمنة ولادة المسيح وصلبه وقيامته وقبلت كنائس سوريا بدعته فأهملت ما كان حذفه أما كنيستنا فقد لبثت تستعملها ولم تهملها قط على أنه لم تولى الأب بطرس مغوص عرش الخلافة المرقسية وتوثقت عرى الإتحاد بينه وبين بطاركة أنطاكية والقسطنطينية بعث كتاباً إلى الأول وأشار عليه بوجوب إعادة هذه الترنيمة في الكنيسة كما كانت تعمل بإشارته وأرسل لعموم الكنائس الخاضعة له منشوراً يأمرها بإستعمالها فهاج عليه أخصامه الأريوسيون وسلقوه بألسنة حداد حتى لقبوه بصالب اللاهوت مستنتجين ذلك من تكرار لفظه قدوس ثلاث مرات في كل جملة «وكانت النتيجة من هذا الجدال أن المسيحيين الغربيين رفضوا هذه الترنيمة وقالوا «سوء فهم» أنها تشير إلى صلب الأقانيم الثلاثة. وأما المسيحيون الشرقيون فدأبوا يستعملونها دائماً بدون خطية لأنهم يقدمون الترنيمة إلى المسيح وحده وإلى أقنوم واحد في اللاهوت فقط: قاله موسهيم ق ٥ : ٢ ف ٥ ع ١٨.

أما قصد الكنيسة من تكرارها لفظة قدوس في كل جملة تخصصها بالإبن الكلمة المتجسد مميزة بها أفعاله الثلاثة الجوهرية وهي: الولادة. الصلب. القيامة. وإلا لو أطلقت لفظة قدوس على كل أقنوم لنتج أن الأقانيم ٩ لأنها مكررة ٩ مرات.

أما تكرار لفظة قدوس ثلاثاً وتوجيهها لأقنوم الإبن فموافق للإنجيل فإن

السيد له المجد صلى ٣ مرات ليلة آلامه مخاطباً أقنوم الآب مت ٢٦ : ٣٩-٤٥ ولا يخفى أن صلوته هذه كانت موجهة لأقنوم واحد فقط وإلا للزوم أن تكون موجهة لأقنوم آخر غير أقنوم الإبن الذي كان يصلي أو أن الإبن كان يصلي لأقنومه وكلا القولين باطل.

فضلاً عن هذا فإن الكنائس الأخرى لا تزال تستعمل هذه الترنيمة في كنائسها يوم جمعة الصلبوت كالقبط النبع والموارنة والسريان الكاثوليك وغيرهم وتوجهها لأقنوم الابن.

أن المجمع الخامس أيدها وأجاز استعمالها يوحنا الثاني أسقف رومية. وأخيراً ألغيت من كنيسة اللاتين واليونان أ. هـ. «ملخصاً عن تاريخ الكنيسة وجه ٢٩٧ و ٢٩٨» على أن بعض الكنائس لا يزال يقدم هذه التسبحة للثالوث الأقدس ما عدا الجمل التي تشير إلى الولادة والصلب والقيامة بالرغم عن إجماع آباء الكنيسة الذين يصوبون رأي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بأقوال معززة بالأدلة ومدعومة بالبراهين من هؤلاء الذهبي فمه (١) والقديس أغناتيوس (٢) والقديس افرآم السرياني الذي قال «أما هذه التسبحة فينسبها أهل الشرق ليسوع المسيح وفي هذا المعنى لا يخطئون إذا قالوا «يا من صلبت عنا ارحمنا» وغيرهم كثيرون أما الكنيسة الرومية فكانت تقدمها للأقنوم الثاني والأدلة على ذلك أولاً: لما دارت رحى المناقشة بين الروم والأرمن بشأن القول «يا من صلبت عنا ارحمنا» قال هؤلاء «أننا نرتل الثلاثة تقديسات للمسيح وندعوكم أنتم إلى الشهادة لأن هذه تقديسات موجودة عندكم مسطرة في بعض كتبكم بلغتكم هكذا «قدوس الله قدوس الحي قدوس الذي لا يموت يا من صلبت لأجلنا

---

(١) راجع تراجم حياته عن اليونانية.
(٢) سقراط في تاريخه.

ارحمنا» وإنما نرتلها عن هذه الصورة لأننا تعلمناها منكم على هذه الكيفية [1] ثانياً: لأنها ترتلها يوم جمعة الصلبوت كما ترتلها كنيستنا أما الكنيستان السريانية والأرمنية فهما متفقتان معنا في تقديم هذه التسبحة للإبن لأنه هو وحده الذي ولد وصلب وقام حقاً وصعد إلى السموات قال أحد الآباء ما ملخصه «تقدم هذه التسبحة إلى الابن وحده لا إلى الثلاثة أقانيم فنقول قدوس الله الذي ولو افتقر لأجلنا إلا أنه غني ولم يتغير وبذلك نعترف بلاهوته. ونقول: قدوس القوي إقراراً بأن الإبن الأزلي تجسد لأجل خلاصنا وان ظهر ضعيفاً إلا أنه قوي غير متألم ولا مائت بلاهوته «مماتاً في الجسد ولكن محي في الروح ١بط ٤ : ١٨» ونقول: «يا من صلبت عنا ارحمنا» لنؤدي الشكر لجلاله لأنه مات لأجلنا واعترافا منا مع اللص بأن المصلوب كان إلهاً متجسداً لو ٢٣ : ٤٢» ولكن الكنيسة اليونانية تعترض كما جاء في كتاب تاريخ الإنشقاق وجه ٢٩٣ «بأن التسبيح المثلث لم يرد فيه ذكر للتجسد البتة وإنما ورد فيه ذكر الله ثم القوي ثم الذي لا يموت أعني ذكر اللاهوت مجرد. فعلى أي الأوجه شرحنا الزيادة لا تخرج المعنى على أن الصلب وقع على اللاهوت وغالباً على الثالوث القدوس أ.هـ».

والكنيسة القبطية ترد على هذا بلسان أحد أبنائها الشيخ حبيب أبو رابطة بما نصه: «أن الأربعة حيوانات رتلوا التقديس المثلث بخلاف ما زعم «المعترض» بقولهم قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شئ الذي كان والكائن والذي يأتي رؤ ٤ : ٨ و ٩ فلا يخلو من أن تكون هذه الترنيمة منسوبة للمسيح وهو الصحيح بدليل قولهم الذي كان والكائن والذي يأتي الأمر الذي لم يطلق في العهد الجديد إلا على المسيح فقط ومن ذلك ما ورد في الرؤيا هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين» رؤ

---

(١) راجع منارة الأقداس جزء أول.

١ : ٧ و ٨ ومنها قوله تعالى: «ها أنا آتي سريعًا وأجرتي معي... أنا الألف والياء... أنا يسوع أصل ذرية داود... أنا آتي سريعًا آمين. تعال أيها الرب يسوع رؤ ٢٢ : ١٢- ٢٢ أو منسوبة للثالوث الأقدس. فإن كان الأول فهو المقصود بذلك كاف لدحض الإعتراض والحكيم بصير. وإن كان الثاني قلنا في ذلك حجة قوية أيضاً لأن قول الحيوانات والذي يأتي. الأمر الأخير. إنما يريدون به الابن المتجسد كقولنا. يا من صلبت عنا. ونريد به المسيح لا غير أي أحد الثلاثة أقانيم المتجسد. فيبقى للمعترض أن يقولون. وإن كان قول الحيوانات. والذي يأتي إنما يريدون به أقنوم الإبن لكن لا يفهم منه سوى كونه لاهوتاً مجرداً فنجيبه قائلين. أن نسيجه هذا كنسيج العنكبوت لأن هذه العبارة من بعد التجسد لا يراد بها في الإنجيل أو خلافه إلا الابن حالة كونه متجسدا فاسمع ماذا قال الملاكان للرسل وقت صعوده. أن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء أع ١ : ١١ والأدلة على ذلك كثيرة فلا حاجة إلى أكثر» هذا وقد قلنا في مقدمة كلامنا أن هذه التسبحة قديمة وأن أول من فاه بها يوسف ونيقوديموس وبأمر القديس بطرس سلمت لكنائس سوريا وقد قرأنا في بعض الكتب الخطية القديمة في الكنيسة ما يؤيد هذا القول إذا جاء فيه [١] أن نيقوديموس لما رأى السيد مائتاً أخذه العجب واستولى عليه الذهول لأن رئيس الحيوة يموت وهو الذي أقام لعازر من القبر بعد موته بأربعة أيام يو ١١ والذي شهد الأب من السماء عنه قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت مت ١٧ : ٥. ناداه قائلاً: «أين جبروتك يارب» فالتفت إليه السيد وللحال سمع الملائكة تنشد من السماء «قدوس الله قدوس القوي قدوس

(١) السنكسار وتاريخ كنسي خط. وكتاب مقالات للأب يوحنا وآخر قوانين وموجود أيضاً ضمن التسابيح المضافة على مزامير داود في التسبحة الربانية أنظر منارة الأقداس جزء ١.

الحي الذي لا يموت. أما هو فهتف على أثر ذلك قائلاً: يا من صلبت عنا إرحمنا».

ولكن بعضهم يقول [١] أنها ابتدأت من القسطنطينية في القرن الخامس للميلاد في أيام الملك تاؤدسيوس الصغير ورتب استعمالها على أثر الزلزال الذي حدث فيها على ما يقول بعض مؤرخيهم [٢] إلا أن هذا القول مردود بدليل أولاً: أن هذه التسبحة موجودة في خدمة القداس التي هي أقدم من هذه الرواية. ثانياً: لأن الذهبي فمه أثبتها في مؤلفاته وهذا برهان على أنها كانت مستعملة في عصره. ثالثاً: لأن بعض المؤرخين ينسب وضعها في الكنيسة إلى القديس أغناطيوس ثالث بطاركة أنطاكيا[٣] وهذا أقرب إلى التصديق ويؤيد قولنا أنها مسلمة من القديس بطرس لكنائس سوريا. رابعاً: لأن كثيرين من الآباء أثبتوا أنها تسليم رسولي.

أقسامها وشرح معانيها وزمن تلاوتها

تقسم هذه التسبحة إلى قسمين. الأول: وهو الذي فاه به الملائكة على مسمع من نيقوديموس وهو قدوس الله .. الخ والثاني: يحوي طلب الكنيسة وهو «يا من ولدت. وصلبت. وقمت. ارحمنا».

---

(١) نفحة الطيب الزكية للروم الأرثوذكس.

(٢) ومما قاله أنه لما حدث الزلزال اضطر الملك والبطريرك وسائر الشعب أن يهجروا المدينة بسببه وفي ذات يوم بينما كانوا يستمدون رحمة الله لإنقاذهم من شر الزلزال خطف طفل صغير في العلا وبعد ساعة هبط وأخبر الحضور بأنه سمع الملائكة يرتلون قدوس الخ.. وأمروا بإستعمالها لنجاتهم وللحال فاضت روحه فإستعملت وبذا بطل الزلزال ومن ذلك الوقت رتب استعمالها .. الكتاب نفسه.

(٣) أنظر منارة الأقداس جزء أول.

وقد رتبت الكنيسة أن ترتل هذه التسبحة في القداس وفي كل صلواتها المفروضة ثم أمرت أن تكرر ثلاث مرات اعترافاً بلاهوت الإبن. أما في نهار الجمعة الكبير فتتلوها ثلاث مرات وفي كل مرة يقال «يا من صلبت عنا ارحمنا» اعترافاً منها بما أنكره اليهود الذين تأمروا على الرب ومسيحه وتشاوروا على موته واحتقروا لاهوته. وصرخوا ثلاث مرات قائلين اصلبه راجع لو ٢٣ : ٢١ - ٢٣ ويو ١٩ : ٢ و ١٥ أما قولنا «يا من ولدت من العذراء ارحمنا» فالمراد به اقرارنا بتجسد الكلمة وولادته من العذراء لفدائنا اش ٧ : ١٤ ومت ١ : ٢٣ ولو ١ : ٣١ و ٢ : ٧ وغل ٤ : ٤ وأنه إله حق من إله حق مولود غير مخلوق ومساو للآب في الجوهر يو ٨ : ٤٢ ، ١٦ : ٢٧ و ٢٨ ، ١٧ : ٣ في ٢ : ٦ وكو ٢ : ٩. وقولنا «يا من صلبت عنا» اعترافاً منا بأن الذي صلب عنا هو إله متجسد «الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب في ٢ : ٦-٨. وقولنا «يا من قام من الأموات وصعد إلى السموات ارحمنا» المقصود به اقرارنا بحقيقة قيامته من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه مت ٢٨ ولو ٢٤ : ٥١، أع ١ : ٣ و ٩- ١١، ١٠ : ٤٠ و ١كو ١٥ : ٤ و أف ١ : ٢٠ و ٢١ لهذا تستمد الكنيسة الرحمة من عريسها الذي ولد لها وصلب عنها ومات ليحيها وقام لتبريرها.

تتلى هذه التسبحة بعد الرسائل وقبل الإنجيل للدلالة على أن كرازة الرسل بإنجيل المسيح كانت مبنية على هذا الأساس أساس تجسد الرب وموته وقيامته المقدسة وصعوده إلى السموات راجع أع ٢ : ٢٢- ٣٣ ، ٣ : ١٧ و ١٨ ، ٤ : ٢ ، ٥ : ٣١ و ٣٢ ، ١٠ : ٣٩- ٤٢ و كو ٢ مع الآيات السابقة.

والثاني وهو المجد للآب والابن والروح القدس هذا التمجيد قد أضيف إلى التسبحة السابقة ويرتل معها تمجيداً للثالوس الأقدس واعترافاً بوحدانية

الله في ثلاثة أقانيم وأن هذه الأقانيم متساوية في الأزلية والقدرة والذات وكمال الصفات وهي ذات واحدة وجوهر واحد «وإعلاناً بأن سر التجسد كان يفعل هذه الأقانيم الثلاثة فنقدمها للثالوث الأقدس شكراً على إحسانه.

وقد اعتادت الكنيسة أن ترتلها في بدء وختام صلواتها المفروضة وفي الطلبات التي تتلوها وقت صلوة السواعي.

أما زمن وضعها فقد اختلفت فيه الآراء فذهب البعض إلى أنها تسليم رسولي. والبعض الآخر إلى أنها من موضوعات أباء المجمع النيقاوي المسكوني الأول الذي أمر بترتيلها في بدء الصلوة بالمزامير وفي كل الصلوات الأخرى إنكاراً لمزاعم أريوس الذي قال بعدم مساواة الابن للآب في الجوهر. وآخرون قالوا أنها أنشئت في كنيسة أنطاكية سنة ٣٤٣ في عصر قسطنطين بن قسطنطين الكبير على أثر بدعة آريوس التي انتشرت وكان أتباعه يرتلونها قائلين «المجد للآب في الإبن أو بواسطة الإبن في الروح القدس» وهكذا تسلمت إلى باقي الكنائس وبأمر القديس أثناسيوس رتب استعمالها في كنيسة الإسكندرية. والرأي الأرجع والمتمسك به أنها موجودة في الكنيسة قبل زمن القديس أثناسيوس بدليل وجودها في عصره واستعماله إياها وذكره لها في مؤلفاته. إذ جاء في كتابه عن البتولية ما نصه «الرب رحوم ورؤوف أعطى خائفيه طعاماً المجد للأب والابن والروح القدس».

وقد أضيفت عليها الجملة الآتية؛ الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين. أيها الثالوث الأقدس ارحمنا «تأكيداً للإعتقاد بلاهوت الابن واقرارا بمساواته للآب والروح القدس في الجوهر والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين وهي مأخوذة من الكتاب راجع مز ٤٠ : ١٤ ومت ٢٨ : ١٩ وغل ١ : ٥ وفي ٤ : ٢٠ و ١تي ١ : ١٧ و ٢تي ٤ : ١٨ وعب ١٢ : ٢١ و ١بط ٤ : ١١ ويه ٢٥ و رؤ ١ : ٦ ، ٤ : ٩.

أما سبب استعمال هذا التمجيد في بدء وختام صلواتنا فهو للدلالة على أن الله هو البداية والنهاية رؤ ١ : ٨ و ١٧ فنبدأ ونختم بمجده في جميع أعمالنا وصلواتنا. أما رشم علامة الصليب على جباهنا عند الترنم به فهو إعلان بأن معرفة الثلاثة أقانيم كانت بتجسد الرب وموته على الصليب.

[٥] ترتيب قراءة انجيل القداس وشرح معانيه

بعدما يفرغ المرتلون من تلاوة نشيد الثلاثة تقديسات السابقة يأخذ الكاهن المجمرة من الشماس ويصلي قائلاً: ϣⲗⲏⲗ صلى. ثم يرشم الشعب بعلامة الصليب وهو يقول Ⲏⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ – السلام لجميعكم.

يمنح الكاهن «أو رئيس الكهنة إذا كان حاضراً» السلام للشعب قبل قراءة الإنجيل إشارة إلى بشرى السلام التي زفها جمهور الجند السموي إلى العالم يوم ميلاد المخلص لو ٢ : ١٣ و ١٤ والكنيسة تفعل ذلك متتبعة أمر الرب الذي أمر رسله أن يبشروا بالسلام ويحيوا الناس به عند دخهولهم أي بيت أو مجمع للتبشير لو ١٠ : ٥ واقتداء برسله الذين كانوا يمنحونه للمؤمنين في فاتحة كل رسالة يكتبونها لهم ١كو وغل ١ وأف ١ وتي ١. وهو هنا بمثابة استعداد لقراءة الإنجيل الذي يبشرنا بيسوع الذي جاء وبشرنا بالسلام أف ٢ : ١٧.

ثم يصلي الكاهن أوشية الإنجيل وبعدها يدخل إلى الهيكل ويطوف حول المذبح مرة واحدة بالبخور والشماس أمامه حاملاً الإنجيل.

ذلك إشارة إلى كرازة الرسل في الخليقة كلها رو ١٠ : ١٥– ١٨ حاملين كل حين أمانة المسيح وسمات الرب يسوع في جسدهم ٢كو ٤ : ١٠ وغل ٦ : ١٧ وإعلاناً بأن خلاصنا إنما كان بالصليب أف ٢ : ١٦

وكو ١ : ٢٠ أما رشم - حق البخور - فيشير إلى أنه لله مل ١ : ١١ وقد ختم بختمه كما قال الآباء ويقدم البخور مصحوباً بالصلوة إشارة إلى ارتفاع صلواتنا وقبولها أمام عرش نعمته كرائحة طيب. قال المرنم «لتستقيم صلاتي كالبخور قدامك ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية مز ١٤١ : ٢ راجع رؤ ٥ : ٨ ، ٨ : ٣ و ٤.

في أثناء طواف الكاهن حول المذبح يرتل الشعب المزمور باللغة القبطية.

المراد للمزمور هنا بعض أعداد تشير إلى مجيء المخلص أو إلى أعماله قد اختارها الآباء من سفر المزامير وليس ذلك بالأمر الحديث في الكنيسة فإن المؤمنين كانوا يتلون بعض المزامير أو أعداد منها قبل التقديس منذ العصر الرسولي كما يتضح من الكتاب أف ٥ : ١٩ وكو ٣ : ١٦ ويؤيده تاريخ الكنيسة.. وجاء في المجموع الصفوي وإذا فرغوا من الترتيل فليقرأ الشمامسة فصولا من الكلام الرسولي وتسابيح من المزامير وبعد ذلك فليقرأ الإنجيل المقدس باب ١٢ : ١٥ وجه ١٢٣ ودسق ٣٧ و ٢٣ و ١٠».

وقد رتبت قراءة المزامير قبل الإنجيل لأن المزامير أنبأت بتجسد الكلمة ولأن المسيح جاء من نسل داود مت ١ : ١ وداود نفسه كان رمزاً للمسيح. وقد جاء الإنجيل بالأخبار التي تفيد اتمام النبوات التي قيلت في سفر المزامير عن تجسد الكلمة والترتيل بالمزامير أشهى وأجمل الترانيم لأجل مجد يسوع الساطع بالإنجيل ولذا قال الرسول. لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب كو ٣ : ١٦.

في بدء وختام قراءة المزمور يرتل الشعب هللويا.

هللويا تمثل لنا ابتهاج الصديقين وفرحهم بتوبة الخطاة ومع أن هذه الكلمة عبرانية فإن سائر الكنائس المسيحية على اختلاف لغاتها تنطق بها حسب وضعها العبراني. وترتلها الكنيسة على مدار السنة للدلالة على

فرحها وإبتهاجها بمجيء الرب يسوع وبنور انجيله وخلاصها به اقتداء بالملائكة الذين يرتلونها في الكنيسة السموية «المنتصرة» رؤ ١٩ : ١ ما عدا جمعة الصلبوت إذ تكون الكنيسة إذ ذاك محتفلة بتذكار موت الرب:

بعد طواف الكاهن حول المذبح يخرج من الهيكل بالإنجيل.

قد أجمع الآباء على أن خروج الكاهن من الهيكل حاملاً البشارة يشير إلى خروج المسيح من أورشليم كارزاً ببشارة الملكوت في كل اليهودية والجليل مت ٤ : ٢٣.

عند خروج الكاهن من الهيكل وقد فرغوا من قراءة المزمور يخاطب الشماس الشعب قائلاً: قفوا بخوف من الله لسماع الإنجيل المقدس.

كما أن يوحنا كان سابقاً للمسيح ومهيئاً الطريق قدامه ومخبراً الشعب بقرب ملكوت الله مت ٣ : ٢ كذلك الشماس يخبر الشعب بقرب قراءة الإنجيل ليقفوا بخوف الله لسماعه. وكما أشار يوحنا إلى المخلص بقوله هوذا حمل الله يو ١ : ٢٩ كذلك يشير إلى الإنجيل وينادي الشعب. هوذا إنجيل الله المقدس قفوا لسماعه: وقد حذر موسى شعبه قديماً من الإقتراب إلى الجبل حين أعطاه الشريعة لئلا يموتوا خر ١٩ : ١٢ ولكن في عهد النعمة يأمر الشماس الشعب أن يقفوا أمام الله لسماع صوته الذي يخاطبهم به بواسطة انجيله المقدس ليجدوا حيوة لأنفسهم يو ٥ : ٣٩.

والشماس يأمر الشعب بالوقوف والإصغاء للإنجيل يذكرهم بصوت الله الذي نادى من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا مت ١٧ : ٥ كأنه يقول وبما أن هذا إنجيل المسيح رو ١ : ٩ الذي هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن به عد ١٦ فيجب أن تقفوا بخوف الله وتصغوا بإنتباه الروح لسماع انجيله المقدس لأن فيه معلن بر الله»

عندما يقول الشماس للشعب «قفوا» يقف الجميع.

وقوف الشعب وقت قراءة الإنجيل دلالة على أنهم مستعدون أن يسلكوا بمقتضاه ويعملوا بموجبه ممتثلين لكل أوامره ومجتنبين جميع مناهية. وأن هذه العادة «الوقوف» قديمة في الكنيسة يتصل زمنها بعهد الرسل بدليل أولاً ما جاء في الأوامر الرسولية. وبعد ذلك فليقرأ الإنجيل قس أو شماس والكل واقفون صامتون دسق ٣٨ و ٢٣ و ١٠ م. ص ب ١٢ : ١٥ وجه ١٢٤ ، وقد أنبأ التاريخ بأن المؤمنين قديماً كانوا يقفون احتراماً للإنجيل المقدس الخريدة النفسية ق ١ : وجه ٧٩ وجاء في مختصر تاريخ كنيسة المسيح للبروتستانت. أن المسيحيين الأول كانوا في عبادتهم الجمهورية يتلون صلوات معينة ويظنون الجلوس عند ذلك تفريطاً وكانوا يقفون عند تلاوة الإنجيل غالباً إلخ صحيفة ٩٩ وقد أوجب القديس بطرس على المؤمنين «أن يقفوا وقت قراءة الكتب الإلهية في الكنيسة» رسالته لإكليمنطوس. وأوجبته الكنيسة بناء على تصريح الكتاب نح ٨ : ٥. والغاية منه إظهار روح الخضوع والطاعة الواجبين لكلمة الله وإجلالاً لله نفسه الذي بعد ما كلم الآباء والأنبياء قديماً بأنواع كثيرة وطرق شتى كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه عب ١ : ١ و ٢.

بعد وقوف الشعب يأخذ الكاهن الإنجيل الذي بيد الشماس ويرفعه في الوسط إلى فوق ويرشم به على هيئة صليب ويقدمه الكهنة لتقبيله وهو يقول:

• Ϥ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛ̀ϫⲉ ⲫⲏⲉⲑⲛⲏⲟⲩ ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲣⲁⲛ ⲙ̀Ⲡⲟ̄ⲥ̄

مبارك الآتي باسم الرب مز ١١٨ : ٢٦ ومت ٢١ : ٩.

يرفع الكاهن الإنجيل في الوسط في بدأ وختام قراءته ويصلب به على الشعب لمباركتهم به وإشارة إلى انتشاره في أربعة أقطار الأرض ويقبله الكهنة إكراماً.

وعندما يشرع في تلاوة الإنجيل ويرشم إشارة الصليب على الكتاب ثم

على جبهته فعلى شفتيه فعلى صدره - يرشم إشارة الصليب على الكتاب لأنه أول موضوع وأجله يمثله لنا الإنجيل إنما هو يسوع المسيح المصلوب ولأن من أراد أن يؤهل لإتباع يسوع واستماع أقواله يلزمه أن يحتمل صليبه ويقسم سيمته ثم أننا نرشمه على جباهنا إعلاناً بأننا لا نستحي بالإنجيل بل نرغب في أن نعيه في أذهاننا ونلهج به ليلاً ونهاراً. ونرشمه على أفواهنا دلالة على أنه يجب علينا أن نعترف بالفم للخلاص بما نؤمن به بالقلب للبر. ونرشمه على صدرنا لأنه يتقضى علينا أن نطبع أقوال الله في قلوبنا وأن نشغف بحبها. فعلينا إذاً. أن نصغي بوقار وإيمان لصوت الحكمة السماوية والحق الأزلي المستعلن لنا في كل كلمة من كلام الإنجيل لأن المسيح هو الذي يكلمنا فيه ولمن نصغي يا ترى. ان كنا لا نصغي لمن عنده كلام الحيوة؟ «الروضة الزهية ٧٦ ، ٧٧».

ثم يتقدم الكاهن أو رئيس الكهنة إذا كان حاضراً لقراءة الإنجيل على المنجليا وشماسان واقفان عن يمينه ويساره بالشموع المضيئة.

ايقاد الشموع وقت قراءة الإنجيل عادة قديمة في الكنيسة تكلم عنها القديس ايرينموس في كتابه ضد ونجيلنتيوس المبتدع بقوله: أن الشموع التي توقد وقت قراءة الإنجيل كالعادة المألوفة في كنائس الشرق ليست لتبديد الظلام بل لإظهار الفرح بالإنجيل كما كانت مصابيح الحكيمات مضيئة ليظهر تحت شكلي النور المنظور ما قيل في المزمور «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» مز ١١٩ : ١٠٥ وما جاء في سفر الأمثال. لأن الوصية مصباح والشريعة نور أم ٦ : ٢٣.

وقت قراءة الإنجيل وبعده يبخر الكاهن «أو شريكه» الهيكل والإنجيل[١] والشعب «ويعطى البخور للرئيس الحاضر إذا كان موجوداً».

---

(١) إعطاء البخور للإنجيل عند الأخذ في تلاوته وتقبيله عند الفراغ منها فإنما ذلك لإجلال الحق الأزلي المكنون في هذا الكتاب الشريف ولعبادته.

ذلك إشارة إلى رائحة الإنجيل الذكية التي انتشر عرفها وتضوع أريحها في كل أرجاء العالم وقال بعضهم أنه إشارة إلى ذبيحة المسيح الكفارية التي عبق شذاها الخلاصي في كل الأرض والسماء وأزال نتن الخطية وسكب على العالم طيب معرفته ببشارة الإنجيل على وفق قول الرسول. ولكن شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان. لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون - لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حيوة لحيوة ٢كو ٢ : ١٤ - ١٦ وقالت العروس في النشيد لرائحة إدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق ١ : ٣.

وفي بدء قراءة الإنجيل وختامه يرتل الشعب Ⲇⲟⲝⲁⲥⲓ ⲕⲩⲣⲓⲉ

المجد لك يارب.

معلوم أن الإنجيل يحوى البشارة المفرحة بالرب يسوع لو ٢ : ١٠ والخلاص الأبدي التي لا ولن يمكن أن توجد بشارة في العالم تماثلها ولهذا رتبت الكنيسة أن تبدأ وتختم كل فصل يقرأ من الإنجيل بصوت الفرح والإبتهاج - المجد لك يارب.

بعد قراءة الإنجيل قبطياً يفسره الشماس عربياً بعد تقبيل يمنى رئيس الكهنة إذا كان حاضراً.

الغاية من ذلك نيل البركة ودلالة على الخضوع له لأنه سفير الله ووكيل أسراره بل نائبه على الأرض والسيد ائتمنه على انجيله وفوض إليه أمر تدبير رعيته وفيه إشارة إلى قول الرسول. كيف يكرزون أن لم يرسلوا رو ١٠ : ١٣ وقد حذرت القوانين الكنسية والمجامع المسكونية على الشماس أن لا يفعل شيئاً بدون إذن الأسقف أما الإنجيل الذي يقرأ هو فصل من أحد الأناجيل الأربعة قد رتبت الكنيسة وضعه وانتخبته موافقاً للزمن أو الموضوع المناسب له. أما تلاوة الإنجيل فهي كما قال أحد الآباء «تعلن لنا تعاليم

المخلص وتوضح أعماله العجيبة التي أظهر بها مجده الإلهي لكل العالم.

ويلاحظ هنا:

أولاً: أن قراءة الرسائل على مسمع المؤمنين في بيت الرب فريضة كنسية أمر بها الرسول كو ٤ : ١٦ و ١تس ٥ : ٢٧.

أما غرض الكنيسة المقدسة من تلاوة الرسائل والإنجيل على مسمعنا فهو رغبتها في أن تتأهب لذبيحة يسوع المسيح بالرشد والتعليم وأن نمتلئ بواسطة كلام الرسل والأنبياء من روح يسوع المسيح قبل أن تعطينا جسده ودمه طعاماً نتغذى به فإن كلام الله وجسد المسيح إنما هما طعامان كل منهما على حدته.. يعد أحدهما الإنسان ويؤهله لأن يقبل الآخر بنوع يجديه نفعاً. ثم أن الرسالة تمثل لنا كرازة القديس يوحنا المعمدان التي بها بشر بمجيء المخلص وحضهم على عمل التوبة. (الروضة الذهبية وجه ٧١).

ثانياً: تقرأ النبوات عادة قبل الرسائل والإنجيل لأنها تنبئ بمجيء الرب وتجسده.

ثالثاً: تقرأ الرسائل عادة بعد النبوات ويقول البعض أن ذلك للدلالة على أن الرسل دخلوا على تعب غيرهم من الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب يع ٥ : ١٠ وهم «أي الرسل» إنما ارسلوا ليحصدوا ما لم يتعبوا فيه كقول السيد يو ٤ : ٣٨ والأرجح أن ذلك للدلالة.

(١) على أن الرسل كرزوا بمجيء من تنبأ عنه الأنبياء الذين اشتهوا أن يروه بأعينهم كالرسم ولم يروه كما قال السيد له المجد لو ١٠ : ٢٤.

(٢) أن هؤلاء الأنبياء أعلن لهم الروح القدس ذلك ليس لأنفسهم أو للذين كانوا في أيامهم بل لنا نحن وهذا يؤيده قول القديس بطرس «الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي

لأجلكم. باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها ١ بط ١ : ١٠- ١٢ وهذا ما يفوه به لسان حال الكنيسة لبنيها وقت قراءة الرسائل.

(٣) وأخيراً للدلالة على أن الأنبياء سبقوا فبشروا بالمسيح أنه سيأتي أ ع ٧ : ٥٢ والرسل بشروا أنه قد أتى ولهذا كثيراً ما كرر الإنجيليون هذا القول. ليتم ما قيل بالأنبياء الخ كلما أرادوا تقرير حقيقة عن المسيح سبق الأنبياء بها.

رابعاً: أما قراءة الإبركسيس بعد الرسائل فلأنه يحوي أخبار الرسل الذين قرأنا فصولا من رسائلهم.

خامساً: أما قراءة الإنجيل بعد الرسائل والابركسيس فهو إشارة إلى أن كرازة الرسل كانت بهذا الإنجيل الذي قبلوه من الرب وبه بشروا العالم لا بغيره ١كو ١٥ : ١ وغل ١ : ٨ و ١١ و ١٢ وهو خاتمة الكتب وكمال ما كتب فيها.

في أثناء قراءة الإنجيل يصلي الكاهن «أو الشريك» سرّي الإنجيل والحجاب سراً.

السر الأول صلوة ترفعها الكنيسة إلى عريسها السموي يسوع ملتمسة منه قبول صلواتها وتوبة بنيها ومنحهم نعمة ليستحقوا سماع انجيله والعمل بما تضمنه من التعاليم المقدسة وفي الوقت نفسه تطلب به شفاء المرضى وخلاص الخطاة ونجاة المتضايقين وسلامة الغرباء والمسافرين وهداية الضالين وتثبيت الموعوظين ونزع روح الضلال من قلوبهم وهي تفعل ذلك امتثالاً لأمر الكتاب الذي يأمرنا أن نصلي من أجل الجميع ١تي ٢ : ٢.

أما السر الثاني فيه يطلب الكاهن من أجل نفسه ليقبل الرب صلواته ويؤهله للإشتراك في ذبيحته المقدسة.

بعد قراءة الإنجيل يعتلي أحد رجال الإكليروس «الأسقف أو القس أو الشماس المنبر ويعظ الجمهور كلمة الإيمان أو بما يناسب فصل الإنجيل الذي قرئ في الكنيسة».

هذا عملاً بقول الرسول اعكف على القراءة والوعظ والتعليم... ١ تى ٤ : ١٣ و ٢تي ٤ : ٢ وهكذا اعتادت الكنيسة منذ العصر الرسولي بشهادة التاريخ الكنسي. وقد أثبت ذلك موسهيم في تاريخه بقوله «الكتب المقدسة في اجتماعاتهم الجمهورية ثم يتلوها نصائح للشعب لا فصيحة ولا طويلة بل مملؤة من الحرارة والمحبة وجه ٤٢ وقال أيضاً وحينما اجتمعوا كانت تتلى صلوات. وتقرأ الكتب المقدسة ويتلى على الشعب مواعظ مختصرة على الواجبات المسيحية صحيفة ٧٤ وقد جاء في المجموع الصفوي ما نصه «وإذا تكاملت قراءة الإنجيل إن كان الأسقف حاضراً فليحمله بيده ويخاطب الشعب بتفسير الفصل الذي قرئ وأن لم يكن حاضراً فليفعل ذلك القس الذي يعرف. باسيليوس ق ٩٧ وجه ١٢٤.

أما الشعب فيجب أنه يلازم الكنيسة ويسمع كلمة الوعظ بفرح كالتسالونيكيين أما الذين يهملون سماع الوعظ فإن مجمع قرطجنة يخاطبهم قائلاً «كل من يخرج من الكنيسة وقت الوعظ يفرز لأن خروجه يسبب عثرة الشعب وتهاوناً للكهنة ويشغلهم عن التكلم بأسرار المسيح».

[٦] المـــنبر

المنبر مكان مرتفع يقف عليه الخطيب أو الواعظ يخاطب منه الجمع وقد جعل خصيصاً في الكنيسة حيث يقف الواعظ تجاه كل الشعب وقد

أمر الله بصنعه ووضعه قديماً في المسكن. وعمل سليمان في بيت الله الذي بناه منبراً من نحاس في وسط الدار طوله خمس أذرع وارتفاعه ثلاث أذرع وفي يوم تدشين البيت وقف عليه ثم جثا على ركبتيه تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه وبارك الله ٢ أي ٦ : ١٣ وقد أشار إلى ذلك داود النبي بقوله «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم وليرفعوه في كنيسة شعبه وليسبحوه على منابر الشيوخ» مز ١٠٧ : ٣١ و ٣٢. وفي أيام نحميا وعزرا وخاطب جمهور الشعب وباركه وفتح السفر وقرأ في شريعة الله وفسر معانيها الطاهرة للشعب نح ٨ : ٤ - ٨ وأمرت الكنيسة بصنع المنابر في بيوت الصلوة ووضعها في وسط الكنيسة إلى الشرق تجاه كل الشعب لهذا الغرض عينه وقد جاء ذكرها في كلام الذهبي فمه على الكهنوت بقوله مخاطباً الكهنة «أنتم تقفون على المنابر للوعظ» والغرض من الوعظ وقراءة الإنجيل عليه الدلالة على سمو مقام الكرازة الإنجيلية ومصدرها الذي هو الله العلي المرتفع ساكن الأبد أش ٥٧ : ١٥ وقد خاطب الله شعبه قديماً على الجبل خر ١٩. وكذلك السيد صعد على الجبل وألقى عظته الثمينة مت ٥ : ١ و ٢ الخ ولما تجلى صعد إلى الجبل مع تلاميذه مت ١٧ : ١ وأشعياء يهتف قائلاً. على جبل عالي اصعدي يا مبشرة صهيون ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم ارفعي لا تخافي. قولي لمدن يهوذا هوذا إلهك اش ٤٩ : ٩ وآباء الكنيسة السريانية يقولون «في قراءة الإنجيل على المنبر إشارة إلى أن تعليمه سام من فوق وليس فيه ما يوافق الأرضيات كما أن موسى أخذ الوحي والألواح على رأس الجبل. والبخور والأضواء والمروحتان والتهليل قبل تلاوته تشير إلى البروق والرعود وصوت البوق والدخان التي حدثت عند نزول الرب على الجبل ومكالمته موسى خر ١٩ - والشمعتان أمام الإنجيل تشيران إلى المبشرين الذين أرسلهم المسيح اثنين اثنين أمام وجهه لو ١٠ : ١ الخ. وتعلق تلاوة الإنجيل بالكهنة ورؤساء الكهنة فقط لأنهم يمثلون السيد المسيح. ويبدؤه بالسلام يريد أن يبشرهم ببشارة المسيح إله السلام الذي عقد الألفة والسلام بين أهل السماء وأهل الأرض وشعب الله والأمم وكذا فعل الملائكة عندما بشروا

الرعاة بميلاده لو ٢ : ١٠ [١].

على أن في إرتفاعه واسطة لإيصال صوت الواعظ إلى آذان وقلوب جميع المصليين الذين عندما يسمعون الإنجيل تنتعش نفوسهم بكلمة الله وتمتلئ قلوبهم تعزية فيهتفون قائلين «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك» اش ٥٢ : ٧.

ولا يخفى أنه يراد بالمنبر الوعظ مجازاً وتاريخه «في كل القرون من منبر عزرا الشهير إلى هذا الوقت من ألذ تواريخ العالم ولا أبالغ إذا قلت أنه أفيد منها كلها. فتاريخ الموسيقى وكل فرع من فروع الفنون كالشعر والبلاغة وما شاكلهما لا يوازيه لذة وفائدة ولا يتضمن نسقاً مثل نسق سلاسل ناتجة فلا مسألة في أيامنا تتعلق بقوة فاعليته لم تحدث تغييراً عظيماً في الأمور المدنية في العصور الخالية وتصير مجملاً لقوة لا يحيط الوصف بعظمتها وإذا نظرنا إلى تاريخ الكنيسة في كل العصور رأينا أن قول الرسول المختار «الله يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة» ١كو ١ : ٢١.

«نعم أن الله جعل الكارزين مجددي العالم. فهم جنود الحرية الظافرون وأبطالها. ولا جند لها إلا خطباء المنابر وكثيراً ما ظهرت قوة المنبر بنوع لا تبلغ كنهة الألباب وقد صدق كوبر بقوله أن المنبر موقف سفراء السموات»

«على أنه قد يعلو المنبر من لا يستحق أن يدنو منه لأن غاية وعظه أن يظهر بلاغته وذكاءه وقوة تفننه في الكلام. ولكن مثل هذا يشبه صياد سمك حاملاً قصبة طويلة وخيطها طويل جداً لكن لا سنارة في طرفه ولا

---

(١) التحفة الروحية وجه ١٨١ ، ١٨٢.

طعم. وإنما يعتبر الوعظ حسناً إذا اصطاد الناس من بحر الهلاك وجاء بهم إلى شاطئ النجاة والخلاص وتلك غاية المسيح التي اختار لأجلها رسله أي ليكونوا صيادي الناس مت ٤ : ١٩ أن كثرة العلم والفصاحة في الوعظ لا تفيد ما لم يكن الواعظ تقياً وكلامه خارجاً من القلب والكلام الخارج من القلب الصالح المتوقد من تأثير معناه لهو الكلام المفيد الذي يبني النفوس ويعطي السامعين نعمة. وذلك هبة من هبات الله فلا يكتسب بالعلم وخوض لجج الحكمة الإنسانية ودرس الفصاحة والبلاغة وسائر آداب اللغة فكل هذه لا تأثير لها كما قلنا إذا خلى قلب المتكلم من روح الله ولم يكن كلامه خارجاً من قلبه راجع ١كو ٢ : ٤ و ٥ و ١تي ٤ : ١٢- ١٦.

[٧] شرح ما يتلى من الصلوات إلى تلاوة قانون الإيمان

بعد قراءة فصل الإنجيل وتفسيره أو شرحه للشعب يقول المرتلون الخ Ϫⲉ ϥ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛ̀ϫⲉ Ⲫ̀ⲓⲱⲧ مبارك الآب والابن إلخ.. ثم يسجد الكاهن لله أمام باب الهيكل ويقدم مطانية «خضوعاً» لاخوته الكهنة ويقبلهم ويصافح الشعب مستمداً رضاء الجميع ودعاءهم وموازرتهم له بالصلوة.

يفعل ذلك اعترافاً بضعفاته وإقراراً بذنوبه أمام الله لكي يطهر منها قبل أن يصعد درجات المذبح على وفق قول الرسول يع ٥: ١٦ ويقدم مطانية لإخوته الكهنة ويسلم على الشعب: تواضعاً ومصافحة لمن كان له عليه شئ وفقاً لقول الرب مت ٥: ٢٣ و ٢٤ ومر ١١: ٢٥ كما فعل إبراهيم وموسى ويوناثان النبي لداود الملك راجع تك ٢٣ : ٧ وعد ١٤ : ٥، ٢٠ : ٦ و ١ مل ١ : ٢٣ والغرض من عمله هذا أن يكون في الوقت نفسه مثالاً للشعب في خضوعهم بعضهم لبعض في خوف الله أف ٥: ٢١ وفي

اللطف والرحمة والتسامح والمغفرة أف ٤ : ٣٢ وكو ٣ : ١٣ وأما طلبه موآزرة الجميع له بالصلوة والدعاء فلكي تكون خدمته مرضية لله ومقبولة لديه تمثلاً بالرسول الذي طلب من المؤمنين أن يصلوا من أجله لهذا الغرض نفسه راجع رو ١٥ : ٣٠ و ٣١ وأف ٦ : ١٩ وكو ٤ : ٣ ، ١تس ٥ : ٢٥ و٢تس ٣ : ١ وعب ١٣ : ١٨.

ثم يدخل الكاهن «والشماس يتبعه» إلى الهيكل ويخضع كل منهما أمام الله قدام المذبح وبقبله في وسطه ويقف الشماس مقابله ووجهه إلى الشعب «غرباً».

قال بعضهم «عادة تقبيل المذبح في وسطه كان سبب إدخالها في القداس وجوب وضع ذخائر القديسين في وسط المذبح اقتفاء بآثار الأقدمين الذين كانوا ينصبون المذابح على قبور الشهداء القديسين» والكهنة تقبله الآن تكريماً له وللذبيحة التي عليه مت ٢٣ : ١٨ و ١٩ وقد كان الشماس قديماً يقف عن يمين الكاهن ووجه إلى الشرق ولكن تغير موقفه بسبب الإضطهادات لأن المضطهدين كانوا يهجمون على الكنائس وينتهكون حرمة الأسرار ويفتكون بالمصلين ويسلبون الأواني وما فيها من القرابين فحفظاً لكرامة السر وحرصاً عليه من أن تمتد إليه أيدي الأشرار رتبت الكنيسة أن يقف الشماس مقابل الكاهن في القداس حتى إذا ما أبصر خطراً مداهماً أنذر الكاهن ليحتفظ بالتقدمة المقدسة فيضعها في نافذة المذبح الشرقية التي عملت على ما يقول بعضهم لهذا الغرض.

وأن بعض الآباء قد علل وقوف الشماس مقابل الكاهن بعلة أخرى إذ قال أنه يشير إلى الملاكين اللذين كانا واقفين بثياب بيض واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً يو ٢٠ : ١٢ فكأن الشماس أحد الملاكين والكاهن ثانيهما.

هذا ويجب أن يقف الكاهن بهيبة وخشوع ويصلي بوقار وخضوع متأملاً جلال الله الرهيب الذي تسبحه الملائكة وهي سائرة وجوبها من

بهاء مجده وجلاله. وكذلك الشماس فليقف بكل ورع وانتباه صاغياً واعياً لما يتلوه الكاهن من الصلوات ليخاطب الشعب بها ويجيب ويؤمن عليها.

[٨] مبــــدأ القـــداس

ويبدأ الكاهن بالصلوة مخاطباً الشماس Ϣⲗⲏⲗ· صل وهذا ينذر الشعب بالصلوة ليجاوب كالمعتاد ثم يقول الكاهن للشعب « Ⲏⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ السلام لجميعكم» وإذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فهو الذي يمنح السلام للشعب.

قال الذهبي فمه «أن السلام هو أصل جميع الخيرات ولذلك لا يقتصر رئيس الكهنة على منحه للمؤمنين مرة ومرتين وثلاثاً بل يكثر منه فإنه عندما يدخل إلى الكنيسة يقول «السلام لجميعكم» وعندما يعظ الشعب يقول. السلام لجميعكم، ولما يباركهم يقول «السلام لجميعكم» وحين التقبيل يقول «السلام لجميعكم» وكذلك في أسرار البيعة ينادي بهذا السلام نفسه قائلاً: السلام لجميعكم» وذلك يشير إلى النعمة التي استحقها لنا ابن الله بموته عن جميع العالم ولأنه لم يتجسد ولم يمت إلا ليجعل السلام والصلح بيننا وبين الله أبيه.

بعد ذلك يصلي الكاهن أوشية السلامة. وعندما يقول Ⲁⲣⲓ ⲫⲙⲉⲩⲓ Ⲡⲟⲥ أذكر يارب سلامة كنيستك الخ يخاطب الشماس للشعب قائلاً: Ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲝ ⲥⲑⲝ ⲩⲡⲉⲣⲧⲏⲥ ⲣⲏⲛⲏⲥ صلوا من أجل سلامة الكنيسة فيجاوب الشعب، ⲕⲉ يارب ارحم.

أوشية السلامة هي طلبة ترفعها الكنيسة إلى الله في مدخل القداس ملتمسة سلامة بنيها ونجاتهم من كل التجارب ومنحهم سلامة الإلهي الذي يفوق كل عقل ليحفظ قلوبهم وأفكارهم في المسيح يسوع في ٤ : ٧ وأن ينعم على كنيسته بالألفة والإتحاد وأن يرفع من بنيها كل تحزب

وانشقاق. وبها تطلب أيضاً من الملوك والوزراء والحكام والجنود. والأمراء أن يوجبهم الكتاب المقدس. فأما الصلوة من أجل المؤمنين فلأننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء يعتنى بعضهما ببعض وتعمل لخير بعضها كذلك وجب أن نعتني بما يؤول لنمو ونجاح وخلاص الأنفس المتحدة معنا بروح الإيمان الواحد غل ٦ : ١٠ راجع يع ٥ : ١٦ وعن كهنة العهد القديم قال الرسول. لهذا الضعف يلتزم انه كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً نفسه عب ٥ : ٣ والكنيسة تفعل ذلك اقتداء بالأنبياء والرسل راجع ١ صم ١٢ : ٢٣ و رو ١ : ٩ و ١٠ وأف ١ : ١٦ و كو ١ : ٩ و١تس ١ : ١ : ٢ و ٢ تس ١ : ١١.

أما الصلوة من أجل الملوك والوزراء والجنود فلأن الكتاب يأمر بذلك ١تي ٢ : ١ – ٤ وواضح أن غرض الرسول بالصلوات التي تصير في الكنيسة كما أن الغاية من الصلوة لأجلهم واضحة في كلامه وهي قوله لنقضي حيوة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار عد ٢ وسائر الكنائس المسيحية على اختلاف مذاهبها تقدم في سر الشكر الصلوة من أجل الملوك والولاة كما لأجل المؤمنين [١] قال القديس كيرلس الأورشليمي. «أنه بعد أن تصير الذبيحة الروحية والتضحية الغير الدموية نسأل الله من أجل سلامة الكنائس عموماً من أجل عدو العالم. ومن أجل الملوك ومن أجل الجنود.. ومن أجل المرضى والمتضايقين وأخيراً من أجل جميع المحتاجين إلى المعونة». وقال القديس امبروسيوس «أنه في سائر ما يقال في الخدمة من التوسلات والطلبات يقدم الكاهن التسبيح لله ويسبق فيصلى من أجل جميع الشعب والملوك وغيرهم» وقد جاء في المجموع الصفوي ما نصه:

---

(١) راجع الأنوار في الأسرار للروم الأرثوذكس صفحة ١٩١ وتفسير الوسائل للكاثوليك ٥٩٠. والصلوة العامة للأسقفيين وجه ٢٠٩.

وبعد تفسير الإنجيل فليصل «الكاهن» من أجل المرضى والغرباء والمتضايقين ومن أجل الهواء والثمار والملوك والراقدين والذين يأتون بالقرابين إلى الكنيسة والذين يصنعونها والمتعظين وسلامة الكنيسة الجامعة «دسق ٣٨ وجه ١٣٤ : ١٩

بعد ذلك يصلي الكاهن أوشية الآباء. وعندما يقول الشماس مخاطباً الشعب Πpoc εγ̄ξacθε – صلوا من أجل رئيس كهنتنا البابا[١] «فلان» يجاوب الشعب « KE » – يارب ارحم».

---

(١) أما كون البطريرك الأسكندري يسمى بابا فهذا لقبه منذ القديم بل أول من لقب به بشهادة المؤرخين كما سترى.

«قال سعيد بن بطريق وهو افتيخوس البطريرك ٦٨ للملكيين بالإسكندرية «سنة ٩٣٣ – ٩٤٠م» في تاريخه المطبوع سنة ١٦٦١م «أن لفظة بابا مركبة من أب آباء ثم استدرجت إلى أبابا وخففت بلفظة بابا. وقد شهد افتيخوس في تاريخه المذكور بأن القبط هم الذين بدأوا بتلقيب بطاركتهم بالباباوات حيث أطلقوا لفظة بابا على الأنبا ياردكلاس الـ ١٣ وقد أيد هذه الحقيقة كل من ابن الراهب وساويرس ابن المقفع وفولر الإنكليزي وكذلك يشهد أبيفانيوس أسقف قبرص بأن الأسقفيين الغربيين أورزاس وفالانس خصمي أثناسيوس الرسولي البابا الأسكندري ذكر اسمه الكريم مصدراً بلقب «بابا» في خطاب أرسلاه إلى يوليوس أسقف روميه «راجع الهرطقة لـ ٦٨ بكتابه عن الهراطقات» وذلك يسقط دعوى القائلين سلستينوس بابا رومية القديمة هو الذي منح كيرلس الكبير هذا اللقب بعد حل المجمع الأفسسي المسكوني الثالث مكافأة له على سحقه البدعة النسطورية. إذ كلنا يعلم أن ياردكلاس رقى السدّة المرقسية سنة ٢٣٢م. وأن أثناسيوس رقيها سنة ٣٢٨ وأن كيرلس لم يرقها إلا سنة ٤١٢م. وقد امتد لقب بابا إلى قرطجنة حتى أن كرنيليوس أسقف رومية القديمة صدر معظم رسائله التي بعث بها إلى القديس كبريانوس أسقف قرطجنة في القرن الثالث بقوله السلام من كرنيليوس إلى البابا كبريانوس ومن ثم امتد هذا اللقب إلى أسقف رومية القديمة وإلى الأساقفة الغربيين التابعين له. أما إذا كان حبر رومية المذكور قوي فيما بعد على أن ينتزع لقب بابا من أخوته الغربيين ويحصره في شخصه فإنه لم يقو ولن يقوى على انتزاعه من حبرنا الأسكندري.

تصلي الكنيسة من أجل رئيس الكهنة «البابا» - وسائر رجال الاكليروس - ملتمسة من الرب يسوع رئيس الرعاة أن يمتع حياتهم بالهدوء ويجعلها محفوفة بالسلامة. وأن يحفظه في الإيمان القويم مفصلاً كلمة الحق بالإستقامة مكملا رئاسة الكهنوت التي أؤتمن عليها وذلك أولاً: لأنه المتقدم في جند الكنيسة. ثانيًا: لأن الكنيسة أصيبت بكثيرين من أولي البدع الذين ظهروا ذئابًا خاطفة لا تشفق على الرعية أع ٢٠ : ٢٨ كأريوس القس الأسكندري ونسطوريوس ومكدونيوس بطريركي القسطنطينية

ونظرة واحدة إلى جميع الخولاجيات القبطية «سواء كانت بين أيدي الأرثوذكس أو بين أيدي اخوانهم الكاثوليك «تكفي لتبرهن لنا على أن اسم الحبر الأسكندري لا يذكر حتى اليوم إلا مشفوعا بلقب بابا متبوعا بألقاب ثلاثة. ففي الثلاثة قداسات وفي صلوات بخوري المساء وباكر بل وفي جميع طقوس البيعة القبطية ينبه الشماس الشعب عند «صلوة الآباء» قائلاً «صلوا من أجل رئيس كهنتنا أنبا «فلان» بابا وبطريرك وسيد ورئيس أساقفة مدينة الأسكندرية العظمى.. الخ».

هذا ولو لاحظنا أن كتاب الله لا يعرف لرؤساء الكهنة غير لقب «أسقف» وأن المجمع النيقاوي المسكوني الأول لم يذكر الحبرين الأسكندري والروماني إلا بذلك اللقب «قانون ٦» لعلمنا أن «الأسقفية» هي وحدها درجة رئاسة الكهنوت وأن ما عداها فألقاب تفخيمية. وهذا هو البابا القديس كبرياونس القرطجني يقول بصريح العبارة «أن الدرجة الأسقفية التي هي أعلى درجة في الكنيسة واحدة» كتابه وحدة الكنيسة فصل ٥. ولو تذكر خلفاء الرسل أن البابا أثناسيوس الرسولي في رسالته إلى الأنطاكيين قال «أن للكنيسة رؤساء كثيرين متساويين في الكرامة يقودهم رأس واحد هو ربنا يسوع المسيح لتنزعوا عنهم كل غطرسة وكبر وقالوا مع بولس الرسول «إنما نحن خدام المسيح ووكلاء سرائر الله ١ كو ٤ : ١ إنما نحن ورعايانا جسد المسيح وإنما رأس ذلك الجسد هو ساكن الأعالي «لا ساكن الفاتيكان الذي لا يفتأ ينظر إلى حقارتنا بعين رحمته أف ١ : ٢٢ و ٢٣ ، ٤ : ١١ - ١٧ ، ٥ : ٢٣ وصلوة الصلح بالقداس الباسيلي، عن مختصر تاريخ الأمة القبطية صفحة ٥٨ - ٦٢.

هذا ومما يجدر ذكره أن نفس الكاثوليك يعترفون بأن لقب بابا هو لقب البطريرك

وأوطاخي وغيرهم الذين أزعجوا الكنيسة وأقلقوا راحتها بتعاليمهم الفاسدة وآرائهم العقيمة ومبادئهم الوخيمة وأما قوله «مفصلا كلمة الحق بالإستقامة فهو مأخوذ عن الرسول في وصيته لتلميذه ٢تي ٢ : ١٥ لهذا وذاك تطلب الكنيسة من أجلهم لئلا يضلوا بتعويجهم كلام الله كما ضل أولئك ٢بط ٣ : ١٦ و ١٧ وليرعوا رعية الله الناطقة بنشاط وبر وطهارة ١بط ٥ : ١-٤ .

وكذلك تصلي كل الكنائس المسيحية وبينها الكنيسة الأسقفية عن أساقفتها وسائر رعاتها: راجع الصلوة العامة وجه ٢٠٩ .

أما طلب الكنيسة أن يخضع الله أعداءه تحت قدميه. فالمراد به إطاعة

الأسكندري. فقد جاء في كتاب مجاني الأدب جزء أول ما نصه «وكان بطريرك الأسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أول بطاركة الأسكندرية إلي أن أقيم ديمتريوس وهو الثاني عشر من بطاركة الأسكندرية ولم يكن بأرض مصر أساقفة فنصت الأساقفة وكثروا بقراها وصار الأساقفة يسمون البطرك الأب والقسوس وسائر النصارى يسمون الأسقف الأب ويجعلون لفظة البابا تختص ببطريرك الأسكندرية ومعنا أب الآباء صفحة ٣،٣» وقد أثبت هذه الحقيقة صاحب تاريخ الإنشقاق مطران الأروام حيث قال «أسقف اسكندرية يسمى بابا بينما كان بطريرك أنطاكية يسمى بطريركا وأسقف رومية يسمى أسقفًا جزء ١ صفحة ٢٩ . أما كلمة بابا فمن الواضح أنها ليست لاتينية ولا عربية بل شرقية محضة وأول من سمى بها أسقف اسكندرية من أبناء أبروشيته في القطر المصري وفي اسكندرية عينها. قال المحققون أنها كلمة عربية الأصل مترجمة عن كلمة بطريرك الأعجمية التي كان يسمى بها أسقف أنطاكية وحده. قال أفستيوس بطريرك اسكندرية وهو سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر أن كلمة بابا مركبة من أب أباء.. ولكن آخرين ذهبوا إلى أنها كلمة يونانية الأصل مأخوذة من باباس معناها الآب فقط. قال صاحب دائرة المعارف «هي لفظة يونانية معناها الآب كان يستعمله النصارى الشرقيون لقبا للقسوس. والرأي الصائب المعول عليه هو أن الإسم خص أولاً ببطريرك اسكندرية ثم انتقل من كرسي اسكندرية إلى كراسي أفريقيا ومنها إلى كرسي رومية وكراسي الغرب إجمالا على السنة الأفريقيين كما ذكر سعيد بن بطريق المشار إليه» صفحة ٣٠ .

المخالفين له واتحادهم معه في الإيمان الواحد المسلم مرة للقديسين يه: ٣ فيمجدون الله ويعبدونه بفم واحد ونفس واحدة ليكون الجميع رعية واحدة لراع واحد هو يسوع المسيح وهو الأمر الذي نطلبه دائماً في الصلوة الربانية بقولنا «ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض.

على أن الكنيسة تفعل ذلك كما تسلمت وتعلمت من عريسها السموي ورسله القديسين فإنه له المجد صلى من أجل بطرس لكي لا ينقص إيمانه لو ٢٢ : ٣١ و ٣٢ ومن أجل جميع تلاميذه أيضاً طالباً من أبيه أن يحفظهم من الشرير يو ١٧ : ٩ الخ كما صلى من أجل الذين يؤمنون به بكلامهم ليكون الجميع واحدا عد ٢٠.

أما رسله. فقد أمر القديس بولس بذلك قائلاً اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله عب ١٣ : ٧ وقد علم الكنيسة بمثاله أن تصلي من أجل رعاتها إذ صلى من أجل تيموثاوس وفليمون ٢ تي ١ : ٣ وفل ٤.

عندما يقول الكاهن في أوشية الآباء Ϣⲟⲗⲟⲩ Ⲉ̀ⲣⲟⲕ – اقبلها إليك» أي صلوات رؤساء الكنيسة وسائر رعاتها يضع يد بخور في المجمرة إشارة إلى ارتفاع الصلوة إلى الله وقبولها لديه كرائحة ذكية:

ثم يصلي الأوشية الثالثة، أوشية الإجتماعات، ولما يقول Ⲧⲱⲛⲕ Ⲡ̀ϭⲥ Ⲫϯ قم أيها الرب الإله، يقدم البخور لله فوق المذبح ثلاث مرات.

قم أيها الرب الإله وليتفرق جميع أعدائك وليهرب من أمام وجهك كل مبغض اسمك هذا القول مأخوذ عن الكتاب راجع عد ١٠ : ٣٥ وأعداء الرب هم أعداء كنيسته وأعداء صليب المسيح في ٣ : ١٨ الذين يحولون انجيل المسيح ويقلبون التعليم الصحيح ولا يزالون يحاربون الله وكنيسته بأنواع مختلفة وطرق شتى ليستميلوا قلوب السلماء ويخدعوا عقولهم ويردوهم عن طاعة المسيح راجع أع ١٥ : ١ و ٢٤ ، ٢ كو ٢:

١٧ وغل ١ : ٧، ٢ : ٤، ١تي ٤ : ٢ وتي ١ : ١٠ و ١١ والكنيسة تصلي هذه الصلوة اقتداء بالأنبياء والرسل القديسين راجع عد ١٠ : ٢٥ وغل ٥ : ١٢ وبهذه الصلوة لا تطلب انتقاماً لهم بل روح الهداية لتبطل تدابيرهم وتتبدد مشوراتهم ضد ملكوت المسيح. وفي الوقت نفسه يراد بالأعداء أرواح الشر التي ما فتئت تعمل على هدم ملكوت الله ولذا فإن الكهنة يتلوها أيضاً على المصابين بالأمراض التي سببها عدو البشر.

ثم يتجه الكاهن إلى الشعب ويباركهم بمثال الصليب وبيده المجمرة طالباً لهم البركة من الله وهو يقول Πeκλaoc Δe maρeqϣωπι وأما شعبك فليكن بالبركة، ثم يتجه إلى الشرق ويعطي البخور لله كالأول وهو يقول « ϧen ni ϩmot ... - بالنعمة والرأفات. ومحبة البشر التي لإبنك الوحيد الخ» ثم يبخر القربان ويقول Φai etee bol ... الخ»

يقول الكاهن بالنعمة والرأفات الخ أي امنحنا يا الله ما طلبناه منك إكراماً لرأفة ومحبة ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح ٢ تس ١ : ١١ و ١٢، ١بط ١ : ١٣. أما تبخير القربان الآن فإشارة إلى الطيب التي أتت بها النسوة إلى القبر لو ٢٣ : ٥٦، ٢٤ : ١.

لما ينتهي الكاهن من صلوة الأفشية يقول الشماس مخاطباً الشعب « Ⲉⲛⲥⲟⲫⲓⲁ ⲡⲣⲟⲥⲭⲱⲙⲉⲛ - انصتوا بحكمة».

انصوفيا بروسخمين. كلمتان يونانيتان معنى الأول حكمة والثانية سكوت أو إصغاء أي بحكمة أو تعقل اصغوا. وسبب هذا على ما قال بعض الآباء أنه كان يحدث عند خروج الموعوظين شئ من الهرج الذي لا يجوز لأنه يشوش على المؤمنين ولذلك يأمر الشماس المصلين أن يلزموا الحكمة والسكينة ومعلوم أن الإصغاء بحكمة يكون بهيبة وخشوع فإن الحكمة تطلب ذلك.

بعد ذلك ينبه الكاهن الشعب بتلاوة قانون الإيمان وليبدأ هو أولاً والشعب يتبعه.

[٩] قـــانون الإيمـــان

واضعه. أقسامه وقت تلاوته. الغرض منها وفائدتها

قانون الإيمان هو خلاصة العقائد المسيحية التي وضعها رجال الله القديسون بإلهام الروح القدس لتكون قانوناً يسير عليه المسيحيون.

«واضعه» وضع هذا القانون آباء المجمع [١] المسكوني الأول الذي انعقد في مدينة نيقية من أعمال بيثينية سنة ٣٢٥ بأمر الملك قسطنطين الكبير تحت رئاسة الأنبا الكسندروس البابا الأسكندري لمحاكمة أريوس القس الأسكندري الذي علم أن الابن «مخلوق» حضره ٣١٨ أسقفاً من أساقفة الكنائس المسيحية في المسكونة وقرروا بالإجماع الإعتقاد بأن ابن الله هو مساو للآب في الجوهر ومولود من الآب أزليا. وحرم وأفرز أريوس من الكنيسة.

يبتدأ ما قرروه من كلمة «نؤمن بإله واحد. إلى كلمة: وليس لملكه انقضاء» وقد أتمه آباء المجمع المسكوني الثاني الذي انعقد في القسطنطينية في عهد تاودوسيوس الملك الكبير تحت رئاسة الأنبا تيموثاؤس بابا الأسكندرية لمحاكمة مكدونيوس بطريرك القسطنطينية الذي أنكر لاهوت الروح القدس إذ أضاف إلى ما قرره المجمع الأول الجمل التي تبدأ بكلمة،

---

(١) لفظة مجمع يراد بها مجموع أساقفة الكنيسة الذين يجتمعون في ظروف غير عادية لتثبيت حقائق الإيمان المسيحي واستئصال الزوان.

نعم نؤمن بالروح القدس الخ» وأعلن أن الروح القدس هو «إله مساو للإبن في الجوهر» وقد انعقد سنة ٣١١ وكان مؤلفا من ١٥٠ أسقفاً ثم حكم بحفظه بدون زيادة ولا نقصان أباء المجمع الثالث المسكوني الذي التأم في أفسس سنة ٤٢١ بأمر الملك تاودوسيوس الصغير تحت رئاسة الأنبا كيرلس الكبير بابا الأسكندرية لمحاكمة نسطور بطريرك القسطنطينية الذي علم «أن للمسيح أقنومين وأن واحداً هو المولود من السيدة البتول مريم وغيره هو ابن الله وأن العذراء مريم ليست أم الله بل أم المسيح الإنسان» فحرمه المجمع وكان عدد أعضائه ٢٠٠ أسقفا ثم وضع مقدمة قانون الإيمان التي مطلعها «نعظمك يا أم النور الحقيقي .. الخ (راجع ق ٧).

وقد يسمى هذا القانون دستوراً وهو باليونانية «سيقولون» ومعناه علامة التعارف وهو مأخوذ من علامات التعارف التي يتبادلها العساكر ليميزوا بين الصاحب والعدو. ومثله دستور الإيمان فإنه أشبه بعلامة يتميز بها المسيحي من أعداء الإيمان [١].

«**أقسامه**» يؤلف هذا القانون من اثنى عشر بنداً مصدرها كلها الكتاب المقدس لإثبات ألوهية الأقانيم الثلاثة وتجسد وصلب وموت وقيامة وصعود ابن الله إلى السماء وأسرار وعقائد الكنيسة وهاك هي.

(١) نؤمن بإله واحد الله ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى.

(٢) نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب

---

(١) التعليم المسيحي للروم وجه ٧٥.

قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شئ

(٣) الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس

(٤) وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر

(٥) وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب

(٦) وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب

(٧) وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء

(٨) نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي نسجد له ونمجده مع الآب والإبن الناطق في الأنبياء

(٩) وبكنيسة. واحدة. مقدسة. جامعة. رسولية.

(١٠) ونعترف بمعمودية واحد لمغفرة الخطايا

(١١) ونترجى قيامة الأموات

(١٢) وحيوة الدهر الآتي. أمين أ. هـ

فالبند الأول وحده خاص بإلوهية الآب والثاني إلى السابع خاص بالله الإبن والثامن بالله الروح القدس. والتاسع إلى الثاني عشر خاص بالكنيسة واعتقادها بمعمودية واحدة وقيامة الموتى والحيوة العتيدة.

فالإثنا عشر بندا زبدة التعاليم اللاهوتية والحقائق الإنجيلية الواجب على كل مسيحي التمسك والإعتراف بها كحقائق معلنة من الله في كتابه العزيز.

«وقت تلاوته» قد فرضت الكنيسة تلاوة هذا القانون في خدمة القداس وعلى الكهنة أن يكرروه في صلوات السواعي اعترافاً بتمسكهم بعقيدتهم وأصول إيمانهم وعلى معلمي المدارس أن يشرحوه لتلامذتهم والرعاة لرعيتهم وأن يحفظوه عن ظهر قلبهم ليتفقهوا معنى معرفة الأصول الإيمانية ويتمسكوا بالأسرار الإلهية التي في معرفتها والتمسك بها الخلاص لكل من آمن بها مر ١٦ : ١٥ ويو ١٧ : ٣.

وقد أمرت أن يبدأ الكاهن بتلاوته في القداس، لأنه رأس الكنيسة ولسانها، والشعب يتبعه في تلاوته بصوت مرتفع وقد علمت أن يقال بعد تلاوة الإنجيل وقبل الصلح وذلك لأن الكنيسة في عهدها الأول كانت تأمر بخروج الموعوظين وكان المؤمنون فقط يلبثون إلى نهاية القداس ثم تطلب منهم أن يعترفوا علنا بإيمانهم الواحد وهم وقوف في حضرة الله إعلاناً بثبوتهم في الإيمان القويم والإعتقاد بوحدانية الله وتثليث الأقانيم وبجميع العقائد التي يحويها هذا القانون ولأن المؤمنين الممتلئين من روح واحد يجب عليهم خصوصا في مثل هذه الآيام (الآحاد) الإحتفالية أن يجددوا صريحاً وجهاراً أمام المذبح اعترافهم بإيمان واحد مخضعين عقولهم لكل أسرار ديانتنا المقدسة فسبيلنا أن ننعش في قلوبنا روح الإيمان الحي لدى تلاوتنا هذا القانون المختصر المتضمن أخص عقائد الديانة المسيحية الذي نشأ بنشأة الكنيسة وهو يذكرنا أيضاً بفتوحات وانتصارات الرسل وبما صرحنا

بالإعتقاد به لما قبلنا المعمودية [1] «وقد كان المسيحيون القدماء حين يسمعون في قانون الإيمان تلاوة «الله صار إنساناً» يخرون على وجوههم ركعاً وسجوداً» [2].

والغرض من تلاوته. هو كما قال الآباء أولاً: لتكون ألسنتنا ناطقة بإيماننا القويم المتمسكين به من أعماق القلوب على وفق قول النبي «آمنت لذلك تكلمت مز ١١٦ : ١٠» وقول الرسول لكن ماذا يقول الكلمة قريبة منك في بفمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها لأنك إن اعترفت بفك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامة من الأموات خلصت لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص رو ١٠ : ٨- ١٠. ثانياً: لكي يجدد الشعب اعترافه وإقراره أمام الله وكنيسته أنه متحد بالله وقابل أسراره ومؤمن بلاهوت الأقانيم الثلاثة وتجسد وصلب وموت وقيامة ابن الله من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين الآب. ثالثاً: للدلالة على أنهم جميعاً متحدون في الإيمان الواحد المؤسس على موت الفادي الذي نصنع في القداس تذكار موته كما دعوا في رجاء دعوتهم الواحد رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة إله وأب واحد للكل أف ٤ : ٤- ٦ وعلى أنهم واحد في المسيح ومحافظون على وحدانية الروح برباط السلام ولهم محبة واحدة التي بدونها يكون الإيمان باطلاً ١كو ١٣ : الخ كأن كل واحد منهم يعلن اعترافه هكذا «اللهم أني أؤمن إيماناً ثابتاً بكل ما تؤمن به وتعلمه أمي الكنيسة المقدسة وأعترف به أمام السماء والأرض وأني لمستعد أن أريق دمي وأبذل حياتي إثباتاً للحقائق الدينية لأنك أنت الحق الغير القابل الغلط قد أوحيتها إلى الكنيسة لكني عالم يارب أن الإيمان وحده بدون المحبة والأعمال الصالحة لا يجدي نفعاً ولذلك أسألك أن

---

(١) الروضة الزهية صفحة ٧٧.

(٢) القلادة الدرية في الحيوة المسيحية للبروتستانت وجه ١٠.

توليني إيمانا حيا ثابتاً يسوقني إلى العمل بمقتضى الحقائق التي أعتقد بها فأعيش وأموت هكذا كمسيحي حقيقي [١].

«فوائد تلاوته». قال الذهبي فمه أن درس هذا القانون يؤتي المؤمنين الثبات. والمتدرجين النصرة. والمسافرين التسلية والتائبين التعزية والفائزين إكليل الملكوت» والقديس أغسطينوس يقول: أنه مختصر الكلام لكنه جزيل الأسرار فإن جميع ما هو مرسوم في التوراة وجميع ما سبق وأخبر به الأنبياء عن الإله الغير مولود وعن الإله «الابن» المولود من الآب «أزلياً» وعن الروح القدس وعن مناولة جميع الأسرار وعن موت الرب وسر قيامته كل ذلك بأسره مجمل في هذا القانون إذاً كل من أقر به في العماد بلسان الأشابين فليستعمله في زمن الرشد». والقديس امبروسيوس يقول «أن الأمانة المقدسة حبلت بقانون الرسل. الذين اجتمعوا معا فسكبوه مفتاحاً لنقفل به ظلمات الشيطان ويشرق نور المسيح وتنفتح القلوب المقفلة بالخطايا وتعلن أفعال البرارة. إذاً يجب أن نعلن هذا المفتاح لإخوتنا. وأن نتسلح به يوميا ضد جميع حيل الأعداء المنظورين وغير المنظورين إلى آخر نسمة[٢] وهذا القانون معروف لسائر المسيحيين على اختلاف مذاهبهم ومحفوظ منهم ومقدس لديهم. جاء في نظام التعليم للبروتستانت ما نصه «أوجه الإتفاق بين الكنيسة الإنجيلية والشرقية الإيمان بالكتاب المقدس وقبول تعاليم وقوانين الإيمان للمجامع الثلاثة الأولى المسكونية س ١٧ وجه ١١٣» أنظر أيضا س ١٥ وجه ١٠٩ والصلوة العامة للأسقفيين وجه ٢٠٥ و ٢٠٦.

أما الزيادة التي أدخلت عليه من الكنيسة البابوية وهي كلمة «والابن»

(١) الروضة الزهية وجه ١٤٥.
(٢) منارة الأقداس جز «٢» وجه ٢٨.

فإنها مخالفة لما قرره أباء هذه المجامع ولا سيما القانون السابع للمجمع الثالث الذي حكم بحفظه بدون زيادة ولا نقصان وحرم ولعن من يخالفه ويزيد عليه أو ينقص منه. ولا ينطبق على نطق الرب يسوع الذي قال وقوله الحق، ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي يو ١٥ : ٢٦ .. وكفى بهذا القول الإلهي برهانا ساطعا ودليلاً قاطعاً على ضلالة هذه البدعة التي ابتدعتها الكنيسة البابوية وخالفها فيها جميع آباء الكنيسة في الأجيال الأولى المسيحية حتى البروتستانت أنفسهم الذين يؤملون أن تتحد الكنيسة يوما ما على إرجاع قانون الإيمان إلى أصله فقد جاء في كتابهم نظام التعليم في اللاهوت القويم على هذه الزيادة ما نصه» أننا نتفق على أن إدراج لفظة «والابن» في القانون النيقاوي كان على اسلوب غير قانوني: ويليق لأجل السلام والوحدة في المستقبل أن الكنيسة كافة تنظر في هذه المسألة قصد الحكم إرجاع القانون النيقاوي إلى شورته الأصلية أي بترك لفظة «والابن» س ١٥ وجه ١٠٩.

ومما تجب ملاحظته أن هذه الزيادة لم تدخل على قانون الإيمان إلا في القرن الثامن أو التاسع على رأي فريق مما يدل على أنها دخيلة ومحدثة وليست من تعليم الكنيسة الجامعة الرسولية.

[١٠] شرح وترتيب ما يتلى من الصلوات إلى نهاية الصلح

وبعد تلاوة قانون الإيمان يرتل الشعب الجزء الأخير منه باللغة وفي هذه الأثناء يغسل الكاهن يديه.

وبما أن الأيادي هي آلة العمل وبها يتمم الكاهن الذبيحة ويلمس جسد الرب ودمه ويكسره ويوزعه على المشتركين لهذا بعد فراغه من تلاوة الثلاث أواشي المتقدمة وقانون الإيمان يغسل يديه احتراماً وتوقيراً للأسرار المقدسة المزمع أن يلمسها بعد أن تستحيل إلى جسد المسيح ودمه والتي يجب أن تلمس بيدين طاهرتين – ودلالة على الطهارة الباطنية الواجب أن يكون عليها من يدنو إلى قدس الأقداس قال الذهبي فمه. يجب أن نغسل أيدينا ونحن داخلون إلى الكنيسة ووقت القداس إشارة إلى تطهير الروح من نجاسات الخطية مز ٢٦ : ٦ واش ١ : ١٦ وأن الذي يريد أن يتناول حمل الله يجب عليه أولاً أن يحوي برارة الحمل – فى الكهنوت ك ٦ «ثم أن غسل الأنملات يمثل لنا كيف غسل السيد أرجل تلاميذه ليعدهم إلى قبول سر الإفخارستيا. فانعش أيها المسيحي في قلبك عواطف الندامة على خطاياك وأضرع إلى الله مبتهلاً إليه أن يوليك طهارة الضمير قائلاً مع الكاهن «أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يارب لأسمع بصوت الحمد وأحدث بجميع عجائبك. يارب أحببت محل بيتك وموضوع مسكن مجدك: لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي. الذين في أيديهم رذيلة ويمينهم ملآنة رشوة. أما أنا فبكمالي أسلك أفدني وارحمني. رجلي واقفة على سهل.. في الجماعات أبارك الرب مز ٢٦ : ٦ – ١٢.

وقد شهد القديس ديونسيوس أن هذه العادة قديمة جداً في الكنيسة. «كتابه في الرئاسات الكهنوتية» وفي أوامر الرسل قيل «وليأت الشماس بماء ويغسل الكهنة أيديهم ويقال أبروسفارين راجع دسق ١٠ م. ص ١٢٤.

أما نفض الكاهن يديه أمام الشعب بعد غسلهما فهو بمثابة إنذار للجميع وبنوع خاص للمزمعين أن يشتركوا في مائدة الرب بأنه برئ من ذنب من يقدم على التناول بدون استحقاق من غير علمه. خ. ك صفحة ٢٩٦.

بعد غسل الكان يديه يصلي كالمعتاد ثم يمنح السلام للشعب قائلاً:

« Iрнин пасі - السلام لجميعكم».

كثيراً ما يكرر الكاهن هذه الجملة العذبة في القداس وهو يفعل ذلك اقتداء بالرب يسوع الذي كان يكررها على رسله يو ١٤ : ٢٧ ، ٢٠ : ١٩ و ٢١ و ٢٦ وقد أمر تلاميذه أن يستعملوها في زياراتهم الرعوية لو ١٠ : ٥ ولهذا كان الرسل يفتتحون بها رسائلهم للمؤمنين كما نرى في ١كو ١ : ٣ و ٢كو ١ : ٣ وغل ١ : ٣ وأف ١ : ٣ كما كانوا يختمونها بالسلام نفسه وبطلب البركة والسلام من الله هكذا ورب السلام نفسه يعطيكم السلام دائماً من كل وجه. الرب مع جميعكم ٢ تس ٣ : ١٦ .

وبهذا السلام يجدد الكاهن وثائق المحبة مع الشعب. وقد تسلمت الكنيسة منذ العصر الرسولي أن يمنح الكاهن السلام للشعب قبل تقديس الأسرار كما هو واضح من أقوال مجمع لاذقية وآباء الكنيسة كالقديس دينوسيوس واكليمنضس والذهبي فمه وغيرهم.

بعد ذلك يأخذ الكاهن اللفافة التي على الابروسفارين ويمسكها من زاويتي قطرها.

أجمع آباء الكنيسة الشرقية والغربية أيضاً أن أخذ اللفافة يشير إلى دحرجة الحجر الذي كان على قبر المخلص بواسطة الملاك مت ٢٨ : ٢ و ٣ .

ثم يصلي صلوة الصلح وعند « Ϫⲉ ⲱⲟⲩ ⲛ̀Ⲫϯ - المجد لله» يقول الشماس للشعب « Ⲡⲣⲟⲥⲉⲩⲝⲁⲥⲑⲉ ⲩⲡⲉⲣⲧⲏⲥ ⲧⲉⲗⲓⲁⲥ ⲓⲣⲏⲛⲏⲥ - صلوا من أجل .. الخ فيجاوب الشعب « Ⲕⲉ ».

صلوة الصلح هي – كما قال بعضهم – «بمنزلة فاتحة أو تمهيد أو مقدمة لصلوات القداس تتضمن عبارات رقيقة وخضوعية شأنها أن نرفع عقولنا من أسافل الأرضيات إلى أعالي السمويات وتعرب لنا في الوقت نفسه عن حاسات الكنيسة وعواطفها وانفعالاتها الروحية على أنواعها الشتى. وهي تمثل لنا الأدعية والتسابيح التي أداها الملائكة إبان تجسد ابن الله الوحيد شكراً ومجداً له تعالى عما كان مزمعاً أن يتأتى عن آلام وموت فادينا يسوع من المجد للعزة الإلهية ومن الفوائد الخلاصية لجميع الخلائق». وقد رتبت الكنيسة أن تذكر في القداس إحسانات الله العظيمة للبشر من خلقة الإنسان على صورته وعنايته الفائقة به منذ سقوطه وتدبير سر التجسد العجيب لخلاص العالم وتوسط الرب في مصالحتنا مع أبيه ونقضه السياج المتوسط أي العداوة عاملا الصلح بدم صليبه وهذا ما تحويه صلوة الصلح راجع أف ٢ : ١٤– ١٨ وكو ١ : ١٩ و ٢٠ ، ١تي ٢ : ٥ ، ٣ : ١٦ وبما أن الملائكة هتفت عند ميلاد المخلص «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة .. لو ٢ : ١٤ ، لهذا أضافت الكنيسة هذا التسبيح على صلوة الصلح وعندما يأتي عليها الكاهن يرددها الشعب كأن كل واحد منهم يقول «المجد لك. إني أعترف بك يا يسوع مخلصي وأقر معتقداً بأنك ابن الآب الأزلي والمساوي له في الجوهر وبأنك فادي العالم ومبدي السلام وأسبحك ساجداً لك مع الملائكة. فاجعلني أن أعيش عيشة ملائكية على الأرض فأوهل لأن اشترك معهم بالفرح الدايم في النعيم السموي».

أما الشعب فيرتل «كيرياليصون» وهي لفظة تمثل لنا «تنهدات الآباء الأقدمين ونفوس الصديقين الذين كانوا في السجن اش ٤٢ : ٧و ٤٩ : ١٩ ، ٦١ : ١ وذهب إليهم يسوع وبشرهم بالخلاص ١بط ١ : ١٢ و٣ : ٩ ، ٤ : ٦ وقد كانوا يواصلون التضرعات إلى الله تعالى لكي ينقذهم من منفاهم الأليم وتسبحة «الحمد لله» تمثل لنا النشيد الذي ترنم به الملائكة

عند ميلاد الرب»[1].

ثم يصلي أوشية الصلح ثانية « ϧⲉⲛ ⲡⲉⲕϯⲙⲁϯ Ⲫϯ بمسرتك يا الله املأ قلوبنا من سلامتك.. الخ».

بهذه الصلوة يضرع الكاهن إلى الله الذي صالحنا بابنه أن يملأ قلوبنا من سلامه الذي يفوق كل عقل في ٤ : ٧ ليكون لنا معه سلام بربنا يسوع المسيح رو ٥ : ١ وليكون لنا سلام في قلوبنا بعضنا لبعض مجتهدين أن نحفظ وحدانية الروح برباط الصلح أف ٤ : ٤ قال الذهبي فمه «أننا نتوسل طالبين السلامة لأنه يجب أن نطلب السلامة في جميع أحوالنا لأنه لا يوجد شيء يوازيها، وبما أن القبلة في القداس تصير بعد هذه الصلوة لهذا يطلب الكاهن من الله إله السلام أن يملأ قلوبنا من سلامه ويطهر ضمائرنا من كل شر وحقد وقلوبنا من كل غش ورياء لنقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة رو ١٦ : ١٦ ونصافح بعضنا بعضاً بقبلة المحبة العديمة الرياء ١بط ١ : ٢٢، ٥ : ١٤.

بعد فراغ الكاهن من صلوة الصلح يخاطب الشماس الشعب قائلاً :

Ⲁⲥⲡⲁⲥⲁⲥⲑⲉ ⲁⲗⲗⲏⲗⲟⲗⲥ ⲉⲛⲫⲓⲗⲏⲙⲁⲧⲓ ⲁ̀ⲅⲓⲱ

– قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة».

قال أحد الآباء «لما كان المؤمنون في صدر النصرانية متحدين معاً قلباً ونفساً وكانوا في هذه الأثناء يتبادلون قبلة السلام فمراعاة لهذه العادة القديمة العهد يسلم الإكليروس بعضهم على بعض بقبلة السلام هذه التي تذكرنا أيضاً بالسلام الذي آتاه المسيح للعالم»، وبهذه الجملة التي يقولها

---

(١) الروضة الزهية وجه ٧٩.

الكاهن ويرددها الشماس على سمع الشعب يجدد «الكاهن والشعب» عري المحبة لأن الكاهن يقدم عنهم الصلوة ويستمد لهم النعم من الله وإذا لم تكن قلوب المؤمنين مرتبطة برباط المحبة والسلام الذي هو ثمر الروح غل ٥ : ٢٢ فلن ينالوا شيئاً من الله وعبثاً يلتمسون إجابة الصلوة ولهذا وجب أن يقبل الكهنة كل واحد منهم رفيقه كالإخوة كما هرون وموسى خر ٤ : ٢٧ ويقبل الشعب الكهنة اقتداء بما صنع أسلافهم الأطهار مع بولس أع ٢٠ : ٣٧ والآباء وأبناءهم كداود لابيشالوم ابنه ٢صم ١٤ : ٣٣ ويعقوب ليوسف وابنيه تك ٤٦ : ٢٩ ، ٤٨ : ١٠ والآب ابنه الشاطر لو ١٥ : ٢٠ والأبناء آباءهم كإسحق ليعقوب تك ٣١ : ٣٨ و ٥٥. والأخ اخوته كيوسف لبنيامين واخوته تك ٤٥ : ١٤ و ١٥ والمحب صديقه والمؤمن قريبه كيوناثان لداود وداود ليرزلآى تك ٢٩ : ١٣ ، ٣٣ : ٤ ، ١ صم ٢٠ : ٤١ ، ٢صم ١٩ : ٣٩.

وليلاحظ أن قول الشماس «بقية مقدمة» فمعناه أن تكون منزهة عن الغش والرياء والنفاق والمجاملة «بحكم العادة» وأن تكون صادرة عن محبة عديمة الرياء ومن قلب طاهر ١بط ١ : ٢٢ ، ٥ : ١٤ . وقد أوصى أوريجانوس أن تكون القبلة مقدسة لأن عادة التقبيل ابتذلت بين المسيحيين الأولين لكثرة شيوعها بين الجمع، ولهذا وجب أن يتصافح المؤمنون بالقلب قبل أن يتصافحوا باليد ولنحترس لئلا يكون في أحدنا قلب غاش كأولئك الذين يخاطبون أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم مز ٢٨ : ٣ و أر ٩ : ٨ كما قبل يواب عماساً ٢صم ٢٠ : ٩ ويهوذا سيده مت ٢٥ : ٤٩ أما التقبيل بعد قانون الإيمان فذلك لأسباب أوضحها أباء الكنيسة وهي:

أولاً: إتماماً لوصية المخلص الذي قال: فإن قدمت قربانك إلى المذبح... إذهب أولاً اصطلح مع أخيك الخ مت ٥ : ٢٣ و ٢٤ إذا يجب قبل أن نتقدم لتقديسه نتصالح أولاً بتقبيل بعضنا بعضاً بقبلة المحبة والسلام.

ثانياً: لأن المسيح وعد أن يحضر اجتماعاتنا الروحية إذا اجتمعنا بإسمه ولتمجيده بروح المحبة مت ١٨: ٢٠ لهذا وقبل أن يحضر المسيح في الإفخارستيا لتقديسها نقبل بعضنا بعضا لنبرهن على أننا اجتمعنا باسمه للصلوة معا بنفس واحدة أع ١: ١٤ ، ٢: ١ وإننا جسد واحد وروح واحد كما لنا الإيمان الواحد وكما دعينا في رجاء دعوتنا الواحد أف ٤: ٤ ملتمسين أن يحضر المسيح في وسطنا ويبارك اجتماعنا كوعده وأن يملك في قلوبنا سلام الله الذي إليه دعينا في جسد واحد كو ٣: ١٥.

ثالثاً: لأن سر الإفخارستيا هو سر الشركة والإتحاد أيضاً وقبل أن نشترك فيه نقبل بعضنا بعضاً للدلالة على نقاء قلوبنا من أدران الغش والرياء وصفاء ضمائرنا وخالص محبتنا بعضنا لبعض: لأننا نحن الكثيرين خبزاً واحداً جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد ١كو ١٠: ١٧.

رابعاً: لتبرهن على اتحادنا في المحبة برباط السلام أف ٤: ٣ كما في الإيمان الواحد أف ٤: ٥ وحتى إذا كان لأحد على قريبه شئ يحدد في نفسه عاطفة المحبة ليكون إيمانه مقروناً بالمحبة وإلا كان باطلاً وشكره وصلواته عبثاً على وفق قول الرسول.. إن كان لي كل الإيمان حتى انقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً.. أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلثة ولكن أعظمهن المحبة ١كو ١٣: ٢ و ١٣.

بعد صلوة الصلح يرتل الشعب «الإسبسمس السنوي أو غيره من اسبسمسات الآحاد والأعياد السيدية والأصوام وغيرها المناسبة لليوم الحاضر.

اسبسمس لفظة يونانية معناها «سلام» والمعنى أنهم يرتلون ترنيمة السلام. أما السنوي في اصطلاح الكنيسة فيطلق على كل ما يقال في أيام السنة ما عدا الأعياد والأصوام.

عندما ينتهي من صلوة الصلح يرفع «والشماس مقابله» الإبرسفارين عن المائدة المقدسة.

ابروسفارين كلمة يونانية معناها «تقدموا» وقد أطلقت على الستار الذي تغطى به التقدمة: وتغطيتها به إشارة إلى الحجر الذي وضع على القبر حيث وضع جسد الرب مت ٢٧ : ٦٠ وإلى احتجابه عن الأعين في القبر ثلاثة أيام. كما أن الأواشي الثلاثة السلامة والآباء والإجتماعات. التي نصليها عند البدء في القداس تشير إلى هذه الأيام الثلاثة التي كان فيها جسد الرب مدفونا مت ٢٠ : ١٩ كما أن الثلاثة صلوات التي قدمها يسوع قبيل موته لله الآب في البستان مت ٢٦ : ٢٩ ، ٤٤ ونصليها قبل القداس كما قدمها يسوع قبل موته.

أما رفع الإبروسفارين فيشير إلى دحرجة الملاك الحجر عن باب القبر وقت القيامة مت ٢٨ : ٢ ورفرفته إشارة إلى الزلزلة التي حدثت عند قيامته مت ٢٨ : ٢ .

عقب قراءة الاسبسمس يرتل الشعب « Ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓ́ⲁ – بشفاعات والدة الإله» ثم « Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ̀ⲙⲙⲟⲕ نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس الخ» .

أي بشفاعة والدة الإله أمنحنا يارب ما طلبناه منك وهبنا غفران خطايانا ونحن نقدم لك السجود. والكنيسة تعرض طلباتها في هذه الصلوات وتسأله النعم بإستحقاقات يسوع المسيح وحده. لكنها في الوقت ذاته تستشفع مريم البتول. وهذا برهان على قدمية استشفاع القديسين وجميع شعائر ديانتنا وأركانها خلافاً لما زعم بعض المحدثين.

﴿ القبلة الكنسية ﴾

التقبيل عادة شائعة بين أكثر الأمم المتمدينة وكانت معروفة منذ أقدام الأزمنة. قال بعضهم «والمشهور أن القبلة نشأت من حنو الأم ثم اختلفت بمرور الزمن فتنوعت غايتها وأشهر أنواعها عند الرومانيين القدماء قبلة التحية بين الأصدقاء وعنها أخذ المسيحيون قبلة السلام التي سنذكرها».

وقد كان التقبيل من الشعائر الدينية أيضاً عند الرومانيين ولم يكن أحد يجسر على تدنيسه ولكن القبلة تحولت بمرور الزمن إلى تحية مألوفة ثم أصبح عددها دليلاً على درجة المحبة بين المقبل والمقبل».

أما اليهود فقد كانت القبلة عندهم تحية مألوفة كما يفهم من تقبيل يهوذا لسيده وكان شائعاً بينهم ثلاثة أنواع من التقبيل وهي (١) قبلة الإحترام والعبادة. (٢) قبلة المقابلة. (٣) قبلة الإنصراف. أما قبلة الإحترام والعبادة فقد كانت شائعة عند غير اليهود أيضاً فكان الوثنيون يقبلون عجولهم ١مل ١٩ : ١٨».

«ولا تزال عادة التقبيل شائعة في روسيا لليوم ومتى جاء عيد القيامة فلكل إنسان حق أن يقبل من يصادفه حتى من النساء في الطريق قائلاً المسيح قد قام».

والتقبيل على أنواع فتقبيل الوجه دليل المحبة. وتقبيل الأرض دليل الخضوع وتقبيل الثوب دليل الإحترام واختلفوا في تاريخ تقبيل اليدين ومعنى ذلك الأصلي والأرجح أنه قديم العهد جداً» (١)

ومما يستحق الإعتبار أن الكتاب المقدس ذكر تسعة أنواع للتقبيل وهي:

---

(١) عن مجلة الشرق والغرب سنة ١٢ وجه ٢١ : ٨ بتصرف.

(١) قبلة التحية والسلام أو قبلة الأخوة المسيحية رو ١٦ : ١٦ و١كو ١٦ : ٢٠ (٢) قبلة الوداع تك ٣١ : ٥٥ و رو ١ : ١٤ و ١صم ٢٠ : ٤١، أع ٢٠ : ٣٧ . (٣) قبلة السجود والخضوع مز ٢ : ١٢ . (٤) قبلة العبادة ١مل ١٩ : ١٨ و هو ١٣ : ٢ . (٥) قبلة المصالحة تك ٢٣ : ٤، ٢ صم ١٤ : ٣٣ . (٦) قبلة الإستحسان أم ٢٤ : ٢٥ و ٢٦ . (٧) قبلة الخيانة، وهي شاذة. مت ٢٦ : ٤٨ و ٤٩ و أم ٢٧ : ٦ .. (٨) قبلة المحبة والإخلاص وهي أكثر أنواع القبلات شيوعا تك ٢٩ : ١٣ ، ٤٥ : ٥ (٩) قبلة الوقار والإحترام ١صم ١٠ : ١ و ٢صم ١٥ : ٥ ، ١٩ : ٣٩ و لو ٧: ٣٨ . وجاءت القبلة مجازاً بمعنى تقديم الطاعة تك ٤١ : ٤٠ .

أما القبلة في اصطلاح الكنيسة فهي مصافحة المؤمنين بعضهم بالأيدي وتستعمل في القداس وهي قديمة جداً يتصل عهدها بالرسل أنفسهم كما يتضح من البراهين الآتية:

(١) من رسائل القديس بولس وبطرس اللذين اعتادا أن يختما رسائلهما بهذا القول:«سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة راجع رو ١٦ : ١٦ و ١كو ١٦ : ٢١ و ٢كو ١٣ : ١٢، ١تس ٥ : ١٦ و ١بط ٥ : ١٤ وفي أوامر الرسل قيل. والشماس القائم مع رئيس الكهنة فليقل للشعب لا يدع أحد بينه وبين أخيه دغلاً ولا رياء ثم بعد ذلك فليقبل كل واحد من الرجال الآخر قبلة طاهرة وتقبل النساء النساء ولا يقبل الرجال النساء دسق ١٠ ورسطب ٥٢ و ٣١. والصفوي وجه ١٢٤ : ٢١ و ٢٢ و ق ٨ للرسل أيضاً ومجمع لاذقية قال «من بعد أن تعطى الكهنة القبلة للأسقف يعطون للشعب ويقدسون القرابين الإلهية» ق ١٩ .

(٢) من أقوال الآباء – فالقديس دينوسيوس يدعو قبلة القداس قبلة

إلهية. وترتليانوس يشهد بأن هذه العادة قديمة في الكنيسة يرجع وضعها إلى الرسل أنفسهم [١] واغسطينوس قد تكلم عن ثلاثة أنواع التقبيل. أولها قبلة المصالحة أي عندما يتصالح الأعداء. وثانيها قبلة السلام وكان المسيحيون يتبادلونها في كنائسهم في العشاء السري. وثالثها قبلة المحبة التي يتبادلها المحبون، والذهبي فمه أكد أن هذه القبلة مستعملة في الكنيسة منذ العصر الرسولي [٢].

(٣) من إجماع الكنائس المسيحية عامة واستعمالها في العبادة الجمهورية فالأروام والأرثوذكس يقولون «أن هذا التقبيل كان يصير في حين القداس الشريف لأن التقبيل الرسولي الصائر للظفر بقيامة المصلوب لم يزل مستمراً في البيعة إلى زماننا هذا وإلى الآن تعيد الكنيسة بفرح وحبور لمصافحة «خريستوس آنيستي» قيامة المسيح الفائقة للبهاء وذلك للدلالة على أن الملك والجندي. الغني والفقير جميعهم بالمسيح واحد» [٣]. وجاء في نفس الإنجيل للكاثوليك على مت ٥: ٢٣ ما نصه وسنداً على هذه الآية اندرجت العادة القديمة في الكنيسة بأن تصير القبلة الرسولية في القداس قبل المناولة وإعطاء السلام، وهذا السلام كان عند المسيحيين وقتئذ دلالة على المحبة والإخاء والمساواة فكانوا آخر صلواتهم يتلاثمون قبل تناول الإفخارستيا ولكن لم يكن ذلك بين الرجال والنساء بين كل فريق على حدته إذا كانت مجالس النساء منفردة عن مجالس الرجال على رو ١٦: ١٦ صفحة ١٢٧.

---

(١) كتابه في الإفخارستيا.
(٢) على ١كو مقالة ٢٤.
(٣) التلخيص المنيف وجه ٩٥.

(٤) من أقوال البروتستانت فقد جاء في تفسيرهم الرسائل على رو ١٦ : ١٦ أن المسيحيين الأولين اعتادوا أن يظهروا محبتهم الأخوية بالتقبيل أي أن يقبل الرجال الرجال والنساء النساء: وفي تاريخ الكنيسة أن المسيحيين بقوا يأتون ذلك مدة طويلة على أثر تناول العشاء السري علامة المحبة والآخاء والتسوية وعلى ١كو ١٦ : ٢٠ قيل اعتاد المسيحيون الأولون التقبيل في اجتماعاتهم الروحية ولاسيما في نهاية العشاء الرباني ولكن كان الرجال لا يقبلون سوى الرجال والنساء لا تقبل سوى النساء ومراد بولس من ذلك أن يجتمع الأخوة وتتلى على مسامعهم رسالته ثم يقبل بعضهم بعضاً آية لترك التحزب واعتزال الإنقسام ومسامحة بعضهم بعضاً وتجديد رباط المحبة الأخوية وعلى كو ١٢ : ١٢ قيل. والقبلة أمر بها جريا على عادة العصر والبلاد بإظهار المحبة الأخوية في الإجتماعات الدينية ولا سيما بعد تناول العشاء الرباني وبقيت تلك العادة في الكنيسة عموماً إلى القرن الثالث عشر ولا تزال إلى الآن في قليل من الكنائس».

أما القبلة في القداس فتمارس في الأوقات الآتية:

[١] «قبل مباشرة الخدمة الإلهية – أو تقديم الحمل». يقبل الكاهن المزمع أن يمارس الخدمة الإلهية أيدي اخوته الكهنة ويصافح الشعب أيضاً. استجلاباً لرضى من كان له عليه شئ علامة الصفح والسلام اتماماً لوصية المخلص مت ٥: ٢٣ و ٢٤ ومر ١١ : ٢٥ و ٢٦.

هذه القبلة كانت تمارس قديماً كما يستدل من اعتراف القديس يوستينيوس الشهيد. وهو «من بعد أن نكف من الصلوات نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة. وبعد ذلك يقدم إلى متقدم الإخوة خبز وكأس فيها ماء وممزوج «خمر». فيأخذهما ويرسل تمجيداً لأبي الكل باسم الآب

والابن والروح القدس.. الخ»[1].

[٢] «القبلة عند مدخل القداس» وهذه يقوم بها الكاهن نحو اخوته الكهنة والشعب للأسباب المار ذكرها في «صحيفة ٤٤٣». قال أحد آباء الكنيسة اليونانية. هذه القبلة المقدسة لا تصير ما بين الأساقفة فقط بل بين الكهنة أيضاً ومشاركيهم في الخدمة لاسيما المتقدم في رؤساء الكهنة لأجل التواضع فإنه يطلب في مثل هذه الساعة الرهيبة الصلوة من الجميع بتذلل وإنسحاق قلب معترفاً مستسمحاً كنص الأمر الرسولي يع ٥: ١٦.

[٣] «القبلة بعد قراءة الصلح وقبل المناولة «عادة قديمة اندرجت في الكنيسة من عصر الرسل كما رأيت وقد شهد ترتليانوس. أن المؤمنين كانوا يقبلون بعضهم بعضاً في الإفخارستيا برهاناً على المحبة. والقديس ديونسيوس يقول «في حين اقتراب رفع الغطاء «الإبروسفارين عن خبز البركة وكأسها لتعط القبلة الإلهية وهذا يؤيده خدمة القداس إذ يقول الكاهن في آخر صلوة الصلح» اجعلنا يارب مستحقين أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة، لكي ننال بغير وقوع في دينونة من مواهبتك السموية الغير مائتة بالمسيح يسوع ربنا» وهي دلالة على خلوص المحبة المسيحية والإتحاد القلبي.

[٤] القبلة بعد القداس - قبل الإنصراف، يقبل الكهنة بعضهم بعضاً ويقبل الشعب الإكليروس قبل الإنصراف قبلة الوداع أع ٢٠: ٣٧ فكأن

---

(١) احتجاج ١: ٦٥ وخطابه إلى تريفن: ٤٠.

الواحد يقول للأخر اسمح لي أن أقبلك قبلة وداع وقتي لأننا سنفترق عن بعضنا فاصفح إلى الملتقى وكن واثقًا بصفاء ضميري وإخلاص قلبي نحوك: وإذا لم تسمح إرادة الله بالملتقى فسأفارقك على رجاء التلاق في السماء حيث نحون كلنا مع الرب وعلى ذلك قد قبل المؤمنون بولس قبل سفره أع ٢٠ : ٣٧ وما الفراق الوقتي سوى سفر والسفر موت لأن ميتة الإنسان منا أقرب من حبل الوريد.

أما تقبيل الشعب أيدي الكهنة عند دخول الكنيسة بعد تقديم السجود لله مز ٥ : ٧ فهو إكرام للكاهن واحترام وخضوع لله الذي أقامه وأئتمنه على أسراره وجعله وكيلاً له ١كو ٤ : ١ ولأخذ البركة منه تك ٢٧ : ٢٧ و ٢٨ ولذا يضع الكاهن يده على رأس من يقبله لإعطاء البركة تك ٤٨ : ١٠.

منع القبلة في جمعة البصخة» نهت الكنيسة عن التقبيل في يومي الأربعاء والخميس من أسبوع الآلام اجتنابا لقبلة يهوذا الذي جعلها في هذين اليومين علامة لتسليم سيده مت ٢٦ : ٤٨ و ٤٩. والقبلة في هذا الأسبوع يخشى أن تكون قبلة غدر ورياء وتظاهر. فلهذا وتذكارًا لغدر ذلك الخائن ومنعاً من الوقوع في هوة التشبه به وفي نتائجها الردية منعت القبلة فيهما.



[٣] طقس القسم الثالث من خدمة القداس

(وشـــرح معانـيه)

يتم في هذا القسم تقديس القرابين واستحالة الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه الأقدسين والساعة التي تتم فيها الإستحالة تكون أرهب الساعات وأشدها هيبة ووقاراً لأن الروح القدس يظهر فعله العجيب للكنيسة بطريقة غير مدركة لا يشعر بها أحد في حادثة كشعوره بها الآن لأن عمل الروح وأن خفي عن أنظار المؤمنين يكاد يكون محسوساً لهم في القربان المقدس ولذلك تملكهم الرهبة الإلهية ويظللهم الجلال الرباني المهيب. ولهذا قد اعتبرت الكنيسة هذا القسم أهم أقسام القداس.

قد رتبت الكنيسة هذا القسم على طريقة تذكرنا أهم الحوادث التي جرت في آخر حيوة المخلص على الأرض أي آلامه وصلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء.

يبتدأ هذا القسم من بدء القداس الذي به تتقدس القرابين وتسهيلا للقارئ قد قسمناه إلى أجزاء كما سترى.

(١) بعد رفع الإبروسفارين يقول الشماس للشعب:

Ⲡ̀ⲣⲟⲥⲫⲉⲣⲓⲛ ⲕⲁⲧⲁ ⲧ̀ⲣⲟⲡⲟⲛ ̀Ⲥⲧⲁⲑⲏⲧⲉ »

– تقدموا على الرسم. قفوا برعدة الخ».

بعد هنيهة تتقدس القرابين ويتحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه

وبالتالي أن المسيح يحضر في الافخارستيا محجوباً تحت أعراض الخبز والخمر فلذلك لا غرو أن رأينا الشماس ينبه الحضور «المصلين» أن يقفوا بحشمة وخوف ويصغوا لتقديم الذبيحة الإلهية وهم حاصلون على السلام - أي على مصالحة الله والقريب فضلا عن هذا فإن القوانين نهت عن الجلوس أثناء القداس بتاتاً دسق ق ١٠. وهذا الأمران - الوقوف أمام الله وقت الصلوة - وتقديم شعائر العبادة بخوف وورع - يأمر بهما الكتاب - فعن الأول قال السيد ومتى وقفتم للصلوة الخ مر ١١ : ٢٥ راجع ١مل ٨: ١٤ و ٢ أى ٦ : ٣ و ١٢ ومز ١٢٢ : ٢، ١٣٤ : ١. وعن الثاني قال النبي «اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة قبلوا الإبن لئلا يغضب مز ٢ : ١١ و ١٢ وقال الرسول لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نار آكلة عب ١٢ : ٢٨ و ٢٩ ولهذا يجب على الحضور أن ينتبهوا للصلوة ويتأملوا جلال الله الرهيب الواقفون أمامه:

فيجاوب الشعب قائلاً: Ⲉⲗⲉⲟⲥ ⲓⲣⲏⲛⲏⲥ ⲑⲩⲥⲓⲁ ⲉⲛⲉⲥⲉⲱⲥ

- رحمة السلام وذبيحة التسبيح».

هذه الجملة تذكرنا برحمة الله التي بها خلصنا تي ٣: ٥ وبها نلنا المصالحة مع الله بربنا يسوع المسيح وهي تتممة قول الشماس السابق فكأنه يقول لنقف حسناً ولنصل بخوف: فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاة معترفة باسمه عب ١٣ : ١٥ ولنحمد الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم ولنسبح اسمه بتسبيح. راجع مز ٥٠: ٢٣ و ٦٩ : ٣١، ١٠٧ : ٢٢ و١بط ٢ : ٥ ولنقدم بسلام ومحبة «لله والقريب». الذبيحة المقدسة ذبيحة الرحمة والسلام التي تقدمت على الصليب كفارة عن خطايانا وبها نلنا المصالحةمع الله وهي الذبيحة التي هي أعظم تسبيح يقدم لجلاله الأقدس.

يأخذ الكاهن اللفافة عن الصينية ويرشم الشعب بعلامة الصليب وهو

يقول: Ὁ Κύριος μετὰ πάντων ὑμῶν – الرب مع جميعكم [١] أو يقول من القداس الغريغوري Ἡ ἀγάπη τοῦ θεοῦ محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم».

هذا الدعاء (الأول والثاني) مأخوذ عن القديس بولس ٢كو ١٣، ١٤ و ٢تس ٣: ١٦. واقتداء به يمنح الكاهن البركة للمؤمنين ويطلب من الثالوث الأقدس الإله الوحيد مباركتهم واللقاء السلام بينهم وسكب نعمة عليهم والرضى عنهم ملتمساً أن تخصص لهم محبة الله الآب الذي أحبنا ولم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين على وفق قول الرسول رو ٥: ٨، ٨: ٣٢.

وقول المسيح نفسه يو ٣: ١٦ وأن تكون لهم نعمة المسيح الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته أف ١: ٧ والتي نحن مفتقرون إليها لمساعدتنا وتقوية ضعفاتنا وحفظنا وخلاصنا. وبدونها لا سبيل إلى التمتع بمحبة الله.

وأن توزع عليهم مواهب الروح القدس الذي يقدرنا أن نؤمن بالفادي وأن نتمسك به للخلاص. أما طلب محبة الله الآب فلأنه (بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحببنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا ١يو ٤: ٩ ، ١٠ وهكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الأبدية يو ٣: ١٦

---

(١) وإذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فالكاهن يقول هذا القول ويلتفت إلى الشعب والخدام ولا يرشم إلا ذاته فقط – والأب البطريرك أو الأسقف يرشم الشعب والخدام وذاته بالصليب وهو صامت.

ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا رو ٥: ٧. أما تخصيص النعمة بالابن فلأننا بنعمته تبررنا مجانا بالفداء رو ٣: ٢٤ والنعمة والحق فبيسوع المسيح صارا. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة يو ١: ١٦ و ١٧ ولكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة لأنه ان كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان لواحد يسوع المسيح قد ازداد للكثيرين رو ٥: ١٥ و ٢١ راجع رو ٦: ١٤. أما تخصيص الموهبة والشركة بالروح القدس فلأننا به تقدسنا والروح نفسه وزع مواهبه على الكنيسة أع ٢.. وموهبة الروح القدس سميت هنا وفي ٢: ١ «شركة» لأنها أعطيت كل شعب الله فكانت لهم ملكًا مشتركًا وبها صاروا جسداً واحداً في المسيح واشترك فيها كل القديسين في كل عصر ومكان في السماء وعلى الأرض وتلك الشركة اتحاد عام كامل دايم».

وهذه البركة تسمى بالبركة الرسولية لأن الرسول ختم رسالته وبها يمنح الكاهن البركة للشعب أيضًا وقت الإنصراف بعد انتهاء الخدمة- وتستعملها كل الكنائس المسيحية وقت القداس وقبل الإنصراف [1]. وكذلك البروتستانت الذين قالوا «وقد امتازت هذه البركة هنا عن البركة في سائر الرسائل بأن ذكر فيها كل من أقانيم الثالوث ولذلك اتخذتها الكنائس المسيحية منذ سنيها الأولى إلى الآن خاتمة للعبادة الجمهورية وهي تشتمل على كل فوائد الفداء وهي طلبة اتيان النعم المذكورة على الكنيسة من الإله الواحد المثلث الأقانيم وهي من البراهين على صحة التثليث وتساوي الأقانيم الإلهية... واستعمال هذه البركة في أكثر لغات العالم وفي قرون كثيرة من ألوف وربوات لا تحصى من المسيحيين المجتمعين

---

(١) منارة الأقداس جزء ٢ صفحة ١٩٩ والتلخيص المنيف للأرواح صحيفة ١٠٠.

للعبادة تذكرهم دائماً أنهم اشتروا بدم واحد ودعوا من آب واحد وقدسوا بروح واحد فيجب أن يتحدوا بعضهم ببعض ويرأسهم الإلهي على ٢ كو ١٣ : ١٤ صحيفة ٣٧٩[١].

يقول الشعب مجاوباً الكاهن – « Ⲕⲉ ⲧⲱ ⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁⲧⲓⲥⲟⲩ » ومع روحك أيضا».

هذا القول مأخوذ عن القديس بولس أيضاً راجع غل ٦ : ١٨ و٢تي ٤ : ٢٢ وفل ٢ – ويجاوب به الشعب بمعنى فليكن لك ما طلبته لأجلنا. قال الذهبي فمه «أن الكاهن في تقدمة الأسرار الرهيبة يصلي لأجل الشعب والشعب يصلي لأجله وصلوة الشعب هي قوله ومع روحك أيضاً على ١ كو».

أما الكاهن فيرشم الخدام الذين عن يمينه رشماً واحداً ووجهه إلى الشرق وهو يقول – ⲁⲛⲱ ⲧⲉⲛ ⲑⲏⲛⲟⲩ.ⲛⲧⲁⲥⲕⲁⲣⲇⲓⲁⲥ «ارفعوا قلوبكم».

يريد الكاهن بهذا القول أن تخلص قلوبنا من كل فكر عالمي وتحرر عقولنا من قيود الإهتمامات الدنيوية والأهواء الجسدية لتنصرف إلى يسوع ملاذنا الحقيقي ورجاؤنا الوحيد والكنيسة لكي توحد بين قلوب بنيها وبعضهم. وبينهم وبين الله – أمرتهم أولاً بالقبلة المقدسة دليلاً على الصلح والسلام والإتحاد والوئام وهنا تأمرهم برفع العقل إلى الله والمعنى – أن ترفعوا قلوبكم وعقولكم إلى الرب الذي هو كنزكم الوحيد فإنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك مت ٦ : ٢١ ومادام كنزنا الوحيد هو يسوع الجالس عن

---

(١) الصلوة العامة للأسقفيين صحيفة ٢٢١.

يمين الآب في السماء عب ١٢ : ٢ و١بط ٣ : ٢٢ فيليق بنا بل يجب علينا أن نرفع قلوبنا من الأرضيات إلى السمويات ونوجه إليه وحده عقولنا وكل أفكارنا على وفق قول النبي. لنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله في السموات مر ٣١ : ٤ وقول الرسول «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض» كو٣ : ١ و ٢ ولهذا السبب يحرض الكاهن المؤمنين الحاضرين أن يرفعوا عقولهم وقلوبهم من الأرضيات موجهين كل أفكارهم وعواطفهم نحو الله وذلك حين يهتف نحوهم في القداس قائلاً «ارفعوا قلوبكم» كما قال القديس كبريانوس

«يجاوب الشعب – **Ἔχωμεν Πρὸς τὸν κύριον** هي عند الرب».

أي أن قلوبنا هي فوق عند الرب. قال القديس كبريانوس في كتابه في الصلوة «إذا صرخ الكاهن قائلاً – فلنضع قلوبنا فوق يجب على الشعب أن يقول – هي عند الرب – لأننا في هذا الوقت يجب علينا جميعاً أن نرفع عقولنا وقلوبنا إلى الله. وفي محل آخر يقول يحرض الكاهن المؤمنين الحاضرين أن يرفعوا قلوبهم وعقولهم إلى الله أما هم فيجيبونه قائلين «هي عند الرب». وقال القديس كيرلس الأورشليمي في كلامه عن الإلهيات «أنه بالحقيقة يجب أن نضع قلوبنا فوق عند الله. لا على الأرض. لأن هناك هي قلوبنا حيث موجود كنزنا الذي هو المسيح الجالس عن يمين الآب. فالكاهن يأمرنا في تلك الساعة بسلطان أن نغادر جميع الشواغل الجسدية والإهتمامات الأرضية ونرفع قلوبنا إلى السماء نحو الإله المحب البشر. ثم يجاوب الشعب – هي عند الرب – فإن كنتم أيها الاخوة مزعنين لما تقرون به فاحذروا من أن يقول أحد منكم – هي عند الرب – بالفم فقط ويكون متعرقلاً في ضميره بالأمور العالمية». ولكن ما أكثر الذين يجاوبون بشفاههم هذا القول وقلوبهم ليست – عند الرب. بل هي مقيدة

بسلاسل الأميال المنحرفة والذين يفتكرون في الأرضيات في ٣: ١٩.

فالواجب إذاً على المصلين أن يتأملوا في ما يقولونه فلا يجاوبون «هي عند الرب» وأفكارهم مشتغلة بهذا وذاك وعقولهم شاردة هنا وهناك وليحذروا أن ينطقوا بالفم بينما القلب مبتعد عن الله لأن الله لا يرحم المنافقين وصلوة الطيش واللهو يرفضها الله. أو لم يكن في توبيخه للفريسيين عبرة لمن يجرأون بالكذب والرياء علي الله مع أن جريمتهم لا تقاس بجرائم المسيحيين الذين يقتربون إلى الله بشفاههم ويبتعدون عنه بقلوبهم: قال الرب. يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم أشعياء قائلاً: يقترب إلى هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً مت ١٥ : ٨.

يقول الكاهن وهو يرشم ذاته رشماً واحداً **ⲈⲨⲬⲀⲢⲒⲤ**

ⲦⲎⲤⲰⲘⲈⲚ ⲦⲰⲞⲔⲨⲢⲒⲞⲚ فلنشكر الرب».

يحث الكاهن المصلين على أمرين. أولهما رفع القلب نحو الله وقد مر بيانه. والثاني شكر الرب على سائر نعمه وإحسانه ولا سيما على هذه النعمة السامية التي هي اعطاؤه ذاته لنا في سر الإفخارستيا ومعلوم أن ذبيحة القداس ذبيحة شكر فإن المسيح قبل كسر الخبز وإعطائه لتلاميذه بارك وشكر مت ٢٩ : ٢٧ فاقتداء بمثله الإلهي يشكر الكاهن الرب أولاً ويحرض المؤمنين أن يشكروه على مراحمه الإلهية ومحبته للبشر مز ١١٧ : ١ ومنذ العصر الرسولي إلى الآن تقدم الذبيحة الإلهية الغير الدموية مع الشكر كما جاء في أوامر الرسل واعتراف الآباء راجع دسق ق ١٠ ، ٢٣ ، ٣٨ والمجموع الصفوي ١٢٣ وقال القديس يوستينوس الشهيد «بعد أن نكف عن الصلوة نقبل بعضنا بعضا.. وبعد ذلك يرسل للكاهن تمجيداً لأبي الكل. ويصنع شكراً لتكون هذه مستحقة مقبولة عنده - كما مر بك. والذهبي فمه يقول «أن الكاهن ينادي بهذا الصوت «فلنشكر الرب» قبل الشعب لأن ذلك واجب حق ومن ثم يخاطب الله سراً وحده. مقالة ٢٤ على ٢ كو.

هذا وبما أن الله هو خالقنا ومحيينا ومخلصنا ورازقنا كل شي حق علينا حمده وشكره كما يوصي الرسول بقوله شاكرين كل حين على كل شئ في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب أف ٥: ٢٠ وقوله صلوا بلا انقطاع اشكروا في كل شئ لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم ١تس ٥: ١٧ و ١٨ وكلما عملتم بقول أو فعل فأعملوا الكل بإسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به كو ٣: ١٧ قال أحد الآباء. والآن إذ قد ارتبطنا معه بروح واحد وارتفعت عقولنا وقلوبنا إليه ونحن متوقعون أن يسكب الله روحه ويحل فينا ليطهرنا ويقدسنا يجب أن لا ننقطع عن تسبيحه وحمده وشكره – أولاً: على خيراته السابقة التي لا حد لها ولا قياس.

ثانيًا: على نعمته وسلامته اللتين أهلنا بهما إلى تقديس جسده.

ثالثًا: لأنه جعلنا شركاء لملائكته القائمين حوله ويخدمونه بغير فتور ليلاً ونهارًا واختارنا شركاء لأصفيائه القديسين الذين يشكرونه رؤ ١١: ١٧ ورابعًا: لأنه خلقنا على صورته وأهلنا للإتحاد مع جسد ابنه الذي يتقدم على المذبح [١].

«وهذان الأمران اللذان ذكرناهما، رفع القلب والشكر لله» يوجدان في جميع قداديس الكنائس المسيحية لأن الرسل أمروا بها على ما فعل الرب قبل تقديس جسده وبهما الكاهن والشعب يتحدون معًا بقلب واحد ورأي واحد[١].

يقول الشعب مجاوبًا الكاهن – Ⲁⲝⲓⲟⲛ ⲕⲁⲓ ⲇⲓⲕⲉⲟⲛ

مستحق وعادل».

---

(١) منارة الأقداس جزء ٢ صفحة ٢١٥.

أي أن تقديم الشكر لله الذي تطلبه منا هو واجب مقدس وهو له المجد مستحق كل الشكر من صميم القلب على هذه النعم والبركات التي أفاضها علينا ويفيضها بسخاء من بحر جوده. وليس الكاهن فقط يشكر ويقدم العبادة لله بل الشعب أيضاً كما يقول الذهبي فمه «على ٢ كو» والقديس كيرلس الأورشليمي يقول قبل أفشين «الصلوة» التكميل الذي به تتقدس القداسات يقدم هذا الشكر لربنا وإلهنا يسوع المسيح – وإذ ذاك يجاوبه الشعب «مستحق وواجب» لأن الشكر والعبادة لله واجبان على الكاهن والشعب.

ثم يصلي الكاهن قائلاً ثلاث مرات – ⲁⲝⲓⲟⲛ ⲡ̅ ⲉⲥⲧⲓ مستحق مستوجب.

قال الذهبي فمه «على ٢ كو» إن الكاهن ينادي بهذا الصوت كالشعب لأن ذلك واجب وحق هو وقوله هذا تأمين على قول الشعب قال القديس كيرلس الأورشليمي «أنه بالحقيقة يلزمنا ضرورة أن نشكر الله لأننا إذ كنا غير مستحقين دعانا إلى مثل هذه النعمة وإذ كنا أعداء صالحنا بموت ابنه. وأهلنا لنعمة البنوة. ثم يقال باستحقاق واجب ينبغي أن نشكر. لأن ذلك واجب علينا ضرورة وأما هو فلا يصنع بموجب العدل بل بما يفوقه لأنه منَّ علينا وأهلنا لهذه الخيرات». وما أجمل وأحلى هذا التبادل في الشكر بين الشعب والكاهن لأنهم يمثلون بذلك الملائكة في الكنيسة السموية فإنما يقول الحبيب في رؤياه «وحينما تعطي الحيوانات مجداً وكرامة وشكراً للجالس على العرش الحي إلى أبد الآبدين يخر الأربعة والعشرون شيخاً قدام الجالس على العرش ويسجدون للحي إلى أبد الآبدين ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين: أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد

---

(١) احتجاج ١ : ٦٥ وخطابه إلى تريفن: ٤٠.

والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء. وهي بإرادتك كائنة وخلقت رؤ ٤ : ٩- ١١، ٥: ٩- ١٤.

وعندما يقول الكاهن - Ⲫⲏⲉ̅ⲧⲟⲩⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ⲙⲟϥ،

المسجود له من جميع القوات المقدسة، ينبه الشماس الشعب قائلاً:

« Ⲓ̀ⲕⲁⲑⲏⲙⲉⲛⲓ ⲁ̀ⲛⲁⲥⲧⲏⲧⲉ أيها الجلوس قفوا».

غير جائز قانوناً أن يجلس المصلون في القداس ولاسيما الآن. والمراد بوقوفهم هنا انتباه الفكر والصلوة بتعقل واجتناب الطياشة ومقاومة الأفكار التي يشغلنا بها العدو وقت الصلوة على وفق قول الرسول. وإنما نهاية كل شئ قد اقتربت فتعقلوا واصحوا للصلوات ١بط ٤ : ٧ وكما أنه يقول. أيها المؤمنون قفوا متأملين في عظائم الله فهوذا تشرق أنوار قدرته الإلهية الآن وقت الإستحالة وأبواب السماء تفتح ويحل الروح القدس على الأسرار ليقدسها ويحولها إلى جسد ودم عمانوئيل إلهنا وتتدفق النعم والبركات على جميع المصلين بقلب نقي ونية صافية وعقل يقظ.

يقول الكاهن :

Ⲫⲏⲉ̅ⲧⲟⲩⲟ̀ ϩⲓ ⲉ̀ⲣⲁⲧⲟⲩ ⲛⲁϥ ⲛ̀ϫⲉ ⲛⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ

الذي يقف أمامه الملائكة. وعند قوله ⲛⲓⲙⲉⲧ ⲟ̅ⲥ ⲛⲓϫⲟⲙ

والأرباب والقوات «يخاطب الشماس الشعب قائلاً:

Ⲓⲥ ⲁⲛⲁⲧⲟⲗⲁⲥ ⲃⲗⲉⲯⲁⲧⲉ إلى الشرق أنظروا».

المراد بذلك احياء الشوق فيهم بطلب الرجوع إلى وطنهم الأصلي الذي طردوا منه في شخص أبيهم آدم وأمهم حواء كما قال السيد للص لو

٢٣ : ٤٣ قال القديس افرآم. أن اليهود كانوا يستقبلون أورشليم في صلواتهم لأنها مدينة مقدسهم ونحن مقدسنا الفردوس مكاننا القديم ومن حيث أنه كان في الشرق أمرنا أن نجعل قبلتنا في صلواتنا.

هذا وقد يعترض علينا بأن النبي حز ٨ : ٦ أنهى عن الإتجاه نحو الشرق. ودحضاً لهذا الإعتراض نقول مع أحد العلماء «أن عبارة حزقيال النبي لا تفيد النهي عن ذلك مطلقاً وإنما تفيد تحريم عبادة الشمس وقد نهى بنو إسرائيل عنها كما في تث ٤ : ١٩ والمقصود من تلك العبارة تقبيح السبب وهو الشمس موضوع تلك العبادة الإضافية لا المسبب وهو الإتجاه إلى ناحية المشرق وإلا لو كان المقصود المسبب لكان ذلك نقضاً وسلباً ونفياً لما تضمنته صلوة الملك سليمان في ١ مل ٨ : ٤٤ و ٤٧ ، ٢ أى ٦ : حيث جعل وجهه لبني إسرائيل حيث كانوا بعيدين عنه في الجنوب أو في الشمال أو الشرق أو الغرب وهذا القول يستلزم اتجاه اليهود في الصلوة لناحية الهيكل للغرب إذا كانوا شرق الهيكل وللشمال إذا كانوا متفرقين في جنوبه وقد سبوا في غرب بلادهم كما يفهم من لا ٢٦ : ٢٣ وتث ٤ : ٢٧ ، ٢٨ : ٦٤.

وإذا تقرر ذلك نقول وإن كان الله لا يحيز ومالنا لكل مكان فإنما الكنيسة جعلت الشرق وجهة الصلوة دلالة على أن موضوع عبادتها – وهو المسيح – دعي شمساً مل ٤ : ٢. وطالبا للإستضاءة بنور هذه الشمس دون سواها. وإقراراً بأن الله مزمع أن يأتي من المشارق للدينونة. وشوقاً للرجوع إلى وطننا الذي كان مقره المشرق وكان يرمز إلى بيتنا الأبدي الملكوت.

يقولون بأن الكتاب لا يأمر بإتجاه المصلي إلى الجهة الشرقية. وهل ينهي عن ذلك؟ كلا: ولكنه يفضله عن غيره. فالشرق والمشرق والجمع والفعل منه جاء مدحه وتعظيمه في الكتاب المقدس عن غيره واليك البرهان راجع: اش ٢٤ : ١٥ ، ٤١ : ٢٥ ، ٤٥ : ٦ ومز ٧٥ : ٦ ، ١٠٣ : ١٢ ومت ٢ : ٢ و رؤ ٧ :٢٠. وأن مواهب الروح القدس خصت باسم الشرق قال المرتل نور

أشرق في الظلمة للمستقيمين مز ١١٢ : ٤ راجع مز ٧٢ : ٧ واش ٩ : ٢ ، ٦٠ : ١ و ٢ كو ٤ : ٦ ومثل هذه العبارات كثير: وتعليلنا في محله – لأن المسيح موضوع عبادتنا لم يدع شمساً فقط كما قال النبي مل ٤ : ٢ بل دعا ذاته نور العالم يو ١ : ٩ ، ٨ : ١٢ والذي هو مزمع أن ينير العالم الآتي رؤ ٢١ : ٢٣ وعلى قياس نور العالم الطبيعي الذي يطلع من الشرق هكذا طلع شمس البر وكوكب الصبح المنير. رؤ ٢٢ : ١٦ ومن المشرق قال بلعام يبرز كوكب من يعقوب عد ٢٤ : ١٧ راجع لو ١ : ٧٨ وقال حزقيال فجاء مجد الرب إلى البيت من طريق الباب المتجه نحو الشرق ٤٣ : ٤ بل أن هذا الباب لا يدخل منه إنسان لأن الرب. دخل منه حز ٤٤ : ٢ وليس ذلك فقط بل أن المسيح موضوع عبادتنا لما صعد إلى السماء كانت وجهة صعوده الشرق لأن سحابة أخذته عن أعين الرسل أع ١ : ١٩ ومن المعلوم أن وجهة السحاب – الشرق – بل أن مجيئه الثاني يكون من المشرق كما قال مت ٢٤ : ٢٧ .

ثم أن البرهان الكنائسي يؤخذ من طريقتين – طريقة التركيب وهي الإرتقاء من الجزء إلى الكل – والتحليل بعكسه – فإذا أخذنا نستقرئ اصطلاح الكنيسة في تشييد معابدها من هذا الجيل وماضي هذا الجيل إلى أيام الرسل نجدها كلها كانت ناحية الشرق. وإذا فعلنا بعكس ذلك نتحصل على هذه النتيجة عينها لأن الرسل أمروا أن تقام المعابد نحو الشرق ق ١ من ٣أ وأيد ذلك من أتى من بعدهم كيوستينوس الفليسوف وباسيليوس في مقالة الروح القدس – وابيفانيوس في رده على هرطقة ١٩ وأغسطينوس في كلمة الرب على الجبل ك ٢ : ق ٩ والقديس ساويرس في ميمره على السجود إلى الشرق [١] .

---

(١) راجع البوق الإنجيلي جزء ٢ صفحة ٢٣٥ وكتاب منارة الأقداس ركن ١٢ . وعدد ٢٥ سنة ٣ من جريدة الحق.

ومن المسلم أن صلاة دانيال كانت نحو أورشليم دا ٦ : ١٠ وصلوة أرميا في مصر طبعاً كانت وجهتها الشرق أو الشرق الشمالي وبالتالي غرب بلادهم ومن يقرأ أ ع : ٥ يجدان بين هذه الأماكن التي كان يقطنها اليهود مكاناً واقعاً غرب بلادهم. فعبارة حزقيال إذاً تفيد النهي عن عبادة الشمس فقط وهي الغاية من اتجاه أولئك المردة للشرق لا النهي عن الشرق الذي هو الواسطة التي لا علاقة لها بالغاية وهي الشمس حين يكون موضوع العبادة للإله الأزلي بواسطة واحدة والغاية متنوعة – وإذا تقرر ذلك نقول أن عبارة سليمان تفيد الصلوة للشرق وعبارة حزقيال لا تنفي ذلك فالعبادتان متحدتان بالمعنى والغرض عبادة الله ومنع الشرك به:

يصلي الكاهن قائلاً « ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲅⲁⲣ ⲡⲉ – أنت هو الذي يقف حولك الشاروبيم» وعند قوله ⲛⲉⲩⲙⲟⲩⲛ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲏⲛ ⲉⲩⲉⲣϩⲩⲙⲛⲟⲥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲛ̀ⲁⲧⲭⲁⲣⲱⲟⲩ ⲉⲩϫⲱ ⲙ̀ⲙⲟⲥ يسبحون على الدوام بغير سكوت قائلين يقول الشماس « ⲡ̀ⲣⲟⲥⲭⲱⲙⲉⲛ – ننصت».

قول الكاهن هذا هو تكملة الصلوة التي يقدمها ولبيان ذلك نورد الجزء الأخير منها وهو «أنت هو الذي يقف حولك الشاروبيم الممتلئون أعيناً. والساروفيم ذو الستة أجنحة حزا و ١٠ و رؤ ٤ : واش ٦ : ١ – ٧. يسبحون على الدوام بغير سكوت قائلين قدوس الخ. فكلمة صارخين قائلين إذاً هي معطوفة على الشاروبيم والساروفيم. أي أن هؤلاء ماثلون لديك يسبحونك على الدوام بتسبيح الغلبة والخلاص وهو قدوس... الخ.

أما قول الشماس – ننصت – فإنه بهذه الكلمة يحض الشعب على الصمت والإصغاء والإنتباه لترتيل التسبحة الشاروبيمية الآتي ذكرها. وبملازمة الهدو والسكينة قدام الله على وفق قول النبي. أما الرب ففي هيكل قدسه. فاسكتي قدامه يا كل الأرض حب ٢ : ٢٠ أسكت قدام السيد الرب.. لأن الرب قد أعد ذبيحة صف ١ : ٧ اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه زك ٢ : ١٣ قال القديس

يعقوب في خدمة قداسه. ليسكن كل جسد بشري ويقف منتصباً بخوف ورعدة لا يفتكر في نفسه فكراً أرضيا البتة لأن ملك الملوك ورب الأرباب يوافي ليذبح ويقدم طعاماً للمؤمنين وتتقدمه مصاف الملائكة مع كل الرئاسات والسلاطين والشاروبيم والكثيري الأعين والساروفيم ذوي الستة أجنحة محجوبي الوجوه هاتفين - هللويا وقال القديس اكليمنضس يجب على المؤمنين رجالا ونساء أن يجتنبوا الهرج في الكنيسة وأن يكونوا متهيبين لجلاله الأقدس».

[٢] التسبحة الشاروبيمية

تقدم الكنيسة في خدمة القداس الإلهي أربع تسبيحات (١) تسبحة الثلاث التقديسات - قدوس الله الخ - قبل قراءة الإنجيل. (٢) تسبحة الملائكة «المجد لله» وترتلها في صلوة الصلح و (٣) و (٤) تسبحة الشاروبيم وتسبحة الظفر وترتلان معاً هنا «من الكاهن داخل الهيكل ومن الشعب في الخارج، كترنيمة واحدة ويسميها القديس غريغوريوس تسبحة الغلبة والخلاص. وهي التي سمع أشعياء النبي الملائكة يرتلونها أمام العرش الإلهي بخوف اش ٦ : ١ و ٢ وتسبحة الظفر تمثل لنا دخول المسيح مدينة أورشليم بهيئة النصر والظفر واستقبال الشعب له بالأدعية والتحيات المطربة. وهي في الوقت نفسه تذكرنا بمواعيد الله قديماً للأنبياء بأنه مزمع أن يرسل لهم مخلصاً.

وهذه التسبحة «مع غيرها» قديمة جداً في الكنيسة بدليل:

(١) أن جميع الكنائس المسيحية تستعملها في خدمة القداس،

(٢) وجودها في سائر رتب الخدمة الإلهية عندها [١].

(٣) ذكر الآباء لها فإن اكليمس من آباء القرن الثاني تكلم عنها في مؤلفاته إذ قال مفسراً لها «أي قدوس أنت يا الله الآب. قدوس أنت يا الله الابن. وقدوس أنت أيها الروح القدس. ثالوث مقدس إله واحد منفرد ومقدس. بتثليث الأقانيم نسجد له وبوحدانية الجوهر نمجده» - وترتلها الكنيسة للدلالة على أن يسوع واحد من الأقانيم الثلاثة ليس فقط في السماء وقبل التجسد بل في التجسد وفي القبر وعلى المذبح وفي كل مكان وزمان.

ولا يخفى أن الرؤيا التي رآها اشعياء النبي كما يقول القديس كيرلس كانت خاصة عن الكلمة الأزلي فسبق النبي وشاهده لابساً جسداً كبشر وجالساً على عرش عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. والساروفيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير وهذا نادا ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض اش ٦ : ١ - ٣ ويؤيد قوله هذا يوحنا الإنجيلي الذي قال أن اشعياء رأى مجده وتكلم عنه يو ١٢ : ٤١ أي رأى مجد الابن الكلمة المتجسد وكانت الملائكة تصرخ ثلاثاً اعلانا بأنه واحد من الأقانيم الثلاثة ويدعونه رباً لأنه مساو للآب والروح القدس في الذات والجوهر وكمال الصفات ويدعونه رب الصباؤوت أي رب الجنود لأنه لبس جسدنا وصلب ومات ولم يتغير في طبيعته الإلهية عما كان قبل التجسد بل قهر الخطية والموت والشيطان وأعطانا الخلاص. وقال أنهم بأجنحتهم كانوا يسترون وجوههم وأرجلهم دلالة على أنهم لا يدركون لاهوته ولا يفحصون أمر ناسوته. وقد وافقه القديس اغسطينوس وغيره من الآباء.

---

(١) الكنيسة الأسقفية التي تستعملها وقت تتميم سر الشركة راجع الصلاة العامة ص ٢١٧.

أما كون الكنيسة ترتلها قبل تقديس الأسرار فذاك إشارة إلى أن بشارة الملاك تقدمت تجسد الرب لو ١ : ٢٦ لذلك تقديس الملائكة يتقدم حضوره على المذبح دلالة على حضوره في الافخارستيا. وقد قال القديس امبروسيوس «إننا معشر البشر لا يمكنا أن نجد شيئاً لنمدح به ابن الله أفضل من أن ندعوه قدوساً كما تخبرنا الكتب المقدسة أن الملائكة يسبحونه ويمجدونه بها وكما أننا جميعاً نرفع عقولنا إلى السماء ونشترك مع الملائكة في التسبيح ونشترك في الخبز الواحد كذلك نكون جميعنا جسداً واحداً وبنياناً واحداً مقدساً لله» قال القديس اغريغوريوس «يرتل هذا التسبيح للدلالة على الصلح والإتحاد أي اتحاد الملائكة مع البشر واتفاقهم معهم في التسبيح - وللدلالة على أنهم صاروا «الملائكة والبشر» بالمسيح يسوع كنيسة واحدة، وقال غيره واننا نرتلها دلالة على أن الذي رآه اشعياء وتكلم عن مجده وسمع الملائكة يسبحونه قائلين - قدوس الخ» هو هو الحاضر بذاته في الافخارستيا على المذبح والشاروبيم قيام حوله يهتفون له ويقدمون لجلاه التسبيح والتقديس ليل نهار بلا فتور لأن كل الأرض امتلأت من مجده. وتقدم له الذبيحة الغير الدموية من مشرق الشمس إلى مغربها ١ مل ١ : ١١» وأخيراً نرتلها دلالة على اتحادنا العتيد مع الملائكة في تقديمه يوم نملك مع المسيح في السماء مع جمهور المفديين، واتفاق الكنيستين: المجاهدة والمنتصرة، في تمجيد الله.

وقد رتبت الكنيسة أن الشمامسة يروحون بالمراوح هنا وهناك على المذبح عند النطق بهذه التسبحة للدلالة على حضور الملائكة وقت تقديم الذبيحة وهذا ما جاء في الدسقولية «ويقدس الأسقف وهو قائم على المذبح والستارة مفروشة وداخلها القسوس والشمامسة حواليه يروحون بمراوح مثل أجنحة الكاروبيم دسق ٣٨ المجموع الصفوي وجه ١٢٤ وجاء في أوامر الرسل «ويقف شماسان على المذبح من ناحيتيه ويمسكان مراوح مصنوعة من شئ ناعم لطرد الهوام والذباب لئلا يقع منها شئ في الكأس ق ٥٢ من ٧١ ويفهم من هذين البندين أن الغرض من الترويح بالمراوح ليس فقط

التشبه بالكاروبيم بل لطرد الهوام وهذا الأخير تعليل إضافي وثانوي.

ومن المناسب أن نذكر هنا ما قاله ابن العسال في تفسير الرؤيا «أن التسبيح والتقديس غذاء الروحانيين ولذتهم وهي لذه لا يشبعون منها ولا يملون ولهذا قال صاحب الرؤيا أنهم لا يزالون ليلاً ونهارًا يسبحون الله - قائلين قدوس الخ - بل يزيد طلبهم فيها كلما كثر استعمالها ولذا لا يفترون عن التسبيح ليلاً ونهاراً. فوجب على كل من شاء أن يقتدي بالملائكة ويتمثل بهم وبتسبيحهم وبوظيفتهم وسعادتهم أن يتسامى متنزهاً عن الأرضيات وأن يسبح الله بهدو وخشية صارخًا بملء الورع قائلاً قدوس قدوس قدوس الخ.

هذا وقد أضاف القديس غريغوريوس إلى هذه التسبحة نشيد أطفال العبرانين الذي أنشدوه حال دخول يسوع إلى أورشليم وهو «أوصنا» للدلالة على اشتراك السمائيين والأرضيين في التسبيح لله. وكان الأطفال يصرخون «أوصنا لابن داود» التي معناها - يارب خلص - أو الخلاص لإلهنا - كذلك الكنيسة تهتف - الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللحمل - اقتداء بالملائكة رؤيا ٧: ١٠ ثم ترتلها اعترافًا بأن الذي مجده وسبحه الأطفال الرضع يوم الشعانين على الأرض هو هو ابن الله المسيح من الشاروبيم في السماء وأنه حاضر بنفسه على المذبح ليس في المجد فقط كما رآه اشعياء بل في الجسد والدم الكريمين.



[٣] شرح ما يتلى من الصلوات بعد التسبحة الشاروبيمية

بعد ترتيل التسبحة السابقة يضع الكاهن اللفافة التي على يده اليسرى على المذبح والتي في يمناه يضعها على يده اليسرى ويأخذ التي على الكأس بيمينه ويرشم بها ثلاثة رشوم وكل رشم فيه ⲁ̀ⲅⲓⲟⲥ – قدوس» ويخضع برأسه – أول رشم على ذاته وهو متجه إلى الشرق. الثاني على الخدام عن يمينه. والثالث على الشعب إلى الغرب [١].

قال بعض الآباء بما أن الصينية تشير هنا إلى القبر الذي كان فيه جسد الرب فتؤخذ عنها اللفافة قبل الكأس إشارة إلى أن النسوة قبل أن ذاع خبر القيامة ذهبن إلى القبر. فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع لو ٢٤ : ١ – ٣ والبعض الآخر قال تؤخذ اللفافة عن الصينية وتستمر الكأس مغطاة إشارة إلى ظهور يسوع لمريم وإخفاء معرفته لها مبدئياً يو ٢٠ : ٤ و ١٥ ثم تؤخذ اللفافة عن الكأس إشارة إلى اعلان ذاته لها فعرفته عد ١٦ – ١٨ .

أما رشم الكاهن الشعب وذاته والخدام بعلامة الصليب فإشارة إلى أن الخلاص كان بالذبيحة التي تقدمت مرة واحدة على الصليب. وإلى رحمة الله التي شملت البشر بالصلب وللدلالة على أن المخلص بصليبه نقض السياج المتوسط أي العداوة وداس شوكة الموت وسحق رأس التنين «أي ابليس» وفتح لنا السماء راجع كو ١٥ : ٥٤ و ٥٥ وعب ٢ : ١٤ ، ٩ : ٢٦ ، ١٠ : ١٣ .

---

(١) وإذا كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فلا يرشم الكاهن إلا ذاته فقط والرشمان الآخران يرشمهما الرئيس الحاضر بالصليب.

أما الشماس «أو الكاهن الشريك» فإنه بعد ما يأخذ الكاهن اللفافة عن الكأس [1] يأخذ لفافة أخرى ويغطيها بها.

قال بعضهم تكشف الأسرار حال الشروع في تقديسها للدلالة على رموز الأنبياء التي كملت وانتهت بظهور الحقيقة كقول الرسول لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف الذي يبطل في المسيح ٢ كو ٣ : ١٤.

أما أخذ اللفافة عن الكأس وتغطيتها بلفافة غيرها فإشارة إلى اعلان يسوع ذاته للتلميذين واختفائه عنهما. قال الانجيلي فانفتحت اعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما لو ٢٤ : ٣١.

ثم يصلي الكاهن قائلاً ٣ مرات « ⲟⲩⲁⲃ̀ Ⲭⲟⲩⲁⲃ – قدوس».

في هذه الصلوة يبتهل الكاهن إلى الله شاكرًا لجلاله عنايته بنا نحن الخطاة وتعهده إيانا برحمته وإقامتنا بعد سقوطنا بالخطية وأعداده للملكوت السموي بإبنه الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي تجسد من الروح القدس ومن العذراء مريم وتأنس لأجل خلاصنا

عندما يقول الكاهن ⲛⲉⲙ ̀ⲉⲃⲟⲗϧⲉⲛ ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ

̀ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ Ⲙⲁⲣⲓ̀ⲁ – ومن العذراء القديسة مريم تجسد» يجاوب الشعب «آمين» «أي حقًا».

---

(١) رتبت الكنيسة وضع الكأس شرقي الصينية ليسهل على الكاهن التبخير ورشم الصلبان عليهما وكسر القربان لأن الكأس أعلى من الصينية. وقال بعضهم أن ذلك لتفهيم العامة أن المرتفع على المشرق أخذ صورة جنسنا وظهر في مغرب طبيعتنا لو ١ : ٧٨ و ٧٩.

[٤] شرح آمين . كيرياليصون

(١) آمين – لهذه الكلمة ثلاثة معان. استجب. وحقاً. ونعم. ومع أنها قد اختلفت في استعمالها فمع ذلك تشير إلى معنى واحد وهو جواب تأكيدي وتستعمل لتفيد القبول أو الإكتفاء التام. فتكون بالمعنى – الأول – إذا جاءت بعد الصلوة أو الدعاء تث ٢٧ : ١٥– ٢٦ وحينذاك تكون في العربية اسم فعل مبنى على الفتح ومعناه – استجب – أو – فليكن هكذا– وفي هذه الحالة تفيد التأمين على الطلبة والموافقة عليها والرضى بها والرغبة في نيلها. وقد جرت العادة أن يهتف الناس بها على أثر سماعهم دعاء أو بركة وفي هذا المعنى يقول القديس بولس نعمة ربنا يسوع المسيح تكون مع جميعكم آمين رو ١٦ : ٢٤.

ثانياً: تأتي بمعنى «حقاً» إذا صدرت الجملة بها أو بعبارة أخرى إذا جاءت في أوائل الكلام أو تقرير الحقائق فتكون يونانية الأصل وتترجم «الحق» وفي هذه الحالة تفيد التأكيد أو التقرير أو التثبيت وقد كان السيد له المجد يستعملها عند الكلام على بعض الحقائق الهامة وذكر الأمور الخطيرة مكرراً إياها على هذه الصورة» «الحق الحق أقول لكم راجع يو ٣ : ٥، ٥ : ١٩، ٦ : ٥٣، ١٠ : ١، ١٣ : ١٦ و ٢١، ١٤ : ١٢ وهي في الأصل اليوناني «آمين آمين أقول لكم».

ثالثاً: تأتي أحياناً في العبرانية بمعنى – نعم – للإيجاب أو المصادقة كما قال الذهبي فمه وقد استعملها الرسول بهذا المعنى ٢كو ١ : ٢٠ راجع رؤ ٣ : ١٤ وقد ترجمها السبعون من العبراني إلى اليوناني بفعل طلبي معناه – ليكن أو ليصر.

وكما جاءت في الكتاب المقدس بهذه المعاني الثلاث كذلك تأتي في القداس. فتكون بالمعنى الأول: عندما يقول الكاهن «يعطى لغفران الخطايا وحيوة أبدية لمن يتناوله والشعب يجاوب – آمين – أي فليكن هكذا.

وتكون بالمعنى الثاني: عند قول الكاهن وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم. فيجاوب الشعب آمين - «باليوناني» أي حقاً تجسد الخ. أو في نهاية القداس عند قوله جسد ودم عمانوئيل إلهنا الخ - يجاوب الشعب - آمين - تي ناهتي - أي حقاً أؤمن. أما في القداس فقال إظهاراً للإقرار الكامل من الشعب بأن الخبز والخمر استحالا إلى جسد ودم الرب وتأتي بالمعني الثالث: في غير هذا المكان للمصادقة والإيجاب كما في قوله أخذ الكأس وشكر وبارك الخ.

والشعب يجاوب بها اشارة إلى أنهم منتبهون بفكرهم ومؤمنون على كل ما ينطق به الكاهن والشماس الخادم القائم مقامهم وطالبون من الله استجابة طلباتهما.

«**زمن استعمالها في الكنيسة**» استعمال هذه الكلمة في القداس قديم جدا في الكنيسة ويرجع وضعها إلى الرسل أنفسهم بدليل:

-١- قول الرسول : وإلا فإن باركت بالروح فالذي يشغل مكان العامي كيف يقول آمين عند شكرك ١كو ١٤ : ١٦ والرسول يعني بكلامه هذا القداس الإلهي بإجماع الآباء والمفسرين وهو إذا لم تستطع يا هذا أن تترجم للشعب ما تقوله في الكنيسة من الصلوات والتسابيح لله بلغة غير مفهومة فالذي يقوم مقام العامي كيف يتسنى له أن يجاوب ويقول - آمين. أي أن يؤمن على دعائك ويصادق على شكرك وهو لا يفهم ما نقول.

-٢- من شهادات الآباء القديسين فأولاً يوستينوس الشهيد يقول «أن في آخر صلوات الافخارستيا يصرخ جميع الشعب آمين -- وكذلك ترتليانوس في توبيخه للذين يحضرون الملاعب يقول «أن الأيادي التي ترفعها للرب كيف تصفق بها للراقصين والفم الذي نطقت به «آمين» في القداس كيف يشهد للسباق» والقديس امبروسيوس يقول: ان الخبز قبل التقديس

هو خبز وبعد التقديس يصير جسد الرب وكذلك ما في الكأس قبل التقديس خمر هو. وأما بعد التقديس فيصير دماً وأنت تقول «آمين» أي «حقاً هو» وأن الذي نطق به الفم يقر به الضمير باطناً. وقال القديس ايرينموس في رسالته لأهل غلاطية «مرات كثيرة لما كان الشعب يهتف في الكنائس «آمين» أو «يارب ارحم» في وقت القداس اذ تقدم الفروض الكنسية كان يسمع منهم هدير كصوت الرعد.

-٣- التاريخ الكنسي يشهد بأن المؤمنين كانوا يجاوبون بها في خدمة القداس واثبت ذلك موسهيم المؤرخ البروتستانتي راجع صفحة ٦٩.

اتضح من هذا جميعه أن هذه الكلمة «آمين» مستعملة في الكنيسة الجامعة منذ العصر الرسولي ولا تزال إلى الآن جميع الكنائس والطوائف المسيحية تستعملها في صلواتها العامة وبها يختمون صلواتهم ودعاءهم وشكرهم [١] وجاء في قاموس الكتاب ما نصه «قد جرت العادة عند بعض الطوائف المسيحية أن يختموا صلواتهم وشكرهم بقولهم آمين ١كو ١٤ : ١٦ ويمكن أن يقال أن هذه هي الصورة الوحيدة للصلوة المذكورة في العهد الجديد: ومواعيد الله هي - آمين - لأنها أمينة وصادقة في المسيح يسوع ٢كو ١ : ٢. وآمين - هي من ألقاب المخلص رؤ ٣ : ١٤ إذ أنه هو الأمين الشاهد الأمين الصادق صفحة ١٢.

-٤- «كيرياليصون» هذه اللفظة هي يونانية مركبة من «كيريه» يارب. ومن «ايليصون» ارحمنا. واستعمالها في الكنيسة قديم جداً وقد قال القديس اغريغوريوس نقلاً عن ايرينموس انها من تقليدات الرسل.

---

(١) راجع الصلوة العامة للأسقفيين في سر الافخارستيا صفحة ٢١٠ و ٢٢٠.

وقد رتبت الكنيسة استعمالها في الصلوات المفروضة وفي القداس وبها تطلب رحمة الله الذي شاء فخلصنا بمجرد رحمته تي ٣ : ٥ ويرتلها الشعب اعترافاً بندامتهم القلبية وتوبتهم الحقيقية على كل ما سلف منهم من الخطايا. وهربهم منها وابتعادهم عن أسبابها ورجوعهم إلى أبي الرحمة والرأفة وإله كل تعزية ٢كو ١ : ٣ الذي كللنا بالرحمة والرأفة مز ١٠٣ : ٤ لكي يتراف علينا ويرحمنا كوعده عد ١٣ كما رحم شعبه وأهل نينوى وغيرهم قديماً حينما رجعوا إليه بكل قلوبهم.

وتستعملها الكنيسة تمثلاً بالأنبياء وغيرهم الذين توسلوا إلى الرب طالبين أن يرحمهم بهذه اللفظة عينها كما في قول داود النبي ارحمنى يارب فإني ضعيف. خلصني من أجل رحمتك مز ٦ : ٢ و ٤ يارب ارحمني لأني قد أخطأت إليك مز ٤١ : ٤ وصلوة الأعمى - يا يسوع ابن داود ارحمني مت ٩:٢٧ و ٢٠ - ٣٠ ومر ١٠ : ٤٧ ولو ١٨ : ٣٨ والكنعانية - ارحمني ياسيد يا ابن داود مت ١٥ : ٢٢.

وقد تتلى أحياناً مرة واحدة وتقدم إلى الله الواحد في الجوهر المثلث الأقانيم وأحياناً ثلاث مرات على اسم الثالوث الأقدس. وأحياناً أكثر من ذلك-- راجع ما كتبناه عنها سابقاً وقد حبذ سبرجن الواعظ المشهور استعمال المؤمنين لها في خطبه - إلا أننا لا نطلب رحمة الله بنفس المعنى الذي طلب به أولئك. بل باحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء - لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام لو ١ : ٧٨ و ٧٩ فهذه الرحمة التي أشرق سناؤها وسطع ضياؤها على الجالسين في الظلمة وظلال الموت نلتمسها بقولنا «كيرياليصون» يارب ارحم.

[٥] شرح الصلوات
المتضمنة تجسد وموت وقيامة المسيح

بعد انتهاء الكاهن من الصلوة «السابقة» يقدم الشماس له المجمرة، فيضع فيها يد بخور وهو يقول ⲁϥϭⲓⲥⲁⲣⲝ ⲟⲩⲟϩ ⲁϥⲉⲣⲣⲱⲙⲓ تجسد وتأنس.

هذا القول مأخوذ من الكتاب يو ١٤ : ١ و رؤ ١ : ٣ و ٤ وفي ٢ : ٧ و ٨. ووضع البخور في المجمرة – إشارة إلى تجسد ابن الله وتقديم المجوس للبخور له مت ٢ : ١١ وإشارة إلى أن تجسد الرب وموته كان بإرادته عب ١٠ : ٦ و ٧ وبملء خضوعه في ٢ : ٨ واضطرام نار محبته لو ١٢ : ٤٩ أضحى كالوقود الكامل ولما استنشق الله رائحته الطيبة أف ٥ : ٢ فاض نعمة على العالم. وبه انتشرت رائحة معرفته في كل مكان كانتشار هذا البخور في هيكل قدسه ٢كو ١ : ١٥ وللدلالة على انتشار نعمة الروح القدس في العالم بواسطة سر التجسد الإلهي – والمجمرة هنا كما قال بعض الآباء «تشير إلى العذراء القديسة التي حل نار اللاهوت في أحشائها ولم تحترق وظهر منها للعالم عرفا ذكيًا بدد رائحة الخطية الكريهة وأعطى النفوس أن تستنشق رائحة الحيوة وشذاء القداسة وطيب السماء [١] وتقتير البخور في القداس بوجه عام هو بمنزلة تنبيه للمؤمنين إلى أنه يجب عليهم أن تتصاعد صلواتهم إلى الله تصاعد البخور بدون انقطاع على قدر استطاعتهم[٢].

---

(١) التحفة الروحية وجه ١٧٨.
(٢) الروضة الزهية ٩٥.

عندما يقول الكاهن ⲁϥϣⲉⲛⲁϥ ⲉⲡⲉⲥⲏⲧ ⲉⲁⲙⲉⲛϯ

ⲉⲃⲟⲗϩⲓⲧⲉⲛ ⲡⲓⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ - ونزل إلى الجحيم بالصليب»
يقول الشعب مصدقا « ⲁⲙⲏⲛ - حقا أؤمن.

والمعنى أن المسيح نزل إلى الجحيم ليخلص أنفس الراقدين الذين ماتوا على رجاء عب ١١ : ١٣ ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية عب ٢ : ١٤ و ١٥ وهذه عقيدة قررها الكتاب. وأيدها الآباء - واعترف بها البروتستانت.

(١) قرار الكتاب : نرى في العهد القديم نبوات صريحة عن ذلك فقد تنبأ داود وقال «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيك يرى فساداً مز ١٦ : ١ وأكد ذلك القديس بطرس بقوله «لأن داود يقول فيه. لن تترك نفسي في الهاوية فإذا كان نبياً سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه في الهاوية أع ٢ : ٢٧ - ٣١. واشعيا يهتف بالروح القدس قائلاً - لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة اش ٤٢ : ٧ راجع ٤٩ : ٩، ٦١ : ١ وزكريا النبي يقول: وأنت أيضاً فإني بدم عهدك قد أطلقت أسرك من الجب الذي ليس فيه ماء. إرجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء ٩ : ١١ و ١٢ أما في العهد الجديد فالقديس بولس يقول. أما أنه «المسيح» صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى أف ٤ : ٩ والقديس بطرس أوضح «أن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة لكي يقربنا إلى الله مماتاً في الجسد ولكن محيي في الروح - الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن ١بط ٣ : ١٨ و ١٩ ثم قال. فإنه لأجل هذا بشر الموتى أيضاً ص ٤ : ٦ والمراد بالموتى الأرواح التي في السجن «راجع شاهد الآية» والمراد بهؤلاء أولئك الأسرى الذين قال عنهم اشعياء في ٤٩ : ٩، ٦١ : ١ بإعتراف البروتستانت - راجع الشاهد أيضاً.

(٢) تأييد آباء الكنيسة - ومنهم أثناسيوس وكيرلس وإيرينموس وغيرهم الذين أجمعوا على أن كلام الرسولين يدل على نزول المسيح إلى

الجحيم ليخلص أنفس الأسرى وعليه الإجماع راجع تفسير الدبس على أف ٥ : ٤ صفحة ٤٠٣ .

(٣) اعتراف البروتستانت. تعترف الكنيستان الأسقفية والمشيخية بهذا إذ جاء في الصلوة العامة للأسقفين تحت عنوان «نزول المسيح إلى الهاوية» كما أن المسيح مات لأجلنا وقبر كذلك يجب أن نعتقد بأنه نزل الهاوية صفحة ٥٢٦ : وجاء في نظام التعليم في اللاهوت القويم للبروتستانت. أنه ورد في القانون الرسولي المنسوب إلى الرسل - صلب ومات ودفن ونزل إلى الجحيم والأصح الهاوية أو عالم الأرواح مت ١١ : ٢٣ ولو ١٠ : ١٥ و أع ٢ : ٢٧ و ٣١ و ١ كو ١٥ : ٥٥ و رؤ ١ : ١٨ ، ٦ : ٨ ، ٢٠ : ١٣ و ١٤ واللفظة المستعملة في احدى النسخ الأصلية أي اليونانية لهذا القانون هي نفس اللفظة المترجمة في الإنجيل العربي بالسفلى أف ٤ : ٩ وورد في القانون الاثناسى المنسوب إلى أثناسيوس بطريرك الأسكندرية «هو الذي تألم من أجل خلاصنا ونزل إلى الجحيم - أي الهاوية - أو عالم الأرواح. أهـ باب ٨ وجه ١٢١ ، ١٢٥ «وجاء في قاموس الكتاب تحت كلمة هاوية هي ترجمة كلمة شاول العبرانية ومعنى هذه الكلمة الأصلى موضع الموتى... وعلى الغالب لا يراد بها في العهد القديم موضع العقاب بل قد يراد بها موضع راحة نفس البار إلى أن يفتقدها الله أي ١٤ : ١٣ وأما لفظة الهاوية في العهد الجديد.. فقد يراد بها موضع الأرواح بعد الموت فإن المسيح سكنها مؤقتاً أع ٢ : ٢٧ وهنا ك كرز للأرواح التي في السجن ١ بط ٣ : ١٩ أ.هـ» .

يصلي الكاهن قائلاً « Ⲁϥⲧⲱⲟⲩⲛϥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲛⲏⲉⲑ ⲙⲙⲱⲟⲩⲧ » - وقام من الأموات»

تذكر الكنيسة في ذبيحة القداس الإلهي كل حوادث تجسده من ميلاده.. وآلامه وموته وقيامته» إلى ارتفاعه بالمجد إلى أبيه وجلوسه عن يمينه في الأعالي. وذلك بناء لأمر الرب نفسه لرسله اصنعوا هذا لذكري لو

٢٢ : ١٩ قد أذن بل أمر بتمثيل كل ذلك كما يقول العلماء وغرض الكنيسة من هذا. أولاً: أن يكون التذكار شاملاً لكل أسرار التجسد الإلهي. ثانيًا: ليكون تذكار ذبيحة المسيح أكمل وصفًا وأشمل معنى.. ثالثًا: لكي نتذكر كل إحسانات الله العظيمة نحو البشر تلك التي أنعم بها علينا في المحبوب أف ١ : ٦ فنرفع ذبيحة التسبيح في كل حين إلى الله أي ثمرة شفاء معترفة بإسمه عب ١٣ : ١٥ ومنه نطلب أن يرسل لنا روحه القدوس الذي يفيض مواهبه المختلفة علينا كما وعد قبل صعوده يو ١٦ : ١٧ لكي يمكث معنا إلى الأبد يو ١٤ : ١٦ كما أنه معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر مت ٢٨ : ٢٠.

وقال بعضهم. لما كان القداس يمثل حيوة السيد له المجد من بدء مولده إلى نهاية صعوده كان من اللائق أن نذكر فيه كل أسرار وحيوة يسوع ونذكرها بتقديم هذه الذبيحة لأنه من المؤكد أن الرب قبل آلامه وموته بل أنه منذ تجسده قدم نفسه ذبيحة لله عن خطايانا كما قال الرسول عب ١٠ : ٥ - ٧.

عند قول الكاهن ⲕⲁⲧⲁ ⲛⲉϥ̀ⲃⲏⲟⲩ - حسب أعماله أي ليدين المسكونة بالعدل ويعطي كل واحد حسب أعماله يقول الشعب ⲕⲁⲧⲁ ⲡⲉ̀ⲕⲛⲁⲓ ⲡ̀ϭⲟⲓⲥ - ... كرحمتك يارب ولا كخطايانا».

ما أجمل هاتين الطلبتين وما أعظم وقعهما في القلوب فيهما نطلب من الله أن يستجيب صلواتنا ويرحمنا برحمته الواسعة غير ملتفت إلى عدم أهليتنا وإلا يصنع معنا حسب خطايانا ولا يجازينا حسب آثامنا لأنه يعرف جبلتنا أننا بشر. يذكر أننا تراب مز ١٠٣ : ١٠ و ١٥.

بعد ذلك يضع الكاهن اللفافة التي على يده اليمنى على المذبح عن يساره والتي على يساره إلى يمينه ثم يقدم الشماس المجمرة له فيبخر يديه

وهو يقول «Aqxw De nan eqphi – ووضع لنا هذا السر الخ» ثم يبخر القربان.

يبخر الكاهن يديه استعداداً للمس الموضوعات المقدسة التي سيحملها على يديه بعد هنيهة – ويبخر القربان إشارة إلى أطياب نيقوديموس والحنوط الذي أتت به النسوة إلى القبر لتطييب جسد المخلص راجع لو ٢٤ : ١ ويو ١٩ : ٣٩ و ٤٠ وتوسلاً إليه أن يتقبل تقدمة كنيسته التي هي تذكار موت الرب كنسيم رائحة طيبة في ٤ : ٨ كما تنسم رائحة الرضى من تقدمة نوح تك ٨ : ٢١.

أما وضع اللفافتين عن اليمين واليسار فإشارة إلى قول الكتاب عن بطرس يو ٢٠ : ٦ و ٧.

[٦] تلاوة الكاهن كلمات الرب يسوع وقت تقديس السر

بعد أن يبخر الكاهن يديه يرفعهما عن المجمرة ويبخر القربان كما مر وهو يقول: Eronw rap لأنه إذ رسم أن يسلم نفسه للموت من أجل حيوة العالم» يقول الشعب « Πιcτeυomen – نؤمن ونصدق.

هذا القول والذي يليه مأخوذ عن القديس بولس ١كو ١١ : ٢٣ وهو يشير إلى محبة الله التي أعلنها يسوع لنا في تلك الليلة أسلم فيها ذاته وفيها صنع هذا السر العظيم وسلمه لتلاميذه – وللدلالة على عظمة هذا الحب الإلهي عين الرسول الزمان بقوله – في تلك الليلة – فكأنه يقول أنه في تلك الليلة التي اهتم فيها الناس بتسليم ابن الله للموت اهتم يسوع بإعطاء الحيوة للعالم. وحينما كانوا يهيئون له القبور ويعدون له الصليب كان هو أعد لهم هذه الوليمة الإلهية والمائدة الخلاصية. وحينما كانوا يفكرون في صلبه وذبحه كان هو يعد لهم ذبيحة كافية للتكفير عن جميع

خطايا العالم حتى خطية صلبه ذاتها التي لا تقاس بها خطية.

ثم يأخذ الكاهن الخبز على يديه ويرفع اللفافة التي تحته في الصينية ويضعها على المذبح وهو يقول ⲁϥϭⲓ ⲛⲟⲩⲱⲓⲕ ⲉϫⲉⲛ ⲛⲉϥϫⲓϫ ⲉⲑⲩ – أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين».

إن السيد المسيح قد فعل ليلة آلامه وقت تتميم العشاء السري خمسة أفعال: (١) فعل الأخذ لأنه أخذ خبزاً. (٢) الشكر لأنه شكر. (٣) التبريك لأنه بارك. (٤) الكسر أي تقسيم الخبز. (٥) الإعطاء الذي به أعطى تلاميذه الخبز.

فالكاهن بعد ما ينتهي من الجملة السابقة التي بها يخبر بعظمة هذا الحب الإلهي ويذيعه يأخذ بتعداد الأفعال والأقوال إلى مارسها يسوع نفسه في تلك الليلة وقت تتميم هذا السر. والكتاب يخبرنا أن الرب لما تمم السر أخذ الخبز على يديه مت ٢٦ : ٢٦ والخبز الذي هو قوت الجسد شاء الرب أن يجعله قوتاً للروح والذي هو للحيوة الزائلة صيره للحيوة الدائمة. فالخبز الذي هو الغذاء الضروري للحيوة الطبيعية – يشير إلى مفعول هذه الذبيحة السري وهو تغذية نفوسنا وصيانة حيوتنا ويعلمنا أن هذه الذبيحة ضرورية لحيوة نفوسنا كما أن الخبز ضروري لحيوة أجسادنا. وللإشارة إلى أن الرب لم يقدسه وهو على المائدة بل أنه أخذه على يديه – ولا مذبح أفضل وأجمل في القدرة والكرامة من تلك اليدين اللتين علقتا على الصليب لتصنعا الخلاص – لأجل هذا – ولأن تقديس الخبز والخمر واستحالتهما يشيران إلى عشاء يسوع مع تلاميذه – فالكاهن يعمل ما عمله يسوع وقت تأسيسه هذا السر فيحمل الخبز على يديه كما حمله وكما كان جسد الرب مرتفعاً على الصليب مقدماً ذاته ذبيحة للأب ويداه مبسوطتان كذلك الكاهن يحمل القربان ويرفع يديه ويقدمه لله ذبيحة منه وإليه. فلنذكر أن الذبيحة التي تقدمت على الصليب تقدم الآن على المذبح على أيدي الكهنة ولنجتهد أن نرفع بأيادي طاهرة وقلوب مقدسة وبملء الورع

والخشوع جسد الرب كما حمله سمعان على ذراعيه بكل وقار وتهيب ولنصل حتى يكون لنا لا للدينونة بل للمغفرة:

عندما يقول الكاهن: « Ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲣⲉϥⲧⲁⲛϧⲟ – المحييتين» بجاوب الشعب قائلاً: Ⲧⲉⲛⲛⲁϩϯ ϫⲉ Ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ϧⲉⲛ

Ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ ⲁ̀ⲙⲏⲛ – نؤمن أن هذا هو بالحقيقة آمين» ثم يضع الكاهن يده اليمنى على الخبز الذي على يده اليسرى ويرفع نظره إلى فوق ويقول Ⲉ̀ⲡ̀ϣⲱⲓ ⲉ̀ⲧⲫⲉ ϩⲁⲣⲟⲕ Ⲁϥϫⲟⲩϣⲧ – ونظر يسوع إلى فوق نحو السماء.

كلما كان يسوع يعمل عملاً خطيراً يرفع نظره إلى السماء يو ١١ : ٤١ ليعلمنا أن نطلب مشيئة الله ورضاه في كل شئ وأنه مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة يع ١ : ١٧ وكما رفع عينه ورفع الخبز على يديه كذلك يمثله الكاهن والمراد بذلك أن تقديس الأسرار لم يصر إلا لتمجيد الله وتقديس اسمه بنا يو ١٧ : ١ و ٤ و ٦ و ١٩ ولأجل هذا أمرت الكنيسة أن يرفع الشعب عينيه وقلبه إلي فوق – وهنا عندما يقدس الكاهن الأسرار يرفع الكاهن عينيه ويديه إلى الله الآب الذي هو علة الخلاص وبدء الحيوة ومنه وبه تتقدس الأسرار الإلهية قال القديس باسيليوس «أن المسيح وقت تسليمه السر أخذ خبزاً ونظر إلى فوق. فالكاهن يصنع كما صنع يسوع والدلالة على الثقة التي لنا به عب ١٠ : ١٩ وعلى الكاهن أن يرفع نظره مع المسيح إلى العلا ويظهر لله ذلك الخبز ومع الخبز أيضاً يقدم جسده ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادته العقلية رو ١٢ : ١.

ثم يرشم الخبز ثلاثة مرات بمثال الصليب وفي كل مرة يجاوب الشماس والشعب – آمين.

يرشم اشارة الصليب على الأسرار لا لتقديسها بل لختمها بختم الملك لأن الصليب علامة ابن الإنسان مت ٢٤ : ٣٠ ثم لأن المخلص قد صالحنا

عاملاً الصلح بدم صليبه كو ١ : ٢٠ وأبطل الخطية بذبيحة نفسه عب ٩ : ٢٦ وداس شوكة الموت ١ كو ١٥ : ٥٥ وأباد بموته ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس عب ٢ : ١٤ قال الذهبي فمه في تفسيره متى «برسم الصليب يكرس جسد الرب تبتدئ الكهنة وسائر درجات الكنيسة وجميع الأمور التي تتقدس تكرس بهذا الرشم رشم صليب الرب وباسم المسيح لأن الصليب صورة المسيح وخاتمة فكما أن ملاك النقمة تجاوز الإسرائيلين لأن أعتابهم كانت مرسومة بعلامة الدم كذلك المفسد يتجاوز كل شئ وضع عليه صليب ربنا» ويرشم قبل أن يتقدس. لأن الروح القدس ما حل علينا ولا أهلنا لقبوله إلا بعد أن تمجد يسوع على الصليب وبموته أرضى الآب ومنحنا عطية الروح القدس. وقال أحد الآباء: أن الكاهن يرشم تكراراً اشارة الصليب على ذاته وعلى التقدمات الموضوعة على المذبح. فهذه الإشارة هى من عهد عهيد في الكنيسة وقد ألفها المسيحيون في صدر النصرانية وتداولوها خلفاً عن سلف. ولعمري أنه لمن الصواب أن يمثل تكرار يسوع المسيح المصلوب في عمل هو تذكار آلامه الموجعة حيث هو نفسه يهبنا ذاته تكراراً لكي يجدد ذبيحته على ممر الزمن [1].

– يرشم الكاهن أول رشم وهو يقول :« Ⲉⲁϥϣⲉⲡ ϩⲙⲟⲧ وشكر» .

هذا الفعل الثاني الذي صنعه يسوع وقت تتميم السر أي أنه أخذ الخبز وشكر الله الآب وكان ذلك قبل التقديس لو ٢٢ : ١٩ ، ١ كو ١١ : ٢٤ وبهذا الشكر علمنا الرب أنه يجب أن نتمم هذا السر بأوفر شكر وحمد وتبريك كما يقول الذهبي فمه. لأنه لهذا سمي هذا السر «افخارستيا» أي شكراً لأننا به نشكر الله على كل ما فعله لأجلنا وما تفضل به علينا من

(١) الروضة الزهية صفحة ٩٥.

انعامه وإحسانه العظيم ولاسيما هذا السر الإلهي الذي هو النعمة الكبرى التي يجب أن نستقبلها بغاية الشكر. وقوله أيضاً «أنه تعالى شكر ليعلمنا كيف نكمل هذا السر وليبرهن أنه لم يأت ويحتمل الآلام مكرهاً بل مؤدبا لنا فنحتمل بشكر جميع ما يلحقنا ويصيبنا. «مقالة ٧٢ على انجيل متى ثم قال بعد ذلك» «أنه تعالى شكر قبل أن يعطى التلاميذ لكي نقدم نحن له الشكر. وسبح بعد أن أعطى لكي نفعل نحن أيضاً هذا الأمر بعينه».

ثم يرشم ثانياً وهو يقول « Ⲁϥⲥ̀ⲙⲟⲩⲉⲣⲟϥ - وباركه».

هذا الفعل الثالث الذي مارسه يسوع أي أنه أخذ الخبز وشكر وباركه. هذه البركة خاصة بالسر والكاهن يتلوها اقتداء بيسوع. قال القديس بولس «كأس البركة التي نباركها ١ كو ١٠ : ١٦ وأجمع جمهور الآباء على أن مباركة الرب للخبز كانت تقديساً منه للسر.

يرشم ثالثاً وهو يقول « Ⲁϥⲉⲣⲁⲅⲓⲁ́ⲍ ̀ⲙⲙⲟϥ » - وقدسه» هذه الكلمة تدل على المعنى السابق بمعنى أن السيد لما بارك الخبز «والكأس» قدسه.

في كل رشم يجاوب كل من الشماس والشعب قائلاً - آمين - وفي الرشم الثالث يقولون « Ⲡⲓⲥ̀ⲧⲉⲩ̀ⲟⲙⲉⲛ ⲕⲉ̄ ̀ⲟⲙⲟⲗⲟⲅⲟⲩⲙⲉⲛ »

Ⲕⲉ̄ Ⲇⲟⲝⲁⲍⲟⲙⲉⲛ نؤمن ونعترف ونمجد» ثم يقسم القربان ثلثين وثلثاً بترتيب وبلطافة ويجعل القسمة من فوق إلى أسفل ويكون الثلث عن يمينه والثلثان عن يساره غير منفصلين عن بعضهما وتكون القسمة بالإبهام واليمنى لا بالأظافر. يفعل ذلك وهو يقول - Ⲁϥⲫⲁϣϥ

ⲁϥⲧⲏⲓⲥ وقسمه وأعطاه لتلاميذه القديسين الخ».

هذا الفعل الرابع أي أ المسيح قسم وكسر الخبز وأعطاه لتلاميذه قائلاً . خذوا كلو الخ مت ٢٦ : ٢٦ والكاهن يكسر الخبز تحذياً بيسوع وأجمع الآباء على أن كسر الخبز يشير إلى تألم يسوع على الصليب - أن يسوع كسر الخبز وقسمه على عدد التلاميذ وناولهم واحداً فواحداً قائلاً - خذوا كلو هذا هو جسدي - والمفهوم من هذا أن المسيح قدس جسده أولاً ثم ناوله لتلاميذه قائلاً «هذا هو جسدي» ليعرفهم أن المعطى لهم هو جسده ودمه لا الخبز والخمر - فالكاهن يتلو هذه الكلمات بصيغة الأخبار عما قاله يسوع وعليه أجمع آباء الكنيسة الشرقية.

لما يقول « Ⲉⲧⲟⲩⲛⲁⲫⲁϣϥ ⲉϫⲉⲛⲑⲏⲛⲟⲩ . الذي يقسم عنكم» يفرق رأس القربانة من أعلى وأسفل قليلاً بأطراف أصابعه من غير فصل ويضعها في الصينية ثم ينفض يديه مما عساه أن يكون لصق بهما من القربانة وعند قوله « Ⲫⲁⲣⲓⲧⲉϥ ⲉⲛⲓ ⲉⲣⲫⲙⲉⲩⲓ - هذا اصنعوه لذكري» يجاوبه الشعب قائلاً « ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ ⲁⲙⲏⲛ - هذا هو بالحقيقة آمين».

يفرق رأس القربانة من أعلى وأسفل ثم يقسمها لتكون على شكل صليب من غير أن تكسر أو يفصل منها جزء عن جزء إشارة إلى أن المسيح حي ولا يسود عليه الموت على وفق قول الكتاب «واحدة من عظامه لا تكسر» والمسيح حقاً كسر جسده في شكل الخبز ولكنه في الذات كان حياً وكان ذلك رسماً إلى موته على الصليب وأن الروح وان فارق الجسد إلا أن اللاهوت لم يفارقه لحظة واحدة ولا طرفة عين حينما أسلم الروح على الصليب بل لما كان جسده على الصليب ودمه مسفوكاً على الأرض ونفسه نزلت إلى الهاوية كان أقنوم الابن متحداً معاً» كما قال أحد الآباء. أما قوله «اصنعوه لذكري» فهو قول الرب يسوع لتلاميذه الذي به أعطاهم سلطان تقديس السر وعلمهم كيف يقدسونه. وأنه صنعه لذكرى موته كما

أنه عهد جديد لكنيسته وإعلان بدوام ذبيحة القداس إلى أن يجي ١ كو ١١ : ٢٦ قال القديس يعقوب السروجي. أنه «يسوع» لو لم يكسر جسده قدام الرسل لما كانوا يكسرونه ولو سألنا سائل ممن أخذتم هذا المثال ومن أمركم بصنعه لقلنا له إننا تسلمناه من الرب ١ كو ١١ : ٢٣ – ٢٥ فقوله هذا يوجب علينا أن نصنعه كما صنع» والقديس كيرلس يقول. إنه لما أشركهم في قداسة جسده ودمه الغفور وأوصاهم وحرضهم أن يصنعوه لذكره حتى مجيئة الثاني وسبب تذكار موته هو لأنه أبقى لنا جسده ليكون عهدا ووصية بيننا وبينه كقول البشير لو ٢٢ : ٢٠.

أما جواب الشعب – هذا هو بالحقيقة آمين – فهو تأمين على دعاء الكاهن وتصديق لما قاله – والمعنى أننا نرجو أن يكون هذا لمغفرة خطايانا.

ثم يكشف الكاهن الغطاء عن الكأس ويضع يده على حافتها ويقول Ⲡⲁⲓⲣⲏϯ ⲟⲛ وهذا الكأس أيضاً بعد العشاء الخ» ثم يرشم الكاهن ٣ مرات بعلامة الصليب على مثل ما فعل في القربان وهو يتلو الكلمات ذاتها التي استعملها عن رشم القربان وفي كل مرة يجاوب الشماس وكذلك الشعب قائلين – آمين وفي الرشم الثالث يقول الشعب Ⲁⲛⲉⲛⲁⲗⲓⲛ ⲧⲓⲥⲙⲉⲩ̀ⲟⲙⲉⲛ . وأيضاً نؤمن ونعترف ونمجد».

قال الآباء وضعت الأغطية على الخبز والخمر لتغطيتهما إشارة إلى أن يسوع منذ البدء لم يكن منظوراً ولما تجسد لم يكن كذلك منظوراً من جهة لاهوته وذلك تدبير العناية لأنه كيف يمكن أن يرى الغير المنظور أو يدرك الغير المحصور؟ ولكن لما قربت الساعة التي فيها يتمجد ابن الإنسان أعلن نفسه وتكلم عن موته وسفك دمه لأجلنا ولذا يقول الكاهن بعد كشف الغطاء عن الكأس هذا القول. وقد أخذ الغطاء عن الصينية بينما كانت الكأس لا تزال مغطاة – إشارة إلى دحرجة الحجر عن باب القبر «حيث كان جسد المخلص» الذي تشير إليه الصينية وما كان حيث ذهبت النسوة إليه. إذ وجدن الحجر مدحرجاً عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد

الرب يسوع لو ٢٤ : ١ – ٣ وتستمر الكأس مغطاة حتى يقول الكاهن هذه الصلوة إشارة إلى نزول يسوع إلى الهاوية ليخلص أنفس المعتقلين وإلى أنه ولو مات بالجسد إلا أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة بل ظل متحداً به في القبر وفي الهاوية. وأنه بأمره نزل الملاك ورفع الحجر عن باب القبر الذي يدل عليه رفع الغطاء عن الكأس الآن ويشير في الوقت نفسه على أن رموز الآباء قد ظهرت وكملت بالحقيقة في يسوع لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين عب ١٠ : ١٤ راجع ٢ كو ٣ : ١٥ و ١٦ وأننا بموته صرنا مستحقين أن ندخل الأقداس بدمه ونتعشى على مائدته عب ١٠ : ١٩ و ٢٠.

أما رشم الكأس ثلاث مرات فللدلالة على أن الرب قدس جسده ودمه بمسرة أبيه وروحه القدوس وأن القربان بتقديس على يد الكاهن بفعل الثالوث الأقدس: أما الخبز فيصير جسد المسيح وأما الخمر فدمه [(١)] أما قوله هذه الكأس. أي ما تحويه هذه الكأس وهو مجاز ومثله قال الرسول كلما شربتم هذه الكأس ١ كو ١١ : ٢٦.

ثم يمسك الكاهن فم الكأس بيده ويقول **Ⲁϥϫⲉⲙϯⲡⲓ** وذاق وأعطاه أيضاً لتلاميذه .. الخ «وعند قوله **Ϫⲉϭⲓⲥⲱ** – خذوا اشربوا .. الخ» يحرك الكأس بيده على مثال الصليب بلطافة «غرباً فشرقاً شمالا فجنوباً».

يفعل ذلك إشارة إلى أن المسيح أهرق دمه على الصليب عن جميع الناس في أربعة أقطار الأرض ١ بط ٢ : ٢٤، ١ يو ٢ : ٢.

ثم يشير بيده إلى الكأس وهو يقول **Ⲫⲁⲓ ⲅⲁⲣ ⲡⲉ** – لأن هذا

---

(١) كيرلس الأورشليمي في الأسرار ١ : ٧.

هو دمي» وعند قوله « Ⲫⲁⲓ̀ⲁⲣⲓⲧϥ ⲉ̀ⲡⲁⲙⲉⲩⲓ̀ – هذا اصنعوه لذكري» يجاوب الشعب قائلاً Ⲫⲁⲓ ⲟⲛ ⲡⲉ ϧⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ

ⲁ̀ⲙⲏⲛ هذا هو بالحقيقة. آمين».

يتلو الكاهن كلمات الرب التي استعملها وقت تأسيسه للسر وتسليمه لتلاميذه بصيغة الأخبار عما قاله المسيح: والشعب يجاوب آمين للإيجاب والمصادقة. ومما يجب التنويه عنه أن الكنيسة البابا وية تحصر تقديس السر وإستحالته في تلاوة الكاهن كلمات الرب وهي قوله «خذوا كلوا هذا هو جسدي، خذوا اشربوا هذا هو دمي [١]»

وهذا خطأ لأن الرب يسوع لما سلم السر لتلاميذه عندما أخذ خبزاً وقال خذوا. كلوا بل أخذ وشكر وبارك وقدس أولاً ثم أعطى تلاميذه وقال خذوا كلوا. فإذا عندما أعطى التلاميذ كان الخبز مباركًا ومقدسًا وقوة التقديس لم تكن بالإعطاء أو بالقول: هذا هو جسدي. بل بالشكر والبركة – وقوله– هذا هو جسدي: إيضاح لما صار إليه ذلك الخبز. وهذا هو تعليم الكنيسة الجامعة فإنها تعتقد أن تقديس الخبز والخمر يصير بتلاوة الأقوال الربانية التي بها وحدها يتجاسر خدام المذبح أن يقدسوا سر الشكر العظيم وهي تؤمن وتعلم أن الإستحالة نتيجة انحدار الروح القدس على القرابين المقدسة وفعله فيها وذلك بإستدعاء الكاهن الآتي [٢]. وعليه أجمع الآباء كالقديس ايريناوس ضد الهرطقات ٤ : ٣٤ وكيرلس الأورشليمي في الأسرار ١ : ٧ والقديس باسيليوس في الروح القدس لامفيلوثيوس فصل ٢٧ واغسطينوس في الثالوث ٣ : ٤ : ١٠ عن الأنوار وجه ١٢٤ و ١٢٥.

---

(١) راجع بيرون قسم ٢ فصل ٣ وتحفة الجيل وجه ٣٢٢.
(٢) الأنوار في الأسرار وجه ١٢١ و ١٢٢.

بعد ذلك يشير الكاهن بيديه إلى الجسد وهو يقول Ⲥⲟⲛ ⲅⲁⲣ ⲛⲓⲃⲉⲛ لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز الخ ثم يشير بيديه إلى الكأس أيضاً وهو يقول Ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲧⲉⲧⲉⲛⲥⲱ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲡⲁⲓ ⲁ̀ⲫⲟⲧ ⲫⲁⲓ ،

وتشربون من هذه الكأس.. الخ».

ان اسم الإشارة هنا بقوله «هذا لا يشير إلى القرابين الموضوعة بل إلى التي أخذها يسوع بيديه المقدستين «حينما سلم السر» وباركها وقدسها وأعطاها لتلاميذه أما هنا فتعاد تلك الأقوال الإلهية على سبيل التاريخ فقط. الأنوار وجه ١١٨.

ثم يكمل قائلاً « Ⲉⲣⲉⲧⲉⲛ ϩⲓⲱⲓϣ ⲙ̀ⲡⲁⲙⲟⲩ - تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن أجيء».

هذا القول مأخوذ بعضه عن الرسول ١كو ١١: ٢٦ وتدعى الافخارستيا تذكار موت الرب دون باقي أعماله. ذلك من حيث أن موت الرب كان تتمة عهده معنا وحبه لنا وفدائنا وعلى ذلك تكون هذه الأفعال جميعها منطوية تحت ذكر موت المسيح وتكون الإفخارستيا تذكاراً لها أيضاً وهذا القول برهان على أن ذبيحة المسيح تدوم إلى نهاية العالم وإلى مجئ المسيح الثاني.

لما ينتهي الكاهن من القول السابق يرتل الشعب قائلاً:

Ⲁ̀ⲙⲏⲛ ⲁ̀ⲙⲏⲛ ⲁ̀ⲙⲏⲛ ⲧⲟⲛ ⲑⲁⲛⲁⲧⲟⲛ ⲥⲟⲩ Ⲕⲩⲣⲓⲉ

حقاً بموتك يارب نبشر. وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات

---

(١) الروضة الزهية صفحة ٩٥.

نعترف. نسبحك نباركك نشكرك يارب ونتضرع إليك يا إلهنا.

من عصر الرسل إلى الآن تقدم الكنيسة هذه الذبيحة الغير الدموية مع هذا التمجيد والشكر فلنشكر ونسبح ونمجد الآب والإبن والروح القدس قائلين: نشكرك الخ أوامر الرسل كتاب ٨ فصل ١٢ والذهبي فمه مقالة ٢٤ على ١كو ويوستينوس الشهيد احتجاج ١: ٦٥.

يرتل الشعب هذا النشيد رافعين أصواتهم إلى الحمل المذبوح لأجل خلاصهم ذاكرين موته معترفين بقيامته متوقعين مجيئه الثاني وهم يقولون ذلك لأن الرب أوصى قائلاً: «اصنعوا هذا لذكري» والرسول أشار إلى ذلك بقوله «فإنكم كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ ١كو ١١: ٢٦ على أن وصية الرب هذه وان تكن خاصة بالكهنة إلا أن ليس الكاهن وحده هو الذي يقرب هذه الذبيحة بل كل الذين يحضرونها يشتركون معه بتقريبها بالدعاء والشكر والتأمين ولكل منهم حسب استعداده تخصص استحقاقات فادينا الإلهي».

أما الجملة الأخيرة من النشيد وهي – نسبحك الخ فتقدم إلى الثالوث الأقدس كما شرحهما بعض الآباء فقال «نسبحك أيها الرب الإله. نباركك أيها الابن الكلمة. نشكرك أيها الروح القدس لأجل هذه الإحسانات العظيمة. وتتضرع إليك أيها الثالوث الأقدس إلهنا الواحد. أن تقبل منا هذه الذبيحة. ذبيحة جسد الابن الوحيد وترسل لنا موهبة روحك القدوس».

بعد أن يفرغ الكاهن من تلاوة كلمات الرب يقربه إلى الله الآب كذبيحة يجدد بها أخص أسرار فدائنا فيبتهل إليه عز وجل قائلاً:
Ⲉⲛⲓⲣⲓ ⲟⲩⲛ ϩⲱⲛ ⲙ̀ⲫⲙⲉⲩⲓ – وفيما نحن نصنع ذكر آلامه المقدسة وقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وظهوره الثاني الآتي. نقدم لك قرابينك.

رتبت الكنيسة أن تذكر هذه الأسرار الثلاثة. آلام المسيح. وقيامته. وصعوده. الخ: أولاً لأن آلامه وصلبه وموته كان علة خلاصنا عب ٢ : ١٠ : وقيامته عربون قيامتنا العتيد ١كو ١٥ : ٢٠ وبالتالي هي أس رجائنا للمجد الأبدي عد ٣٣. أما صعوده إلى السموات فلأنه فتح لنا به أبواب السماء مز ٢٤. وعلمنا كيف يجب أن نرتقي بقلوبنا وأفكارنا إليها كو ٣ : ١ و ٢. وأما ذكر مجيئه الثاني بعد ذكر الصعود - فيشير إلى قول الملاكين اللذين وقفا بالتلاميذ وقالا لهم أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء أن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء أع ١ : ٩- ١١. أما ذكر مجي الرب الثاني بعد ذكر موته (١) فلان الرسول أشار إلى ذلك في ١كو ١١ : ٢٦ (٢) لأن الملائكة في حال صعود المخلص ذكروا الرسل به (٣) لكي نتذكر يوم الدينونة الرهيب فنستعد كأناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت لو ١٢ : ٣٦.

وعندما يقول «نقدم لك قرابينك من التي لك» يضع يمينه فوق يساره عاملاً بهما رسم صليب.

بسط الكاهن راحته على الهيئة المار ذكرها - إنما يمثل لنا الحال التي كان عليها سيدنا يسوع المسيح لما ضحى ذاته لله الآب على الصليب من أجلنا بمنزلة حمل وديع مقرب للذبح وبهذا الترتيب وبتلاوة الكاهن تذكار موت الرب يشير إلى أن الذبح قد تم على الصليب بهاتين الطريقتين المحسوستين «وهما وضع يديه على شكل صليب. ورشم اشارة الصليب على الجسد والدم «فكأنه يقول وفيما نحن ذاكرون هذه الأشياء «نقدم لك قرابينك» أيها الآب السموي. أي جسد ابنك ودمه الكريم الذبيحة الحية الناطقة الخاصة بمجدك الأعظم. من الأشياء «التي لك» أي من مواهبك وخيراتك «وهي الخبز والخمر» الموهوبين لنا من احسانك لتقدم منها هذه الذبيحة وذلك «على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال» أي

لتذكار موت ابنه. وشكراً على الإحسانات الإلهية التي نلناها منك.. واستغفاراً عن خطايانا ولفائدة الأحياء والأموات. ولا سيما لنيل موهبة روحك القدوس كما ناله الرسل الأطهار بعد الصلب والقبر والقيامة والصعود.

عندما ينتهي الكاهن من تلاوة كلمات الرب يسوع حسب وصيته يسجد الله أمام مذبحه المقدس ويصلي أوشية استدعاء الروح القدس طالباً من الله بحرارة وخشوع أن يرسل روحه القدس على هذه القرابين الموضوعة ليطهرها ويقدسها وينقلها «يحولها» إلى جسد ودم المسيح.

يستدعى الكاهن الروح القدس لتقديس القرابين وتحويلها بفعله الإلهي إلى جسد الرب ودمه الأقدسين وذلك لأن تجسد المسيح وتكوين جسده المقدس من المستودع البتولي الطاهر كان بفعل الروح القدس مت١ : ١٨- ٢٥ ولو ١ : ٣٥ ويطلب في الوقت نفسه أن يحل علينا لكي يقدس نفوسنا ويطهر قلوبنا ويعدها لسكناه وقبول أسراره الإلهيةحتى تكون بإستحقاق آلام الرب لمغفرة خطايانا وحيوة أنفسنا وتطهير أجسادنا ولتساعد المتناولين أن يأتوا بأثمار الروح غل ٥ : ٢٢.

أما أنه يطلب الروح القدس من الله الآب فذلك لأنه العلة الأولى التي منها يولد الابن ولادة أزلية مز ٢ : ٧ وفي ٥ : ٢ ويو ١ : ١- ٣.

وينبثق الروح القدس يو ١٥ : ٢٦ وقد ذكرنا سابقاً أن المسيح وقت تأسيسه السر رفع عينيه «وشكر وبارك وقدس» كذلك هنا يطلب الكاهن المباشر خدمة السر من الآب لأنه في الأقنومية هو الأول وأما في الجوهر والذات فالثلاثة واحد مت ٢٨ : ١٩ و ١يو ٥ : ٧.

أما كون الكاهن يصلي أفشين استدعاء الروح القدس سراً فذلك على ما قال الآباء لينبه بهذا على أنها صلوة جليلة القدر والحرمة يجب أن تتلى

بكل اصغاء وتهيب واحترام وإجلال وفيه إشارة إلى الحزن الذي شمل نفس يسوع بعد تقديس السر مت ٢٦ : ٣٨ ثم ولو أن كلا من المؤمنين يصلي سراً في هذه الأثناء فينبغي مع ذلك أن يشترك الجميع بالنية متمثلين بالكاهن مقرب الذبيحة الذي يخاطب الله إذ ذاك وفي كل صلواته بصيغة الجمع وباسم الجمع».

وليذكر الكاهن أنه في هذا الوقت يستدعي الروح القدس على القرابين وعليه والكنيسة فيجب أن يطلب ذلك بكل ورع وخضوع وبملء الخشوع وبتواضع في النفس عميق ذاكراً أن الروح القدس لا يعطى إلا للمتواضعين ١بط ٥: ٥ ولا يحل إلا في الموضع المرتفع المقدس ومع المنسحق والمتواضع الروح اش ٥٧: ١٥ وذبائح الله هي روح منكسرة والقلب المنكسر والمنسحق لا يحتقره الله مز ٥١: ١٧. لذلك يجب على الشعب أن يصلوا ذاكرين أن الروح القدس لا يحل حيث التشويش والخصام والعداء والإنقسام أو الرعود والبروق كما جر للإسرائيليين على طور سينا خر ٢٠ بل حيث تجتمع النفوس باسمه مت ١٨ : ٢٠ وحيث يكون الاتحاد والوئام والمحبة والسلام سائداً على القلوب والجميع يصلون بنفس واحدة كما كان الرسول والمؤمنين القدماء إذ بينما هم يصلون بنفس واحدة حل الروح القدس أع ١ : ١٤، ٢ : ١.

هذا وتعتقد الكنيسة أن الخبز والخمر يتحولان حقيقة إلى جسد الرب ودمه الأقدسين في البرهة التي فيها يستدعى الكاهن الروح القدس بقوة الله القادرة على كل شئ وذلك بطريقة لا تدرك ولا تفحص وأن لم تفهم ذلك فالله يستطيع أكثر مما يستطيع الإنسان أن يفهم كما قال القديس أغسطينوس. وعلى ذلك لا يكون في الافخارستيا صورة جسد الرب ودمه بل جسد المسيح نفسه الذي قدم مرة واحدة على الصليب. ولذلك نؤيد هذا الاعتقاد وتهتف بصوت واحد «نؤمن حقاً» حسب قوله تعالى «جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق والخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي

يو ٦ : ٥١ و ٥٥ وليس المقصود بالإستحالة أن الخبز والخمر يتغير شكلهما ورائحتهما وطعمهما. كلا بل أنهما بعد التقديس يستحيلان جوهرياً استحالة سرية روحية غير مدروكة بالحواس الجسدية إلى جسد الرب ودمه وعليه قال المرحوم عريان مفتاح في كتابه عن الافخارستيا «أن الاستحالة نوعان حسية وروحية فالحسية ما كانت بانتقال الشئ ذاته إلى شئ آخر وتغيير كل أجزائه كتحويل الماء إلى دم بواسطة موسى أو تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل. أما الروحية فتقوم بتغيير روحي في نفس المادة المنظورة مع بقائها على حالتها المنظورة بواسطة كلمة الله الحية الفعالة وبهذا المعنى أعطانا العلي العظيم والمؤسس الحكيم جسده لنأكله ودمه لنشربه تحت أعراض الخبز والخمر».

أن الرب بكلمته الفعالة حول الخبز إلى جسده والخمر إلى دمه وقت تأسيسه السر. ويسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد عب ١٣ : ١١ وتلك القدرة لم تزل ولن تزال فعالة مادام الله إلهاً والكلمة التي أبدعت السماء وما فيها والأرض وما عليها وقالت للشئ «كن فكان» هي هي بذاتها التي تفعل في السر وإذ أيد القدير وحقق وأثبت أن الخبز هو جسده فمن يتجاسر بعد ذلك على الشك. وإذ هو أيضاً أثبت أن الخمر هو دمه فمن يشك بعد هذا ويقول أنه ليس دمه. قال القديس كيرلس الأورشليمي: «وبما أن الرب قال هذا هو جسدي فلا نتمسك به مع شك بل لنؤمن إيماناً وطيداً بما قاله» الذهبي فمه مقالة ٨٢ على متى».

ولا تظن يا هذا أنه خبز وخمر - كلا - وأنه كباقي الأطعمة مستحيل إليها فلا يكونن هذا أبداً - لكن كما تفعل النار بالشمع كيف أنها تذيبه عن وجهها ولا تبقى له أثراً هكذا أؤمن بأن هذه الأسرار الإلهية تتحد في أقنوم الجسد... وأيقن أن ما نتناوله منها إنما هو الجسد الإلهي لا غير وتكون كأنك قربت بشفتيك نحو الجنب الطاهر الإلهي وتناولت منه ذاك الدم المخلص الذي شربته» فم الذهب م ١٩ على اش ٦ : ١ - ٧.

وكما قال القديس كبريانوس «نحن نأكل خبز التقدمة بعد أن يصير بالافشين «بالدعا» جسداً مقدساً ومقدس الذين يأكلونه بطوية حسنة» «لأننا لا نتناولهما بمثابة خبز عادي ولا بمثابة مشروب عادي لكن كما أنه بكلمة الله لما تجسد يسوع المسيح مخلصنا قد اتخذ لأجل خلاصنا لحماً ودماً هكذا تعلمنا أن الغذاء الذي ذكر عليه بدعاء كلامه وبه يتغذى لحمنا ودمنا بحسب الإستحالة هو لحم ودم ذاك المتجسد «قاله يوستينوس وكما يقول القديس امبروسيوس، أننا كلما تناولنا القرابين المقدسة التي تتحول سريا بالطلبة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه نخبر بموت الرب. وهذا الجسد الذي تقدمه في سر الشكر قد ورد من البتول ولماذا تبحثون هنا وتطلبون العمل الطبيعي والموضوع هو جسد يسوع المسيح أفلم يولد الرب نفسه من البتول بحال تفوق الطبيعة. فهذا هو إذاً سر التجسد بعينه. بكل الحقيقة وأننا نبرهن أن هذا لم تخرجه الطبيعة بل قدسته البركة والبركة أقوى من الطبيعة كثيراً لأن الطبيعة عينها بالبركة تتحول» وكما قال المجمع الثالث في رسالة القديس كيرلس الأسكندري رئيسه نسطور «أننا ننادي. ان ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح مات بالبشرة ونقر بقيامته وبصعوده إلى السموات فنتمم في الكنائس الذبيحة غير الدموية وهكذا نقترب من الأسرار المباركة ونتقدس إذ نشارك جسد يسوع المسيح مخلصنا ودمه الكريم لكي لا ينبغي أن ننظر إلى جسده كما إلى جسد إنسان يماثلنا من كل الوجوه في أهوائنا بل يجب أن نوقن أنه بالحقيقة جسد الذي صار وسمى لأجلنا ابن الإنسان.

وهو نفسه - كما قال القديس غريغوريوس - قدم ذاته بعمل التقديس الذي لا ينطق به وغير المنظور من البشر قرباناً وذبيحة عنا إذ هو كائن معا وحمل الله الرافع خطية العالم. وان سألت متى كان هذا فأجيبك أنه كان عندما جعل جسده مأكلاً بصريح العبارة وأعطاه للأكل وصارت ذبيحة الحمل كاملة لأن لو كان الجسد ذا روح لما كان ضحية تصلح للأكل فلما منح تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه ضحى جسده بوجه لا

ينطق به وغير منظور مدبراً هذا السر كما أرادت سلطته» [1].

فمن لم يؤمن أن ذلك حق فيكون ساقطًا من النعمة «قاله القديس أبيفانيوس في أقواله على كلام الرب».

هذا اعتقاد الكنيسة الجامعة وما تعلم به وتعتقده سائر الكنائس المسيحية الشرقية والغربية.

هذا وقد كنا عازمين على جمع الأدلة الكتابية والأقوال الربانية والبراهين العقلية والشهادات الرسولية وأقوال الآباء القديسين والعلماء اللاهوتيين «غير من ذكرنا أقوالهم» التي تثبت هذه العقيدة لولا أن كتاباً قاصر على شرح طقوس الكنيسة ويسرنا أن آباء الكنيسة وأبنائها وضعوا مؤلفات كثيرة وكتباً مطولة في هذا الموضوع وغيره من أسرار الكنيسة مفعمة بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة التي تذهب الريب وتقطع جذور الشكوك من النفوس فليرجع إليها من شاء من المرتابين: ومن حيث أن القرابين تتحول إلى جسد الرب ودمه وبالأحرى أن المسيح يحضر في الافخارستيا محتجباً تحت أعراض الخبز والخمر وجب على الشماس أن ينبه المؤمنين أن يقفوا بالوقار والهيبة وقت تقديم الذبيحة الإلهية كما بالسجود.

حالما يسجد الكاهن ويتلو افشين استدعاء الروح القدس يخاطب الشماس الشعب قائلاً ⲦⲈⲚⲞⲨⲰϢⲦ اسجدوا لله بخوف ورعدة عند ذلك يسجد جميع الشعب بخوف وخضوع قائلين ⲦⲈⲚϨⲰⲤ ⲈⲢⲞⲔ نسبحك نباركك نخدمك نسجد لك «ويفعلون ذلك اعترافًا بحضور يسوع في الافخارستيا على المذبح الذي له يجب الإكرام والسجود:

---

(١) الأنوار في الأسرار صفحة ١٤٥ و ١٤٧ ومرآة الحقائق الجلية ٤ : ٢ .

عندما يقول الكاهن Πιεϑη ̀εθοϒαβ

لقديسيك» «أي يظهرها قدساً لقديسيك» ينبه الشماس الشعب على الإصغاء بملء الخشوع قائلاً « Πρόσχωμεν ̀Ἀμήν »

لننصت آمين».

أن القربان يتقدس بدعاء حلول الروح القدس الفاعل به مع الآب والابن على يد الكاهن - ولو كان خاطئاً - لأنه ليس هو المقدس بل الله نفسه بالإجماع.

ويقر البروتستانت بأن عدم استحقاق الخدام لا يمنع فاعلية السر فقد جاء في الصلوة العامة للأسقفيين ما نصه «أنه وان يكن الأشرار أبداً يخالطون الاخيار في الكنيسة المنظورة ولهم أحياناً سلطان أعلى في خدمة الكلمة والسرين. إلا أنهم لما كانوا يفعلون ذلك باسم المسيح لا باسمهم ويجرون خدمتهم بوصيته وسلطانه جاز لنا أن نقبل خدمتهم في استماع كلمة الله وفي قبول السرين وليست نتيجة فرض المسيح مسلوبة بسبب سوئهم ولا تنقص نعمة مواهب الله ممن يقبلون السرين من أيديهم بإيمان واستقامة فخدمتهم ذات فاعلية لكونها مفروضة من المسيح وموعوداً بها منه وإن كان اجراؤها على أيدي أناس أشرار ومع ذلك فالمنوط بتأديب الكنيسة أن يفحص عن الخدام الأشرار وأن من لهم اطلاع على مساويهم يشكونهم حتى إذا وجدوا مذنبين عزلوا بحكم وعدل أ.هـ صفحة ٥٣٦.

عندما يقول الشماس « ̀πρόσχωμεν » ننصت يرفع الجميع رؤوسهم وينهض الكاهن ويرشم القربان فقط ثلاثة رشوم ويصرخ قائلاً: « ⲟⲩⲟϩ ⲡⲁⲓⲱⲓⲕ ⲙⲉϥ وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له».

يرشم الكاهن القربان ثلاثة رشوم اشارة إلى آلام المسيح الموجعة على الصليب وإلى تآمر اليهود ثلاث مرات على صلبه وقولهم ثلاث مرات اصلبه اصلبه. وليؤكد أن القربان تقدس بمسرة الثالوث الأقدس هذا ويدعى الجسد خبزاً بعد التقديس والدم خمراً. أولاً: لأنهما محجوبان تحت هذه الأعراض. ثانياً: من باب تسمية الشئ باعتبار ما كان كتسمية الإنسان تراباً تك ٣: ١٩ ومن هذا القبيل تسمية الخمر الذي حوله المسيح في عرس قانا الجليل ماء مع أنه كان خمراً يو ٢: ٩ ثالثاً: لأنه طعام سموي وكما أن قوت الجسد يدعى خبزاً كذلك قوت الروح يدعى خبزاً أيضاً اشارة إلى مفعوله وهو تغذية النفس.

ثم يسجد الشعب ثانية ويهتف قائلاً: « ⲁⲙⲏⲛ ϯⲛⲁϩϯ – حقاً نؤمـن».

أي اذعانا لقول السيد. فالذي سلم به العقل وآمن به القلب. يعترف به اللسان: فنحن نؤمن حقاً أن هذا هو جسد ودم الرب. قال القديس أمبروسيوس «لا تقل – أؤمن – عبثاً لأن ما يعترف به اللسان فليتمسك به القلب ك ٤ف ٥ في الأسرار وقال في مكان آخر «قبل التقديس يدعى شيئاً آخر أما بعد التقديس فيدعى جسداً ودماً. وأنت تقول – آمين – أي حق هو لأن ما نطق به الفم يعترف به العقل الباطن ف ٨ و ٩.

ثم يبسط الكاهن يديه ويحني رأسه خضوعاً للرب ويقول:

ⲡⲉⲛ ⲟ̅ⲥ̅ ⲟⲩⲟϩ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ. – ربنا وإلهنا» وعندما ينهض ويقـول: « ⲉ̀ⲃⲟⲗ̀ ⲛ̀ϧⲏⲧϥ – منه – أي لمن يتناول منه» يجاوب الشعب – آمـين – ثم يرشم الكأس ثلاث رشوم بسرعة ويصرخ هاتفاً: « ⲟⲩⲟϩ ⲡⲁ ⲁⲫⲟⲧⲧⲁⲗⲉⲟⲛ – وهذه الكأس أيضاً»

ثم يسجد الشعب مرة ثالثة ويجاوب قائلاً: « Ⲁⲉ ⲡⲁⲗⲓⲛ ϯⲛⲁϩϯ
وأيضاً نؤمن «ثم يبسط الكاهن يديه ويسجد مرة ثالثة وهو يقول:
Ⲡⲉⲛ ⲟ̅ⲥ̅ ⲟⲩⲟϩ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ – ربنا وإلهنا».

يسجد الكاهن ثلاثة مرات لله أمام مذبح الرب تعبداً وشكراً وخضوعاً للثالوث الأقدس لأن تقديس القرابين كان بفعل قدرته ثم ينهض ثلاث مرات لأن الله جعله وسيطاً بينه وبين شعبه ٢كو ٥: ٢٠ وعب ٥: ١ ثم أن السجود يدل على اعترافنا بضعف طبيعتنا المائلة إلى السقوط في الخطية وفيه اشارة إلى سقوط بطرس ثلاث مرات في خطية الإنكار مت ٢٦: ٣٤. وأما النهوض فيشير إلى نهوضنا بنعمة الله بموت المسيح. ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السمويات في المسيح يسوع أف ٢: ٥ و ٦ وكو ٣: ١ أما رشمه الكأس ثلاث مرات كالقربان فللدلالة على أن الروح القدس حل على كليهما بمسرة الثالوث الممجد.

عندما يقول الكاهن الجملة الأخيرة من الصلوة السابقة وهي:

«ⲡⲉⲙ ⲥⲩⲙⲫⲱⲛⲏ ⲛ̀ⲉⲛⲉϩ ⲛ̀ⲓⲏⲥⲟⲩ ⲉⲑⲛⲁϭⲓ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲛ̀ϧⲏⲧ

وحيوة أبدية لمن يتناوله يو ٦: ٥٤ يرفع المصلون رؤوسهم وهم يصرخون قائلين – آمين كيرياليصون ٣ مرات – أي استجب. يارب ارحمنا.

أي استجب يارب لصلواتنا ولدعاء خادمك وتقبل تقدمتنا هذه وأرسل الروح علينا – روحك القدوس – وارحمنا وليكن لنا هذا الجسد حيوة كما وعدتنا يو ٦: ٥١ و ٥٤ و ٥٧ ويستمد الشعب بهذا القول رحمة الله لكي يغفر لهم خطاياهم ويكون جسده ودمه لهم للمغفرة والحيوة لا للدينونة والهلاك. ويطلبون الرحمة ثلاث مرات لأن طلب رحمة الله بلجاجة أضمن

للإستجابة فإن الله عز وجل لما يرى تذللنا أمامه يتراف علينا كما يترآف الآب على البنين مز ١٠٣ : ١٣ ويرسل لنا روحه المعزي فيعزينا ويشجعنا ويقوينا وبمثل ذلك كان الآباء الأنبياء يستمدون رحمة الله. وعلى مثالهم رتبت الكنيسة أن يضرع الكهنة أولاً وهم وقوف أمام الله قدام المذبح: والشعب ثانياً وهم جاثون على ركبهم قائلين « ⲀⲘⲎⲚ ⲔⲈ — استجب يارب ارحمنا».

[٧] شرح ما يتلى من الصلوات إلى نهاية المجمع

يبتدئ الكاهن بصلوة السبع أواشي بعد أن يأخذ لفافة على يده اليمنى وأخرى على اليسرى ويبقيهما في يديه كما كان قبل الرشومات. ثم يصلي قائلاً « Ⲁⲣⲓⲧⲉⲛ ⲛⲉⲙ ⲡϣⲁ – اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا» وإذا أراد فليقل الطلبة من القداس الغريغوري وهي « ⲦⲎⲢⲈⲚ ⲦⲈⲛⲦϨⲟ ⲉ̀ⲣⲟⲕ نعم نسألك».

يطلب الكاهن بهذه الصلوة من أجل نفسه وسائر المزمعين أن يتناولوا لكي يؤهلهم الرب للتناول من أسراره الطاهرة وأن تكون خلاصاً وتقديساً لمتناوليها باستحقاق وطهارة لأنفسهم وأرواحهم ليتحدوا معه ويثبتوا فيه يو ٦ : ٥٦ وينالوا نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين في النور لو ١ : ٧٠ وأع ٢٦ : ١٨ وكو ١ : ١٢.

ثم يصلي السبع أواشي وهي السلامة. الآباء. القسوس. الرحمة. الموضع. المياه «أو الزرع أو الهواء» والقرابين وفي نهاية كل واحدة منها

يخاطب الشماس الشعب بالصلوة وهم يجاوبونه كيرياليصون. أما في الأوشية الرابعة فيجاوبون قائلين: « Ⲉⲗⲉⲏⲥⲟⲛ ⲏⲙⲁⲥ – ارحمنا يا الله الضابط الكل» وقد سبق فتكلمنا عن هذه الأواشي. أما الأوشية الخامسة «الموضع» فهي صلوة يقدمها الكاهن طالباً خلاص العالم وكل موضع ومدينة والساكنين فيها:

تطلب الكنيسة من أجل المكان وساكنيه أو البلد وقاطنيه ليحفظهم الله من سائر الضربات ويمنحهم الهدوء والسلام. واتخذت الكنيسة ذلك من قول الله بلسان أرميا النبي. اطلبوا سلام المدينة سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام إر ٢٩ : ٧ راجع أيضاً مز ١٢٢ : ٧– ٩ قال الذهبي فمه «مالي أقول أن الكاهن يتوسل من أجل مدينة أو بلدة أو قرية بل أنه يتوسل من أجل المسكونة قاطبة طالباً من الرب الصفح عن جميع المتوسلين إليه ك ٦ : في الكهنوت».

عندما يقول الكاهن الأوشية السادسة[1] Ⲁⲣⲓⲕⲁⲧⲁⲝⲓⲟⲛ Ⲡϭⲥ – تفضل يارب» يخاطب الشماس الشعب قائلاً: Ⲧⲱⲃϩ ⲉϫⲉⲛ اطلبوا عن «كذا» فيجاوبه كيرياليصون، ثم بعد ذلك يشير الكاهن بيديه إلى القرابين الموضوعة وهو يقول الأوشية السابعة أوشية القرابين.

قلنا سابقاً أن ذبيحة القداس ذبيحة استعطاف بمعنى أنها ذات قوة تجلب لنا عطف الله ورحمته وتستميله إلينا ونقول الآن أنها ذات قوة تنيلنا كل

---

(١) (**تنبيه**) أن الأوشية السادسة يصليها الكاهن بحسب ما يناسب الوقت الحاضر فإنه من ١٢ بؤنة إلى ٩ بابه يقول أوشية المياه ومن ١٠ بابه إلى ١٠ طوبة يقول أوشية الزرع. ومن ١١ طوبه إلى ١١ بؤونه يصلي أوشية الأثمار.

احسان من جوده تعالى. ولذا عندما تتمها الكنيسة تطلب الخيرات الروحية والجسدية الموافقة لعيشة الإنسان الصالحة وحياته فضلا عن أنها تطلب من الله غفران الخطايا والخلاص للأحياء والأموات راجع الأنوار وجه ١٩٠.

«لاشك أننا لسنا أهلاً لنوال الإحسانات لكن مخلصنا الإلهي وفر لنا الوسائل التي نستطيع بها أن نستحق كل النعم وننالها وأعظم هذه الوسائل هي أن نسأل الله النعم باسمه يو ١٦ : ٢٣ لأننا نقربه هو ذاته للآب الأزلي في ذبيحة القداس حيث شفع يسوع صلواتنا بصلوته كما قال الآباء: لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب أف ٢ : ١٨ وكل من أمعن النظر في هذه الطلبات رأى أنها غاية في حسن الوضع وإصابة الغرض فيما يجب أن تلتمسه الكنيسة من الله لها ولبنيها على اختلاف حالاتهم ونوعهم ودرجاتهم سواء كان «أسقفاً أو قساً أو شماساً أو ملكاً أو جندياً أو مريضاً أو مسافراً في البحر أو البر أو مصاباً الخ» فهي صلوات تقوية خشوعية مستمدة من الروح الإنجيلي الذي يعلمنا أن يصلي أحدنا لأجل الآخر فمن ثم ينبغي للمسيحي أن يصغي إليها كل الإصغاء مشتركا مع الكاهن بطلب النعم المذكورة فيها له ولقريبه.

وهذا الترتيب رسولي نصت عنه الأوامر الرسولية راجع دسق ق ٣٨ والمجموع الصفوي وجه ١٤٦ وأيده الآباء إذ قال القديس كيرلس الأورشليمي «ثم بعد أن تتمم الذبيحة الروحية الغير الدموية نتضرع إلى الله تجاه ذبيحة الإستغفار هذه من أجل سلامة الكنائس عموماً ومن أجل حسن ثبات العالم ومن أجل الملوك ومن أجل الجنود المحاربين معهم ومن أجل المرضى والمضنوكين وبالإجمال من أجل جميع المحتاجين إلى مساعدة «في كتابه على الأسرار ٥ : ١» على أن الكنيسة تسلمت أيضاً أن تصنع في ظروف خاصة صلوات تناسبها عند تتميم السر كأوقات الوباء والقحط والغلا والحروب وما يماثل ذلك «راجع الأنوار وجه ١٩١».

بعد تلاوة السبع أواشي السابقة يتلو الكاهن المجمع:

وسمى هكذا لأنه يجمع أشهر آباء الكنيسة تقوى وقداسة وفضلاً وفي مقدمتهم الرسل والمبشرين والعذراء والشهداء والقديسين الذين كملوا في الإيمان عب ١٢ : ٢٣ ، ١٣ : ٢١ .

وقد تسلمت الكنيسة أن تذكر في قداساتها هؤلاء القديسين مستمدة شفاعتهم في قبول صلواتها التي تقدمت وقت تتميم السر الإلهي يتضح هذا من النشيد «المرد» الذي يرتله الشعب في آخر صلوة المجمع وهو بركتهم – «أي بركة هؤلاء القديسين الذين ذكروا» تكون معنا آمين.

قد اعتادت الكنيسة منذ العصر الرسولي أن تفعل ذلك ويؤيده الآباء فالقديس ديونسيوس المعاصر للرسل قال في كتابه في الخدمة الكنسية ف ٣ : ١١ «أن هذه عادة قديمة في الكنيسة» وأبيفانيوس يقول في آخر فصل من أرطقة ٧٧ ضد أريوس «أن الكنيسة تفعل هذا متبعة التقليد الذي تسلمته من الآباء» كذلك القديس باسيليوس في كتابه في الروح ف ٢٧ مجلد ٤ .

أما غاية الكنيسة من ذلك فقد أوضحها الآباء قال القديس أبيفانيوس «إنا نصنع هذا التذكار من أجل الأبرار والصديقين الآباء الرسل والإنجيليين والمعترفين والمبشرين والبطاركة والسواح.. الخ لكي نميز ربنا يسوع المسيح عن بني البشر بالكرامة التي نقدمها له» ومعنى ذلك على ماقال أحد الآبا: «إننا بعملنا تذكار الأبرار نشهد بعظمة الرب يسوع ونعترف أنه ليس في البشر من يساويه وذلك لأننا نقرب له الذبيحة وننادي له بالكرامة والعبادة الخاصة به لأنه إله: أما القديسون فلا نقرب لهم بل نقرب من أجلهم شاكرين الله الذي منح أخوتنا تلك النعمة التي بها غلبوا العالم والشيطان وجاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعي وحفظوا الإيمان وأخيراً حفظ لهم إكليل البر والمجد والكرامة بعد تلك الغلبة. وقال القديس كيرلس «بعد ذلك نذكر الذين رقدوا وهم رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين لكي يقبل الله طلباتنا بصلواتهم وشفاعتهم: في الأسرار ٥ : ٩ والقديس

اغسطينوس يقول «أن ذكر القديسين في ذبيحة القداس لا يعني أنها تقدم لهم. لأنها تقدم لله: بل ليضرع هؤلاء عنا تفسيره بشارة يوحنا ٨٤:
١- وقد أوضح بعضهم أسبابا أخرى نأتي على ملخصها وهي (١) لأنهم لم يتمتعوا بشركة ميراث القديسين في النور إلا بإستحقاقات ذبيحة الصليب المستمرة بذبيحة القداس الإلهي. (٢) لأنهم أعضاء جسد الرب وهو رأسهم ولإتحادهم بالرب يسوع يذكرون في ذبيحة القداس التي هي ذبيحة الجسد كله (٣) لكي نقتدي نحن بسيرتهم الصالحة وإيمانهم الحار وصبرهم ومحبتهم للرب يسوع واحتمالهم الإضطهادات والآلام حتى الموت بصبر وشكر من أجل اسمه لنبلغ إلى مظالهم الأبدية كقول الرسول أف ٢: ١٩ (٤) لأنهم أناروا الكنيسة بنور تعاليمهم وفضائلهم وضحّوا أنفسهم في سبيل خدمتها والقرب منها فهي لذلك تذكرهم عب ١٣: ٧ (٥) لأنهم أهينوا من العالم وطردوا منه فنحن نكرمهم في هيكل الرب بذكر أسمائهم على وفق قول النبي زك ٦: ١٤ ومل ٣: ١٦ وتمثلاً بالقديس بولس الذي ذكرهم في عب ١١ الخ.

[٨] شرح ما يتلى من الصلوات إلى نهاية القسمة

بعد انتهاء صلوة المجمع يقول الشماس **ⲛⲏⲉⲧⲱϣ ⲙⲁⲣⲟⲩⲧⲁ ⲡⲛⲓⲣⲁⲛ .**

فليقل القارئون أسماء أبائنا الخ وهنا يذكر الكاهن من يريد ذكرهم من الراقدين في الرب أو يقول «الترحيم» إذا طلب منه ذلك عن منتقل حديث

ويذكر النفس الراقدة في الرب [1] وبعد أن يقول الشماس ⲡⲓⲛⲓϣϯ ⲡⲓⲛⲓ
- ويجاوب الشعب Ⲇⲟⲝⲁⲥⲓ Ⲕⲩⲣⲓⲉ المجد لك يارب» يصلي
الكاهن من القداس الباسيلي - ⲛⲏⲙⲉⲛ ⲡⲟⲥ
أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيحهم «ارحمهم» وعندما يأتي على
قوله ⲁⲣⲓϩⲙⲟⲧ ⲛⲁⲛ ⲛ̀ⲧⲉⲕϩⲓⲣⲏⲛⲏ ϣⲁ ⲉ̀ⲃⲟⲗ - وأنعم
لنا بسلامك إلى التمام «يجاوب الشعب قائلاً « Ϣ:ⲡⲉⲣ: -
كما كان وهو كذلك يكون من جيل إلى جيل .. الخ.

هذا النشيد يقدم لأقنوم الابن لتجسده وموته لأجل خلاص البشر رؤ ١ : ١٨ والذي هنا نصنع تذكار موته لو ٢٢ : ١٩ وهو جزء من ترنيمة التسبيح والشكر التي قدمها المفديون في السماء رؤ ١١ : ١٧ شكراً لله ومجداً على إظهار قوته التي كانت له على الدوام واستجابة صلوات قديسيه الذين تحت المذبح رؤ ٦ : ٩ و ١٠ والكنيسة ترتله على مثالهم والملائكة أيضاً رؤ ٤ : ٨ وقد سمى الله بأسماء كثيرة منها «الكائن» وهو اسم أطلق في العبراني على ذات الواجب الوجود. بلفظة «اهيه» الذي معناه «أنا الكائن» خر ٣ «ويهوة» الذي معناه يكون خر ٤ : تصريحاً بسرمدية الله وقوته غير المحدودة وأبديه الإله الذي ليس قبله شئ ولا يمكن أن يبقى شئ بعده. وقد يراد بهذا الوصف أقنوم الآب كما يراد به أقنوم الابن راجع رؤ ١ : ٨ مع عد ١٧ ، ٢٢ : ١٣ مع الآيات السابقة. وقد شرحه بعضهم قائلاً كما يسمى الكائن والذي كان والذي يكون رؤ ١ : ٨ أي الذي كان من البدء. والذي هو كائن وموجود الآن ولن يزال كذلك إلى دهر الداهرين. كما تقدس وتمجد في الزمان الذي مضى وفي الحاضر كذلك فليكن اسمه مباركاً ومقدساً وممجداً من جيل إلى جيل وإلى دهر الداهرين آمين».

---

(١) سنتكلم عن الصلاة على أنفس الراقدين وذكرهم في القداس في الجزء الثاني.

راجع ١ تي ١ : ١٧.

— ثم يكمل الصلوة قائلاً « ϩⲓⲛⲁ ⲛⲉⲙ ϧⲉⲛ Ⲫⲁⲓ لكي وبهذا كما أيضاً في كل شئ يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم في كل شئ الخ، وفي نهايتها يعطي السلام للشعب قائلاً Ⲓⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ السلام لجميعكم» ثم يسجد لله وهو جامع يديه.

بهذا القول يوجه الكاهن الخطاب لله الآب تمثلاً بيسوع الذي صنع هكذا بعد تقديسه السر راجع يو ١٧ الخ وبه يعلن أن الله تمجد بالنوع الممتاز والأسمى تجسد ابنه وموته لخلاص البشر الذي هو عين المهمة التي من أجلها جاء المسيح إلى العالم ليخلص شعبه من خطاياهم مت ١ : ٢١ نعم وأن يكن الله ممجداً من جميع مخلوقاته في السماء وعلى الأرض أي ٣٨ : ٧ ولكن تجسد المسيح وموته إكراماً للشريعة وإنقاذاً للإنسان الساقط كان أكثر إظهاراً لذلك المجد واسم الله يتمجد ويتبارك في كل زمان ومكان من سائر خلائقه والآن يتمجد بنوع خاص لأنه أعطانا ابنه يو ٤ : ١٠.

وبذله لأجلنا أجمعين رو ٨ : ٣٢ ونمجده في كل شئ لاسيما لأجل إعطائه إيانا جسده غذاء روحياً لخلاصنا للحيوة الأبدية والمجد الأبدي يو ٦ : ٥١ و ٥٤ ولأنه بهذه التقدمة الطاهرة يحل في وسط شعبه ويهب الحيوة للذين يتناولونها والبركة للذين تقدم لأجلهم ليتمجد ويتبارك اسمه العظيم منهم وبهم على وفق قوله تعالى مل ١ : ١١.

أما إعطاؤه السلام الآن فذلك على مثال الرب يو ١٤ : ٢٧ والمقصود به استقرار النعمة التي طلبناها في دعوة الروح والتي تعطي للمؤمنين المتناولين من جسد الرب ودمه الأقدسين لتحل فيهم وتدوم معهم إلى الأبد ويملك في قلوبهم سلام المسيح الذي إليه دعوا في جسد واحد كو ٣ : ١٥ لكي يتمجد الله بهم مت ٥ : ١٦ فإن الله الآب لم يخلقنا — ولا الإبن تألم لأجلنا، ولا الروح القدس يحل علينا — إلا ليتمجد بنا فإنه لهذا خلقنا

الله أم ١٦ : ٤ واش ٤٣ : ٧ ومات المسيح أف ١ : ٦ و ١٢ وفي ١ : ١١ و ١بط ٢ : ٩ وحل الروح القدس أع ٢ : ٤ و رو ٨: ١٤-١٦.

أما جمع اليدين فكما قال بعضهم «إشارة لجمع قوى النفس وحواس الجسد في خدمة الله فنظفر بالرحمة والنعمة. وفي التقديس نجمعهما فوق القربان للدلالة على أننا نقدم ذواتنا وكلما لنا «مع الذبيحة» لله على وفق قول الرسول رو ١٢: ١ و ٢.

ثم يقول الكاهن مقدمة صلوة القسمة التي مطلعها **ⲡⲁⲗⲓⲛ ⲟⲛ**

ⲙⲁⲣⲉⲛϣⲉⲡϩⲙⲟⲧ – وأيضاً فلنشكر الله ضابط الكل الخ وعند نهايتها يقول الشعب – آمين.

تقدم الكنيسة الشكر لله أثناء خدمة القداس خمس مرات (١) بعد دورة الحمل (٢) في مدخل القداس عند قول الكاهن «اشكروا الرب» (٣) قبل حلول الروح القدس (٤) في هذا الوقت (٥) في نهاية القداس وقد شرحنا ذلك فيما سبق وأما هنا فنشكر الله على نعمته التي أهلنا بها لتقديس جسده وجعلنا مستحقين للوقوف أمامه لخدمة اسمه القدوس واصعاد أسراره المحيية.

بعد ذلك يضع الكاهن اللفافتين اللتين على يديه فوق المذبح ولا يعد يمسكهما ثانية. ثم يأخذ الجسد الطاهر بيده اليمنى ويضعه على اليسرى ويضع أصبعه السبابة على الجسد بجانب الأسباديقون من المكان المقسوم وهو يقول: « **ⲡⲓⲥⲱⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ** – الجسد المقدس» فيجاوب الشعب قائلاً « **ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙⲡⲉⲕⲥⲱⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ** نسجد لجسدك المقدس» ثم يرفع أصبعه من على الجسد ويغمس طرفها من الدم الكريم ويرشم بها رشماً واحداً مثال الصليب على الدم داخل الكأس وهو

يقول ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲥ̀ⲛⲟϥ ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ - والدم الكريم
ويجاوب الشعب « ⲛⲉⲙ ⲡⲉⲕⲥ̀ⲛⲟϥ ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ - ودمك الكريم» ثم يرفع الكاهن أصبعه من الكأس بكل حرص ويرشم بالدم الجسد الطاهر رشماً فوق «علي وجه القربانة» وآخر أسفل «أي على ظهرها، وهو يقول « ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲉϥⲭ̀ⲣⲓⲥⲧⲟⲥ - الذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا ١ كو ١٠ : ١٦ و ١٧ـ فيجاوب الشعب. كيرياليصون. ثم يقول - السلام لجميعكم.

نسجد للقربان لأنه جسد الرب ودمه كما نسجد للكتاب المقدس لأنه كلام الله. وكما سجد داود وقومه للتابوت موطئ قدمي الرب لأنه دعى عليه باسم الرب مز ٩٩ : ٥ و ٩ ومز ١٣٢ : ٧ راجع ١ أى ٢٨ : ٢ وهو تقليد رسولي مرعى لدى الكنيسة الجامعة راجع اعتراف الآباء س ٦٥ و ١٠٧ واثبته آباء الكنيسة في مؤلفاتهم. فالقديس امبروسيوس يقول في تفسيره مز ٩٩ : ٥ أنه يعني بكلمة «موطئ» الأرض وبكلمة - أرض - يعني جسد المسيح الذي نسجد له اليوم في السر والذي عبده الرسل بشخص المسيح نفسه. في الروح القدس م: ١١ : ٧٨ و ٧٩. والقديس اغسطينوس يقول لا يشترك واحد في جسد المسيح ما لم يقدم له عبادة إلهية على مز ٩٩. وقال أيضاً «إننا في شكل الخبز والخمر اللذين نراهما نكرم ونسجد لجسد الرب ودمه اللذين لا نراهما» والذهبي فمه يقول «لما كان هذا الجسد في المذود جاءه المجوس ورجال كفرة وبرابرة تاركين أوطانهم وبيوتهم وقطعوا مسافات طويلة وأتوا بخوف وإرتجاف عظيمين وسجدوا له. فلنقتد إذاً بالبرابرة على الأقل نحن أبناء السموات لأن أولئك مع أنهم رأوه في مذود وداخل كوخ ولم يروا شيئاً مما تراه أنت الآن تقدموا برعب كثير. وأما أنت فلست تراه في مذود بل على المذبح ولست ترى العذراء تحمله بل كاهناً منتصباً وروحاً طائراً على الموضوعات ونازلاً عليها بغزارة لأنك لست تنظر الجسد وحده على بسيط الحال مثل أولئك لكنك تفهم أيضاً قدرته وكل التدبير وليس خافياً عليك شئ مما تم به لأنك تعرف

جميع الأسرار بتدقيق «على ١كو ٢٤: ٥» عن الأنوار وجه ١٥٥-١٥٧.

على أنه لو كان الموضوع أمامنا خبزًا بسيطا لما سجدنا له كما لو كان كذلك لما أذنب من يقدم على مناولته بدون استحقاق ١كو ١١: ٢٧-٢٩. وإذا كان بنو إسرائيل اكرموا التابوت وسجدوا له لأن الله كان يحل عليه وكان السجود مقدماً إلى الله نفسه فكيف لا نسجد للقربان مع أن يسوع حاضر فيه: هذا وإن الكنيستين الشرقية والغربية قد أجمعتا على وجوب هذا السجود راجع الأنوار في سر الشكر وتفسير المزامير للكاثوليك على مز ٢٢: ٢٨ ومنارة الأقداس للسريان وجه ٤٤٤ فأجماعهما على وجوبه وتمسكهما به دليل على أنه تقليد رسولي والغرض منه كما قال أحد الآباء هو «أنه مثلما آمنا به في القلب واعترفنا به بالفم انه ابن الله كذلك نسجد له كما أمر مت ٤: ٨ وبهذا السجود القلبي ترذل افتراء الجند الذين باغراء كهنة اليهود ضفروا له اكليلاً من شوك وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود مت ٢٧: ٢٩.

أما رشم الجسد (١) بالدم على شكل صليب فإشارة إلى تألم الرب بالجسد على الصليب وإلى الدم الذي خرج من جنبه الطاهر وسال على جسده المقدس وقت الصلب بعد موته يو ١٩ :٣٤ وللدلالة على أنه وأن يكن بجسده تألم إلا أنه متحد باللاهوت كقول الرسول. مماتا في الجسد محيي في الروح ١بط ٣: ١٨.

---

(١) **(تنبيه)** – ان جميع رشومات القداس الخاصة بالخبز والخمر والتي يرشمها الكاهن على نفسه والخدام والشعب هي – ٤٢ – رشماً منها ١٨ رشماً على الخبز والخمر ومثلها على نفسه والخدام والشعب و ٦ من الجسد والدم واليهما. والكنيسة ترشم ١٨ صليباً على الخبز والخمر لأسباب أوضحها بعضهم وهي:

أولاً : على عدد الساعات التي تعذب فيها يسوع لأنه كما يخبرنا الإنجيل المقدس قبض عليه في الساعة الثالثة ليلاً بعد العشاء السري وأسلم الروح على الصليب في الساعة التاسعة راجع مت ٢٦ : ٢١ و ٣٤، ٢٧ : ٤٦ .

ثانياً: ذكراً لأشكال العذابات التي أنزلها به اليهود منها ٩ في المدينة و ٩ على جبل الجلجثة. ففي المدينة عذبوه:

أولاً بأفكارهم (١) إذ قالوا انه مجنون لذلك نزعوا عنه ثيابه وألبسوه ثوباً قرمزيا مت ٢٧ : ٢٨ (٢) ثم عاملوه كمجرم أثيم إذ لطموه على خديه مت ٢٦ : ٦٧ (٣) ثم اعتبروه خاطياً فأهانوه وبصقوا في وجهه مت ٢٧ : ٣٠ .

ثانيا: بأقوالهم لأنهم: (١) أقاموا عليه شهود زور مت ٢٦ : ٦٠ (٢) الكهنة عقدوا مجمعاً في دار رئيس الكهنة وحكموا عليه بالموت مت ٢٦ : ٥٧ (٣) ثم صرخوا أمام الوالي. اصلبه اصلبه أنه مستوجب الموت هو مت ٢٧ : ٢٢ ومر ١٥ ولو ٢٣ .

ثالثًا: بأفعالهم فإنهم (١) جلدوه بدون شفقة مت ٢٧ : ٢٦ (٢) ضغفروا اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه مت ٢٧ : ٢٤ . (٣) ثم أحاطت به كلاب كثيرة وجروه من البستان إلى بيت حنان فقيافا فبيلاطس فهيرودس فبيلاطس ثانية فالصليب مت ٢٦ و ٢٧ وكان كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أما جازيها فلم يفتح فاه اش ٥٣ : ٦ .

أما عذاباته في الجلجثة فإنهم احتفروا قوته. وسلطته. مشيئته فعذبوه ضد قوته (١) إذ حملوه صليبه يو ١٩ : ١٧ (٢ و ٣) ثقبوا يديه مز ٢٢ : ١٦ .

وضد سلطته (١ ، ٢) إذ سمروا رجليه مز ٢٢ : ١٦ (٣) طعنوه في جنبه يو ١٩ : ٣٤ . وضد مشيئته (١) الشعب والكهنة كانوا يهزأون به مت ٢٧ : ٤١ و ٤٢ (٢) سقوه خلا بمرارة مت ٢٧ : ٣٤ (٣) وأخيراً أماتوه على الصليب.

ثالثًا: ترشم ١٨ صليباً على عدد أثمار الروح فإنها ٩ غل ٥ : ١٢ ومثلها التطويبات مت ٥ : ٣-١١ منارة الأقداس جز ٢ : ٤٥٥ .

أما جواب الشعب «كيرياليصون» فهو اقرار بندامتهم. واستدعاء لرحمة الله. ويشير الآن إلى ندامة قائد المئة ومن معه الذين لم أبصروا ما كان «وقت الصلب» مجدوا الله ورجعوا وهم يقرعون صدورهم لو ٢٣ : ٤٧ ،و ٤٨.

أما اعطاؤه السلام الآن فهو جواب لصلواتهم «يارب ارحم» على مثال ما فعل المسيح إذ وهب الطمأنينة لتلاميذه وقال لهم سلاماً أترك لكم سلاما أعطيكم لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب يو ١٤ : ٢٧ كأنه يقول لهم لا تخافوا فإنه إذ قد تبررتم بالإيمان فلكم سلام مع الله ربنا يسوع المسيح رؤ ١:٥ لذلك هو يترأف عليكم ويرحمكم لأن الله حق اش ٣٠ : ١٨ ومراحمه كثيرة ٢صم ٢ : ١٤ فإن الجبال تزول والأكام تتزعزع أما احساني فلا يزول عنكم وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمكم الرب اش ٥٤ : ١٠.

هذا وقد جاء في أوامر الرسل «إذا كان الأسقف يسأل السلام للآخرين فيجب أن يكون هو حاصلاً على السلام وإلا فكيف يمنحه هو والآخرين ك. ف. ١٠ م. ص ١٢٤.

ثم يصلي الكاهن صلوة القسمة.

وهي ابتهال إلى الله الذي سر بتقديس القرابين وطهرها بروحه القدوس أن يقدس نفوس عبيده وأرواحهم وأجسادهم ليكونوا أهلاً لأن يشتركوا في جسد ابنه ودمه الأقدسين ولكي بقلب طاهر وبدالة يقفوا أمامه كالأبناء أمام أبيهم هاتفين نحوه بنفس واحده قائلين «يا أبانا».

عندما يبدأ الكاهن بهذه الصلوة [1] يأخذ الجسد ليكسره ويقسمة.

---

(١) للأعياد والأصوام صلوات خاصة للقسمة ولا تخرج في معناها عن هذه. أما هذه فسنوية.

لا يخفى أن السيد له المجد لما صنع العشاء السري قدسه أولاً ثم كسره ووزعه على تلاميذه مت ٢٦ : ٢٦ وقد تبع الرسل آثار الرب إذ كانوا يقدسونه أولاً ثم يكسرونه ويوزعونه كما تسلموا من الرب ١ كو ١١ : ٢٣ و ٢٤ وعليه أجمع الآباء قال القديس أغسطينوس «أن الرب أخذ الخبز وشكر وبارك وقدس ثم كسر وأعطى تلاميذه قائلاً: خذوا كلوا منه كلكم هذا هو جسدي، والقديس باسيليوس يقول. أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين وشكر وبارك وقدسه وقسمه وأعطاه لخواصه التلاميذ الأطهار، اتضح من هذا أن الرب شكر وبارك ثم كسر الخبز ووزعه على تلاميذه. والكنيسة استناداً على هذه التعاليم الإنجيلية والشهادات الرسولية تكسر الخبز بعد تقديسه ولنلاحظ:

أولاً: أن تجزئة الخبز المقدس تلميح إلى أن جسد المسيح قد قرب ضحية من أجلنا وإشارة إلى آلامه الكثيرة المتنوعة ولهذا يقسم الخبز على شكل صليب. والكاهن يقسمه وهو يصلي طالباً أن لا يكون للدينونة بل للحيوة حسب وعده يو ٦ : ٥٤ ذلك لأن بموته صار الخلاص للأحياه والأموات رو ٥، ١٧ .. الخ.

ثانياً: أن القسمة لا تقع على جسد الرب بل على الأعراض المحسوسة ذلك كما قال العلماء «أن الجسد الحي» بعدما أقيم من الأموات لا يموت رو ٩ : ٩ و رؤ ١ :١٨ وهو جسد ممجد روحي ١كو ١٥ : ٤٢ ولذا نؤمن ونعتقد أن كل جزء من الخبز والخمر في الافخارستيا ليس هو هذا أو ذاك الجزء من جسد المسيح ودمه بل هو كل جسده ودمه مع نفسه ولاهوته وبلا انقسام ولا انفصال وذلك من قول الرب نفسه يو ٦ : ٥٦ و ٥٧ وقول الرسول «فاننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد ١كو ١٠ : ١٧ أفلعل كل واحد من هؤلاء كان يأخذ عضواً واحداً من جسد الرب أم يشرب جزءاً منه دون الآخر لا لعمري بل كل واحد منهم كان يتناول الجسد بتمامه بما أنه كله في الكل وكله في

كل جزء صحيحاً فكما أنه موجود في القربانة هكذا في كل جزء من أجزائها قال القديس ايرينموس «كما أن السيد صبر على هذه الآلام لأجل التدبير الخلاصي وأما جسده فلم ير فساداً. كذلك القربان لا يتجزء إلا بالنسبة إلى الأشكال والأعراض فقط التي هي مادة السر أما نفس الجسد الطاهر فلا يقسم لأنه الكل في الكل وهو موجود بجملته صحيحاً في كل جزء من أجزاء الخبز والخمر» والقديس افرآم يقول في كلامه على قسمة الخبز «أن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به ودمه الطاهر يسري في شراييننا وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا. ك. ف ٢ : ٢. وهذا ما تعلم به الكنيسة الجامعة راجع الأنوار في الأسرار للأروام وجه ١٥٣ والروضة الزهية للكاثوليك حيث قيل ما نصه «بعد التقديس لا يبقى على المذبح خبز وخمر بل كل ما يكون عليه حينئذ انما هو جسد المسيح بتمامه تحت كل شكل من شكلي الخبز والخمر بدون تجزء ولا انفصال. لأنه ولو كان شكل الخبز يحوي جسد المسيح. وشكل الخمر يحوي دم المسيح وكلاهما يمثل منفصلاً انفصال جسد المسيح عن دمه على جبل الجلجثة انفصالاً عنيفاً فمع ذلك أننا نعلم أن المسيح بعد أن قام من بين الأموات لم يعد يموت ولن يعود يسود عليه الموت البتة. بل أنه حي إلى الأبد وإلى دهر الدهور. وأنه في تلك الحال التي هو عليها مجيداً غير قابل التألم لا يمكن أن يفصل جسده عن دمه فصلاً حقيقياً البتة فهو إذا كله تحت كل من الشكلين أي كله أجمع تحت شكل الخبز وكله أجمع تحت شكل الخمر، وجه ١٠١ و ١٠٢.

وقد ضرب بعضهم أمثلة على ذلك فقال «أنه إذا أخذ الإنسان مرآة صحيحة ونظر إليها رأى صورته كاملة فيها وأن كسرها إلى أقسام أو أجزاء رأى صورته بعينها في كل جزء منها كاملة كما كان يبصرها حين كانت صحيحة. وكذلك الصوت أن سمعه واحد وحده أو سمعه كثيرون معا فلا يتغير لأنه لا يزيد بقلة عدد السامعين ولا ينقص بكثرتهم هكذا نقول عن جسد الرب ودمه إذا تناوله واحد وحده أو قسم على كثيرين فكل منهم

يتناول جسد الرب بجملته «كذلك وأن كان يتمم سر الشكر في جميع كنائس المسيح المتفرقة في المسكونة فجسد المسيح واحد هو ودمه واحد في جميع الأمكنة والأزمنة والمسيح حاضر فيه هو بنفسه إلهاً تاماً في كل مكان وزمان. وهذه الحقيقة يعترف بها اعترافاً صحيحاً أساقفة الشرق القويمي الرأي بقولهم «وأن كانت تتمم في المسكونة خدمات كثيرة في ساعة واحدة بعينها لكن المسيح ليست له أجساد كثيرة بل هو ذاته يحضر وجسده واحد ودمه واحد في كنائس المؤمنين المتفرقة جميعها وليس ذلك بأن جسد المسيح الذي في السماء ينحدر على المذبح بل خبز التقدمة الموضوع في جميع الكنائس المتفرقة ينتقل بعد التقديس ويستحيل بجوهره ويصير ويلبث الجسد الواحد الذي في السماء نفسه لأن جسد المسيح واحد لا كثير في أماكن كثيرة ولذا يسمى هذا السر بنوع خصوصي وعجيباً وهو عجيب وبالإيمان وحده هو مدرك، رسالة البطاركة بند ١٧ عن الأنوار وجه ١٥٣.

«كيفية تقسيمه» تقسم القربانة إلى اثنى عشر جزءاً غير الاسباديقون «الجزء الأوسط المرسوم عليه صليب» على مثال ما فعل السيد له المجد وأثبته الآباء الذين قالوا أن السيد كسر الخبز على عدد تلاميذه ويجب كما قال القديس باسيليوس أن «يقسم الجسد بهدوء جزءاً جزءاً وليحرص الكاهن من وقوع شئ منه وليفصل بقدر لا كباراً ولا صغاراً وليكن ملء فم متناوله بحيث يمكن ادارته في فيه وليكن على كل جوهرة «جزء» منه صليب مثالا للصليب المقدس ق ٩٩.

ويقسم الكاهن القربانة بحيث يكون الثلث عن يمينه: (١) والثلثان عن يساره (٢) يضع الكاهن الثلث الأيمن على الثلثين على شكل صليب (٣) ثم يأخذ جزءاً من أعلى الثلث الذي فيه الاسباديقون ويضعه في الصينية شرقاً ثم يأخذ الخبز الذي أمامه من أسفل ويضعه جنوب الصينية غرباً (٤) ثم يأخذ من يمين الثلث الأيمن جزءاً ويضعه في

الصينية يميناً وباقية يضعه في الصينية يساراً ليكون بمثال الصليب (٥) يفصل أحد الثلثين من الآخر من فوق إلى أسفل والثلث الذي فيه الاسباديقون يضعه في وسط الصينية (٦) ثم يبتدئ بقسمة الثلث الأيسر الباقي بيده من القربانة ثم يأخذ الجزء الذي وضعه في الصينية «وهو معظم الثلث الأيمن من القربانة» ويضع مكانه الثلث الذي كان بيده (٧) أما الثلث الذي أخذه من الصينية فيقسمه ويضعه في الصينية يميناً (٨) ثم يأخذ الثلث الأوسط الذي وضعه قبلا في وسط الصينية ويفصل منه الأسباديقون ويضعه في مكانه ويبقى باقي الثلث متصلاً ببعضه كما هو ويضعه في وسط الصينية كما كان (٩) وأخيراً يجمع هذه الأجزاء كلها على بعضها كما كانت قبل القسمة ثم يفرك يديه وينفضهما داخل الصينية مما عسى أن يكون لصق بهما من الجسد. راجع خ. ك وجه ٣٨٦.

أما سبب قسمة القربان ثلاثة أجزاء فقيل أنه اشارة إلى الأماكن الثلاثة التي وجد فيها جسد المسيح وهي. الأرض. والقبر. والسماء. فلما كان على الأرض كان حيا وقابلا للموت ولما دفن في القبر كان مائتاً بالجسد وحيا بالروح ١ بط ٣ : ١٧ وعند صعوده صار حيا وغير قابل للمـــوت رو ٦ : ٩.

[٩] سبب تلاوة الصلوة الربانية في القداس بعد تقديس الأسرار

قلنا في نهاية الفصل السابق أن الكاهن يصلي صلوة القسمة. ونقول هنا أنه عندما ينتهي منها إذ يقول: ⲟⲩⲟϩ ⲛⲧⲉⲛϫⲟⲥ ϫⲉ ⲫ̀ⲓⲱⲧ

ونقول «أبانا» يتلو والشعب – الصلوة الربانية – بصوت مسموع وبنفس

واحدة مت ٦ : ٩– ١٥ .

تسلمت الكنيسة من آبائها الرسل أن تتلو في خدمة القداس بعد تقديس الأسرار – الصلوة الربانية.

أولاً: لأنها تتضمن سبع طلبات تذكرنا بكلمات الرب السبع التي فاه بها على الصليب «ونحن نصنع تذكار موته نفسه لو ٢٢ : ١٩ و ١ كو ١١ : ٢٥ و ٢٦» وهي (١) قوله يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون لو ٢٣ : ٣٤ . (٢) قوله لأمه يا امرأة هوذا ابنك وقوله ليوحنا هوذا أمك يو ١٩ : ٢٦ و ٢٧ (٣) قوله إلهي إلهي لماذا تركتني مت ٢٧ : ٤٦ . (٤) قوله أنا عطشان يو ١٩ : ٢٨ (٥) قوله للص أنك اليوم تكون معي في الفردوس لو ٢٣ : ٤٣ (٦) قوله قد أكمل يو ١٩ : ٢٠ (٧) قوله يا أبتاه في يديك أستودع روحي لو ٢٣ : ٤٦ .

ثانياً: لأنها تذكرنا بأهم الحوادث التي تمت وقت آلامه وصلبه وهاك بيان ذلك نصلي قائلين «أبانا الذي في السموات، اشارة إلى استغاثة يسوع في صلوته إلى الله الآب ليلة آلامه في البستان بقوله يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس مت ٢٦ : ٣٩ ثم نطلب (١) قائلين ليتقدس اسمك كما طلب المسيح مجد الآب في آلامه وصلبه وشهد أنه قدس ذاته لأجل تلاميذه ومن يؤمن به بكلامهم ليكونوا هم مقدسين بالحق بقوله «أيها الآب. أنا مجدتك على الأرض والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم. أيها الآب القدوس. قدسهم في حقك. ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق يو ١٧ : ٤ و٥ و ١١ و ١٩ (٢) نطلب قائلين «ليأت ملكوتك» كما طلب اللص وهو على الصليب قائلاً: «أذكرني يارب إذا جئت في ملكوتك» لو ٥٣ : ٤٢ (٣) نطلب قائلين: «لتكن مشيئتك» كما في

السماء كذلك على الأرض» على مثال ما طلب له المجد وقت آلامه بقوله «يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك» مت ٢٦ : ٤٢ (٤) نطلب قائلين «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، كما أنعم علينا بالخبز الروحي أي جسده ودمه ليلة آلامه مت ٢٦ : ٢٦ (٥) نطلب قائلين «وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» كما طلب هو على الصليب قائلا «يا أبتاه اغفر لهم » لو ٢٣ : ٣٤ (٦) نطلب قائلين «ولا تدخلنا في تجربه» لأنه علمنا ليلة آلامه قائلاً «صلوا لئلا تدخلوا في تجربة» مت ٢٦ : ٤١ (٧) نطلب قائلين «لكن نجنا من الشرير، كما طلب من الآب لأجل تلاميذه قائلاً أيها الآب القدوس. احفظهم من الشرير يو ١٧ : ١٥، وقوله لبطرس «أن الشيطان طلب أن يغربلكم مثل الحنطة ولكني طلبت من أجلك» لو ٢٢ : ٣١ و ٣٢.

فما أجمل هذا النظام وما أحكم هذا الترتيب الموضوع بارشاد الروح القدس. أن الكنيسة بهذا الترتيب ترسم في ذهننا وتصور في قلوبنا آلام المسيح التي احتملها والكلمات التي نطق بها. والحوادث التي تمت وقت آلامه الرهيبة التي في كل منها كان يسوع يخاطب أباه قائلاً «يا أبتاه أيها الآب» كما رأيت. فلا غرو ان كان الكاهن يطلب من الله في الصلوة السابقة أن يقدس نفوسنا ويجعلنا أهلاً لأن ندعوه أباً بأهلية واستحقاق قائلين «يا أبانا»

ان الكنيسة تتلو هذه الصلوة في خدمة القداس منذ العصر الرسولي بشهادة التاريخ وأقوال الآباء وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتي بذلك إذ قال في شرحه طقوس الجيل الأول ما نصه «الصلوة الربانية لم تكن فقط مثالاً بل كانت أيضاً قالباً للصلوة وكان يقولها المعمدون لا الموعظون صفحة ١١٣ وقال أحد الآباء أن المسيحيين منذ القديم وهم وقوف في حضرة الله أبيهم يصلون هذه الصلوة ويدعون الله أباهم قائلين يا أبانا وذلك

للدلالة على شعورهم بأنهم وقوف بين يديه وماثلون في حضرته الرهيبة واعلانا بأنهم تشاركوا في البنوة فيسألوه (١) أن يقدس اسم البنوة فيهم حتى لا يدعونه أبًا وهم ليسوا أولاده حقًا وسالكون بخلاف شرائط النبوة (٢) أن يملك عليهم ويؤيدهم بسلطانه ليقهروا أعدائهم الذين يغرونهم على الخطية (٣) وأن يسألوه أن تتمم مسرته فيهم على الأرض كما الملائكة في السماء يسبحونه ويقدسونه وأن يمنحهم خبزهم الجسدي والروحي لكي يتزودوا به على الأرض ليكون لهم حظ التناول من المن السموي مع الملائكة وأن يغفر لهم لأنهم أولاده ويحفظهم من التجارب وينجيهم من الشرير.

ثم أن الكنيسة تتلو هذه الصلوة بنفس واحدة وبصوت جمهوري لنتذكر صلوة السيد على الصليب وصراخه إلى أبيه السموي بصوت عال إلهي إلهي لماذا تركتني مت ٢٧ : ٤٦ وبذلك نفهم أن موت المسيح هو الذي أولانا الحق على أن نسمى الله أبانا وأن نرفع إليه أكف الدعاء بكل ثقة ودالة.

ان الله أبونا وخالقنا تث ٣٢ : ٦ واش ٦٣ : ١٦ والمهتم بنا مت ٢٥ : ٤٥ ونحن أولاده يو ١ : ١٢ و ١يو ٣ : ١ فيجب أن نطلب منه كما يطلب الأبناء من آبائهم، لا العبيد من ساداتهم، لأنه أعطانا روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب رو ٨ : ١٥ وإذا كان الله لم يعاملنا اسوة بالعبيد لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. ولا كالغرباء لأن الغريب لا دالة له: ولا كالخطاة لأن الخاطئ يستحق العقاب بل كأحباء يو ١٥ : ١٤ وكأبناء أعزاء كشف لهم أسراره وأعلن لهم محبته ومنحهم الدالة ليجلسوا على مائدته ويشتركوا في جسد ابنه الوحيد - فإذاء ذلك وجب أن ندعوه. بدالة البنين قائلين، يا أبانا، قائل أنت إذًا بكل انتباه هذه الصلوة الجليلة التي هي أشرف الصلوات قدرًا وأجدرها قبولاً إلى الله حيث المسيح ذاته ألفها

وعلمناها بفمه العزيز. ثم انعش في قلبك عواطف الحب لإله - هو غاية الصلاح والخيرية - قد أحبك حباً شديداً لا مزيد عليه حتى انه شاء أن تدعى وتكون إبناً له عز وجل فقل إذاً مع الكاهن بكل جرأة وقلبك طافح بالمسرة والحبور، يا أبنانا.

[١٠] شرح ما يتلى من الصلوات إلى نهاية الإعتراف

بعد نهاية صلوات القسمة السابقة وتلاوة الصلوة الربانية يصلي الكاهن صلوة للآب سراً ثم يذكر من أراد ذكرهم من الأحياء.

ان هذه الصلوة والتي قبلها هما خلاصة ما تحويه الصلوة الربانية ففي الصلوة السابقة يطلب الكاهن من الله الآب أن يمنحنا قداسة النفس والجسد والروح حتى ندعوه بدالة وبإستحقاق «أبانا» وبهذه يطلب أن يضرم في قلوبنا محبته لنستطيع أن نقدس اسمه وأن يمنحنا غفران خطايانا ويحفظنا من التجارب وينجينا من أشراك الشرير الردية ويساعدنا على الهرب من الخطية والأسباب التي تقودنا إليها. أما ذكر الأحياء فيمثل لنا صلوة المسيح في بستان الزيتون من أجل الخطاة أجمعين. فابتهلن أنت أيضاً الآن إلى الرب الرحيم من أجل أهلك وذوي قرابتك وخلانك ورؤسائك والمحسنين إليك ومن أجل أعدائك ومبغضيك والذين أغاظوك وأساؤوا إليك مت ٥: ٤٤ كما صلى سيدك عن صالبيه.

وفي نهاية الصلوة يخاطب الشماس الشعب قائلاً: ⲦⲀⲤ ⲔⲈⲪⲀⲖⲀⲤ

ⲨⲘⲰⲚ - طأطئوا ، رؤوسكم للرب».

أي احنوا رؤوسكم أمام الرب يسوع قدام جسده المقدس الذي وهبه لنا عربوناً للمجد والحيوة الأبديين واطلبوا رحمة الله بخضوع.

ان احناء الرأس هو سجود لله وهل من شئ أعظم من تقديم السجود للعزة الإلهية فلينتبه السامعون. وليحنوا رؤوسهم للرب رافعين عقولهم إليه لكي يقبلوا النعمة التي يستمدها لهم الكاهن ساجدين للذي طأطأ السموات ونزل لأجلهم مز ١٨ : ٩ والذي بتجسده منحهم هذه النعمة العظيمة - كما أنه يذكرنا بما عمله يسوع وقت موته إذ أحنى رأسه وأسلم روحه يو ١٩ : ٣٠.

هذا ويجب أن يحنى الإنسان هامته (١) كلما بارك الكاهن الشعب بالسلام (٢) عند قوله. محبة الله الآب.. الخ (٣) عند الترنيمة الشاروبيمية إذ يقول المرتلون: قدوس. قدوس؛ قدوس الخ (٤) عند حلول الروح القدس (٥) عند قولهم. نسبحك نباركك الخ. (٦) والآن - بعد الصلوة الربانية - (٧) عند رفع الخبز وقول الكاهن «القدسات للقديسين» (٨) عند عرض الأسرار على الشعب وقولهم مبارك الآتي باسم الرب. (٩) عند التناول (١٠) وأخيراً عند منحهم البركة وقت الإنصراف ثم يصلي الكاهن صلوة أخرى للآب سراً.

بهذه الصلوة يسأل الله الذي أعد لنا ما تشتهي الملائكة أن تطلع عليه ١ بط ١ : ١٢ أن يجعل الجسد والدم مانحين حيوة ومغفرة للذين يتناولونهما ليكونوا مملوئين من روحه القدوس وثابتين فيه كوعده يو ٦ : ٥٦.

وعندما ينتهي الكاهن منها يجاوب الشماس Ⲡ̀ⲣⲟⲥ ⲭⲱⲙⲉⲛ

ⲘⲈⲦⲀ ⲪⲞⲂⲞⲨ ⲐⲈⲞⲨ - ننصت بخوف الله».

أي فلنصغ بعقولنا إلى الصلوات راقين على أجنحة المحبة والشوق إلى عرش النعمة المجيد محترسين من أي عمل يشوه جمال القداس الإلهي لنحظى بنعم الرب ونفوز ببركة.

ثم يعطي الكاهن السلام للشعب وهم يجاوبون كالمعتاد.

منح السلام هنا يشير إلى رحمة الله شملت اللص لما قال «أذكرني يارب» والسيد جاوبه. اليوم تكون معي في فردوسي لو ٢٣ : ٤٣ تحقيقاً لقوله تعالى مت ٩ : ١٣ وعلى مثاله يعطي الكاهن السلام للحضور الذين يطلبون ملكوت الله والإتحاد معه بجسده. وهذا. يؤيده قول الشعب إذ يرددون طلبة اللص. ومما يجب الإلتفات إليه أن الكاهن يكثر من إعطاء السلام للشعب في خدمة القداس وما ذلك إلا لأن المسيح لم يتجسد ولم يمت إلا ليمنح شعبه السلام راجع أف ٢ : ١٣ ، ١٨ و كو ١ : ٩ و ١بط ٢ : ٢٤ بعد ذلك يصلي صلوة للآب سراً وهي لا تخرج في معناها على الصلوة السابقة، ثم يصلي قائلا: Ἀρ̀φμεϒι Πος ، أذكر يارب، اجتماعاتنا» والشماس يخاطب الشعب قائلاً « Cτοιc ἀμην — خلصت حقاً» أما هم فيحنون رؤسهم ويجاوبون مؤمنين مستمدين رحمة الله قائلين « Ἀμην κε — حقاً يارب ارحم».

كأنه يقول أذكر يارب اجتماعاتنا. وباركها. وباركهم لتكون مباركة بحضورك الإلهي في وسطها. والشماس يصادق على هذا الدعاء والشعب يؤمن عليه ملتمساً رحمته تعالى واستجابه الصلوة. لينال وعده الأمين كاللص اليمين.

ثم يكشف الكأس ويأخذ الاسباديقون بيده اليمنى بطرف أصبعين ويرفعه إلى فوق وهو مطأ من الرأس صارخاً قائلاً:

قال بعض الآباء أن رفع الكاهن الجسد إلى فوق إشارة إلى ارتفاع المخلص على الصليب يو ٣ : ١٤ ويوافق رأيهم هذا قول الكاهن مع اللص «أذكر يارب اجتماعاتنا، ولكن البعض الآخر قال أن رفعه إشارة إلى قيامة المخلص من بين الأموات. وكيفما كان الأمر فإن الكاهن بعمله هذا يعلن بأن المسيح بموته على الصليب وقيامته أعطى السلام ومنح الخلاص للعالم. فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو في كل حين ليشفع فيهم عب ٧ : ٢٥ فيجب أن نرفع قلوبنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينا بالخزي فجلس في يمين عرش الله عب ١٢ : ٢ فيشفي من لدغات الخطية المحرقة كما شفى الشعب الإسرائيلي حينما نظر إلى الحية النحاسية خر ٢١ : ٩ فإن لهذا ارتفع يسوع على الصليب وأسلم لأجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا رو ٤ : ٢٥ راجع اش ٥٣ : ٤ و ٥ و ١بط ٢ : ٢٤، ٣ : ٢٨ أما قوله القدسات للقديسين، فهو تنبيه وإنذار للشعب بأن لا يجب أن يتقدم لمناولة جسد الرب ودمه إلا من كان حاصلاً على القداسة لأن القدسات للقديسين لا للخطاة النجسين والمراد للتقديسات – جسد الرب ودمه – لأنها مقدسة وقد تقدست بكلمة الله وبالصلوة ١تي ٤ : ٥ وبحلول الروح القدس عليها وأما القديسون فهم المؤمنون الذين تقدسوا وتطهروا بدم الحمل والمزمعون أن يتناولوا منها بنقاوة ضمير وطهارة قلب وقداسة نفس كما هو مكتوب أن السيد قدس جسده ليلة آلامه ووزعه على تلاميذه الأتقياء الأطهار يو ١٣ : ١٠، ١٥ : ٣. وسمى – القربان قدسا – وفقا لقول السيد لا تعطوا القدس للكلاب مت ٧ : ٦ أي المنغمسين في حمأة الرذائل. بل لأولاد الله القديسين في المسيح يسوع المدعوين قديسين ١كو ١ : ٢. ويسمى المؤمنون قديسين لأنهم تقدموا

الولادة الجديدة ولبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق أف ٤ : ٢٥ والسيد صلى من أجل تلاميذه قائلاً أيها الآب قدسهم في حقك ليكونوا مقدسين يو ١٧ : ١٧ راجع رو ١ : ٧ و١كو ١٦ : ١، ٢تى ١ : ٩ وعب ٦ : ١٠.

بعد أن يرفع الاسباديقون يرشم به الدم الكريم على شكل صليب ثم يغمس طرفه بحرص ويرشم به الجسد الطاهر الذي في الصينية على شكل صليب أيضاً وهو يقول « ⲉⲩⲗⲟⲅⲏⲧⲟⲥ ⲕⲩⲣⲓⲟⲥ – مبارك الرب الخ».

يرشم الصليب على الدم بالجسد إشارة إلى أن المسيح تألم على الصليب بجسده وروحه مت ٢٦ : ٣٨.

والشعب يجاوب « ⲁⲙⲏⲛ ⲓⲥ ⲡⲁⲧⲏⲣ – آمين. واحد هو الآب القدوس. واحد هو الابن القدوس واحد هو الروح القدس آمين.

قال الذهبي فمه أن الكاهن يقول «القداسات للقديسين» والشعب يجاوب. حاشا أننا لسنا بقديسين بل نحن خطاة وغير مستحقين لهذه التسمية انما القدوس الوحيد بل قدوس القديسين هو يسوع الذي تجسد لأجل خلاصنا وذلك بقولهم واحد هو الآب القدوس الخ.

ثم يرشم الجسد المقدس الدم الكريم ثانية هو يقول ⲥⲱⲙⲁ ⲁⲅⲓⲟⲛ جسد مقدس ودم كريم الخ. ولما يجاوب الشعب آمين يرشم ثالثاً وهو يقول ⲁⲅⲓⲟⲛ ⲧⲓⲙⲓⲟⲛ مقدس وكريم فيجاوب الشعب – آمين.

قال بعض الآباء لما كانت الروح يراد بها في الكتاب الدم لا ١٧ : ١٤ ولأجل هذا نهى الله عن أكله لا ١٧ : ١٠ واع ١٥ : ٢٠ لهذا يغمس

الكاهن الاسباديقون من الدم ويرشم به الجسد اشارة لعودة الروح إلى الجسد المتحد باللاهوت وقت القيامة. أما رشم الكاهن الجسد بالدم ٣ مرات ورفعه إلى فوق لوضعه في الكأس بعد الرشم الثالث - فإشارة إلى الثلاثة أيام التي مكثها يسوع في القبر وفي اليوم الثالث قام حيا ١٠ : ٤ والكنيسة بذلك توجه الحاظ بنيها إلى سر قيامة الرب العجيبة من بين الأموات ناقضاً أوجاع الموت أع ٢ : ٢٤ لما عادت روح الرب إلى جسدها في القبر فمنحته الحيوة. وكما أن الخمر لم يتحول إلى دم الرب بنفسه بل بقوة وفاعلية الروح القدس وبكلمة الله والصلوة كذلك ما عادت الروح إلى الجسد إلا بروح الذي أقامه من الأموات رو ٨: ١١.

بعد أن يرشم الجسد يعود بالاسباديقون إلى الدم الكريم ويرشمه به بمثال الصليب ثم يضعه في الكأس وهو يقول ⲡⲓⲥⲱⲙⲁ ⲛⲉⲙ ⲡⲓ

ⲡⲓ ⲥ̀ⲛⲟϥ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲉⲙⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ جسد ودم عمانوئيل إلهنا» والشعب يجاوب « Ⲁⲙⲏⲛ ϯⲛⲁϩϯ - حقاً أؤمن».

قال بعض الآباء «أن وضع الجسد في الكأس إيماء إلى اتحاد جسده ودمه بعد قيامته المجيدة من الأموات وإشارة إلى أن المسيح قام بكليته جسداً حياً بدون أن يرى فساداً أع ٢ : ٣١ والشعب يجاوب - حقاً أؤمن - تصديقاً وتأميناً على أن الموضوع في الصينية والكأس هو عين جسد الرب ودمه حقاً. وهذا يذكرنا ويشير لنا إلى توبة اليهود الذين بعد ما صلبوا الرب يسوع وعاينوا الآيات رجعوا وهم يقرعون صدورهم قائلين: حقاً كان هذا ابن الله مت ٢٧ : ٥٤ قال القديس دينوسيوس على قول الكاهن والشعب «أؤمن أن هذا هو جسدك» كما أن بكلمة الله اتخذ يسوع المسيح مخلصنا جسداً ودماً بشريين لأجل خلاصنا كذلك بالكلام الذي شكر به في العشاء السري صار ذلك الخبر حقيقة جسده. فلذلك كل صلوات الكاهن

التي يتلوها في سر القربان موجهة نحو ذلك الذي أوحى به السيد قائلاً: اصنعوا هذا لذكري والشعب يقول أؤمن.

ثم يحمل الكاهن الصينية على يديه ويرفع عينيه إلى السماء ويقول الاعتراف « Ⲁⲙⲏⲛ ϯⲛⲁϩϯ حقاً أؤمن».

سمي اعترافاً لأنه يتضمن اعتراف الكنيسة بأن الموضوع على المذبح في الصينية والكأس هو جسد الرب ودمه. وقد أضيف إلى هذا القانون لفظتان الأولى «المحيي» بعد القول أن هذا الجسد. وقد استصوب إضافتها وقرر درجها ضمن الاعتراف بقرار صدر من مجمع عقد من أساقفة مصر برئاسة الأنبا ميخائيل ٥ البطريرك سنة ١١٣٨ وأمر جميع الكنائس باستعمالها إشارة إلى فاعلية السر والثانية بعد القول أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو جسد ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي أخذه من سيدتنا والدة الإله» وهي «وجعله واحداً مع لاهوته» وقد أضافها الأنبا غبريال الثاني لأول قداس أقامه في دير أبي مقار فرفض الرهبان هذه الزيادة وطلبوا إليه تركها فأجابهم أنه تسلمها هكذا حال رسامته وأخيراً وافقوا على درجها بعد أن أضافوا إليها قولهم «بدون امتزاج ولا اختلاط ولا استحالة «حتى لا يظن أنهم أوطاخيون ثم أمر الكنائس باستعمالها سنة ١١٢٢ [١].

عندما ينتهي الكاهن من تلاوة الإعتراف يضع الأسرار على المذبح ثم يسجد لله ويسجد الشعب أيضاً هاتفاً « Ⲇⲟⲝⲁ ⲥⲓ ⲕⲩⲣⲓⲉ – المجد لك يارب «ثم يتلون الإعتراف وهو – حقاً أؤمن – ذلك إظهاراً لإعتقادهم

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة جزء ٢ رأس ٣ ق ٣ وجه ١٤٩ و ١٥٠.

أن هذا جسد ودم الرب حقاً. قال القديس باسيليوس، وإذا تكاملت الصلوات كلها فليعترف القسوس بالثالوث الأقدس وليصبح الشعب كله يقول الإعتراف ق ٩٧: م. ص وجه ١٢٤ والكنيسة تعلمنا بهذا أنه لا يكفي المسيحي الإيمان بالقلب فقط بل يلزمه الإقرار بالفم أيضاً بجميع ما يعتقده ويقر به «قال القديس امبروسيوس أن ما يؤخذ بالفم فليؤمن به القلب. وباطلاً يجاوب آمين - أولئك الذين يجادلون ضد ما يتناولون ك ٤، ف ٥ في الأسرار.

بعد الاعتراف الذي به تنتهي خدمة القداس يبتدئ الشعب أن يرتل باللغة القبطية أو العربية مز ١٥٠ « Ϲⲙⲟⲩ ⲉ̀Ⲫϯ - هللويا سبحوا الله».

عرف بعضهم التهليل. لغة. بأنه رفع الصوت بالفرح والإبتهاج والكنيسة ترتل هللويا في ختام القداس دلالة على فرحها بالخلاص الذي نالته بموت وقيامة المسيح يو ٢٠: ٢٠ ولأن هذا المزمور كله حث على تسبيح الرب بآلات الغناء. لهذا ترتله الكنيسة بصوت الفرح وبالدفوف والصنوج محرضة بنيها على تسبيحه تعالى لخلاصه العظيم الذي صنعه معنا. وقد اعتادت ذلك منذ العصر الرسولي بدليل ما جاء في أوامر الرسل. «وليرتل إلى أن يتناول القربان كافة المؤمنين ق ٢٦ من ٧١» وأثبت ذلك مجمع نيقية ق ١٧ من ٢٠، وأيده الآباء والتاريخ الكنسي. وأنها تقل ذلك تمثلاً بأنبياء مز ١٠٦: ١ واقتداء بالأربعة وعشرين شيخاً «قساً» كهنة الحق في السماء رؤ ١٩: ١ و ٣ و ٤ و ٦.

أما الكاهن فيضع القبة في الصينية ويغطيها بلفافة وكذلك الكأس ثم يسجد لله مصلياً عن نفسه طالباً أن يؤهله الرب للتناول من ذبيحة جسده بإستحقاق ثم يطأ من رأسه نحو أخوته الكهنة والشعب أيضاً مستسمحاً ثم

يبدأ بتوزيع الأسرار فيأخذ هو الجزء الأعلى من الجسد والشماس الجزء الأسفل.

قال بعضهم أن القبة أول من صنعها الذهبي فمه لتوضع فوق القربانة حذراً من أن تمسها الأغطية وتشوش نظامها. أما تغطية الجسد باللفافة فالمراد به حجبه عن الأبصار حتى عرضه على الشعب - وإشارة إلى إخفاء يسوع نفسه عن تلميذي عمواس بعد قيامته لو ٢٤ : ١٦. أما كون الكاهن يتناول أولاً فلأن المسيح له المجد بعد تقديس جسده كسر وتناول هو أولاً. ثم أعطى تلاميذه وهكذا قدس الكأس وذاق ثم أعطى تلاميذه.

يتضح ذلك من الكتاب وشهادات الآباء فالكتاب ينبئنا بأن المسيح قال لتلاميذه. شهوة اشتهيت أن آكل الفصح معكم قبل أن أتألم لو ٢٢ : ١٥. وقد أجمع الآباء والمفسرون أن السيد عنى بقوله هذا الفصح الجديد فصح جسده. فاوسابيوس يقول «أن الرب بقوله شهوة اشتهيت الخ» أراد فصح جسده وكذلك الذهبي فمه. أما عن الخمر فقد قال السيد لتلاميذه أيضاً الحق أقول لكم أني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي مت ٢٦ : ٢٩ والذهبي فمه يقول «إن الرب قال: خذوا كلوا. خذوا اشربوا منه كلكم. فهو أكل وهو أيضا شرب دمه لئلا تتجسس خواطرهم قائلين العلنا نأكل ونشرب دماً كما فعلوا مرة قبل هذه عندما رجعوا إلى الوراء يو ٦ : ٦ «مقالة ٧٢ على متى» والقديس باسيليوس يقول عن الخمر وذاق وأعطى تلاميذه الخ. لهذا رتبت الكنيسة أن يتناول الكاهن أولا ويعطي الشمامسة ثم المتقدمين على أن النظام يقتضي ذلك فضلا عن أن القوانين صرحت به فقد جاء في الأوامر الرسولية «وليتقرب الأسقف أولاً وبعده القسوس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور يتناول النساء ق ٥٢ من ٧١ ومجمع نيقية ١٧ من ٢٠».

أما الكاهن فليقل عندما يناول الجسد - هذا هو جسد المسيح الذي بذله عن خطايانا - وليقل متناوله - أؤمن حقاً - وكذلك فليقل حامل الكأس أيضاً - هذا هو دم المسيح الذي سفكه عنا - وليجبه متناوله: أؤمن حقاً: أوامر الرسل ق ٥٢ من ٧١ وباسيليوس ٩٧ - وليقل القس من فم أول الشمامسة. من كان طاهراً فليدن من الأسرار المقدسة ومن كان غير طاهر فلا يدن منها لئلا يحترق بنار اللاهوت من كان له عثرة مع صاحبه. من كان فيه فكر شر «زنى» من كان سكيراً فلا يدن. باسيليوس ق ٩٧ راجع ١كو ١١: ٢٧- ٣٠.

بعد ذلك يعرض للكاهن الأسرار على الشعب مرتين في الأول يقول « ⲧⲁ̀ⲁ̀ⲅⲓ̀ⲁ ⲧⲟⲓⲥ ⲁ̀ⲅⲓⲟⲓⲥ - مبارك» وفي الثانية يقول « ⲥⲱⲙⲁ ⲁ̀ⲅⲓⲟⲛ - جسد مقدس».

يغطي الكاهن الأسرار قبل عرضها على الشعب لأنه ليس من اللائق أن يبصرها الجميع مكشوفة: أما عرضها على الشعب فإشارة إلى ظهور الرب لتلاميذه بعد قيامته إذ أراهم نفسه حياً يو ١٩: ١٩ وأع ١: ٣ ومباركتهم بها بمثال الصليب - اشارة إلى مباركة المسيح تلاميذه قبل صعوده إلى السماء: أما عرضها ثانية واخفائها «عن أبصارهم، على المذبح داخل الهيكل تحت اللفافة - فإشارة إلى صعوده أمام تلاميذه وهم وقوف على جبل الزيتون ينظرون السحابة التي أخذته عن أعينهم قال الإنجيلي. وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهما وصعد إلى السماء لو ٢٤: ٥٠ و ٥١ ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون. وأخذته سحابة عن أعينهم أع ١: ٩ أما تدوير الصينية بمثال الصليب - فإشارة إلى استيلاء الرب على جميع الخلائق بموته وقيامته كما قال القديسان كيرلس وأثناسيوس وقد قال يسوع لتلاميذه قبل صعوده قد دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض مت ٢٨: ١٨ وللدلالة

على أن الذبيحة تنتشر وتعم أربعة أقطار الأرض مل ١ : ١٠.

عندما يعرض الكاهن الأسرار بالصينية يسجد الشعب لله مكشوفي الرؤوس هاتفين مبارك الآتي باسم الرب مت ٢١ : ٩.

قال بعض الآباء أن سجود الشعب الآن اشارة إلى سجود الرسل للرب حال صعوده لو ٢٤ : ٥٢ وسجود مريم المجدلية والأخرى عندما أظهر ذاته لهما بعد القيامة مت ٢٨ : ٩. أما كون الشعب يسجدون مكشوفي الرؤوس فلان الرسول أمر به مؤمني كورنثوس ١كو ١٤. وأمره أولى بالإتباع من التمسك بالعوائد الخارجة عن الدين والتي تستعمل في المقابلات. ولنا دليل على ذلك هو أننا عند دخولنا الهيكل نكشف رؤوسنا احتراماً للهيكل وإكراماً لذبيحة القداس الشريف.

وأيضاً الآن نكشف رؤوسنا احتراماً واجلالاً وخضوعاً لله في السر الإلهي. أما كون الشعب يرتل هذا النشيد فذلك للدلالة على أن الأقنوم الثاني الذي تجسد لخلاصنا ومات وقام وصعد إلى السماء بمجد عظيم سوف يأتي في مجده للدينونة كما أتى للخلاص وقابله الشعب الإسرائيلي به حال دخوله أورشليم اتماماً للنبوة مز ١١٨ : ٢٦ وحينئذ يعترف به العالم أنه رب المجد الله الآب حسب قوله تعالى وأقول لكم أنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب مت ٢٣ : ٣٩ والملائكة قد ذكروا الرسل بذلك حال صعوده أع ٦ : ١٦ قال أحد الآباء. إذا كانت الشاروبيم حجبت وجوهها بأجنحتها لما نظرت الرب جالساً على كرسي عال اش ٦ : ٢ فكم يجب علينا نحن الأذلاء حين يظهر ارتفاع القدسات مغطاة ومحجوبة التي هي ليست رسماً ومثالا لتلك المجمرة التي في يد السيرافيم بل هي جسد ربنا وإلهنا».

بعد عرض الأسرار على الشعب يوزعها الكاهن بأن يناول المتقدمين من

الشمامسة والشعب - رجالا ونساء أصحاء ومرضى.

تأمر الكنيسة باشتراك الشماس الصغير مع الكاهن في تناول الأسرار لأن له رتبة اكليريكية كيف لا وأن الذبيحة تسمى شركة ١كو ١٠ : ١١ بمعنى أن أكثر من اثنين يشترك فيها - على أن حداثة الشماس الطاهر القلب البسيط الفكر النقي الضمير لا تحول دون اشتراكه مع الكاهن كما لم تمنع حداثة الأولاد من اقترابهم إلى المسيح الذي قبلهم واحتضنهم مر ١٠ : ١٤ و ١٥ وحذر من احتقارهم وطلب أن نكون مثلهم في نقاوة القلب مت ١٨ : ٣ و ١٠.

أما الأطفال الرضع فقد أمرت الكنيسة بمناولتهم وأن لم يشعروا بفائدته المناولة ويدركوا قيمة السر كما أمرت بعمادهم وأن لم يدركوا معنى المعمودية التي بها يولدون ولادة جديدة روحية من فوق. فكما يعمدون ليحصلوا على الولادة الجديدة كذلك أمرت بمناولته لتغذوا بهذا الطعام السموي لنموهم في الحيوة الروحية. أوامر الرسل ك ٨ : ٢١ وكما أن الكنيسة تعمد الأطفال بناء على إيمان والديهم وعلى تقديس نفوسهم وأجسادهم الذي نالوه بالمعمودية المقدسة والتبني الذي حصلوا عليه بنعمة المخلص. الأنوار وجه ١٦٠. وقد أيد الآباء ذلك فقد قال القديس اغسطينوس، وحقا من يتجاسر ويقول أن هذا الرأي «التناول» لا يخص الأطفال وأنهم لا يستطيعون أن تكون لهم حيوة فيهم من دون مشاركة الجسد والدم في الساقطين ١ : ٢٠. وهكذا القديس دينوسيوس في رئاسة الكهنوت ٧ : ١١ وكبريانوس في الساقطين ٣ : ٢٥ وقد علمت به الكنائس المسيحية شرقًا وغربًا إلا أن الكنيسة البابا وية - قد حفظته إلى القرن الثاني عشر وهاك القانون الذي سنته في القرن التاسع «ينبغي أن يعتنى بالأطفال حتى لا يذوقوا غذاء ما أو يرضعوا بعد المعمودية قبل أن يشتركوا بسر جسد المسيح إلا عند الضرورة الأخيرة عن الأنوار في الأسـرار

صفحة ١٦١ .

أما المرضى فقد أمرت الكنيسة أن يشتركوا في السر أن كانوا حاضرين في الكنيسة أما إذا كانوا في فراشهم ويريدون الاشتراك فيحمل الكاهن الجسد والدم في إناء خاص لهذا الغرض ويذهب إليهم «بملابسه الإعتيادية بعد توزيع الأسرار وانصراف الشعب» حيثما يكونوا وإنما لا يشرب الماء إلا بعد مناولة المريض أوامر الرسل ك ٨ : ٣ و ١١ وجاء في ق ١٣ لمجمع نيفية «أن الذين يتوفون فليحفظ فيهم الناموس القانوني القديم والآن أيضاً وهو أنه إذا توفى أحد فلا يعدم الزاد الأخير الضروري جداً بالكلية وأما هو إذ يئس من الحيوة وحظى بالشركة أيضاً ثم وجد فيما بين الأحياء فليكن مع المشاركين المؤمنين في الصلوة وحدها فقط وعلى الاطلاق أي من كان من المدنفين إذا طلب أن يتناول القربان فليناوله الأسقف القربان بتفحص واختبار ولذلك فإن الله الذي لا يشأ هلاك الخاطئ لا يمنع رحمته ونعمته عن الأحياء مهما كانت ظروفهم قصيرة لأنه يطلب منهم إصلاح الضمير والفكر والقلب فقط لأنه من وافر جوده وكرمه اللذين لا حد لهم ولا نهاية يتحين مثل هذه الفرص وتراه على الدوام واقفاً يقرع باب القلب حتى سمع الإنسان «المريض» صوته وفتح الباب يدخل إليه ويتعشى معه» رؤ ٣ : ٢٠ .

هذا ومما تجب ملاحظته أن الكنيسة الأرثوذكسية تناول المشتركين من الجسد والدم أما الكنيسة البابوية فإنها تعطي الشعب الجسد فقط راجع تحفة الجيل وجه ٦٦٣ و ٧٩١ وهذا مخالف لتعليم الكتاب وبالتالي لعمل المسيح نفسه الذي أعطى السر تحت الشكلين وأمر بتناولهما مت ٢٦ : ٢٦ و ٢٧ وهو برهان صريح لا يقبل التأويل. ثم أن الرسل قد حذوا حذو معلمهم الإلهي بدون حياد راجع ١كو ١١ : ٢٨ و ٢٩ وأعلن الرسول أنه هكذا تسلم من الرب عد ٢٤ و ٢٥ . وهذا دليل على أن الرسل كانوا

يناولون السر تحت الشكلين كما يدل من جهة أخرى على خطأ الباباويين ويكفي القول أن هذه العادة لم تدخل عند البابويين إلا في القرن ١٢ بواسطة البابا باسكال راجع تاريخ الكنيسة جزء ٢ ق ١٢ وهذا كله مما يؤيد عمل الكنيسة المبني على دعائم الحق المبين وهو تناول الجسد أولاً ثم الدم كما فعل السيد ورسله.

بعد توزيع الأسرار يجمع دقائق الأجزاء المقدسة شاكراً لله ومن ثم يغسل الأواني ويشرب الماء ثم يعطي المتناولين أيضاً منه.

جاء في أوامر الرسل: وليحرص القسوس والشمامسة من أن يبقوا شيئاً من القربان فيكون عليهم دينونة عظيمة ق ٥٢ من ٧١ ومهما فضل من الكأس فليتناوله جميع الشمامسة الذين على الهيكل باسيليوس ق ٩٩. ويجب أن لا يبقى منه شيئاً قصداً في تناوله كبقية الأطعمة الأخرى فيحل به ما حل بأولاد هرون وأولاد عالي عندما أهانوا ذبائح الله. باسيليوس ق ١٠٠ ولا تبقى الكأس معمرة بعد كما الشكر الأخير لإنتظار من لم يحضر إلى الكنيسة وقت القداس. باسيليوس ق ٩٧ راجع م. ص صفحة ١٢٣- ١٢٥.

عندما ينتهي الكاهن من توزيع الأسرار يصلي صلوة شاكراً لله الذي أهله لمناولة أسراره المحيية وكذلك يجب على جميع المتناولين.

جاء في القوانين الرسولية «وإذا فرغ المرتلون من تسبيحهم فليقل الشماس بصوت مرتفع - تناولنا من الجسد الجليل فلنشكر الذي جعلنا مستحقين لتناوله - وبعد ذلك فليصل الأسقف «إذا كان حاضر وإلا فالكاهن صلوة شكر لله الذي أهلنا لمناولة الأسرار المقدسة ق ٥٢ من ٧.

بعد ذلك يضع الكاهن قليلاً من الماء في يده ويباركه ويرشه إلى فوق

ومن ثم يتقدم المؤمنون ليباركهم بيمينه ويضع يده التي لمست الأسرار المقدسة على جباههم.

رش المياه إلى فوق علامة على أن توزيع الأسرار انتهى. ووضع الكاهن يديه على رأس المصلين قبل انصرافهم من الكنيسة – يشير إلى عمل السيد قبيل صعوده فإنه لما أكمل كل تدبيره الخلاصي صعد إلى جبل الزيتون وهناك أظهر ذاته للرسل وباركهم بيديه المقدستين لو ٢٤ : ٥١. وختام القداس – يشير إلى صعود الرب فكما أنه بصعوده انتهت حياته على الأرض بالجسد كما قد انتهى من عمل الفداء كذلك بانتهاء القداس تنتهي الكنيسة وكما باركهم يسوع بيديه كذلك يباركهم الكاهن أما نفخه في الماء فذلك لتبريكه قبل رشم الشعب به ويذكرنا بما عمله السيد إذ نفخ في وجه تلاميذه ثم باركهم يو ٢٠.

ثم يختم بصلوة البركة – وهي توسل إلى الله ليبارك شعبه ويحفظهم بعنايته ويمنحهم بروحه القدوس ويساعدهم في كل عمل صالح كما أعطى الروح لرسله بعد صعوده.

أما الشعب فيرتل ترنيمة الإنصراف للأب البطريرك أو الأسقف إذا كان أحدهما حاضراً: وعندما يقول الكاهن ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ

– أيها المسيح إلهنا» يؤمن الشعب على دعائه قائلا: ⲉⲥⲉϣⲱⲡⲓ

ⲁ̀ⲙⲏⲛ – آمين يكون» مز ٤٠ : ١٣ و ١٠٥ وأخيراً يوزع على الشعب قبل انصرافهم من خبز البركة «القربان الذي اختير منه الحمل أولاً».

أن هذا الخبز يوزع على الشعب في أيامنا هذه على ما قال الآباء

تذكارا للولائم التي كان يصنعها المسيحيون قديماً لبعضهم لأحكام عري المودة والوئام فيما بينهم ولذا كانوا يدعون تلك الولائم «غابي» - أي ولائم المحبة - وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتي بأن هذه العادة قديمة تتصل بعهد الرسل قال في صفحة ٤٣ «ثم بعد هذا العشاء الأقدس يمدون سماطًا من المأكولات اللطيفة سمي من الغاية المقصودة به - وليمة المحبة - وقال في وجه ١١١ . وفي بعض المحلات الولائم المقدسة كانت تكون قبل العشاء الرباني وفي بعضها بعد العشاء الرباني.

وقد بقيت هذه العادة سائرة إلى أن اتسع نطاق النصرانية ولم تعد أفنية البيع تسع المسيحيين حال الأكل والشرب أو لعلة أخرى فأبطلوها واستبدلوها بتوزيع القربان كما في الكنيسة القبطية وبجزء منه كما في كنائس الروم والسريان الذين يقف شماسهم في باب الكنيسة وبيده صينية ملآنة من الأجزاء والفتات يناول كل واحد من الشعب جزءا حال خروجه للدلالة على تلك الولائم الحبية التي تربط عري الأفراد ببعض العائلات بعضهم ببعض التي كانت تصير داخل المعابد» [(١)].

وأخيراً بمدهم بالدعاء ويزودهم بالبركة الرسولية قائلاً محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد وشركة وموهبة الروح القدس فلتكن مع جميعكم. انصرفوا بسلام النعمة معكم جميعا آمين ٢كو ١٣ : ١٤ ويعيد الشماس هذا القول. نعمة ربنا يسوع المسيح فلتكن مع جميعكم آمين رو ١٦ : ٢٤ أما هم فيسجدون لله ويعودون إلى أماكنهم وأما هو فينفرد عنه ثم يخرج.

يمنح الكاهن السلام للشعب والبركة قبل انصرافهم اشارة إلى ما تم

---

(١) قال صاحب مرآة الحقائق وجه ٤٤١.

حال صعود المخلص فإنه بعد أن باركهم انفرد عنهم أما هم فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم لو ٢٤: ٥٢ وأع ١: ١٢ قال أحد أباء الكنيسة الشرقية «أن ذلك اشارة إلى أن المسيح بعد تتميمه التدبير الخلاصي اتحد بشعبه ولذا يخرج الكاهن ويسارى الشعب في الموقف» كذلك بعد انتهاء الذبيحة يباركهم الكاهن وأما هم فيرجعون إلى أماكنهم فرحين مسرورين بعد أن يقدموا السجود لله الذي له المجد والسبح والسجود الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور كلها آمين.

[١١] الصلوة عن أنفس الراقدين وذكرهم في القداس(١)

لا يخفى أن ذبيحة الصليب التي تقدمت مرة واحدة على مذبح الجلجثة كانت للتكفير والإستغفار عن خطايا جميع الناس الأحياء والذين ماتوا على رجاء.. وبما أن ذبيحة القداس غير الدموية هي عين ذبيحة الصليب الدموية ولا فرق بينهما إلا في كيفية التقدمة كما أثبتنا آنفاً فهي إذاً ذبيحة استعطاف عن جميع المؤمنين ولا سيما الذين قدمت من أجلهم. ولهذا ترى أن الكنيسة الجامعية منذ عصر الرسل إلى الآن تقدم الذبيحة الغير الدموية من أجل جميع المؤمنين أحياء وأمواتاً. ولثقتها في مراحم عريسها السموى الرب يسوع تصلي إلى الله وتلتمس صفحه عن هفوات الراقدين في الرب. وليس معنى هذا انها تقدم الذبيحة عن الذين

(١) سبق فأشرنا بأننا سنتكلم عن هذا الموضوع في الجزء الثاني ولكن لعلاقته بالقداس رأينا أن نتكلم عنه هنا.

عاشوا وماتوا في الخطية، فإنها إذا كانت تأبى قبول قرابين الزناة والظالمين والخطاة والمجرمين لغير التائبين وهم أحياء ق ٤٤ من ٧١ للرسل ودسق ١٤ المجموع الصفوي وجه ١٤٥ : ٢٥ فكيف تقدمها عنهم بعد موتهم إنما هي تقدم الذبيحة وتلتمس رحمة الله للراقدين في الإيمان وقد لحقهم توان أو كسل أو تفريط كبشر. لأن لا انسان لا يخطئ ١مل ٨ : ٤٦ ولا صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ جا ٧ : ٢٠ ولذا يقول الرسول. فإني لست أشعر بشئ في ذاتي. ولكنني لست بذلك مبرراً ١كو ٤ : ٤. والنبي يقول السهوات من يشعر بها مز ١٩ : ١٢ ولا يخلو انسان عند انتقاله أن يكون عليه شئ من تلك السهوات التي لا يشعر بها والهفوات التي لا يعلم بها لا ٥ : ١٧.

فتصلي الكنيسة عن هؤلاء الراقدين لإعتقادها أنهم أحياء لأن المؤمنين لا يموتون بل يرقدون يو ١١ : ١١ و ١تس ٤ : ١٣ ورو ١٤ : ١٣ وأن الموت لم يفصلهم عنها «إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله اذ هم أبناء القيامة... الرب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء لو ٢٠ : ٣٦- ٣٨.

وإذا جاز للكنيسة أن تصلي عن الأحياء في الجسد أفلا يجوز لها أن تصلي عن الأحياء بالروح؟ فإذا لم تصلي عنهم برهنت على أن محبتها لهم وقتية أرضية جسدية تنتهي بخروج النفس من الجسد وعلى أنها تفضل الأحياء في الجسد من بنيها على الذين انحلوا منه وخلصوا من آلامه وبذلك تكون خالفت الكتاب الذي يغبط الأموات أكثر من الأحياء العائشين بعد جا ٤ : ٢ ويطوب الذي يختاره الرب ويقربه ليسكن في دياره مز ٦٥ : ٤، رؤ ١٤ : ١٣.

وتصلي أيضاً من أجل بنيها الراقدين تقديراً لخدماتهم ومكافأة لهم

على أتعابهم ٢ تي ٤ : ١٧ وقياماً بالواجب عليها من نحوهم مز ١١٢ : ٦ وأم ١٠ : ٧ وعب ١٣ : ٧ ولتبرهن على أنها ذاكرة عملهم كربها غير ناسية تعب المحبة التي أظهروها نحو اسمه إذ خدموها عب ٦ : ١٠ وفي الكتاب المقدس حجج دامغة وبراهين قاطعة على صحة عمل الكنيسة هذا.

ففي العهد القديم نقرأ (١) أن بني إسرائيل والملوك والأنبياء اعتادوا أن يصوموا ويصلوا من أجل الراقدين وكان لهذه العبادة اعتبار خاص عندهم فأهل يابيش جلعاد صاموا «وصلوا طبعًا» سبعة أيام على شاول وأبنيه ١صم ٣١ : ١٣ أى ١٠ : ١٢ وكما صام داود ورجاله ٢صم ١ : ١٢ لما مات أبنير رئيس جيش إسرائيل ٢صم ٣ : ٣٥ مع أن والده الذي كان يصلي ويطلب بصوم أن يبقى حيا لم يصم من أجله بعد موته ٢صم ١٢ : ١٠ و ٢٠ (٢) أن شعب الله في أيام يهوذا المكابي قدموا قرابين وصنعوا احسانات من أجل نفوس الراقدين ٢ مكا ١٢ : ٤٣ و ٤٦ وقد مدح الرجل على ذلك وحسب عمله مقدساً وتقوياً - ولا محل للإعتراض بعدم قانونية هذا السفر فإن المسيح نفسه وافق على ماجاء به حيث أنه حضر عيد التجديد الذي كان رسمه يهوذا المكابي راجع ١ مكا ٤ ، ٢ مكا ١٠ مع يو ١٠ : ٢٢. وبولس أشار إليه راجع عب ١١ : ٣٤ مع ٢مكا ٦ و ٧ و ١٠. والبروتستانت يستشهدون به.

وفي العهد الجديد نرى أولاً. من قول المسيح من يجدف على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي عب ١٢ : ٣٢ ومعنى هذا بالإجماع. أن من الخطايا ما يغفر في الدهر الآتي «أي بعد الموت» وإلا لو كان الأمر خلاف ذلك لكان قوله في الدهر الآتي عبثا «كما أنه عبثاً» أن يقال. لا أتزوج لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي على ما يقول العلماء.

ثانياً: من قول القديس بولس «إن كان الأموات لا يقومون فلماذا يعتمدون من أجل الأموات ١كو ١٥ : ٢٩ وهذا تصريح من الرسول بالاصطباغ من أجل الموتى ولا يخفى أن الإصطباغ هنا ليس بمعنى العماد بل بمعنى التألم بدليل قول السيد عن نفسه لو ١٢ : ٥٠ وقوله لابني زبدي مت ٢٠ : ٢٢. والتألم من أجل الأموات بالإجماع الصلوة الحارة والأصوام الشديدة المقترنة بالدموع والعبرات السخية على مثال صلوة المسيح التي قدمها ليلة آلامه في البستان لكي تعبر عنه الكأس التي لم يكن مفر من شربها مت ٢٦ : ٣٩ ومر ١٤ : ٣٥ ولو ٢٢ : ٤٤.

ثالثاً: من تصريح القديس بولس نفسه بهذا إذ صلى لأجل انيسيفورس بعد موته بقوله «ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب في ذلك اليوم ٢تي ١ : ١٨ وهذا أقطع دليل على جواز الصلوة عن أنفس الراقدين وطلب الرحمة لهم من الله. ولا سبيل للإعتراض بأن أنيسيفورس كان حياً. إذ كان قد رقد بدليل (١) أن الرسول طلب الرحمة لأهل بيته الأحياء قبل أن يطلبها له عد ١٦ فلو كان حياً لقدمته على أهل بيته بعكس ما فعل (٢) لأن الرسول لم يذكره ضمن الذين أهداهم سلامة على يد تلميذه بقوله. سلم على فوسكلا واكيلا وبيت انيسيفورس ٤ : ١٩ ولو كان حياً لما سكت عن ذكره وهو الذي اعترف بخدماته الجليلة حتى ذكره في عرض كلامه دون سواه وأثنى على محبته وجهاده وأفضاله وخدماته (٣) لأنه سلم على أهل بيته دون أن يذكره هو ولو كان حيا لما قدم الرسول أهل بيته عليه فإن ذلك على غير مألوف العادة فضلا عن منافاته الذوق والواجب. إذ جرت العادة أن يسلم الإنسان على رب البيت. أولا وإلى بيته ثانياً – ولا مجال للإعتراض أيضاً بأنه كان في رومية : لأنه لو كان موجوداً عنده لصرح الرسول بذلك كما صرح ببعض الذين كانوا معه وتركوه والذين لبثوا معه ثابتين كما أشار عن ديماس الذي تركه وذهب إلى

تساولنيكي وكريسكيس إلى غلاطية وتيطس إلى غلاطية. وقال فقط أن لوقا وحده معه تى ٤ : ٢٩- ٣١ فلو كان معه لذكر الرسول سلامه مع الذين كانوا عنده وبعث بسلامهم إلى تلميذه بقوله: يسلم عليك افبلولس وبوديس ولينس وكلاقدية والأخوة جميعاً ٤ : ٢١ بل لو كان موجوداً عنده لأهدى الرسول سلامه لأهل بيته كما فعل الرسول نفسه ع ١٩ إذ لا يعقل أن الرسول يسلم على بيت انيسيفورس ولا يفعل ذلك مع رب البيت ذاته ولو لم تكن الرسالة له - كما ولا يجوز الاعتراض بأنه كان في مكان آخر تركه فيه أو بعثه إليه فإنه لو كان هكذا لأشار إلى ذلك كما أشار إلى غيره بقوله اراستس بقى في كورنثوس. وأما تروفيمس فتركه في ميليتس مريضاً ٢تي ٤ : ٢٠ ويتضح من هذا أن نيسيورس كان ميتاً حقاً وأن بولس طلب الرحمة له بعد موته. وبما أن بولس طلب الرحمة للميت. كما طلبها لأهله الأحياء لذلك جاز للكنيسة أن تصلي على الراقدين كما عن الأحياء.

رابعاً: من قول الرسول «إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حيوة الذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت. ليس لأجل هذه أقوال أن يطلب ١ يو ٥ : ١٦.

هذا القول يدل على أن الخطايا نوعان مميتة وغير مميتة. فالتي للموت أمر الرسول أن لا يطلب لأجلها الإصرار صاحبها عليها وقطع الرجاء من إصلاحه. وأما التي ليست للموت فهذه طلب الرسول أن يصلي لأجل أن تغفر لصاحبها ولكن هب أن صاحبها توفى فجأة ولم يتب عنها. أفيطرح في جهنم النار للعذاب الأبدي. أم يدخل السماء أما الأول - فلا - كما يقول العلماء لأن خطاياه ليست مميتة وبالتالي عرضية خفيفة أو من السهوات التي لا يشعر بها. أما الثاني - فلا - أيضاً لأن السماء لا يدخلها

ولا من يصنع كذباً رؤ ٢٢ : ١٥ بل الطاهر اليدين النقي القلب مز ٢٤ : ٤ . إذاً ماذا يصيبه؟ لا ريب أن من كان هذا شأنه ترفع الكنيسة من أجل الصلوات وتصنع القداسات وتقدم الأصوام والصدقات راجية أن يرحمه الرب - في ذلك اليوم - ولاشك أنها تفيده بدليل أن الحكم النهائي لم يصدر بعد من فم الديان العادل وأن المجازاة لا تكون إلا في القيامة حيث تلبس النفوس أجسادها حسب تعليم الكتاب مت ١٣ : ٢ و ٢٥ : ٣١ الخ و٢كو ٥ : ٢٠ و ١تس ١ : ١٠ و ٢تي ٤ : ٨ ويع ٥ : ١٢ و ١بط ٥ : ٤.

وبما أن النفس لا تحصل على الثواب ولا تنال العقاب إلا بعد الدينونة رؤ ١١ : ٨ و ٢٠ : ١٢- ١٥ و ٢٢ : ١٢ كما ولا يمكنها أن تتمتع بالسعادة الأبدية أو العذاب الأبدي قبل يوم الدينونة العامة لأن عدل الله لا يسمح أن تسعد النفس أو تشقي وحدها قبل أن تتحد بجسدها الذي شاركها في كل الأعمال الصالحة والطالحة كما يتضح من مت ٢٥ : ٣١- ٤٦ ولو ١٤ : ١٥- ٢٤ و رؤ ٦ : ٩- ١١ و ١٦ : ٩ وعلى هذا يوجد رجاء لمثل ذلك الإنسان بالمنفعة ويكون مثله مثل إنسان وقعت منه هفوة ولم تصدر في حقه أحكام نهائية من أجلها فيجوز له ولا له أصدقاء أن يرجو من أرباب الحل والعقد. وأما إذا صدرت في حقه أحكام نهائية فليس ثمة محل للرجاء. وطالما أن الحكم لم يصدر فيوجد رجاء وعلى هذا الرجاء تصلي الكنيسة عن الراقدين وتطلب لهم الرحمة من الله الذي خلصنا بمجرد رحمته تي ٣ : ٥.

خامساً: القديسين يعقوب صرح فقال «أن الرحمة تفتخر على الحكم يع ٢ : ١٣ أي أن الرحمة في الله تتغلب على العدل والدينونة لأن مراحمه فوق كل أعماله مز١٤٥ : ٩ وهو يستعمل الرحمة أكثر من العدل وان كانت الصفتان «الرحمة والعدل» في ذاته الإلـهية - جلت صفاته -

متعادلتين متساويتين [1] وأن النفوس التي في المسيح مطالب الرحمة في شأنهم تغلب مطالب العدل فيعفى عنهم كما يقول البروتستانت على يع ٥ صفحة ٢٥٠.

سادساً: وعلى تعليم الكتاب سار شعب الله قديماً وحديثاً في طلب الرحمة والصلوة من أجل أمواتهم من الأنبياء كما من المسيح نفسه راجع ١ مل ٧: ١٩ و ٢مل ٤: ٢٨ و ٣٠: ٢٧ و لو ٧: ١٣ ويو ١١: ٢٢ أع ٩: ٣٦ الخ فلو لم تكن الصلوة من أجل الموتى جائزة ومفيدة في اعتقادهم لما طلبوها لموتاهم ولو لم يكن هذا مرضياً لله وموافقاً لمشيئته لما أجيبوا إلى سؤالهم.

والخلاصة أننا نصلي عن أنفس الراقدين للأسباب الآتية [2] «وهي : (١) لنوضح أن أنفس الراقدين حية وليست كالحيوانات العديمة النطق والتي تفنى إنحلال جسمها لأن الله سبحانه قال: أنا إله أحياء. فكما أقمنا صلوة عن الذين رقدوا في الرب نتذكر حالا هذه الحقيقة وهي أن أنفسهم وأنفسنا حية خالدة فيجب أن نبذل الجهد فيما يحصلها على السعاده الدائمة (٢) لتصديق القيامة - فنطلب من الله أن يقيم أجسادهم في اليوم الأخير ويقيمنا معهم ويغفر لنا ولهم ما نكون قد اقترفناه من الزلات الخفيفة ولم نكن قد استغفرنا عنهم قبلي الرحيل (٣) لأجل تحقيق الدينونة المسيحية - فإننا حال الصلوة عنهم نعترف جهاراً بالدينونة العتيدة أن تكون فيذكرها العارفون ويتعلمها الذين لم يعرفوها (٤) لتأكيد أن المكافأة لم ينلها أحد بعد حسب تعليم الكتاب والمعلمين الإلهيين وأن الراقدين لا

---

(١) تفسير الرسائل للدبس صفحة ٧٤٠.

(٢) جريدة الحق سنة ١٣.

يكملون بدوننا عب ١١ : ٤٠(٥) لنذكر على الدوام أن الراقدين هم أعضاؤنا واخوتنا وانه من الواجب علينا أن نذكرهم عملاً بقوله مز ١٢: ٢٦ (٦) لأجل تعزية الأحياء وتسليتهم واستنزال نعمة الصبر إلى قلوبهم (٧) لوفاء الدين الذي علينا نحوهم إذ أن الله يأمرنا أن يصلي بعضنا لأجل بعض يع ٥: ١٦.

وفي أقوال الآباء الرسوليين وغيرهم ما يؤيد ذلك فقد قال القديس دينوسيوس تلميذ بولس الرسول أنا تابع الأقوال الإلهية أن صلوة القديسين ينفع الراقدين. وأن الموتى تنتفع بالصلوات والقرابين المقدمة عنهم منفعة فاضلة ميمر ٢ ولما سئل أجاب. ان كانت خطايا المتوفي حقيرة فتجد منفعة بما يعمل بعده وان كانت باهظة ثقيلة فقد أغلق الله الباب في معناه، والقديس ترتليانوس يقول «أن الذبيحة الغير دموية تقدم عن الأحياء والأموات. في الأكليل م ٣» وقال في وحدة الزيجة ف ٩ «أننا نصنع تقدمات في أيام معينة من السنة عن الأموات والمولودين ، والقديس اغسطينوس يقول «ان القداسات والحسنات يجب أن تقدم من أجل المؤمنين فإن كانوا صديقين أخياراً تدعى شكراً وان كانوا أشراراً لا تفيدهم شيئاً ولكنها تكون تعزية للأحياء» أما الذهبي فمه فقد كتب عن ذلك كثيراً وفي كتب مختلفة فمن أقواله في كتاب الدر المنتخب م ٢١ لا يكفي أن تبكي الميت فقط بل تضرع إلى الله من أجله بالصلوات والصدقات وقدم عنه كلما يمكن تقديمه كما جرت عادة المسيحيين في تذكار الأموات إلخ وقال في تفسيره انجيل يوحنا أيتها الإمرأة بدل أن تبكي عليه قدمي عنه الصلوات والتضرعات والقداسات كما قدم أيوب الصحية عن أولاده وهي تصير لهم تعزية يسيرة م ٦٢ . ثم قال: أن هذا الترتيب لم يترتب على بسيط الحال ولا باطلاً نذكر المتوفين على الأسرار الإلهية ونتضرع من أجلهم للحمل الموضوع الرافع خطية العالم: بل لكي نحصل من ذلك تعزية لهم. ولا عبثاً يصرخ الواقف على المذبح عند تتميم الأسرار

الرهيبة من أجل جميع الراقدين في المسيح والذين يصنعون التذكار من أجلهم ولم لم يقم التذكار من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات لأن أعمالنا ليست خيمة حاشا بل هي مقامة كلها بحسب ترتيب الروح فلا نكن إذا من مساعدتنا الراقدين بتقديمنا الصلوات من أجلهم لأن التنقية العامة لكل المسكونة هي حاضرة ولهذا نتجاسر أن نطلب من أجل المسكونة وقتئذ وتدعو الراقدين والشهداء والمعترفين والكهنة م ٤١ : ٤ على ١كو «وفي محل آخر يشهدان اقامة التذكارات في سر الافخارستيا على الراقدين تسليم رسولي بقوله «لم يفرض الرسل عبثاً اقامة التذكار عن الراقدين وقت تقديم الأسرار الإلهية لأنهم يعرفون أن للراقدين ربحاً عظيماً ونفعاً جزيلاً من ذلك مقالة ٣ على فيلبي «والقديس أثناسيوس يقول: أما الضحية الغير الدموية فهي استغفار حقاني.. أن من كانت عيشته صالحة ولحقه شئ من الهفوات فلينهض له أهله بعد موته ليساعدوه.. وأما من كانت عشيته رديئة. غير مهتم بنفسه ومات فلا يساعده أحد.. وان قيل ماذا يكون حال الفقراء الذين ليس لهم من يقدم عنهم؟ فنقول «أن هؤلاء تصلى لأجلهم الكنيسة.. ومع ذلك فان السيد صديق وعادل وحكيم وقدير وخير. وبما أنه عادل فيكيل للفقراء بغزارة وبما أنه حكيم فليبذل عوضاً عن النقص كمالا. وبما أنه قادر فيحطم القوي. وبما أنه خير فيخلص خلقة يديه». وسئل القديس اغريغوريوس أي شئ ينفع الراقدين في الرب؟ أجاب تقدمة القربانة الطاهرة على شكل الضحية الخلاصية فإننا نعلم أن هذه الضحية الطاهرة نافعة لأولئك الذين أخطأوا ثم تابوا ولذلك حسناتهم تتبعهم وتنفعهم بعد موتهم وافيد للإنسان أن يخرج معترفاً من أن يطلب عتقاً بعد الإنطلاق، والقديس كيرلس الأورشليمي يقول: لنذكر جميع الراقدين متحققين ان نفوسهم تنتفع بذكرنا منفعة عظيمة. فإننا إذا قدمنا عنهم ضحايا ولو أن عليهم بعض خطايا. فنقدم عنهم الضحية التي تقدمت كفارة عن خطايا الأحياء والأموات.

هذه أقوال الآباء في الأجيال الأولى واكتفاء بها لا نذكر شيئاً من أقوال العلماء في القرون الوسطى والمتأخرة. ومن أراد الوقوف عليها فليراجعها في كتبهم.

وقد أثبت التاريخ الكنسي هذه الحقيقة: راجع ما كتبناه في مقالنا عن الصليب.

ومن الإجماع، فإن كل الكنائس المسيحية - شرقية وغربية - تمارس الصلوة عن الراقدين منذ العصر الرسولي قال صاحب الأنوار: «ولهذا نرى أن الكنيسة منذ ابتداء تاريخ الدين المسيحي إلى الآن تقدم الذبيحة الغير الدموية من أجل خلاص جميع المؤمنين أحياء وأمواتاً كما هو واضح في جميع الخدام وفي مقدمتها خدمة يعقوب الرسول» من شهادات آباء الكنيسة ومعلميها الأقدمين: صفحة ١٨٨.

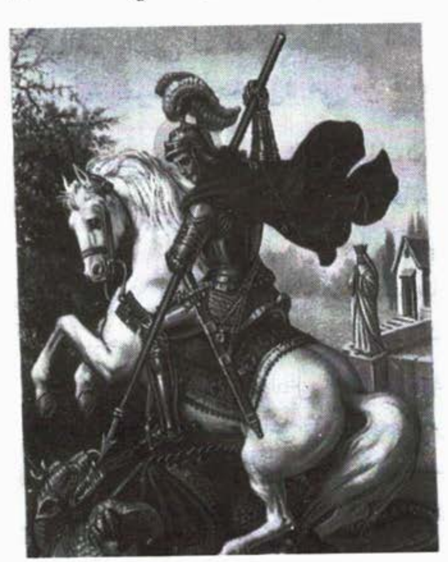
والقطعة التي ترتلها الكنيسة بلحن الحزن وهي أذكر يارب جميع الراقدين الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم الذين انتقلوا من هذه الحيوة في الإيمان المستقيم نيح نفوسهم أجمعين» هي من قداس يعقوب الرسول.

وأخيراً من اقرار البروتستانت أنفسهم الذين يطلبون عن الراقدين مثلنا راجع الصلاة العامة للأسقفي صفحة ٢٩٣ وقد جاء في كتاب ريحانة النفوس باب ١٠ ما نصه «أن الصلوة من أجل الموتى مع أن الكتب المقدسة لا تعلم بها «كذا» ابتدأت في الأجيال القديمة للديانة المسيحية وكان بعض الآباء يمدحون هذا الأمر فإن ترتليانوس أشهر علماء الجيل الثاني قال «تقدم تقدمات كل سنة من أجل الموتى في أيام ميلادهم «يريد أيام موتهم» كتابه اكليل المجاهدين رأس ٣ وأوريجانوس الذي كان في جيله يخبرنا بأنه في أيامه كان المسيحيون يظنون أنه أمر جائز ومفيد أن يذكروا القديسين في صلواتهم الجهارية وأنهم يستفيدون بواسطة ذكر

أفضالهم ك ٢ في رومية وكبريانوس أشهر علماء الجيل الثالث يقول أنه كان من عادتهم في أيامه أن يقدموا قرابين وذبائح تذكاراً للشهداء وصلوات مقدسة لأجل أعضاء الكنيسة المتوفين رسالة ٢٧ وفي رسالة ٦٦ نهى المؤمنين عن أن يقدموا قرباناً عن نفس والنور لأنه أقام كاهناً وصياً على أمواله قبل وفاته» ويقول كيرلس أننا نصلي لأجل آبائنا وأساقفتنا الأطهار ولأجل جميع الذين رقدوا قبلنا ظانين أنه يفيد أنفسهم كثيراً أن يصلى لأجلهم.

من هذا جميعه نعلم صحة تعليم الكنيسة عن الصلاة من أجل الراقدين وأن هذه العادة كانت ولا تزال معتبرة لدى الكنيسة الجامعة ومشروعة من الرسل أنفسهم راجع ما جاء بأوامرهم الموضحة في وجـــه (٣٢٠) من هذا الكتاب.

﴿ انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني بمشيئة الرب ﴾



فهرست الكتاب

وجـــه | الموضوع

الباب الثاني

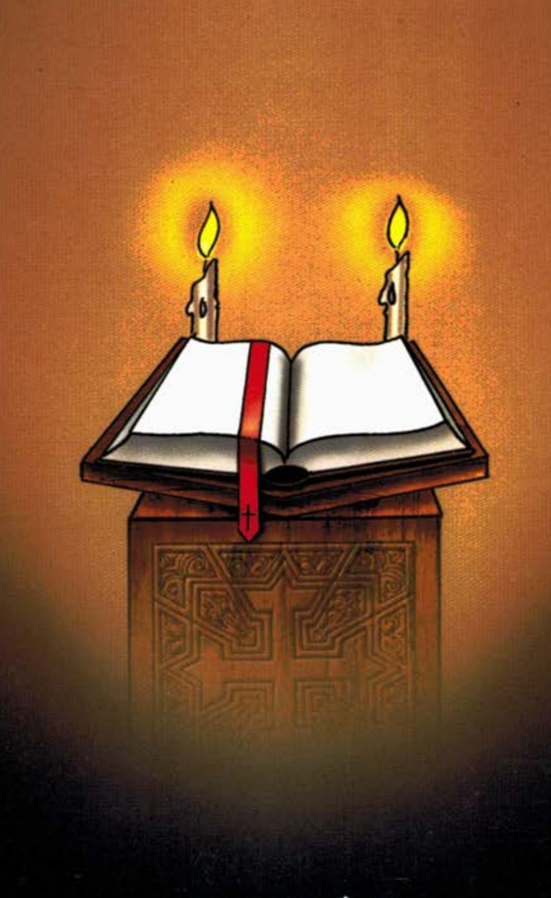
الباب الثالث

وجـــه　　　　الموضوع

الباب الرابع

وجـــه	الموضوع

†††



مكتبة مارجرجس

١٧ شارع شيكولانى - شبرا

مصر ت:٢٠٢٣٢٤٣